من ثمار العلم والحكمة

فتاوى وفوائد

الجزء الثالث

قسم الفقه

فوائد وفرائد في فنون مختلفة

تأليف

السيد العلامة المجتهد
محمد بن عبدالله عوض
حفظه الله وأبقاه



مكتبة أهل البيت (ع)

صف وتحقيق وإخراج:



اليمن - صعدة - ت (٥٣١٥٨٠/ ٧١٣٨٤٢٩٨٩)

الطبعة الثالثة

١٤٤١هـ

تقديم - قسم التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على نعمه العظيمة ومننه الجسيمة، ونصلي ونسلم على خير الأنام، محمد بن عبدالله صفوة الله وحبيبه، وعلى آله الغر الكرام، **وبعد:**

فهذا الجزء الثالث من كتاب **(من ثمار العلم والحكمة)** قسم **(فوائد وفرائد في فنون مختلفة)** جمعنا فيه ما كان في الجزأين السابقين -في الطبعات السابقة- من المواضيع التي لا تتعلق بالفقه، وضممنا إليه الكثير من الفوائد التي كانت مفرقة في الدفاتر، كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة التحقيق في الجزء الأول من هذا الكتاب، وهذه الفوائد في فنون مختلفة، وقد أشار المؤلف حفظه الله إلى ذلك في أول صفحة من بعض دفاتره التي يدوِّن فيها هذه الفوائد، فقال: «**فوائد وفرائد في فنون مختلفة، جاءت على حسب ما يعرض من سؤال أو مذاكرة، أو ما يعرض للخاطر، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين**».اهـ كلامه حفظه الله.

وهي فوائد عظيمة، يحتاجها كل طالب وباحث، ومتعلم وعالم، وقلَّما يجدها الإنسان في كتاب، فهي عصارة جهد المؤلف أيده الله، وخلاصة تأملاته، عمد إلى تدوينها بعد أن فك رموزها وحل عقدها، وقشع حجبها؛ لتصل إلينا سافرة البيان، شامخة البنيان، سليمة المعاني سهلة الألفاظ والمباني، وسترى أخي القارئ ما تقر به عينك ويثلج صدرك من هذه الفوائد النافعة، والثمار اليانعة.

وقد قمنا بترتيبها تحت أقسام رئيسية حسب الأهمية، باذلين الوسع في ذلك؛ فبدأنا بجمع ما يتعلق بالقرآن الكريم أولاً، ثم ما يتعلق بالعلم، ثم ما يتعلق بأصول الدين، ثم ما يتعلق بأصول الفقه، ثم الفوائد التي تتعلق بالعبادات، ثم الفوائد التي تتعلق بالمعاملات، ثم ما كان في الأدعية والأذكار، ثم ما كان في الحكم والمواعظ، ثم مناقشة لبعض أحاديث أهل السنة، ثم ما كان من السيرة

في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء عليهم السلام، ثم أهل البيت عليهم السلام، ثم الفوائد المتفرقة، ثم فوائد هامة للنساء، ثم مجالس متفرقة وهي كانت في دفتر وحدها فأحببنا تركها كما هي وجعلناها خاتمة لهذا الجزء المبارك.

وقد يكون هناك تشابه بين موضوعين أو أكثر فلم نستغن بأحدها بل قمنا بإثبات الجميع؛ لما يكون في أحدها من زيادة فائدة ليست في الآخر، فهي لم تكن من المؤلف –حفظه الله وأيده– مرتبة هكذا، وإنما كان يكتب عن الموضوع في فترةٍ مّا، ثم يكتب عنه في وقت آخر في موضع آخر، فلما تم صفُّها وإعدادها للطباعة وترتيبها حسب المواضيع ظهر هذا التشابه، وأيضاً هناك كثير من الموضوعات في أصول الدين مثلاً وأصول الفقه وغيرهما ليست كاملة كما في الكتب المؤلفة في هذه الفنون، والسبب في ذلك كما أشار المؤلف حفظه الله إلى أنها إنما كانت هذه الفوائد بحسب المقام أو ما يعرض للخاطر. وقد اجتمع من ذلك فوائد جمة في كثير من أبواب هذه الفنون.

وقد يكون منا خلطٌ في ترتيب بعض المواضيع، أو تقديم ما حقه التأخير أو عكس ذلك، وما ذلك إلا لقصر الباع، وقلة الاطلاع.

نسأل الله سبحانه أن نكون قد وُفِّقْنَا في عملنا، وأن يسامحنا فيما سهونا أو أخطأنا أو قصرنا، وأن ينفع به جميع من قرأه، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يحفظ لنا مولانا ويؤيده، ويصرف عنه كل سوء ومكروه، ويجعل هذا الكتاب وغيره من كتبه الفريدة المفيدة في ميزان حسناته، ويضاعف له الأجر والثواب، إنه سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

قسم التحقيق/ مكتبة أهل البيت عليهم السلام

شهر محرم / ١٤٤١هـ

في ذكر القرآن الكريم

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم هو الأصل والمنبع الذي تسيل منه أودية العلوم الإسلامية وأنهارها، وهي:

١ - علم التوحيد والعدل وما يلحق بذلك، ويسمى أصول الدين.

٢ - أصول الفقه.

٣- علم الفقه المتضمن لعلم العبادات والمعاملات والسيَر.

٤ - علم التواريخ وبدء الخليقة ونهايتها.

٥ - علم الفلسفة الذي يعني علم طريق السعادة.

٦ - علم مكارم الأخلاق.

٧- علم مفردات اللغة.

٨- علم النحو والصرف (علم الإعراب).

٩ - علوم المعاني والبيان والبديع.

١٠ - علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد.

١١ - علوم البحار والفضاء والنجوم وحساب المنازل.

١٢ - علوم غيبية.

١٣ - وعلوم أخرى كثيرة أنهاها السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن إلى مائة علم.

القرآن هو: كلام الله تعالى أنزله على الناس بلغة العرب ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء].

ومعرفة المعاني القرآنية كما ينبغي متوقفة على معرفة لغة العرب (لغة القرآن)، ومعرفة لغة العرب متوقف على:

١- معرفة معاني المفردات، ونعني بذلك معرفة معاني الأسماء والأفعال والحروف، وهذا أمر ضروري لا بد منه، ولمعرفة ما ذكرنا نضرب لك بعض الأمثلة:

«ما» لها معانٍ متعددة:

- تَرِد للاستفهام: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر].
- للنفي: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:٩١].
- للشرط: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢].
- للتوكيد: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩].
- اسم موصول للعقلاء وغيرهم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [النساء:١٢٦].

وإلى آخر ما لها من المعاني البالغة خمسة عشر معنى.

٢- معرفة علم الإعراب (النحو والصرف) وذلك أن الرفع مثلاً يدل على معنى في الكلمة، فإذا نصبت تغير المعنى، و...إلخ.

٣- معرفة علم البلاغة والبيان، وذلك أن للعرب أسراراً في تراكيب الكلام، ومعرفة هذه الأسرار متوقف على استحكام المعرفة بعلوم البلاغة، مع الذكاء وحِدَّة الفهم، والإقبال الكامل المركز على النظر، ولذلك قال سبحانه وتعالى في معرفة تفسير متشابه القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

٤- استحكام المعرفة بالقواعد الكلية الإسلامية الهادية إلى كيفية العمل عند تخالف العام والخاص، وتعارض المطلق والمقيد، وتعارض النص والظاهر، وتعارض الظاهر والمفهوم، وتعارض المفهومات، وتعارض العمومين، وتعارض الظاهرين، و..إلخ، وهذا مع جودة الفهم وحدة الذكاء وتركيز الفكر المقترن بتوفيق الله سبحانه.

فإذا أتقن المسلم ما ذكرنا استطاع بمعونة الله وتوفيقه من معرفة علوم القرآن التي أودعها الله سبحانه وتعالىٰ في آيات كتابه الكريم.

ولا ننسىٰ أن تمام المعرفة وحسن الفهم مرهون بخلوص النية لله تعالىٰ، والتزام التقوىٰ، ثم الاستعانة به تعالىٰ والالتجاء إليه بالهداية والتسديد والتوفيق، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية [الأعراف:١٤٦]، فمن استجمع ما ذكرنا، وكان كما حققنا كان بتوفيق الله تعالىٰ من الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾ [آل عمران:٧]، واستحق الفضل الرفيع عند الله المدلول عليه بقوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

أما من لم يكن علىٰ معرفة بما ذكرنا فلا يهتدي إلىٰ استخراج علوم القرآن وتأويله، إلا أن الله تعالىٰ يسر للناس عموماً فهم مواعظ القرآن، وتفاصيل الوعد والوعيد، والحساب والجنة والنار، وفهم عظمة الله تعالىٰ وتوحيده وقدرته وعلمه وعظيم رحمته، وكثرة نعمه، ونحو ذلك من المعلومات التي كلف الله تعالىٰ بها عامة المكلفين.

علوم القرآن الكريم

اشتمل القرآن الكريم علىٰ أنواع من العلوم أهمها:

١- علم أصول الدين بجميع أبوابه.

٢- علم أصول الفقه بجميع أبوابه فإن فيه العام والخاص والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والنص والظاهر، والمنطوق والمفهوم، والحقيقة والمجاز، والمحكم والمتشابه، والظاهر والمؤول، والناسخ والمنسوخ و..إلخ.

٣- علم الفقه بجميع أبوابه.

٤ – علم الأخلاق وتصفية القلوب.

٥ – علوم اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع ومفردات اللغة.

٦ – وفيه أيضاً:

-أن نبي الله يوسف عليه السلام كان عليماً بتدبير السياسة الاقتصادية للدولة.

-وأنه نجح في سياسته الاقتصادية للدولة خلال أزمة اقتصادية دامت سبع سنوات.

-وأن نبي الله داود عليه السلام كان عالماً بتعليم الله له صناعة الحديد، وتشكيله إلى دروع وغيرها ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠﴾ [سبأ].

-وعالماً بسياسة الملك.

-وأن الصناعة تطورت في عهد نبي الله سليمان عليه السلام تطوراً عظيماً، وكان ذلك التطور بإشرافه وتحت أمره.

القرآن الكريم أصل العلوم الإسلامية

فمنه تفرعت العلوم، وإليه رجعت:

- ففيه ثروة هائلة من مفردات اللغة العربية.
- وبه يحفظ علم الإعراب والبناء، وعلوم البلاغة ولواحقها.
- وفيه علم الفرائض.
- وعلم الفقه.
- وعلم أصول الفقه موجود بالقوة.
- وعلم أصول الدين.
- وفيه علم سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
- وفيه علم الكثير من أخبار الأنبياء والمرسلين وكثير من الأمم السابقين، وأخبار بدء الخليقة، وأخبار المنافقين.

[مما اشتمل عليه القرآن الكريم]

اشتملت أحكام القرآن على معظم الأحكام الفقهية كالطهارة والنجاسات والحيض، ومسائل الصلاة والزكاة والصيام والحج، والنكاح والطلاق، والبيع والرهن والإجارة، والدعاوى والشهادات، والأيمان والنذور، والوقف والمواريث والوصايا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد والسير، والحدود والجنايات، وإلى آخر أبواب الفقه.

كما اشتمل على علم التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والوعد والوعيد، و...إلخ.

كما تضمن مسائل علم أصول الفقه.

كما اشتمل على علم التصفية الروحية، وعلم الجدل، وعلم الفلسفة، ومبادئ علم الطب، وعلى عناوين من علوم البحار، وعلوم الفلك، وعلم الجغرافيا، وعلم الطبيعة.

كما اشتمل على علوم اللغة العربية بجميع فنونها، واشتمل على تاريخ بدء الخلق والخليقة، وعلى طرف من علم الملائكة والجن، وعلى تواريخ الأمم السابقة على طول التأريخ، وعلى تأريخ الأنبياء والمرسلين، وتواريخ الكثير من الملوك والجبابرة، وعلى الكثير من تواريخ بني إسرائيل.

كما اشتمل على الكثير من الأخبار المستقبلية، وفيه أخبار المنافقين والمشركين، وسيرة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أولها إلى آخرها، وما عاناه في دعوته من المشركين والمنافقين.

معرفة الله في القرآن الكريم

أمر الله تعالى بالنظر والتفكير في آياته المبثوثة في السماوات والأرض، وبالنظر في الأنفس، في آيات كثيرة تفوت الحصر، ولا سيما في السور المكية: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴿٦﴾﴾ [النبأ]، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴿٢﴾﴾ [الشمس]، ﴿أَفَلَا

يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴿١٧﴾ [الغاشية]، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴿٢﴾﴾ [الأعلى]، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴿٢﴾﴾ [العلق]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [فصلت:٣٧]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت:٣٩]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ..﴾، ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ..﴾ [يس:٣٣]، وتكاد جميع السور المكية أن تركز على هذا الموضوع.

النظر في نعم الله

يذكر الله تعالى عباده بنعمه عليهم، وإفضاله عليهم، وإحسانه إليهم؛ لعلهم يلتفتون إليه بقلوبهم، ويعترفون بنعمه عليهم فيخصونه بالشكر والثناء، ويخلصون له الطاعة والعبادة وفي القرآن الكثير في هذا الباب.

توحيد الله ومعرفته

عرَّف الله تعالى عباده ما هو عليه من العظمة والجلال والوحدانية من عدة طرق:

١- عن طريق تعريفهم بأسمائه الحسنى، وفي القرآن الكريم ما يقارب المائة من الأسماء الحسنى التي من خلالها تعرَّف الله إلى عباده بما له من الجلال والكمال والكبرياء والتعالي.

من ذلك: ما في سورة الإخلاص، وفي آية الكرسي، وفي آخر سورة الحشر، وأول سورة الحديد، وفي الرعد: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴿٩﴾﴾.... الآيات، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ...﴾ [الحديد:٣]، أول سورة الفاتحة.

ومن أراد المزيد فليقرأ القرآن من أوله إلى آخره فسيجد من عظمة الله وجلاله وكماله ما يملأ نفسه وعقله، ويستولي على تفكيره ومشاعره.

٢- عن طريق ضرب الأمثال ومخاطبة العقل بالحجج الإقناعية التي لا يبقى لفطرة العقل بعدها أي شك في صحة توحيد الله وأحقيته.

٣- عن طريق إبطال إلهية المعبودات من دون الله كالأصنام، وعيسى، ومريم، وعزير، والملائكة، و...إلخ.

٤- عن طريق تذكيرهم بشتى نعمه العظيمة على عباده، وأنه هو وحده المنعم المتفضل عليهم دون غيره مما يعبدونه من دون الله.

٥- عن طريق تذكيرهم وتقريرهم بأنه وحده الخالق الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما.

الإيمان بالملائكة وبالكتب والرسل وباليوم الآخر

أبان الله تعالى في كتابه الدلائل والحجج على صدق نبيه محمد ﷺ وأنه رسول من عند الله، وأن القرآن كلام الله ووحيه إلى الناس بما لا يبقى معه أي عذر ولا شبهة، وقد اشتمل القرآن على وجوب الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة على الأنبياء والرسل عليهم السلام، وبوجوب الإيمان بالبعث بعد الموت للجزاء والحساب والثواب والعقاب.

عبادة الله تعالى

اشتمل القرآن على تعليم المكلفين عبادة الله وذكره وحمده وشكره وتسبيحه، وبين أنواع العبادة المطلوبة.

المعاملات

وفيه التفصيل لما يأتي العباد وما يذرون من المعاملات فيما بينهم من النكاح والطلاق والنفقات والبيوع والإجارة والرهن والقرض والمواريث والوصايا والشهادات والدعاوى والجنايات والأيمان والنذور والأوقاف.

الولاية والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفيه ما يجب على الوالي في ولايته من السيرة والأعمال، كجهاد المشركين، وجهاد أهل الكتاب، وجهاد البغاة، وجمع الفيء وتوزيعه، والقضاء، والحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفع التظالم.

وواجبات الحرب وواجبات السلم، وما في العهود والعقود والوفاء بها، وما في نقضها، و...إلخ.

[**فضل قراءة القرآن من الحفظ**]

سؤال: أيهما أفضل القراءة في المصحف، أم القراءة من الحفظ؟

الجواب: لم يظهر لي فرق بين ذلك، وقد وردت الآثار بفضل مطلق قراءة القرآن من غير تقييد لها بكونها من المصحف أم من الحفظ.

ويمكن أن يقال: إنه قد ورد في فضل هذه الأمة ما معناه: ((مصاحفهم صدورهم، لا يغسلها الماء))، فقد يؤخذ من ذلك أن القراءة من الحفظ أفضل، وزيادة على ذلك فقد كان الرسول ﷺ والصحابة يقرأون القرآن من حفظهم، ولم تأت المصاحف إلا بعد حين، وحينئذ ففي القراءة من الحفظ اقتداء بالنبي ﷺ وبالصحابة الأولين.

-ويمكن أن يقال في الاستدلال للطرف الآخر: إن القراءة في المصحف تكون أجمع للفكر، وأقرب للتفكر والتدبر؛ فتكون من هذه الناحية أفضل.

تلاوة القرآن وحفظه

تلاوة القرآن عبادة عظيمة في دين الإسلام، والواجب من التلاوة ينقسم إلى قسمين:

١- فرض عين على كل مسلم، وذلك قراءة الفاتحة، وما تيسر معها في الصلوات.

٢- وفرض كفاية وذلك على العلماء، فإنه يجب عليهم أن يدرسوا القرآن، ويتدبروا آياته؛ ليأخذوا منه علومه وعبره؛ ليعملوا بها ويعلموها الناس، ولا يتم ذلك لهم إلا بكثرة التدبر وتكريره، وطول التأمل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

أما عوام المسلمين فلا يلزمهم إلا الفاتحة وما تيسر معها لصلواتهم، ولا يجب عليهم قراءة القرآن، ويكفيهم الإيمان به جملة، وأن يرجعوا إلى العلماء في أمور دينهم.

[حكم تلاوة القرآن دون تدبر]

سؤال: يقرأ قارئ القرآن في رمضان أو في غيره ونيته أن يتدبر في قراءته ويتفكر في آيات القرآن، ولكنه ينشغل فكره أثناء القراءة، ويضيع عليه التفكر والتدبر؛ فهل يؤجر القارئ على هذه القراءة الخالية عن التفكر والتدبر عن غير عمد؟

الجواب: الذي يظهر لي أن مثل ذلك القارئ يؤجر على تلاوته للقرآن وذلك:

-أن نية القارئ عند ابتداء التلاوة في التفكر والتدبر عمل صالح يؤجر عليه القارئ.

-أن القارئ يقرأ القرآن تعظيماً للقرآن ولكلام ربه، فقراءته من هذه الناحية عبادة، ولو لم يتفكر ولم يتدبر.

وقد ورد: ((أن النظر في المصحف عبادة، والنظر في وجه الوالدين عبادة، والنظر إلى الكعبة المشرفة عبادة، والنظر إلى وجه العالم عبادة))، وما كان ذلك عبادة إلا لما فيه من التعظيم لما عظم الله.

نعم، التدبر والتفكر عند التلاوة أفضل؛ لما في ذلك من الجمع بين العبادة والعلم؛ لأن المتدبر لآيات القرآن يستفيد علماً.

-ولو ذهبنا نقول: إنه لا يؤجر على تلاوة القرآن إلا الذي يتدبر في تلاوته ويتفكر- لحرم أجر التلاوة العجم الذين يقرأون القرآن ولا يفهمون معناه، وما أكثرهم، وعوام المسلمين وما أكثرهم، ولما حسن أن يتعلم عامة الناس قراءة القرآن.

والمعلوم على طول التاريخ في جميع بلاد المسلمين من العرب والعجم أن العامة من الناس يتعلمون قراءة القرآن ويعلمونها أولادهم، ولم ينبههم العلماء على خطئهم؛ فدل على أن قراءة القرآن من غير تفكر وتدبر عبادة مستقلة، وإلا لنبههم العلماء على أنه ليس بعبادة؛ لئلا يتعبوا أنفسهم وأولادهم فيما لا ثواب فيه.

[في ثواب من يقرأ القرآن بأجرة]

ورد سؤال في الذي يقرأ القرآن بأجرة؛ هل يكون له أجر على قراءته للقرآن؟ أم أن الأجر كله للذي دفع الأجرة؟

والجواب: أن للدافع للأجرة أجر قراءة القرآن، وللقارئ بالأجرة أجر قراءته للقرآن، لا ينقص من أجره شيء.

وقد ورد أن الساعي في الخير كفاعله، وورد في الحج عن الغير بالأجرة ما يدل على ما ذكرنا.

والذي يدل على جواز قراءة القرآن بالأجرة- حديث الرقية بالفاتحة، وهو حديث مشهور.

[حكم قراءة من يلحن كثيراً في القرآن]

سؤال: إذا كان هناك قارئ يقرأ القرآن، ويلحن فيه كثيراً؛ لضعف معرفته بالقراءة، هل يجب على السامع تعريفه لكل خطأ؟ وهل هو منكر يلزم تغييره؟

الجواب: قد قال بعض العلماء: إن ذلك منكر يجب إنكاره وتغييره، ولم يظهر لي ذلك؛ فإن قارئ القرآن يقرأه تعظيماً لله ولكتابه، والمعروف أنه لا يترتب على لحنه فساد، كأن يتولد على لحنه معاني غير مرادة فيعتقدها السامع.

إذا عرفت ذلك، فقراءة القارئ للقرآن تعظيماً لله ولكتابه- طاعة حسنة، ووقوع اللحن خطأ لا يقصده اللاحن، والخطأ معفو عنه، ولا يترتب على لحنه فساد، وحينئذٍ فلا وجه للإنكار على اللاحن خطأ.

فإن قيل: سلَّمنا أنه لا ينكر عليه، لكنه يجب تعليمه.

قلنا: لا يجب على القارئ قراءة القرآن في غير الصلاة، فلا يجب على القارئ أن يتعلم ما لا يجب، ولا يجب تعليمه ما لا يجب.

فإن قيل: فليجب تعريفه بأنه يلحن في قراءته لحناً كثيراً، ويقال له: الأولى بك ترك قراءة القرآن، والعدول إلى التسبيح والذكر صيانة لكتاب الله وتعظيماً لكلامه.

قلنا: إذا كان القارئ لا يعرف أنه يلحن، ويظن أنه حافظ كما ينبغي؛ فيرشد إلى المزيد من التعلم للقراءة، ولا ينصح ويرشد إلى ترك القراءة للقرآن، والعدول إلى التسبيح؛ لأنه يترتب على قراءته مصالح، فإنه يستحضر عند قراءته

أنه يقرأ كلام الله فتحل هيبة الله وعظمته في نفسه، وتحصل له مواعظ وزواجر ورغبة ورهبة، فهو يستفيد من قراءة القرآن بقدر معرفته وفهمه، فلا ينبغي إرشاده إلى ترك قراءة القرآن.

هذا، وقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ جماعة من العجم كصهيب، وبلال، وسلمان، وغيرهم، ولم يُرْوَ أن النبي ﷺ نهاهم عن قراءة القرآن، مع العلم أن العجم لا يحسنون النطق بكلام العرب كما ينبغي، ثم دخلت أمم عظيمة من العجم في الإسلام، ولم يُرْوَ أيُّ استنكار من علماء المسلمين على قراءتهم للقرآن، ولم يذكر عن واحد منهم أنه أرشد العجم إلى ترك القراءة والعدول إلى التسبيح والذكر.

[إذا كان الرجل يقرأ القرآن ولا يتأثر به]

سؤال: إذا كان الرجل يقرأ القرآن ولا يتأثر به، فهل يدل ذلك على نقص إيمانه؟

الجواب: لا يدل ذلك على ضعف إيمان الرجل ولا نقصه، والذي يدل على نقص الإيمان وضعفه عند الرجل هو أن يترك بعض الواجبات، أو أن يفعل بعض المعاصي؛ فإن ذلك يدل على ضعف إيمانه ونقصه، ولو كان يخشع لقراءة القرآن ويبكي لسماعه!! فإنه لا ينفعه ذلك، ولا يزيد في إيمانه.

- أما الذي يرده من فعل المعاصي وترك الواجبات الخوف من الله فإنه يكون مؤمناً ولو كان لا يتأثر بقراءة القرآن، ولا يخشع لسماعه، ولكن المؤمن الذي يتأثر بقراءة القرآن، ويخشع لسماعه، مع التزامه بتقوى الله تعالى في الإتيان بالواجبات وترك المعاصي، يكون أرفع منزلة، وأكمل في الإيمان.
- **فإن قيل:** قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴿٢﴾...﴾ [الأنفال]، مما يدل على أن وجل القلوب عند ذكر الله من لوازم الإيمان.

- **فيقال في الجواب:** معنى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هو أن المؤمن إذا ذُكِّر بالله عند إقباله على فعل معصية وجل قلبه وخاف من الله، وترك المعصية، وإذا ذُكِّر بالله عند غفلته عن فعل واجب خاف الله تعالى ووجل قلبه، وأقبل على فعل الواجب، هذا هو المعنى المراد بقوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.
- ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ هو: أن المؤمنين إذا تليت عليهم آيات القرآن صدقوا بها وآمنوا، ولم يكذبوا بها كما يكذب بها الكافرون والمنافقون، وكلما سمع المؤمن آية من القرآن آمن بها فيزداد إيمانه، وهكذا يزداد إيمانه عند سماعه لكل آية وإيمانه بها.

وأما الكافر أو المنافق فإنه يزداد كفره عند سماعه لكل آية وكفره بها، وهكذا يزداد كفر المنافق أو الكافر عند سماعه لكل آية؛ لأنه يكفر بكل ما سمعه من آيات القرآن.

- وتفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝٢﴾ هو أن المؤمنين يتوجهون إلى الله تعالى وحده في استنجاح أمورهم الدينية والدنيوية ويعتمدون عليه وحده.

[إرادة بعض القساوسة لإحراق القرآن الكريم]

في يوم عيد الفطر من سنة ١٤٣١هجرية أعلن بعض القساوسة الأمريكيين أنه سيحرق القرآن الكريم بمناسبة ذكرى الحادي عشر من سبتمبر التي توافق يوم عيد الفطر عند المسلمين، وسمعت في الإذاعة أن المسؤولين الأمريكيين يراجعون هذا القس في أن يتراجع عن قراره بما فيهم الرئيس الأمريكي ووزيرة الخارجية فلم يتراجع.

ولما كان يوم الفطر موعد إحراق القرآن الكريم اشتعلت النار في المدينة التي يسكنها القس، واستعرت النار واشتدت حتى أحرقت مئات المنازل والأبراج، وسقطت طائرتان على المدينة بسبب كثافة الدخان في الجو.

وكان في ذلك آية عظيمة، وعبرة كبرى، ومعجزة لكتاب الله تعالى، وقد

صورت بعض القنوات الفضائية ذلك السعير الهائل ونشرته.

ثم إن القسيس علق قراره بحرق القرآن وأخره، وتراجع عن تنفيذه؛ فالحمد لله الذي أبان عظمة القرآن، وأوضحها بأوضح آية على مستوى سكان الكرة الأرضية، وأيَّد بهذه الآية دين الإسلام ونبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأذل بهذه الآية أعداء القرآن وأعداء الإسلام والمسلمين- حمداً يملأ الأرض والسماء، ونسأله جل وعلا أن يثبتنا على دينه، وأن ينور بصائرنا، وأن يزيد القرآن عزة ورفعة، وأن يذل أعداء دينه وكتابه ونبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

الأرقام المذكورة في القرآن

النصف، الربع، الثمن، الثلث، السدس، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٩، ٢٠، ٣٠، ٤٠، ٥٠، ٦٠، ٧٠، ٨٠، ١٠٠، ٢٠٠، ٣٠٠، ١٠٠٠، ٢٠٠٠، ٣٠٠٠، ٥٠٠٠، ٥٠٠٠٠، ١٠٠٠٠٠.

الرؤيا في القرآن

ورد ذكر الرؤيا في مواضع كثيرة من القرآن الحكيم مما يدل على أن لها شأناً كبيراً، فورد فيه:

- رؤيا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورؤيا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورؤيا نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في جيش المشركين يوم بدر، ورؤياه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لفتح مكة.
- وفي رؤيا غير الأنبياء ورد ذكر رؤيا صاحبي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في السجن، ورؤيا ملك مصر.

فيؤخذ من ذلك: أن الرؤيا حق في الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وفي غيرهم.

- وورد في القرآن تسمية الرؤيا الحق باسم الرؤيا، وتسمية الرؤيا الفاسدة باسم الحلم والأحلام: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف]، سمى الملك ما رأى في المنام باسم الرؤيا؛ فلما عمي

على المفسرين تأويلها سموها أحلاماً كما في هذه الآية.

- وفي القرآن: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٩]، والمراد بالحلم في هذه الآية: هو أن يرى النائم في منامه أنه يُجامع فيُنْزِل، فإذا رأى الطفل ذلك في منامه، وأنزل الماء فإنه يكون قد بلغ سن التكليف.
- وفي تمييز الرؤيا من الحلم ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان))، وفي الحديث: ((الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو ترى له....)) الحديث أو معناه؛ فبذلك يعرف أن الرؤيا الحق هي التي تكون صالحة، وأن الحلم بخلاف ذلك.

الاستشفاء بالقرآن

يجوز الاستشفاء بالقرآن، والاسترقاء به، وقد فعله بعض الصحابة وأقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأقره أيضاً على أخذ الجعالة على الرقية بالقرآن.

وقد روى الهادي عليه السلام في الأحكام في فضل فاتحة الكتاب أنها ما قرئت على مريض إلا شفي...إلخ.

[العلماء ومن يعرف أسرار القرآن]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين، أما بعد:

فإنه لا يعرف أسرار القرآن، ولا يعلم دقائق أحكامه، ولا يطلع على شرائع الحلال والحرام التي أودعها الله تعالى فيه- إلا أهل العلم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾ [آل عمران:٧].

ولأمرٍ مّا فضل الله العلماء على غير العلماء، قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، والآيات

القرآنية في هذا الباب كثيرة.

- والمراد بالعلماء في هذه الآيات ونحوها علماء الدين الذي جاء به الرسول ﷺ من عند الله؛ بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].
- ومن الجدير بنا أن نذكر هنا ماهية العلم الذي استحق صاحبه الثناء الحسن في القرآن الكريم، وسمو المنزلة، ورفيع الدرجات عند الله تعالى **فنقول**:
- العلم المراد هنا هو: صفة وجودية تتمكن في نفس المكلف يستطيع بواسطتها أن يدرك بعين بصيرته دقائق أحكام الإسلام، وما كلف الله به عباده من شرائع الحلال والحرام.
- أما غير دقائق الأحكام فالعالم والجاهل في معرفتها سواء، فكل مسلم يعلم أن الخمر والزنا والسرقة حرام، ويعلم أن الصلوات الخمس واجبة، وأنها تنقسم إلى صلوات رباعية كالظهر والعصر والعشاء، وثلاثية كالمغرب، وثنائية كالفجر، وأن الزكاة فريضة محتومة، وأن زكاة ما أخرجت الأرض العشر إن كان عثرياً، ونصف العشر إن كان يسقى بالمكائن ونحوها و...إلخ، وأشباه ذلك.
- ما ذكرنا من حقيقة العلم هو المراد هنا الذي جاء القرآن بمدح صاحبه والثناء عليه، ويطلق العلم أيضاً على معنيين آخرين هما:

١- الإدراك الذي هو نسبة بين المدرِك والمدرَك، أي: أنه بهذا المعنى نسبة إضافية لا وجود لها في نفس المكلف، ولا في المعلوم.

٢- نفس المعلومات فإنه يطلق عليها لفظ العلم فيقال: «علم النحو» لمسائله.

إلا أن العلم الذي وردت الآيات القرآنية بمدح صاحبه هو العلم بالمعنى الأول.

- وبمعرفتنا لفضل العلم وماهيته يجدر بنا أن نذكر الأسباب المؤدية إلى تحصيله والطرق التي من شأنها أن يصل سالكها إليه، **فنقول**: من المعروف عند البشر أن الطريق إلى تحصيل العلوم والمعارف المختلفة هو التعلم عند من يعلم، ومن هنا بنيت صروح العلم والتعليم في جميع الأمصار، وما زالت دور العلم إلى اليوم يوظف لها العلماء المختصون لتعليم طلبة العلم.

[كيفية نزول القرآن الكريم]

سؤال: هل نزل القرآن إلى سماء الدنيا دفعة واحدة؟ وهل القول بذلك يؤدي إلى إثبات مذهب المجبرة والقدرية؛ لأن الآيات جاهزة قبل العمل؟ مع أن هناك فَرْق بين إنزال الحكم، وعلم الله السابق -على ما أعتقد-.

الجواب:

نزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

-وليس في نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا ما يدل على مذهب المجبرة والقدرية؛ لأنه خبر عما في علم الله، وليس فيه زيادة على ما قالوا في علم الله، ولا فرق بين علم الله تعالى وبين الترجمة عنه بآيات القرآن.

[في تواتر القراءات السبع]

سؤال: هل كل القراءات السبع المتواترة فعلاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولماذا جعلها بعضهم عشراً؟

وما دام الصحابة سمعوها كلها عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا لم يعلِّموها كلها مرة واحدة؟ كما يقرأ عبدالباسط الآن مثلاً، ثم هكذا ينقلها عنهم الرواة كلها؛ فتكون طريق قراءة نافع ورواتها طريقاً لقراءة حفص، وهكذا.

ولماذا نُسبت هذه القراءة إلى فلان، وتلك إلى فلان؟

أم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ أحياناً بقراءةٍ مّا، وأحياناً بغيرها؟ فلماذا لم

ينقل الصحابةُ سورةً بقراءةٍ وسورةً أخرى بقراءةٍ غيرها؟ يعني أن ينقل الصحابي سورة البقرة مثلاً على ما يرويه ورش عن نافع، وينقل آل عمران على ما يرويه حفص عن عاصم وهكذا؟

وكيف يقرأ لهم الرسول ﷺ بالسبع القراءات، ويَنْقُلُ كل جماعة منهم قراءة منها فقط؟ هل عيَّن لكل قراءة رواة؟ أم أنهم لم يسمعوا منه إلا رواية واحدة؟ ولم تختلف القراءات إلا لاختلاف لهجات قبائل العرب، والرسول ﷺ قد أجاز ذلك، وإن لم يقرأ به هو؟

يزيد ذلك في نفسي عمقاً أن أكثر الاختلاف هو في طريقة النطق بالكلمات مثل: الهمزات؛ هناك من ينطق بها، وهناك من يلغيها، وهناك من يسهلها في لهجات العرب، وغير ذلك.

ونوع آخر من الاختلاف مثل: بعض الحروف والحركات؛ فهل يرجع إلى اختلافهم على قراءة الرسم مثل: **ملك ومالك**، فليس بينهما إلا ألف صغيرة، ومثل: ﴿**كونوا أنصاراً لله**﴾ نافع، و﴿**كونوا أنصار الله**﴾ حفص؛ ليس بينهما شيء إلا بعد وجود التنوين وإلا فالأحرف متشابهة، وإنما في الأولى أتبعنا الألف الكلمة الأولى، وفي الثانية أتبعناه الكلمة الثانية.

أوضحوا لي الأمر فإنه يقلقني كثيراً، وأريد أن أستأصل قلقي من جذوره، وأنتم خير جَرَّاح لهذه الأمراض، وجزاكم الله خيري الدارين.

الجواب:

القراءات السبع كلها متواترة عن النبي ﷺ، وإنما لم يجعلها العلماء عشراً للاختلاف في تواتر الثلاث دون السبع.

وكل واحد من الرواة قرأ بالقراءة المتوافقة مع لغته ولهجته العربية؛ فالذي يُميل الألف إلى الياء لا يستطيع أن يقرأ بلغة من لا يميل، ومن يخفف الهمزة بالتسهيل لا يطاوعه لسانه على القراءة بلغة من يحققها، ومن يخففها بالنقل لا يستطيع أن يقرأ على لغة من لا يخففها بالنقل، والعكس.

ومن هنا كان أئمة القراءة كلٌّ يروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يناسبه من القراءة دون ما لم يتيسر له.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ لكلٍّ ما يناسب لغته؛ رخصة منه وتوسعة على الأمة؛ لعلمه بتعسر حفظه على لغة واحدة: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝﴾ [النجم].

-وليس اختلاف القراء في نحو (ملك، ومالك) ناشئاً عن رسم المصحف؛ لأن القرآن يتلقى بالسماع من أفواه القراء، فأهل المدينة تلقوا سماع الفاتحة وغيرها من أفواه قرائهم بما في ذلك كلمة (ملك) فسمعوها بغير ألف، وتلقاها خلفهم عن سلفهم كذلك بالسماع والتلقي من الأفواه، لا من المصاحف.

وكانت هذه هي الطريق المعتمدة عند علماء الأمة في العصور الأولى، وما زالت إلى اليوم.

وقس على ما ذكرنا نحو (أنصاراً لله)، (أنصار الله) فكلٌّ سمع عن سلفه ما سمع، وتلقوه عن أفواههم، وهكذا تلقوا من الأفواه كيفية المدود ومقدارها، وهيئات الكلمة مثل الترقيق والتفخيم والإخفاء والإدغام والإظهار والرَّوْم والإشمام والإمالة والوقف والوصل و...إلخ، كل ذلك تلقوه بالسماع وأتقنوه عند المشائخ حتى حفظوه كما سمعوه.

وبعد، فالاختلاف الواقع بين القراءات السبع لا يتسبب في قلق، ولا ينبغي أن يكون منشأً للإشكال لأن القراءات السبع متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مضت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على القراءة بكل واحدة منها من غير تناكر.

-وما روي عن الإمام الهادي عليه السلام من تصحيحه لقراءة أهل المدينة دون ما سواها من القراءات فالأمر عنده كذلك؛ لأنه ما سمع إلا قراءة أهل المدينة، ولو أنه عليه السلام نشأ وتربى في مكة أو في الكوفة لسمع جميع القراء يقرأون بما سمعوا عن أسلافهم وصح لديه صحة ما سمع؛ لإجماع قراء تلك البلاد على قراءتهم.

وإذا لم يتواتر للهادي عليه السلام قراءة غير أهل المدينة فقد تواتر لغيره غير قراءة

أهل المدينة، وحينئذ فلا مانع للمسلم من أن يقرأ بما تيسر له من القراءات السبع، لا من الرواية ولا من جهة اللغة، ولا من جهة المعنى.

فقراءة (أنصار الله) صحيحة من جهة الرواية، وصحيحة من جهة اللغة، وصحيحة من جهة المعنى، وهكذا قراءة (أنصاراً لله)، وليس هناك مانع عقلي؛ فيجوز أن يقرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرة بالإضافة ومرة بغير إضافة.

-وقد يكون لاختلاف القراءتين حكمة ومصلحة، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ [البقرة:١٨٤]، فإحدى القراءتين تبين القدر الواجب من الإطعام عن كل يوم، والقراءة الأخرى تبين ما على من أفطر أياماً كثيرة أو قليلة وإن كان فيه إجمال من حيث بيان مقدار الواجب إلا أن التفصيل يظهر من القراءة الثانية.

-وقراءة (ملك، ومالك) يكون الحكمة فيها بيان أن الله تعالى يتصف بكل من تلك الصفتين ويدعى بهما، وقس على ذلك.

فوائد وفرائد تتعلق بتدوين القرآن والسنة

-كُتِبَ القرآن الكريم على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وجمع على عهد أبي بكر، وكتب على صورته اليوم على عهد عثمان.

وترتيب سوره من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهكذا ترتيب آياته.

-وكتبت السنة في القرن الثاني، وهكذا التأريخ.

ويبدو أن مجموع الإمام زيد بن علي من أول ما كتب ودوِّن في الصحائف، أو هو أول ما كتب، أما قبل ذلك فإنما كان الحديث والسير والتأريخ وعلم اللغة وغيره محفوظاً في الصدور.

-كانت تواريخ العرب قبل الإسلام مبنية على الأشهر القمرية، وعليها جاءت الأحكام الإسلامية.

[من كلام الإمام زيد عليه السلام في أقسام القرآن]

(والقرآن على أربعة أوجه:

- حلال وحرام لا يسع جهله.
- وتفسير يعلمه العلماء.
- وعربية يعرفها العرب.
- وتأويل لا يعلمه إلا الله، وهو ما يكون مما لم يكن.

واعلموا أن للقرآن ظهراً وبطناً، وحداً ومطلعاً؛ فظهره تنزيله، وبطنه تأويله، وحده فرائضه وأحكامه، ومطلعه ثوابه وعقابه). اهـ من مجموع رسائله عليه السلام.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

في ذكر العلم وفضله

العلم

العلم والحكمة وزكاء الفطرة والإصابة في الحدس والتفرس، وكذلك الإصابة في الرأي والتدبير وما إلى ذلك صفات يجب كل إنسان أن يتصف بها، ويذكر بها، ويكره أن يكون على خلافها، ولو كان ذلك يباع بالأثمان لبذل في شرائه كل غال ونفيس.

نعم، قد أرشد الله تعالى إلى السبيل الذي يؤدي إلى تلك المطالب الشريفة فقال سبحانه وتعالى وهو يذكر يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف]؛ فأخبر سبحانه أنه أعطى يوسف حكماً وعلماً، ثم أخبر تعالى أنه سيعطي المحسنين مثل ما أعطى يوسف من العلم والحكمة جزاءً وثواباً على إحسانهم.

إذاً فالطريق إلى الحصول على ذلك هو الإحسان، والإحسان هو تقوى الله تعالى وطاعته فيما أمر ونهى.

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد:٢٨]، وهذا النور الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية هو العلم والحكمة.

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾ [الأنفال:٢٩]، والفرقان هو العلم والحكمة.

[العلم الذي يستحق صاحبه الرفعة]

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، والمراد بالعلم هو علم الشرائع والأحكام التي جاء بها نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

[أحاديث في طلب العلم]

١- حديث: ((من طلب العلم لله عز وجل لم يصب منه باباً إلا ازداد به في نفسه ذلاً، وفي الناس تواضعاً، ولله عز وجل خوفاً، وفي الدين اجتهاداً، فذلك الذي ينتفع بالعلم فليتعلمه، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه باباً إلا ازداد في نفسه عظمة، وعلى الناس استطالة، وبالله اغتراراً، وفي الدنيا جفاءً؛ فذلك الذي لا ينتفع بالعلم فليكف، وليمسك عن الحجة على نفسه والندامة والخزي يوم القيامة)).

٢- حديث: ((من طلب علماً فأدركه كتب له كِفْلان من الأجر، ومن طلب العلم فلم يدركه كتب له كفل من الأجر)).

[أحاديث في فضل العلم من مقدمة البيان]

في فضل العلم من مقدمة البيان الشافي: قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

((العلماء ورثة الأنبياء)).

((فضل العالم على العابد كفضلي على أحدكم)).

((فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)).

((الغدو أو الرواح في تعليم الدين أفضل عند الله من الجهاد في سبيل الله)).

((فقيه واحد أفضل عند الله من ألف عابد جاهل)).

((نوم العالم خير من عبادة الجاهل)).

((ولمذاكرة في العلم ساعة أحب إلى الله من عبادة عشرين ألف سنة)).

((عمل قليل في علم خير من كثير في جهل)).

((ركعتان من عالم خير من ألف ركعة من عابد جاهل)).

((الكلمة الواحدة يتعلمها المسلم من أخيه المسلم أو يعلمها إياه أفضل من قيام ألف ليلة، وصيام ألف يوم، وصدقة ألف درهم، وصدقة ألف دينار، وحجة مبرورة)).

((النظر إلى وجه العالم خير من عبادة ستين سنة صيام نهارها وقيام ليلها)).

((تعلم حرف في العلم خير من عبادة مائة سنة، وتفكر ساعة خير من عبادة سنة)).

((صحبة العلماء زين ومجالستهم كرم، والنظر إليهم عبادة، والمشي معهم فخر، ومخالطتهم والأكل معهم شفاء للناس، تنزل عليهم ثلاثون رحمة، وعلى غيرهم رحمة واحدة)).

((ولهلاك قبيلتين من قبائل العرب خير لهذه الأمة من هلاك عالم واحد)).

في العلم وطلب العلم

أثر: «جميع الناس تسعى لرزقها ما عدا العالم، رزقه يسعى له»:

-الواقع الذي نعيشه اليوم يصدق هذا الحديث، وهو مروي في كتب الإمامية.

-وفيه الحث على طلب العلم.

-والحكمة في ذلك أن طلب العلم يستغرق وقت الطالب له، ولا يبقى له من الوقت ما يمكنه فيه التكسب لطلب الرزق، مع ما يحتاجه طالب العلم من الزمان المتطاول مع الجد والاجتهاد ليلاً ونهاراً، فتولى الله تعالى رزق طالب العلم ووفره له من غير طلب ولا سبب، بل يأتيه عفواً.

فإن قيل: إن الله تعالى يرزق عباده من طلب منهم الرزق ومن لم يطلبه، وحينئذٍ فطالب العلم من جملة عباد الله الذين يرزقهم الله من غير طلب، فما وجه تخصيص العالم في هذا الحديث بذلك؟

فيقال له: جاء عن علي عليه السلام: الرزق رزقان، رزق تطلبه ورزق يطلبك و..إلخ، فالرزق الذي يطلبك هو الذي يعطيه الله تعالى عباده سواء طلبوا أم لم يطلبوه، ويستوي فيه العالم وغيره، والرزق الذي تطلبه هو الرزق الحاصل بفعل الأسباب كالتجارة والصناعة، والزراعة و... إلخ.

وما يعطيه الله تعالى للعالم هو من هذا النوع الذي لا يحصل إلا بسبب، فيعطي الله تعالى العالم هذا النوع من الرزق بلا طلب ولا سبب في حين أنه لا يعطيه لغيره إلا بطلب وسبب، وهذا من فضل الله على العالم، فالحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

[فائدة في طرق نيل العلم]

- بعضهم:

أخـــي لـــن تنـــال العلـــم إلا بســـتة ... ســـآتيك عـــن تأويلهـــا ببيـــان

ذكـــاءٌ وحـــرصٌ وافتقـــار وغربـــة ... وتلقـــين أســـتاذ وطـــول زمـــان

[فضل زيارة العالم]

- لزيارة العالم فضل، وذلك لأن في زيارته:

١- تعظيمه، وتعظيمه هو من تعظيم ما عظم الله، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ۝٣٢﴾ [الحج].

٢- إظهار فضله ومزيته بين الناس، وذلك يؤدي إلى لفت أنظار الناس إليه وأخذهم عنه وسؤالهم إياه.

٣- تقوية الروابط بين الزائر والعالم، ولا شك أنه يترتب على ذلك فوائد عظيمة.

٤- حصول فوائد للزائر إذا حضر مجلس العالم فيسمع منه فوائد دينية وأحكام شرعية.

٥- ينال الزائر ثواب الزيارة، لما جاء في الآثار من الحث على زيارة الإخوان في الله، والعالم هو أخ في الله مؤمن، مع زيادة فضيلة العلم.

[أفضلية العالم العامل على المجاهد]

سؤال: أيهما أفضل عند الله وأعلى منزلة: العالم العامل بعلمه المعلم الناس الخير؟ أم المجاهد في سبيل الله الصابر المحتسب حتى يقتل؟

الجواب ومن الله التوفيق: أن العالم العامل بعلمه المعلم الناس الخير أفضل

عند الله وأعلى منزلة من المجاهد في سبيل الله الصابر المحتسب حتى يقتل مقبلاً غير مدبر، وذلك للأدلة الدالة على ذلك مثل قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وفي القرآن آيات كثيرة في ذكر العلم وفضله.

- وأن العالم يخلف النبي ﷺ في تبليغ الدين ونشر أحكامه، وبيان شرائعه، ويرشح العالم لخلافة النبي ﷺ إذا توفرت فيه سائر الشرائط المعتبرة.
- ولا شك أن الفضل المراد هنا يكون بكثرة الثواب، فمن كان ثوابه أكثر فهو أفضل.
- والعالم يستنقذ به الله الجماعات الكثيرة من الضلال، ويبين لهم الهدى وسبيل الرشاد.
- وفي الحديث المشهور: ((من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة))، ولا شك أن العالم يحيي سنن الهدى، ويميت سنن الضلال.
- **وبعد،** فالمقرر عند المسلمين والراسخ في أنفسهم منذ يومهم الأول وإلى اليوم أن منزلة العالم أعلى عند الله، وأنه أفضل من المجاهد.
- ثم إن العالم هو الذي يهدي المجاهد إلى الجهاد، ويبين له الحق، ويرسم له طريق الجهاد، ويعلمه شرائعه وأحكامه، وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس].
- في حين أن العالم يموت ويبقى علمه ينتفع به الناس بعد موته جيلاً بعد جيل، وتهتدي به أمم بعد أمم.
- ويشتهر ذكر علماء الأمة في الأجيال شهرة عظيمة، وشهرة المجاهدين ليست كذلك، مما يدل على عظمة العلماء في الصدور، واعتقاد عظيم فضلهم على غيرهم من المؤمنين والمجاهدين.

- العالم يكون في تدينه على بصيرة زائدة على بصائر المجاهدين؛ لذلك قرن الله تعالى شهادة العلماء مع شهادته وشهادة ملائكته في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].
- والعالم هو الذي يخشى الله تعالى حق خشيته بخلاف الجاهل، ومن هنا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].
- وكم جاء في السنة من ذكر عظيم فضل العلماء، وبيان رفيع منازلهم، وإنافتها على كل منزلة.

[طلب العلم عند عدم رضا الوالدين]

سؤال: هل يجوز للولد أن يذهب لطلب العلم بغير رضا أبويه، مع العلم أنهما ليسا بعاجزين ولا ضعيفين، بل قويان مستغنيان عنه؟

الجواب والله الموفق:

أن طلب العلم واجب، وطلب رضا الوالدين واجب، وعلى الولد ألا يخل بالواجبين جميعاً مهما وجد إلى ذلك سبيلاً، فعلى الولد أن يطلب العلم، وعليه مع ذلك أن يسترضي والديه وأن يرفق بهما ويداريهما.

ولا يجوز للولد أن يدع طلب العلم في إرضاء والديه، ولا أن يترك استرضاء والديه بحجة طلب العلم، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...﴾ [لقمان:١٥].

[حكم من يعادي العلماء أو طلبة العلم]

سؤال: ما هو حكم الذي يعادي العلماء ويتنقصهم، وكذلك الذي يعادي طلبة العلم ويتنقصهم، أو يعادي المؤمنين ويتنقصهم؟

الجواب: دواعي العداوة مختلفة، فإن كان الذي دعا للعداوة وتسبب فيها- ضيق طبيعة المؤمن أو العالم، أو حدة طبعه أو ثقالته أو نحو ذلك فينظر في

العداوة، فإن كانت بالقلب فقط دون اللسان واليد فلا حرج فيها.

وإن كانت باللسان أو اليد فيجوز منه ما يكافي ما لحقه من الأذى لقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...﴾ [الشورى:٤١]، والصبر والعفو أحسن لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...﴾ [البقرة:٢٣٧].. إلى غير ذلك من الآيات.

فإذا كان الذي دعا للعدواة وتسبب فيها هو العلم أو الإيمان أو طلب العلم لا غير، ولولا ذلك لم تحصل العداوة- فإنها تكون كفراً، وذلك أنها عداوة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وللدين.

[من هو الراسخ في العلم]

سؤال: من هو الراسخ في العلم؟

الجواب وبالله التوفيق: أن الراسخ في العلم هو الذي استحكمت معرفته بالله تعالى، وبما يستحقه من الجلال والكمال، وبما يتعالى عنه من الشبيه والمثيل وصفات المحدثات وفعل القبائح...وإلخ.

مع استحكام معرفته بلغة القرآن، وتمييزه بين المحكم والمتشابه، والنصوص والظواهر، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، و...إلخ.

بالإضافة إلى معرفته واطلاعه على مذاهب السلف الصالح من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم من علماء الصحابة والتابعين.

ولا بد مع هذا كله أن يكون من أهل الحق وأهل التقوى واليقين والخشية لله رب العالمين، فمن كان كذلك فهو من الراسخين في العلم.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت]، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

[**توفر كتب العلم والمعرفة في هذا الزمان**]

توفرت في هذا الزمان كتب العلم والمعرفة، وامتلأت الأسواق بالمكاتب الحافلة بكتب العلم بأثمان زهيدة، بل بإمكان طالب العلم أن يحمل في جواله ألف كتاب، أو أكثر، ولكن قلّ الدارسون للعلم، على العكس مما مضى فكانت الكتب قليلة ونادرة وغالية الثمن، وفي طلبة العلم كثرة في كل بلاد تقريباً، واليوم انعكس الأمر، فكثرت الكتب وتوفرت، وقل طلبة العلم، وفي الماضي كان للعلم والعلماء قيمة ووزن وثقل عند الخاصة والعامة، وقيمة الرجل في الماضي على قدر علمه، أما اليوم فليس للعلم والعلماء قيمة عند السلاطين ولا عند غيرهم، فالعلم اليوم لا يؤهل العالم لشغل أي وظيفة رسمية لا كبيرة ولا صغيرة، على العكس مما قد مضى.

[**في العلم اللَّدُنِّي بواسطة الإلهام**]

سؤال: نسمع أن هناك من يخصه الله تعالى بالعلم يلهمه إلهاماً ويلقيه في قلبه إلقاءً من غير أن يتعلم، ويسمون هذا العلم بالعلم اللدني، وصاحبه بالعالم الرباني بينما يسمون العالم الذي يتعلم العلم بالدراسة بعالم كتب، فما هو رأيكم في هذا؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان عموماً حين خلقه وأخرجه من بطن أمه جاهلاً، ثم جعل له الآلة التي يحصل عن طريقها على العلم، ثم كلفه بتحصيل العلم، وهذه هي سنة الله في خلقه، وتماماً كما قال جل شأنه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ...الآية﴾ [النحل٧٨]، فتحصيل علم الشرائع إنما يكون بواسطة هذه الطرق، وسواء في ذلك الأنبياء وغيرهم، ومن هنا قال الله تعالى مخاطباً لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى۝٧﴾ [الضحى]، و﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...﴾ [الشورى٥٢] ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ

تَعْلَمُ..﴾ [النساء:١١٣]، فالأنبياء والرسل هم أرفع البشر عند الله قدراً وأعلاهم منزلة، وأقرب إليه زلفى- لم يعرفوا شرائع الله وأحكامه إلا بواسطة تعليم الله لهم كما حكاه الله تعالى لنا في كتابه الكريم، وكذلك الملائكة المقربون لا يحصل لهم العلم إلا عن طريق التعلم، ومن هنا حكى الله تعالى لنا قول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة]، فيتبين لنا بما ذكرنا أن دعوى من يدعي العلم اللدني لبعض الناس دعوى زائفة تكذبها الأدلة القرآنية.

هذا، وقد بلغنا أن بعضهم يدعي ويقول: إن الإمام يعلم الغيب أو شيئاً من علم الغيب، وأن الإمام لا يكون إماماً حتى يكون كذلك، وهذه الدعوى كسابقتها دعوى زائفة تزيفها أدلة القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران ١٧٩]، وكقوله تعالى حكاية عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ..الآية﴾ [الأعراف١٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا...الآية﴾ [الأنعام٥٩]، وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...الآية﴾ [الجن]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾ [الحشر٢٢]، وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴿٩﴾﴾ [يوسف]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل٦٥].

نعم، قد يزيد الله تعالى بعض عباده بزيادة في العقل، ويمده بالفهم، ويسدده للإصابة، فيستنبط بفهمه وعقله من القرآن أحكاماً شرعية قد لا يتهيأ لغيره من

العلماء استنباطها واستخراجها، وكذلك يهديه الله تعالى ويوفقه إلى معرفة السنة الصحيحة وتمييزها من غيرها، ثم إلى استخراج الأحكام الشرعية واستنباطها منها، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴿١٧﴾﴾ [محمد]، وقوله: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾ [الأنفال٢٩].

أما دعوى أن الإمام يعلم الأحكام الشرعية من غير نظر واستنباط من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهي دعوى باطلة، وكذلك دعوى علم الغيب، وهذا هو الغلو المذموم في دين الإسلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (سيهلك فيّ اثنان محب غال ومبغض قال...)، وهكذا كان الحال فقد غلا قوم فيه عليه السلام حتى جعلوه رباً، وأبغضه قوم وتنقصوه حتى لعنوه، بل جعلوا لعنه سنة، عليهم لعائن الله.

وكذلك غلا قوم في أهل البيت عليهم السلام حتى ادعوا لهم علم الغيب، وأنهم يعلمون من غير تعلم، وأنهم معصومون وأنهم... إلخ.

[حكم من يفسر بعض الآيات تفسيراً غامضاً وغريباً]

سؤال: نسمع من بعض الناس تفسير آيات من الكتاب العزيز، ونستنكره بعض الاستنكار لما فيه من الغرابة، وذلك كتفسير الوجه في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن٢٧] بأهل البيت، وتأويل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ بـ«علي بن أبي طالب»، وتفسير الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء٤٨] بعلي بن أبي طالب ونحو ذلك كثير، هذا مع انتمائهم إلى أهل البيت عليهم السلام، ثم يدعون ويقولون: إنهم يفسرون القرآن بعلم لدني، ويصفون من كان كذلك بالعالم الرباني، ثم يصفون سائر العلماء بأنهم علماء كتب، فهل هذا التفسير الغريب صحيح؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن التفسير الذي ذكرتموه تفسير غريب ومستنكر، وغير معروف عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولا عن علمائهم، ولا عن

الزيدية جميعاً، وها هي كتب تفسير أهل البيت عليهم السلام وعلمائهم وشيعتهم موجودة، وتلك كتب حديثهم ومذاهبهم في الأصول والفروع، وكلها خالية من ذلك التفسير الغريب المستنكر، والذي نعرف عن هذا التفسير وما شاكله أنه من تفسير الباطنية، لا من تفسير الزيدية.

بيان الدليل على بطلان هذا التفسير:

نقول: إن القرآن قد أنزله الله تعالى بلغة العرب كما قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر٢٨]، وكما قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء].. إلى غير ذلك من الآيات المتكاثرة الدالة على أن القرآن قد نزل بلغة العرب وبلسانهم، فبناءً على ذلك فكل تفسير تفسر به آيات الكتاب الكريم على غير ما تقتضيه اللغة العربية، فإنه تفسير باطل، وتحريف لآيات الله وإلحاد فيها، وتقوُّل على الله بما لم يقل.

فإن قيل: ما تنكرون فلعل الله سبحانه وتعالى قد خص بعض أوليائه بمعرفة تفسير القرآن وتأويله، فألهمه من ذلك ما لا يلهم غيره.

قلنا: لا ننكر أن الله تعالى قد يخص بعض أوليائه بمزيد من الفهم، ويمده بأنوار العلم، ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد كان أزكى البشر عقلاً وأعلاهم فهماً، ومع هذا فلم يؤثر عنه شيء من التفسير الذي نسمعه عن الباطنية والمتبطنين، وقد قال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل٤٤]، وفعلاً فقد بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للناس ما أنزله الله تعالى في كتابه، ولم يمت صلى الله عليه وآله وسلم إلا وقد أكمل البيان إكمالاً.

فإن قيل: فأين البيان الذي بين به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما نزل من القرآن؟

قلنا: البيان قد جاء بالسنة قولاً وفعلاً فما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه بيان وتفسير لما في كتاب الله تعالى، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو راية الهدى والمبين للناس ما اختلفوا فيه من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يتكلف

أمير المؤمنين من التفسير والتأويل غير ما جاء عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، وكذلك كان أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ على طول التأريخ لم يأتوا بشيء من عند أنفسهم.

وبعد، فنقول: إن سنة الله تعالىٰ في عباده قد مضت عليهم بالتكليف، فلذلك جعلهم سبحانه وتعالىٰ مختارين، ووفر لهم سبحانه وتعالىٰ القدرة والاستطاعة، ثم بين لهم جل شأنه أسباب الكمال وأسباب الوبال، وأسباب الخير وأسباب الشر، ثم دعاهم سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أسباب رحمته، وحذرهم من أسباب نقمته، وعلىٰ هذا فكان حصول رحمته تعالىٰ مرهون بحصول أسبابها، وسواء أكان ذلك من متاع الدنيا وزينتها وثوابها أم من ثواب الآخرة ونعيمها ودرجاتها، فحصول الرزق مثلاً مربوط بحصول أسباب ومقدمات لا بد منها، و... إلخ.

والعلم أيضاً مربوط بحصول أسباب ومقدمات لا بد منها، فمن ذلك: السماع للعلم، وبهذه الطريق ومنها أخذ النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ العلم فقد كان جبريل عَلَيْهِالسَّلَامُ يأتي النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ في صورة دحية الكلبي فيقرأ عليه القرآن، وكذلك أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ استفاد العلم بالسماع عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، والحسنان عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ عن أبيهما، ثم الأئمة عَلَيْهِمُالسَّلَامُ، وكذلك علماء الصحابة ومن بعدهم من علماء الأمة إنما استفادوا العلم بالسماع والتلقي عن العلماء والمشائخ.

نعم، في هذه الأزمنة المتأخرة لا بد مع السماع من معرفة اللغة العربية معرفة متكاملة؛ لأن القرآن كما ذكرنا نزل بلسان عربي مبين، فحصول معرفة معاني القرآن مرهون بحصول معرفة اللغة العربية معرفة كاملة، وكلما كانت المعرفة باللغة العربية أكمل كانت معرفة القرآن أتم وأكمل وأوثق.

ثم لا بد مع ذلك من حصول التنوير في القلب، وزيادة الفهم، وزكاء العقل، وكل ذلك متوقف علىٰ التقوىٰ والهدىٰ والإحسان والتواضع، وتماماً كما قال جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد١٧]، ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال٢٩]، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى

الْمُحْسِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف٢٢]، ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الاعراف١٤٦]، فإذا حصل كل ذلك للناظر في كتاب الله تعالىٰ تمكن من فهم أسرار القرآن وعلومه وأحكامه وتفسيره وتأويله، ثم إنه لا يقبل من تأويل ذلك الناظر وتفسيره إلا ما كان علىٰ حسب ما تقتضيه اللغة العربية بالمنطوق اقتضاءً أو إيماءً أو إشارة، أو بالنص أو الظهور أو بالمجاز أو بأي طريق من طرق الكناية إما بالتلويح أو الرمز أو الإشارة أو... أو... إلخ.

وكما قلنا سابقاً: إن القرآن قد نزل بلغة العرب- فإن الواجب تفسير مفردات القرآن علىٰ حسب ما تعرفه العرب من معانيها لا غير، فالتنوير الذي يمنحه الله تعالىٰ لبعض أوليائه إنما هو من أجل معرفة حقائق القرآن ومجازاته وكناياته، وإشاراته ومفهومه ومنطوقه، ودلالة الاقتضاء والإيماء والإشارة، والتلويح والرمز، والتخصيص والتعميم، و..إلىٰ آخر ما اشتملت عليه لغة القرآن من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز التي عن طريقها تستخرج أحكام القرآن.

العلم اللدني

العلم اللدني: هو ما يستفيده الإنسان من جهة الوحي، وهذا بالنسبة للأنبياء والرسل، وتماماً كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ...﴾ [الشورى٥١]، وقال سبحانه وتعالىٰ في شأن الخضر الذي صاحبه موسىٰ عليه السلام: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴿٦٥﴾﴾ [الكهف]، فعلم الخضر علم لدني غير أنه إنما استفاده عن طريق التعليم كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴿٦٥﴾﴾ [الكهف]، ويدل أيضاً علىٰ أنه عليه السلام إنما استفاده عن طريق التعليم- قول موسىٰ عليه السلام له كما حكاه الله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴿٦٦﴾﴾ [الكهف]، وحينئذٍ فعلم الرسل والأنبياء عليهم السلام هو علم لدني تلقوه من لدن حكيم عليم عن طريق الوحي.

أما الأوصياء والأئمة والعلماء فعلمهم مستفاد من السماع من الأنبياء أو ممن سمع الأنبياء أو.. إلخ، فيكون أيضاً ما استفادوه من العلم علماً لدنياً، وذلك أن الكتاب والسنة من لدن حكيم عليم.

وعلى هذا، فعلم الكتاب والسنة علم لدني، فكل من عنده شيء من علم الكتاب أو السنة فإن علمه علم لدني، ثم نقول بعد ذلك: إن من فسر القرآن بغير التفسير وبغير البيان الذي جاء عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعن أهل بيته، أو فسره على غير ما تقتضيه قواعد اللغة العربية- فإن تفسيره تفسير باطل، وتَقَوُّلٌ على الله بما لم يقل، وكذب وزور وبهتان، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ...﴾ [الزمر٣٢]، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل١٠٥].

يؤيد ما ذكرنا: أنك لا تكاد تجد لهم أو تسمع من أحدهم شيئاً من ذلك العلم اللدني المزعوم، بل تراهم يتكتمون عليه أشد التكتم، ولا يظهرونه إلا لبعض المغفلين الذين وثقوا منهم؛ لعلمهم أنه لا يصدقه ولا يقبله إلا أهل الجهل والغفلة، ولو كان علمهم الذي يدعون صحيحاً لأبدوه ونشروه في الكتب وعلى المنابر، كما يفعله أهل المذاهب.

العالِمُ الرباني

العالم الرباني: هو العالم بما جاء من الأحكام في الكتاب والسنة مع العمل بذلك، ومن هنا قال تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران]، وفي آية أخرى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ...﴾ [المائدة٦٣]، والتسمية بالربانيين قد كانت من أجل انقطاعهم إلى الرب عز وجل بالعلم والعمل، وبناءً على هذا فجميع العلماء المحقين العاملين بعلمهم هم علماء ربانيون، غير أن ذلك المتعالم قد أراد أن يغطي سوأة جهله بالاختصاص بهذا الاسم دون غيره فسمى نفسه عالماً ربانياً، وسمى العلماء الذين هم حقاً علماء باسم «علماء كتب»، ولبس بذلك على المغفلين من الجهال.

وفي الحقيقة والواقع أن علماء الكتب هم العلماء الربانيون حقاً، أما هو فليس من العلم في قليل ولا كثير، ولا نقير ولا قطمير، وإنما يفسر ما يفسر بالجهل والأوهام والوساوس يصورها لأوليائه بأنها علم لدني، ويعني بهذه العبارة أن ذلك التفسير ليس من تفاسير الكتب، ولا من تفاسير العلماء والمشائخ، وإنما هي تفاسير مستوحاة من لدن الحكيم العليم، ألهمه إياها إلهاماً، وخصه بها دون غيره.

لهذا فإنك تراهم يتكتمون على ذلك إلا من خواصهم المغفلين، وذلك من أجل أن لا تظهر سوأتهم، وينكشف أمرهم، فإنهم لو أظهروا ذلك لتكاثرت عليهم التساؤلات التي لا يحيرون لها جواباً، ومن هنا تعرف بطلان مذهبهم، فإنهم لو عرفوا صحة مذهبهم لصرحوا به ونشروه وألّفوا فيه الكتب من رضي رضي ومن كره كره.



قسم أصول الدين

كتاب التوحيد

علم أصول الدين:

هو عبارة عن بيان طرق التفكير الموصلة إلى العلم بتوحيد الله تعالى، وما يستحقه من الكمال والجلال، وإلى العلم بعدله وصدق وعده ووعيده، وإلى العلم بصدق أنبياء الله ورسله، وما جاءوا به من الكتب، ثم العلم بما يلحق ذلك من خلافة النبوة.

وقد أبدع علماء المسلمين في هذا المجال، وتفننوا في إخراج هذا العلم، ونعني بهم:

١- علماء الزيدية ويظهر ذلك بالنظر في كتب الإمام القاسم بن إبراهيم، وحفيده الهادي، والإمام الناصر الأطروش، وابني الهادي، وقبل أولئك كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام؛ فمنها: كتاب الإيمان، وكتاب تثبيت الإمامة، وكتاب تثبيت الوصية، وكتاب الجواب على المجبرة، وكتاب الصفوة، ومنها غير ذلك مما اشتمل عليه مجموعه المطبوع.

٢- علماء المعتزلة، وقد توسعوا في هذا العلم، وسلكوا سبيل الفلاسفة في التعبير، وإن كان لهم شطحات، ومؤلفاتهم كثيرة.

٣- الأشعرية، وقد سلكوا سبيل المعتزلة، ولهم مؤلفات كثيرة، وأخطاؤهم في ذلك عريضة.

٤- الجعفرية، لهم مؤلفات كثيرة، ولهم أخطاء كثيرة، وكل هذه الطوائف لهم تحقيقات في عرض المسائل، وتوجيهات، وحجج، وردود.

٥- الحنابلة أو السلفية أو كما يسمون أنفسهم، فكتبهم العقائدية تدل على أن وراءها جهلاً وضعفاً، وغباوة شديدة مع الغرور الكبير، ويظهر من خلالها أن عقولهم جامدة إلى حد بعيد، وأنهم ليسوا من العلم والتحقيق لا في عير ولا نفير.

[المعلوم من أصول الدين ضرورة واستدلالاً، ومعارف الملائكة والأنبياء]

سؤال: ما هو المعلوم بالضرورة من أصول الدين؟ وما هو المعلوم بالاستدلال؟ وهل معارف الملائكة ضرورية أم استدلالية؟ وكذلك الأنبياء عليهم السلام؟

الجواب والله الموفق: أنه لا يوجد في أصول الدين ما هو معلوم بالضرورة، وكل معارفه استدلالية، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما يلحق بذلك أو يتعلق به من الإمامة والشفاعة والخلود في النار و...الخ، كل ذلك استدلالي، ومن هنا مدح الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب في كتابه الكريم، وأثنى عليهم في آيات كثيرة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أفضل الأعمال، ولا يستحق المكلف الثناء والمدح إلا على ما في تحصيله والاستقامة عليه كلفة ومشقة، والكلفة والمشقة لا تصاحب إلا المعارف الاستدلالية، أما العلوم الضرورية فلا تحتاج إلى شيء من ذلك وإنما تحتاج إلى وجود العقل لا غير، فبوجوده تحصل العلوم الضرورية بدون اختيار العاقل، فلا عمل له إذاً ولا جهد، وقد قال سبحانه وتعالى في ذكر الجزاء: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [الطور]، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [الواقعة]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين أن الجزاء في الآخرة من الثواب والعقاب إنما يكون على حسب الأعمال.

نعم، لا مانع من أن يتحول شيء من علوم أصول الدين من الاستدلال إلى الضرورة، ومن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً).

فإن قيل: ما هي الطريق إلى ذلك؟

قلنا: الطريق إلى ذلك ملازمة التقوى والاستقامة على الهدى، والاجتهاد في ذلك.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩]، وقال سبحانه

في بيان الجزاء على الأعمال الصالحة: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد:٢٨] إلى غير ذلك من الآيات.

فبناءً على ذلك، فإن الله تعالى يزيد المهتدين والمتقين علماً ونوراً وكلما ازدادوا من الهدى والتقوى زادهم، وهكذا إلى أن ينتهي علمهم إلى الضرورة.

فإن قيل: قد ذكرتم فيما سبق أنه لا ثواب على العلوم الضرورية فهل يثاب هذا الصنف؟ أم ينقطع ثوابه؟

قلنا: بل يثاب على ما صار ضرورياً من العلوم الاستدلالية، وذلك أن الضرورة إنما حصلت بعناية من المكلف ومواصلة الجهد على التقوى والاستقامة، فالضرورة إذاً أثر من آثار عمله ونتيجة من نتائج تقواه وهداه، ونتائج الأعمال تتبع الأعمال في استحقاق الثواب والعقاب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴿١٢﴾﴾ [يس].

هذا، والأقرب في معارف الملائكة والأنبياء عليهم السلام أنها مثل معارف المكلفين من البشر، بدليل أن الله تعالى إنما يعرف بآياته الدالة على عظمته وجلاله وعلمه وقدرته و..إلخ؛ لأنه سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، ومن هنا قال ابن أبي الحديد:

والله ما موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد ... عرفوا ولا جبريل وهو إلى محل القدس يصعد

من كنه ذاتك غير أنك أوحدي الذات سرمد ... عرفوا إضافات ونفياً والحقيقة ليس توجد

غير أن الملائكة أعبد وأطوع وأتقى وأطهر، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، وعلى هذا فيكونون أولى بزيادة العلم والنور ومضاعفة ذلك إلى أن تصير معارفهم ضرورية، ثم يأتي الأنبياء بعد الملائكة.

وهناك دليل يدل على أن معارف الأنبياء صلوات الله عليهم استدلالية وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ...الآية﴾ [البقرة:٢٦٠].

[بيان ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكتفى به من الداخلين في الإسلام]

-كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكتفي من الداخلين في الإسلام بالإيمان والتصديق بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالإيمان بالملائكة وبالرسل، وبالكتب التي أنزلها على رسله، وباليوم الآخر، وما فيه من الحساب والجزاء، ثم السمع والطاعة لما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الله من الأمر والنهي، والاستقامة على ذلك.

ويكتفي من معرفتهم بالله أن يعترفوا ويصدقوا بأنه لا إله إلا هو ليس له شريك ولا مثيل، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه رب العالمين ومالكهم، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، وأنه الخلاق الرزاق، العزيز الغفار، الكريم الوهاب...إلى آخر ما له جل وعلا من الأسماء الحسنى.

وما كان صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم الجبر والاختيار، والقضاء والقدر، والإرادة والمشيئة، ولا ما شابه ذلك من دقائق علم العقيدة، وغرائب علم التوحيد، ولا كان يسألهم عن ذلك، ولا يفاتحهم فيه.

[معرفة صدق الإيمان وكذبه]

المعروف من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يرضى من الرجل أن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة؛ وبذلك يكون من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يفتش عن حقيقة إيمان الرجل وإسلامه.

-وقد تولى الله تعالى اختبار المؤمنين بما حملهم من التكاليف الشاقة؛ فمن التزم القيام بها من المؤمنين فهو المؤمن حقاً، وبعدم القيام بها أو ببعضها ينكشف أمر الرجل للمسلمين، ويسمونه منافقاً؛ لأن من لوازم الإيمان العمل بأحكامه وشرائعه؛ فإذا لم يحصل العمل بالأحكام والشرائع عرف أن الإيمان مختل، وكان هذا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

-ثم لما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم حصل بين المسلمين بعض الخلاف، ثم إن الخلاف كان يتوسع بمرور الوقت، وأخيراً استقر الخلاف وصار لكل فريق كيان ومذهب.

ثم لم يعد العمل بالأحكام الشرعية هو علامة صدق الإيمان وصحته، بل استحدث أهل المذاهب أشياء أخر يستدلون بها على صحة إيمان الرجل أو فساده.

[الاكتفاء في الاستدلال على وجود الخالق بما في القرآن]

﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ۝٢٠﴾ [الذاريات]: يستدل المتكلمون على إثبات وجود الخالق تعالى بحدوث الأجسام؛ فإذا ثبت أنها محدثة فلا بد لها من محدث، ولهم في الاستدلال على حدوثها أنواع من الأدلة:

١- منها دليل الإمكان.

٢- ودليل الدعاوي.

٣- وقياس الشاهد على الغائب، و...إلخ.

والذي يخيل لي أن فيما استدلوا به شيئاً من التعقيد والغموض.

هذا، وفيما استدل الله تعالى به في كتابه على ذلك غنية وكفاية عما سواه.

[المعارف الإلهية التي لا يعذر عنها مسلم]

سؤال: ما هي المعارف الإلهية والتي يلحق بها التي لا يعذر عنها مسلم، ولا يتم إسلامه وإيمانه من دونها؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن المعارف التي لا بد منها ولا يتم الإيمان والإسلام إلا بها هي كما يلي:

١- معرفة الله عز وجل بالقلب، ثم الإقرار باللسان.

٢- الإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن وما فيه، ويتبع ذلك الإيمان بجميع رسل الله تعالى، وبما أنزل عليهم من عند الله، والإيمان بملائكة الله، ولا يشترط معرفة الرسل بأسمائهم وأسماء كتبهم، ولا معرفة أنواع الملائكة، وبعض أسمائهم.

٣- معرفة اليوم الآخر، والتصديق به وبما اشتمل عليه من الثواب للمطيعين في جنات النعيم خالدين فيها، ومن العقاب للعصاة المتمردين على الله في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

٤- ثم لا بد بعد ذلك من معرفة أهل الحق والانتماء إليهم في الدين، وتماماً كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

ولا يحتاج إلى أن يعرف مسائل الخلاف، ولا أن يعرف الحق في كل مسألة، بل يكفيه الانتماء إلى أهل الحق، واعتقاد أنه يدين بدينهم، ويقول بقولهم في الجملة.

والدليل على ذلك: هو ما رأينا عليه علماء أهل البيت عليهم السلام، وذلك هو تقريرهم لأوليائهم والمنتمين إليهم على ما هم عليه من الانتماء في الجملة.

ومن تمام الإيمان والإسلام- الإذعان والانقياد لله سبحانه وتعالى، والامتثال لله بفعل الواجبات، واجتناب المحرمات، وقد وصف الله تعالى إيمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين فقال جل شأنه: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ...﴾ [البقرة:٢٨٥].

نعم، الإيمان بالله تعالى والتصديق به لا يحتاج إلى طلب ولا تعب، بل إن كل مولود يولد على الفطرة، لهذا نرى الطفل منذ أن يبلغ مرحلة الفهم والتمييز يبحث بفطرته وينساق بطبيعته إلى الاستفهام والسؤال من أين ولد؟ ومن أين جاء؟ ومن الذي خلقه؟ ولا تزال هذه الأسئلة تدور في فكره حتى يصل إلى مطلوبه من المعرفة بالله والتصديق به.

وكثيراً ما يوجه الأطفال هذه الأسئلة إلى أمهاتهم بإلحاح، ومن هنا جاء في الحديث: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)).

والذي يؤيد ما ذكرنا من أن الإيمان بالله تعالى فطرة لا يحتاج إلى طلب ولا تعب- أن الله سبحانه وتعالى كثيراً ما يقول بعد بيان الآيات الدالة على إلهيته

وربوبيته: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، مما يشير إلى أن معرفة الله تعالى متحققة لذوي العقول، وأن العاقل لا يحتاج إلى أكثر من أن يرجع إلى عقله فيتذكر المعرفة المركوزة في فطرته إن كان قد نسي أو غفل.

[حكم التفكر في الخالق]

سؤال: ما حل مشكلة رجل إذا تفكر في المخلوق تفكر في الخالق مباشرة، ولا يستطيع صرف هذه الفكرة الشيطانية.. إلخ؟

الجواب: أن الله سبحانه وتعالى قد أمر بالتفكر في المخلوقات، وصرَّف الآيات في ذلك المجال، والواجب على المتفكر في المخلوقات أن يجاهد وساوس الشيطان بقدر جهده، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وقد شكا بعض الصحابة من نحو ما شكوت منه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من عرض له شيء من ذلك فليقل: آمنت بالله)) أو كما قال، ولا ينبغي ترك التفكر فيما خلق الله سبحانه وتعالى من أجل ما ذكرت، بل الواجب مدافعة وساوس الشيطان، وليس عليه بعد ذلك شيء، بل ذلك محض الإيمان كما جاء في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما شكا إليه رجل مثل ما شكوت فقال يا رسول الله: لأن تقطع رقبتي أحب إلي من أن أذكر تلك الخواطر، أو كما قال.

[معنى: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر]

سؤال: ما معنى لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله.. إلخ؟

الجواب: أن الناس في تلك العهود كانوا ينسبون مصائب الموت والبلايا والفقر والكبر والضعف والشيب والهرم ونحو ذلك إلى الدهر، فإذا حدث شيء من ذلك على أحدهم سب الدهر؛ لأنه عندهم فاعل ذلك، فمن أجل ذلك -والله أعلم- قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله))، بمعنى: أن الذي فعل بكم تلك البلايا والمصائب هو الله، فإذا سببتم الدهر فقد سببتم الله؛ لأنه الفاعل لما تعتقدون أنه من الدهر.

ومثل هذا أن تقول لمن تؤلمه رجله ظاناً أن ألمها إنما حدث من شوكة فتقول: «الشوكة هي الحية» تريد أن الألم الذي حدث برجله لم يكن من شوكة، وإنما كان من حية، ولا نريد أن الشوكة اسمها حية، فكذلك ما جاء في الحديث.

[في ذكر المناجاة التي في صحيفة زين العابدين عليه السلام]

هذا، وأما ما في صحيفة الإمام زين العابدين: (ولا تحرمنا رؤيتك) فاعلم أن المناجاة الموجودة فيها ليست من صحيفة الإمام زين العابدين، والزيدية يروون دعاء الصحيفة وليس فيها تلك المناجاة التي في آخرها، أما بقية دعاء الصحيفة فالزيدية يروونه عن الإمام زين العابدين من دون زيادة ولا نقص.

[الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله]

الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله و...إلخ واطمئنان القلب به أفضل الأعمال وأجلها وأعظمها، وإنما كان كذلك لأنه الأساس الذي تبنى عليه الأعمال الصالحة.

فإن قيل: كيف يكون كذلك وليس فيه تعب وكلفة ومشقة، وقد قالوا: إن الأجر على قدر المشقة؟

قلنا: هو عمل قلبي لا يقر في القلوب ولا يبقى فيها إلا بعناء شديد ومجاهدة مستمرة؛ لأن الشكوك والشبه تأتي الإيمان وتزاحمه في القلب، وتحاول أن تقتلعه من القلب تماماً أو تضعفه، بالإضافة إلى الهوى ووساوس الشيطان، فلا يقر الإيمان في القلب ولا يدوم إلا بمجاهدة مستمرة وتعب ونصب ومعاناة في دحر الشكوك والشبه، ودحر الهوى والوساوس الشيطانية، ومع ذلك فلا تتم المجاهدة إلا بصبر عظيم لا يكل ولا يمل، فكان الإيمان لذلك أشق الأعمال وأشدها وأثقلها على المكلفين.

ودليل ذلك: ما نشاهده ونحسه من كثرة الملتزمين بأداء فرائض الصلاة والزكاة والحج والصيام، وقلة الملتزمين بالإيمان الذي أراده الله تعالى وهو ما كان

عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلي وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأبو ذر وعمار وأشباههما ممن امتحن الله قلوبهم للتقوى رضوان الله عليهم ورحمته وبركاته.

وأفضل الأعمال بعد الإيمان الصلوات الخمس، بدليل ما في الأذان (حي على خير العمل) وحديث الصحاح: ((اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة))، ثم بعد ذلك الزكاة والصيام والحج، فهذه الثلاثة في الفضل بعد الصلوات الخمس من غير تحديد للأفضل منها.

وإنما كان الأمر كما ذكرنا لأن الإيمان والصلاة والزكاة والحج والصيام هي أركان الإسلام لا يتم الإسلام إلا إذا قامت أركانه، ثم بعد ذلك الجهاد في سبيل الله.

[تفسير الإمام القاسم للإيمان]

فسر الإمام القاسم بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الإيمان بأنه: ترك كبائر العصيان، وكذلك محمد بن القاسم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وهذا التفسير هو تفسير للإيمان بما يلزم عنه ويوجبه؛ فإن من آمن بالله تعالى وبما جاء به، وأيقن بذلك - لا يقدم على فعل معصية كبيرة، وإنما يقدم على كبائر العصيان من خلي قلبه عن الإيمان واليقين، ومن هنا قال تعالى وهو يصف بعض العصاة: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ۝٥٣﴾ [المدثر]، وفي الحديث: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن...)).

ومعنى الإيمان: تصديق القلب واللسان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والسمع والطاعة لله تعالى في الإتيان بما أمر به والاجتناب لما نهى عنه، وهكذا وصف الله تعالى إيمان الرسول والمؤمنين في آخر سورة البقرة.

هذا، ويمكننا أن نقول: إن اسم الإيمان قد صار حقيقة شرعية لترك كبائر العصيان فيطلق حقيقة شرعية على من ترك كبائر العصيان، ويمكن الاستدلال على ذلك:

١- بأنه يفهم عند إطلاق مؤمن على شخص أن ذلك الشخص متحرز ومتحفظ عن ارتكاب أي كبيرة.

٢- لا يقال لمرتكب الكبيرة إنه مؤمن.

٣- فسر الإمام القاسم المؤمن بأنه المؤمّن من كبائر العصيان.

[كلام للإمام القاسم في الأصول]

قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام: من لم يعلم في دين الإسلام خمسة من الأصول فهو ضال جهول:

أولهن: أن الله سبحانه واحد ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء، يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

والثاني من الأصول: أن الله سبحانه عدل غير جائر، لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يعذبها إلا بذنبها، لم يمنع أحداً من طاعته، بل أمره بها، ولم يدخل أحداً في معصيته بل نهاه عنها.

والثالث من الأصول: أن الله سبحانه صادق الوعد والوعيد يجزي بمثقال ذرة خيراً ويجزي بمثقال ذرة شراً، من صيره إلى العذاب فهو فيه أبداً خالد مخلد كخلود من صيره إلى الثواب الذي لا ينفد.

والرابع: أن القرآن المجيد فصل محكم، وصراط مستقيم، لا خلاف فيه ولا اختلاف، وأن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى.

والخامس من الأصول: أن التقلب بالأموال والتجارات في المكاسب في وقت ما تعطل فيه الأحكام، وينتهب ما جعل الله للأرامل والأيتام والمكافيف والزمناء وسائر الضعفاء- ليس من الْحِلّ والإطلاق كمثله في وقت ولاة العدل والإحسان، والقائمين بحدود الرحمن.

فجميع هذه الأصول الخمسة لا يسع أحداً من المكلفين جهلها بل تجب عليهم معرفتها.... انتهى من الحدائق الوردية.

قلت: هذا الأصل الخامس يحتاج إلى شرح وتوضيح؛ فالذي يظهر لي –والله أعلم– أن مراد الإمام القاسم عليه السلام أن أبواب التجارة والمكاسب الحلال في وقت ولاة العدل مفتوحة أمام التجار وطلاب المكاسب والأرباح، وذلك على العكس في عهد ولاة الجور؛ فإنها تقل الأبواب المفتوحة.

وسبب قلتها أن الله سبحانه وتعالى حرم معاونة الظالمين في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]، وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص]، وغير ذلك كثير في القرآن والسنة.

وبناءً على هذا فلا يجوز الدخول في أي باب من أبواب التجارة التي يتقوى بزكاتها ومكوسها ولاة السوء والظلم والجور.

أما ما كان من التجارة التي لا يأخذ منها الظلمة شيئاً– فلا إشكال في حلها، ولا حرج في الاشتغال بها.

هذا، وقد يكون السبب في ذلك قلة المال الحلال بسبب كثرة الظلم؛ إذ أن الأموال في عهد الظلمة تؤخذ من غير حلها وتعطى لغير أهلها، ومع استمرار ذلك وطوله ينتشر المال الحرام، ويكثر تداوله بين الناس.

وإذا بلغ الأمر إلى هذه الغاية فإنه يجب على المؤمن أن يحتاط لنفسه فلا يشتري من البضاعة إلا ما ظن سلامتها من الحرام، ولا يأخذ من الأثمان في سلعته إلا ما ظن حلها، وأنها ليست من الأموال المأخوذة ظلماً.

هذا، وقد يكون السبب هو مجموع الأمرين المذكورين، وقد يضاف إلى ذلك ما يحصل بسبب التجارة، ومخالطة الناس في أوقات الظالمين من مشاهدة المنكرات في الأسواق، وسماع الباطل، و...إلخ.

نعم، جعل الإمام القاسم عليه السلام هذا الأصل الخامس من جملة الأصول لما يترتب عليه من تقوية أهل الجور وسلاطين الظلم، بما يأخذونه من الأموال التي لا

يقوم سلطانهم إلا به، ولما يترتب عليه أيضاً من توهين دعاة الحق والعدل، وإلا فإن هذه المسألة ليست من مسائل الأصول بل من مسائل الفروع، والله أعلم.

وهناك أصول لم يذكرها الإمام القاسم عليه السلام وهي:

١- الإيمان والتصديق بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما يلحق بها ويتبعها.

٢- الإيمان والتصديق بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين من بعد أخيه ثم...إلخ.

٣- الإيمان والتصديق بأن أهل البيت عليهم السلام هم أهل الحق وتراجمة الكتاب، واعتقاد محبتهم واتباعهم، وأن من خالفهم ضال هالك، وأنهم حجج الله على خلقه و...إلخ.

فلعل الإمام عليه السلام لم يذكر هذه الأصول؛ لأنه وجه ذلك الكلام إلى من لا يشك في وجوبها ممن كان على بصيرة في العلم بها كأولاده وشيعته؛ فإن العلم بها عند الشيعة من العلوم الأولية كالعلم بوجوب الصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك، فلم يذكرها اعتماداً على ذلك، والله أعلم.

[أول ما خلق الله الهواء]

سؤال: قال أئمتنا عليهم السلام إن أول ما خلق الله الهواء الذي هو مكان لا في مكان، قالوا: لأنه لو كان له مكان لأدى إلى التسلسل وهو محال، والقاعدة عند المحققين أنه لا يعقل جسم إلا في مكان، ويستحيل أن يوجد جسم لا في محل:

أ- فهل يكون كلام أئمتنا عليهم السلام نقضاً لهذه القاعدة؟

ب- حسب هذه القاعدة وهو أنه يستحيل أن يوجد جسم لا في محل فيكون إثبات الهواء لا في مكان محالاً، ويكون إثبات الهواء في مكان محالاً لما يؤدي إلى التسلسل؛ فلماذا رجح أئمتنا عليهم السلام القول الأول مع أن كليهما محالان مع العلم أنه لا يصح القول بالمحال؟

ج-استدل أئمتنا عليهم السلام على أن الهواء جسم لطيف بأنه يتحرك ويسكن، وبأنه يملأ

المخاريق والظروف، وهذا معروف في الهواء الذي داخل الغلاف الجوي، فهل الهواء الذي خارج الغلاف الجوي مثل الذي هو داخله؟ أم أنه ساكن لا يتحرك؟ وإذا كان ساكناً لا يتحرك فهل هو نقض لدليل الأئمة عليهم السلام؟

د-قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، و﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، فإثبات أئمتنا عليهم السلام الهواء في غير مكان أيكون مشاركاً لله في صفة اللامكانية؟

الجواب: لفظ الهواء يطلق ويراد به شيئان أحدهما: الفراغ المحض. والثاني: جسم لطيف حالّ في ذلك الفراغ يسكن ويتحرك يملأ الظروف.

فالأول: الذي هو الفراغ المحض ليس بجسم ولا عرض، وهذا هو المراد بأنه ليس في مكان، وهذا لا يوصف بالحركة والسكون بل الذي يتصف بذلك إنما هو الجسم الحالّ فيه.

والثاني: الذي هو جسم لطيف يسكن ويتحرك، ويملأ الظروف، له مكان وهو ذلك الفراغ الذي قدمنا ذكره.

فقول أئمتنا عليهم السلام: إن الهواء كان لا في مكان- يراد به المعنى الأول.

وقولهم: إن الهواء جسم لطيف- يراد به المعنى الثاني.

هذا، وقد تضمن قولنا الجواب على التساؤلات قبل الأخيرة فتفهّم.

وإليك مثالاً تعرف من خلاله أن المكان لا يحتاج إلى مكان: حجر طولها عشرة سنتيمترات وعرضها كذلك وعمقها كذلك، وهذه المقادير هي مكانها، وبالضرورة فإنها لا تشغل من المكان سوى هذه المقادير، وسوف ترى أنك إذا وضعتها في الماء لا تشغل إلا تلك المقادير، ولو كانت تلك المقادير تحتاج إلى مكان لرأيت الماء ينفرج عنها يميناً وشمالاً فحين لم يحصل ذلك علمنا أنها لا تحتاج إلى مكان.

أما الجواب على السؤال الأخير، فنقول: إن وصفهم المكان بأنه ليس بذي مكان إنما حدثت هذه الصفة أي: ليس بذي مكان تبعاً لحدوث المكان فهي صفة محدثة، وبناءً على هذا فلا مشابهة بين صفة القديم والمحدث، وإنما حصل الاشتراك في اللفظ دون المعنى كلفظ موجود وقادر وعالم وحي للقديم والمحدث، فتأمل.

[من أقوال المتكلمين في تقسيم المخلوقات]

يقول المتكلمون: الأشياء المخلوقة ثلاثة: جسم، وعرض، وجوهر على القول به.

قلت: وعندي أن هناك من المخلوقات ما ليس بواحد من الثلاثة، وذلك هو الزمان والمكان.

[الأدلة على حدوث العالم]

سؤال: ما هو الدليل على حدوث العالم؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن الذي يدل على حدوث العالم عدة أمور:

١- الضرورة كما نشاهده من أصناف الحيوان والنبات والسحاب والرياح والأمطار وغير ذلك، وهذه الأشياء محدثة بالضرورة والمشاهدة، وإذا كانت محدثة قسنا عليها ما لم نر ونشاهد حدوثه من السماء والأرض ونحوهما، والجامع المشترك في هذا القياس هو التماثل في الجسمية؛ فما ثبت من الحكم للبعض ثبت للبعض الآخر، وهذه الطريق توصل الناظر إلى العلم والقطع.

٢- أن الأجسام تسمى صنعاً، والصنع لا يكون إلا من صانع، وما احتاج إلى صانع فهو محدث.

٣- القياس العقلي وذلك بقياس الأجسام التي لم نشاهد حدوثها كالسماء والأرض وما فيهما من أجسام على المبنيات من الدور وغيرها، والعلة

الجامعة بين الأمرين التركيب فإن الأجسام كلها مركبة، وقد أشار إلى هذا الدليل أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: (هل يكون بناءٌ من غير بانٍ، أو جناية من غير جانٍ).

٤- دليل الإمكان ومعنى ذلك أن اختصاص كل جسم بأعراض تخصه وصفات وشكل وصورة، مع إمكان أن يكون على صفات وخواص أخر- لا بد أن يكون لأمر آخر زائد على الجسمية، وإلا اشتركت الأجسام في الصفات والأعراض، ولما كان هناك اختلاف البتة.

٥- دليل الدعاوي وهو:

١-أن في الجسم عرضاً غيره.

٢-أن تلك الأعراض محدثة.

٣-أن الجسم لم يَخْلُ من تلك الأعراض، ولم يتقدمها.

٤-أن ملازمته إياها يستلزم الحدوث.

هذا، والعرض الذي لا ينفك الجسم عنه هو خمسة أنواع: أربعة تختص الجسم وواحد يختص الجوهر عند من يثبته، والأربعة هي: الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، والخامس: هو الكون المطلق وهو مختص بالجوهر، وقالوا في تفسيره كما في نهج السعادة: هو المعنى الموجب كون الجوهر الفرد في جهة عند ابتداء حدوثه.

وتسمى هذه الخمسة الأنواع بالأكوان، وشرح هذا الدليل وتفصيله مذكور في كتب الكلام فليطلب هناك.

نعم، والطريق إلى معرفة الله تعالى هي أقرب مسلكاً مما يذكره المتكلمون، فالقرآن مشحون بالحجج والبراهين، وفيها مقنع للعقل، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

[أوضح الأدلة عند العقل على حدوث العالم]

-الأدلة التي يستدل بها المتكلمون على حدوث العالم كدليل الإمكان، ودليل الأعراض أدلة غير كافية لإقناع العقل لما فيها من الغموض.

-وأجلى الأدلة عند العقل هو دليل التعلق؛ فإن العقل يجزم بأنه لا بد للفعل من فاعل يحدثه ويتعلق به.

-وأوضح الأدلة عند العقل هو فيما يدرك حدوثه بعد أن لم يكن مثل: نزول الأمطار، وإنشاء السحاب وخلق الإنسان والحيوانات، ونحو ذلك من الحوادث التي لم تكن ثم كانت، وقد احتج الله تعالى بمثل ذلك في كتابه الكريم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۝٦٩﴾ [الواقعة].

-وإنما كان ذلك أوضح عند العقل لأنه لا يحتاج إلى النظر في حدوثه.

-أما السماء والأرض في الجملة فيحتاج أولاً إلى النظر هل هي حادثة أم قديمة، فلا يتوصل العقل إلى الاقتناع بحدوثها إلا بعد عناء كبير، ثم ينظر ثانياً في محدثها، أما الحوادث التي ذكرنا فلا تحتاج إلا إلى النظر في محدثها؛ لأن حدوثها مشاهد محسوس.

-ولغموض الأدلة على حدوث العالم قال بعض الفلاسفة: إن العالم قديم.

والجواب عليهم أن نقول:

١- المراد بالعالم هو ما نشاهده من الأرض والتراب والجبال والأحجار ومياه البحار، والهواء والشمس والقمر والنجوم، والفضاء الواسع الذي تسبح فيه الكواكب، هذا هو ما يعرفه الإنسان من معنى العالم.

٢- كل ما ذكر في معنى العالم فإنه مسخر لمصلحة الإنسان، ولولا ذلك لما تمت حياة الإنسان مما يدل على أن وراء ذلك إرادة حكيمة دبرت ذلك.

٣- أن الأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب في حركة مستمرة، فكل واحد من ذلك يسبح في الفضاء، ويسير بنظام دقيق وسرعة حكيمة، فلا بد حينئذ من فاعل يفعل ذلك.

٤- لا شك في أن حركات الأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب حركات حادثة، وتلك الحركات صفات لها، وإذا كانت صفاتها محدثة فإنها تكون محدثة، وهذا الاستدلال يعود إلى الاستدلال بدليل الأعراض الذي يذكره المتكلمون.

٥- قد ثبت علمياً اليوم عند علماء الغرب والشرق المتخصصين في علم طبائع الكون أن العالم محدث، وأنه سينتهي، وحينئذ فلا حاجة إلى الاستدلال النظري مع وجود الدليل الذي يصدقه الحس والتجربة، ولا يحضرني الآن الدليل الذي ذكره العلماء المعاصرون، ويمكن للقارئ أن يطلع عليه فيما كتب في هذا الموضوع.

[الصفات الذاتية والعرضية للأجسام]

- الأجسام لها صفات، ولا يعقل ولا يتصور جسم مجرد عن الصفات، وهذه الصفات تسمى أعراضاً، والصفات تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية للجسم، وصفات عرضية.

فالصفات الذاتية: الطول، والعرض، والعمق، والتحيز، والتأليف. والعَرَضِيّة: نحو الألوان، والرطوبة، واليبوسة، والحركة، والسكون، ونحو ذلك وهي كثيرة وهي خصائص للأجسام، ولا شك أن الله تعالى جعل ما خلق من الأجسام وتوابعها التي هي الأعراض آية ودليلاً عليه سبحانه وتعالى.

العقل

-اختص الله الإنسان من بين سائر الحيوانات بالعقل وفضله به عليها.

-وللعقل قدرات واسعة على الإدراك والوصول إلى الحقائق، والتمييز بين المحسوسات والمعقولات، والاستنباط والاستنتاج، وله سعة غير محدودة تستوعب المعلومات و...إلخ.

-وقد توصل البشر بعقولهم في هذا الزمان إلى ما نراه ونسمعه من التطور المذهل في جميع المجالات.

-ولعقل الإنسان طبيعة وهي: أنه يكل ويمل، وينشط ويفتر، ويقوى ويضعف، ويصفو ويتكدر، ويزيد وينقص، و...إلخ، فهذه الطبائع تعرض للعقل وتجيء وتذهب.

هل العقل يخطئ ويصيب؟

طبيعة العقل هي الصواب، وليس الخطأ من طبعه، فأحكام العقل صائبة على الإطلاق والدوام.

أما ما يصدر من الأحكام الخاطئة فليست من أحكام العقل، وإنما هي ناشئة عن أوهام أو خيالات أو أهواء وشهوات.

-وللعقل طبيعة أيضاً وهي أنه يزكو ويزيد ويتنور ويتسع ويتدرج في ذلك إذا تهيأت الأسباب، وأسباب ذلك هي: التزام التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩]، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد:٢٨]، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف]، كما أن التلطخ بقذر المعاصي يكدر العقل ويشوش عليه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦]، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿١٤﴾﴾ [المطففين].

[التكليف على حسب العقل]

العقل ميزة ميز الله بها الإنسان وفضله بها على سائر الحيوانات، والعقلاء متفاضلون في عقولهم فبعضهم أزكى عقلاً من بعض، وصفات العقل مختلفة في الناس لا يكاد يتفق اثنان.

ومع هذا فكل عاقل راض عن عقله، ويرى فيه الكمال، ولا يكاد أحد من العقلاء يتهم عقله بالنقص، بل إنك ستجد الأقل عقلاً يتهم الأكبر منه عقلاً بالغباء، ولا يقبل في عقله أي قول.

ويشترك العقلاء جميعاً في أن كل عاقل معه من العقل ما يتوصل به إلى الإيمان ومهمات شرائع الإسلام.

وهناك أحكام اعتقادية متفاوتة في الغموض والخفاء، والعقلاء مكلفون بمعرفتها واعتقادها على قدر عقولهم؛ فمن استطاع بعقله معرفتها أو معرفة بعضها فهو مكلف بما عرف، ومن لم يستطع معرفتها بعقله فليس مكلفاً إلا بما استطاع معرفته: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

[عرض الله عباده على الخير وتضييعهم لهذا العرض]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى أهل بيته الطاهرين، وبعد:

فمن الغريب الذي يستفرغ عنده العجب ما عنده من التعجب أن بضاعة الله وسلعته المعروضة في الدنيا أبخس البضائع والسلع، في حين أن أرباحها أعظم الأرباح على الإطلاق، حيث يربح المشتري عشرة أضعاف الثمن، أو سبعين ضعفاً، وقد تبلغ الأرباح إلى سبعمائة ضعف، وفي بعض المواسم قد تتضاعف الأرباح إلى ثمانين ألف ضعف، مع العلم أن هذه الأرباح تبقى للرابحين ولا تنقطع، يتمتعون بها أبد الآبدين في دار النعيم.

في حين أن أسواق الشياطين في رواج ونفاق وازدحام، مع أن أرباحها محدودة، بل لا وزن لها ولا قيمة بالنسبة للخسارة المترتبة عليها.

-ما هو السبب في إعراض العباد عما عرضه لهم ربهم من الخير المتضاعف، والسعادة في الدنيا والآخرة؟

-وما هو السبب في إقبالهم إلى ما عرضه عليهم عدوهم الشيطان من أسباب المهالك العظيمة في الدنيا والآخرة؟

-هل ذلك من قلة معارفهم بربهم وبعدوهم الشيطان؟

-أم أن السبب هو شيء آخر فما هو؟

الجواب عن كل ذلك يتبين عند التأمل فيما نمليه عليك وهو:

أن الله سبحانه وتعالى عرض على عباده ما عرض من الخير، ووفر لهم جميع الأسباب الموصلة إليه من التعريف به والإعلان عنه، وتسهيل الوصول إليه، وعرض المغريات، وتوظيف الدعاة إليه، والمضيفين والمنادين والمرحبين، وتكريم النازلين و..إلخ، ونصب البراهين التي تطمئن إليها النفوس على الصدق والوفاء بما تضمنه العرض من الأرباح والجوائز المغرية.

وعلى كل حال فقد أكمل الله تعالى فيما عرضه من الخير على عباده كل ما يحتاج إليه العرض من التعريف به وبأرباحه وجوائزه، ومن التسهيل والتمكين وتوظيف الدعاة إليه و...إلخ.

إذا عرفت ذلك فإنه يتبين لك أن إعراض العباد عما عرضه الله من الخير ليس لسبب عائد إلى هذا العرض، بل هو لسبب آخر عائد إلى العباد.

فإن قيل: إن أكثر العباد جاهلون بهذا العرض، وبما اشتمل عليه من الخير والأرباح، ولو علموا لأقبلوا إليه بلا شك؛ لأن كل أحد يحب الخير والأرباح والسعادة.

قلنا: سبب الجهل هو من عند أنفسهم بسبب إعراضهم، وعدم التفاتهم إلى ما أنزله الله تعالى من العرض لعباده، ونشره في الدنيا، ووظف للدعاء إليه الكثير من الدعاة في جميع البلدان، وجميع الأزمان.

وقد كان الواجب على العباد عندما سمعوا ذلك العرض أن ينظروا فيه فإن علموه حقاً أقبلوا إليه وإلا تركوه، ولكنهم لم يلتفتوا إليه رأساً، وأعرضوا عنه، فجهلهم به حينئذ هو من قبل أنفسهم.

ومن الأسباب في ابتعاد العباد عما عرضه عليهم ربهم من الخير هو الترفع والاستكبار على الدعاة الداعين إلى الخير.

ومن الأسباب في ذلك إيثار الشهوات العاجلة وهوى النفس.

نعم، الظاهر أن هذه الأسباب الثلاثة: الجهل، والاستكبار، والشهوات تتجمع لتكون سبباً واحداً قوياً، وقد يكون بعضها سبباً في بعض.

فالترفع والاستكبار يتسبب في ترك النظر في دعوة الدعاة، وشهوات النفس وهواها قد تصد العبد عن النظر في الخير المعروض، وقد يجتمع هذان السببان عند العبد فيترك النظر في الخير المعروض.

وقد يكون الترفع والاستكبار سبباً مستقلاً في رفض العرض وتركه، وقد يكون هوى النفس وشهواتها سبباً مستقلاً في رفض العرض وتركه.

فعلى ما ذكرنا يكون إعراض العباد عما عرضه ربهم لهم من الخير العظيم لسبب راجع إلى ذات أنفسهم، لا لأمر راجع إلى الله، أو إلى ما عرض من الخير.

والأمر هو الجهل وعدم التصديق بالأرباح المعروضة، وحصول الجهل عند العباد هو بسبب إعراضهم عن النظر فيما عرضه الله عليهم، والإعراض هو ناتج عن الاستكبار والترفع، أو عن إيثار هوى النفس، وإشباع شهواتها وغرائزها البهيمية.

فإن قيل: ما هو السبب الذي جعل شعوب الكرة الأرضية تعرض تمام الإعراض عن هذا الخير إلا قلة قليلة في بعض زوايا من الأرض على طول التاريخ؟

هل ذلك لاختلاف فطر العقول؟ أم لاختلاف تركيب الأجسام والطبائع؟ أم لاختلاف البلدان والمجتمعات؟

قلنا: قد زود الله تعالى جميع المكلفين بالقدر الكافي من فطر العقول، وساوى بينهم في هذا العطاء، إلا أنه تعالى يزيد لمن أقبل إليه في فطرة عقله كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧]، ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩].

وقد يتفضل سبحانه وتعالىٰ علىٰ من علم من حاله أنه سينيب إلىٰ ربه، ويقبل علىٰ طاعة خالقه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

[الإنسان مفطور على الإقبال إلى الله]

وقد ذكر الله تعالىٰ في القرآن كثيراً أنه أعطىٰ عباده السمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون، كرر الله تعالىٰ هذا في كتابه الكريم في مواضع كثيرة، وعلىٰ هذا فكل مكلف علىٰ وجه الكرة الأرضية عنده من فطرة العقل والسمع والبصر ما يكفي للإقبال إلىٰ الله وقبول أمره، ونيل ما عنده من الخير العظيم، إلا أن الفطرة بلا شك تتأثر وتخف حدتها لأسباب:

١-تربية الأبوين، فإن فطرة الولد تصطدم بتوجيه الأبوين ودينهما وسلوكهما، فإنها في أول الأمر تحاول أن تصل إلىٰ مطلوبها بالنظر والتفكير، فتصادفها عقبات من توجيه الأبوين وسلوكهما ودينهما، فيخف نظرها، وتقل حدتها إلىٰ أن تستلم لما يحيط بها من دين الأبوين وتوجيهاتهما، ثم لما يحيط بها بعد ذلك من دين المجتمع وسلوكه.

والدليل علىٰ ما ذكرنا من أمر الفطرة: ما نراه في أبنائنا فإن الابن إذا وصل إلىٰ سن معينة يكثر الأسئلة لأمه ولأبيه بما معناه:

من هو الذي خلقني؟ من هو الذي صنع البيت؟

ومن هو الذي صنع الشمس؟ من هو الذي خلق الشجرة؟

من أين جئت؟ وكيف حدث هذا؟

وأنت من أين جئت؟ وكيف حصل ذلك؟ ومن هو الذي فعل ذلك؟ وكيف استطاع أن يفعل ذلك؟

وإلىٰ آخر ما عند فطر الأطفال من الطلب الحاث للوصول إلىٰ الحق والحقيقة.

وأخيراً يقبل الابن دين الأبوين لثقته فيهما، أو أنه يضطر لقبول الواقع الذي

عليه أسرته ومجتمعه من الدين، لا لأن فطرته قد اقتنعت وصدقت، بل لا تزال الفطرة متحيرة فيما هي عليه من الأمر الواقع الذي فرضه المجتمع الذي عاش فيه.

ولا تزال الدواعي الفطرية تدعو صاحبها الذي حرفه الأبوان والمجتمع إلى النظر والتفكير فيما هو عليه، وفيما ينبغي أن يكون عليه.

وتكثر هذه الدواعي في الحين الذي يكون الرجل قد ارتبط في شؤون حياته بأهل مجتمعه، وكثر أصدقاؤه وأصحابه وزملاؤه، ويصعب عليه مخالفتهم، فيعرض عن التفكير ويحاربه، ويتردد عليه الداعي فيعرض ويحاربه، وهكذا يصنع كلما عاد، هذا هو شأن المجتمعات الكافرة في مشارق الأرض ومغاربها.

أما المجتمعات الصالحة (وقليل ما هم) فإن فطر الناشئين فيهم تصادف ما ينميها، ويفتح لها أبواب الإيمان وأبواب المعارف الحقة.

فإن قيل: هل يستوي تكليف الناشئ في مجتمع كافر، والناشئ في مجتمع صالح؟ وإذا استويا فما هو وجه العدل في الاستواء؟

قلنا: تكليف أولئك سواء بالنسبة لمعرفة الله تعالى والإيمان به، لا يختلف تكليف الناشئ في مجتمع كافر عن تكليف الناشئ في مجتمع صالح؛ وذلك لأن عند كل واحد منهما من الفطرة ما يتمكن به من التحقق بحقائق الإيمان، في حين أن الله تعالى جعل من شأن فطر العقول أن لا تقبل الباطل، ولا تصدق به، ولا تؤمن به، ولا تدين ولا تذعن، هذا هو شأن الفطرة.

فإن قيل: قد رأينا وسمعنا أن المشركين يدينون بإلاهية الأصنام، وهي حجارة منحوتة لا تنفع ولا تضر، وما ذاك إلا لأن فطر عقولهم أذعنت بإلاهيتها وعظمتها.

قلنا: إذعان المشركين إلى التصديق بإلاهيتها ليس إذعاناً ناتجاً عن فطر العقول، وإنما هو إذعان ناشئ عن أوهام وخيالات خرافية.

وللفرق بين إذعان الفطرة وبين إذعان الخرافة نذكر مثالاً هو:

قد يكون الإنسان في بيت مغلق الأبواب لا يوجد فيه أحد غيره، فإذا جاء

الليل بظلامه على هذا البيت فقد يتخيل الإنسان في البيت أشباحاً، وقد يتزايد هذا التخيل فيحدث بسببه عند صاحب البيت خوف وقلق يرجف منه قلبه، وترتعد فرائصه، ويقشعر منه جلده.

وإذا رجع صاحب البيت إلى فطرة عقله فإنها ستؤكد له أن تلك الخيالات لا أساس لها، ولا حقيقة لوجودها، ولا شك أن الرجل يثق بخبر فطرته ويصدق به تمام التصديق، ويجزم بصحته.

إذا رجع صاحب البيت إلى فطرته فإن ذلك الخوف سينهزم، ويضعف إلى حد بعيد؛ لأن الرجل بلا شك حين رجع إلى فطرته، ووازن بين خبر الخيال وخبر الفطرة- حكم حكماً يقيناً بأن خبر الخيال كاذب، وخبر الفطرة صادق.

إذا عرفت ذلك فتدين المشركين ناتج عن خيالات وأوهام لا حقيقة لها، ولم يسمح لهم العناد والترفع والاستكبار والتعصب لدين آبائهم وأجدادهم من الرجوع إلى فطر عقولهم ليعرفوا من خلاله بطلان أديانهم، وصحة دين ربهم الذي جاء به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد استنكر الله تعالى عليهم إعراضهم عن الرجوع إلى فطر عقولهم فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ۝٣﴾ [يونس]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ۝١٦﴾ [يونس]، قال لهم بعد أن ذكر حجته عليهم؛ فأخبر تعالى بأنه يكفي لمعرفة بطلان ما هم عليه من الدين رجوعهم إلى ما عند فطر عقولهم، وما هو مركوز فيها من الدلائل والبراهين الصادقة التي تقنعهم بالحجة على بطلان دينهم.

وإذا كان عند كل مكلف في فطرة عقله ما يوضح له الحق واليقين الذي فيه غاية الإقناع، ويميز له بين الخرافة والحقيقة، ويدله على الحق والباطل، ويميز له الهدى والضلال بما لا يبقى عنده للنفس أي شك ولا شبهة- فإنه يستوي التكليف بالنسبة للناشئ في مجتمع كافر، أو في مجتمع صالح.

ولعلك قد عرفت بما ذكرنا أن المجتمعات والبيئات لا تؤثر على أحكام فطر العقول، وأن أحكامها هي الأحكام اليقينية في جميع الأحوال والظروف.

وبعد، فنقول: إن نشوء المكلف بين أبوين صالحين، وفي مجتمع صالح- نعمة من الله وفضل، تستدعي المزيد من الشكر؛ لما فيها من تيسر الهدى للمكلف.

قدرات فطرة العقل

لفطرة العقل قدرات هائلة عند كل مكلف في مجال معرفة الله، ومجال معرفة الحق والباطل، والتمييز بين الهدى والضلال، ولا يختلف ذلك في هذا المجال بين العالم والجاهل، والقارئ والأمي، والبدوي والحضري، والرجل والمرأة و...إلخ.

ودليل ذلك: أن الله تعالى هو الذي فطر العقول والسمع والبصر وهو العليم الحكيم، وقد كلف جميع المكلفين بالإيمان به ثم قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...**﴾ [النساء:٤٨].

فعلمنا أن كل من له عقل وسمع وبصر عنده من القدرة والاستطاعة ما يعرف به الدين الحق، وما به يعرف بطلان الباطل والضلال.

الوصول إلى الإيمان

وبعد، فوصول فطرة العقل إلى الإيمان بالله تعالى متيسر، وقد أرسل الله تعالى إلى الناس رسلاً يدعونهم إلى الإيمان، ولا شك أن كل مكلف قد سمع بدعوة الرسل إلى الإيمان.

فإذا سمع المكلف هذه الدعوة فلا يحتاج كثير عناء في النظر؛ لأن عنده ما ينظر فيه في نفسه، وفيما حوله من المخلوقات.

[هل اختلاف الطبائع ينافي التكليف]

إن قيل: نرى طبائع المكلفين مختلفة، فمنهم من طبيعته شريرة يميل مع الشر حيث مال، وينفر من الخير ويبتعد عنه.

ومنهم من طبيعته تميل إلى الخير وتكره الشر وتنفر عنه، وتماماً كما نجده من

الفرق بين الصراصير والنحل؛ فالصرصور ينفر من النور ويأنس بالظلام، وينفر من الروائح الزكية، ويأنس بالروائح الكريهة، ويسكن حيث العفونات، ويبتعد عن الأماكن النظيفة.

والنحلة تنفر من الروائح الكريهة وتأنس بالروائح الجميلة، وتهرب من العفونات والأوساخ، وترتاد الأماكن النظيفة والأطعمة الطيبة و...إلخ؛ أفليس في بعض الطبائع ما ينافي التكليف؟

قلنا: ليس فيما ذكرتم ما ينافي التكليف، وإليك التوضيح:

في كل مكلف طبيعتان متضادتان، مثل: الشجاعة والجبن، والكرم والبخل، والرحمة والقساوة، والأناءة والعجلة، والحياء والبذاء، والرفق والجفاء، والعفو والانتقام (طبيعة العفو وطبيعة الانتقام)، والصبر والخور، والشكر والكفر، والخير والشر، والحلم والغضب، والكبر والتواضع، والإيمان والكفر، والوفاء والغدر..، وإلى آخر الطبائع المطبوعة في المكلف، فعند كل طبيعة في المكلف طبيعة تضادها.

فيزاحم إيمان المكلف دواعي طبيعة التكذيب بما لديها من الشبه وزخارف الغرور، ويزاحم الحلم دواعي طبيعة الغضب والانتقام بما لديها من محسنات، ويزاحم طبيعة الكرم دواعي طبيعة البخل بما معها من الترويج له وتحسينه، وهكذا إلى آخر الطبائع.

ولولا ذلك لما حسن التكليف؛ لأن الطبائع الخيرية لو سلمت من دواعي أضدادها لما كان على العبد في فعلها كلفة، والتكاليف مبنية على إتيان ما فيه كلفة ومشقة على النفس، والتكليف اختبار من الله تعالى لعباده، هل يؤثرون طاعته على طاعة دواعي نفوسهم ودواعي طبائعهم؟

وحينئذ فوجود طبائع الشر وغرائزه عند المكلف ضروري لحصول التكليف، ولا يوجد التكليف ولا يصح إلا مع حصولها، وإلا لم يحصل التكليف.

والذي ينافي التكليف هو نحو ما تقوله المجبرة من أن المكلف مجبور على فعل الشر بمعنى أن المكلف مسلوب الاختيار لا قدرة له على فعل ما كلف به.

وهذا المذهب باطل بضرورة الوجدان، فإن المكلف يجد من نفسه القدرة على الاختيار لأي الفعلين، وإرادة أي الضدين.

صراع الطبيعتين

لطبيعة الشر جنود وأنصار، ولطبيعة الخير جنود وأنصار؛ فطبيعة الشر يناصرها ويشجعها الهوى وشهوات النفس وغرائزها البهيمية، ثم شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

وطبيعة الخير يشايعها ويناصرها فطر العقول الرفيعة التي تدعو إلى السمو بالإنسان، وتزكيته وطهارته والتحليق به مع الأرواح العلوية، ثم دعوة الله على ألسنة رسله وأنبيائه عليهم السلام، وعلى ألسنة أوليائه الصالحين.

فتتصارع هاتان الطبيعتان في نفس المكلف، كل واحدة منهما تريد أن تسيطر على المكلف، وتستولي عليه وتستبد به. والمكلف يجد هذا الصراع في نفسه، ويعلم علم اليقين ماهية كل من الطبيعتين، وما تؤدي إليه كل واحدة منهما، وعاقبة أمرهما، وحسن طبيعة الخير وقبح طبيعة الشر.

ولا سلطان لأي من هاتين الطبيعتين على المكلف، وإنما منتهى القوة عندهما هي الدعوة والتزيين والتحسين، وعرض ما عند كل واحدة منهما على المكلف، ثم المكلف بعد العرض عليه له حرية الاختيار من دون أي ضغط؛ فإذا اختار المكلف دواعي الشر والشهوات والشيطان طرد دواعي الخير وأعرض عنها، وحاول أن يسد آذان قلبه عن سماعها، وأن يغمض أجفانه عن رؤيتها، وعند ذلك تسيطر طبيعة الشر وتستولي على الإنسان.

والمكلف هو الذي أدخل نفسه تحت سلطان الشر، وجنّد نفسه للشهوات والغرائز البهيمية بمجرد اختياره، من دون أي ضغوط داخلية أو خارجية.

وإذا اختار المكلف دواعي الخير طرد دواعي الشر، وصاح في وجهها، وغطى عيون قلبه وآذانه عن رؤيتها أو سماعها، واستطاع بحسن اختياره أن يهزمها، ويكسر حدتها، ويضعف قوتها.

وبما ذكرنا يتبين لك أن المكلف هو الذي يدنس نفسه أو يطهرها بمجرد اختياره، وليس هناك في حقيقة الأمر إنسان شرير، وإنسان خيِّر من أصل الخلقة والتركيب، أي: أن هناك مكلفاً لا يوجد فيه إلا طبيعة الشر ودواعي الشهوات والغرائز ولا توجد فيه طبيعة الخير ودواعيه، أو العكس.

هذا، ولا ننكر تأثير المجتمعات والبيئات و...إلخ؛ إلا أن ذلك لا يؤثر على دواعي الفطرة، ولا يغير من أحكامها اليقينية، وبذلك تكون حجة الله قائمة على جميع المكلفين، المشرقي منهم والمغربي، والقاصي والداني.

ولعلنا بما كتبنا قد أوضحنا المطلوب، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

[السبب في إعراض الناس عن طاعة الله]

سؤال: ما هو السبب في إعراض الناس عن طاعة الله تعالى، وإعراضهم عن دينه، فأكثر بني آدم كفرة مشركون، والأقل مسلمون، وأكثر المسلمين عصاة ومتمردون وفسقة، وأهل أهواء، وأهل الطاعة فيهم قليل؟

الجواب: الذي يظهر لي في الجواب على ذلك: أن الله تعالى فطر البشر على حب الشهوات والأهواء، وطاعة الله تعالى مبنية على ترك الشهوات والأهواء.

فحين بعث الله تعالى الرسل عليهم السلام كره الملوك والأغنياء والرؤساء والمتكبرون أن ينقادوا ويتواضعوا لمن هو فقير متواضع، وأكثر الناس تبع للملوك والرؤساء، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ۝٣٤﴾ [سبأ].

فكبر على المترفين أن يتنازلوا ويتواضعوا لطاعة من هو في أعينهم حقير، وقد حكى الله تعالى عن المشركين قولتهم في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ۝٣١﴾ [الزخرف].

هذا، والسبب في كثرة عصاة المسلمين هو غلبة الشهوات، فمنهم من تصرعه شهوة الفرج، ومنهم من تصرعه شهوة البطن، ومنهم من تعصف به شهوة الكبر، ومنهم من تغلبه شهوة الحسد، و...إلخ.

نعم، حجة الله لازمة للجميع وقائمة عليهم، وإنما أُتوا من عند أنفسهم، فهم الذين جروا على أنفسهم العذاب باختيار الكفر والفسوق والعصيان بعد أن وفر الله تعالى لهم أسباب الهدى بما أعطاهم من فطر العقول، وما بث في الكون من الآيات والعبر، وبما أرسل من الرسل وأنزل من الكتب، ولولا الكبر والأهواء لأبصروا أبواب الهدى مفتحة، وطرقه معبدة.

هذا، مع ما ركز الله تعالى في فطر العقول من أن الصدق خير من الكذب، وأن الإحسان خير من الإساءة، والعدل خير من الظلم، وأن مكارم الأخلاق خير من مساوئها، وهذا هو ما تدعو إليه الديانات السماوية.

فرسل الله وأنبياؤه إنما يأمرون بما تألفه العقول وتعرفه، وينهون عما تنكره العقول، وتحل لهم الطيبات، وتحرم عليهم الخبائث.

[حكم خطأ الإنسان في اختيار المذهب]

سؤال: إذا نظر الرجل في اختلاف المذاهب الإسلامية واختار لنفسه منها مذهب المجبرة أو المشبهة أو..إلخ، فكيف يحكم عليه بأنه -عند بعض- كافر تأويل، وعند بعض أنه فاسق، مع قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ...﴾ [الأحزاب:٥]، وقوله ﷺ: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان...))، ومع أن ذلك الرجل قد تحرى في نظره، ونزه الله تعالى وقدسه، وأثبت له ما يستحقه تعالى من صفات الكمال، ونفى عنه ما لا يليق بعظمته من صفات النقص والذم، وقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] وقد أدى ذلك الرجل وسعه؟

الجواب ومن الله التوفيق:

١- جميع أهل المذاهب الإسلامية الذين هم أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مجمعون على تضليل كل من خالف الحق في هذا الباب، فأهل كل مذهب يضلل أهل المذاهب المخالفة له، والغالب منهم يحكم بكفر المخالف له، ويسميه كفر تأويل، والأقل يسمي الضلال فسقاً، وبعضهم يلحقه بحكم المرتد.

وقد جاء بعد هذا الإجماع والاتفاق قوم في هذا القرن فحاولوا أن يقربوا بين أهل المذاهب المختلفة، فقالوا: إن الجميع في صواب، وأنه لا يجوز التكفير والتفسيق في هذا الباب، واستنكروا ما عليه أهل المذاهب، وأهل هذا القول هم من علماء صنعاء في أول عهد الإمام يحيى حميد الدين منهم عبدالواسع الواسعي، إلا أن أهل المذاهب الإسلامية لم يلتفتوا إلى هذا القول الجديد، ولم يعولوا عليه، والإجماع من آكد الأدلة.

٢- قد دل القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾ [النساء:٤٨] على أن الله تعالى لا يغفر الشرك على الإطلاق سواء أصدر عن عمد أم عن خطأ، وسواء أكان من كامل النظر أم قاصره، وسواء أكان قبل دعوة الرسل أم بعدها... وإلخ.

وهذا في حين أنه تعالى يغفر ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء، فيغفر ما وقع منها عن طريق الخطأ والنسيان، وما وقع عن طريق الغلط، وما وقع قبل دعوة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وما وقع عن الخطأ في التأويل؛ لورود الأدلة بذلك، منها: قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الأحزاب:٥].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥].

٣- العاقل إذا نظر وتحرى فإن عقله لا يطمئن ولا يسكن إلا إذا وقف على الحق الواضح، ولا يقتنع إلا إذا انكشف له شخصيته وتحقق من هويته، أما قبل الوصول إلى ذلك فإن العقل لا يقتنع ولا يقبل ما ليس بحق ولا يستجيب له، ولا يرضى به.

وإذا قبل بغير الحق ومال إليه فإنما يكون بدافع الهوى وشهوة النفس، لا باقتناع من العقل وتحقق منه لما مال إليه.

وإذا كان الأمر كذلك فلا يكون وقوع المكلف في اعتقاد الباطل في معرفة الله مما يعفى عنه.

جعل الله تعالى لعباده العقول وركزها فيهم ليعرفوا بها ربهم ويشكروه، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل]، بل ما خلق الله الجن والإنس وركز فيهم العقول إلا ليعبدوه، ولا تتأتى العبادة لله إلا بعد معرفته.

٤- وإذا كان الغرض والحكمة من خلق الجن والإنس بما فيهم من الأسماع والأبصار والعقول هو معرفة الله وشكره وعبادته، فلا بد على مقتضى حكمة الله وعلمه وعدله أن يكون لكل مكلف من العقل والإدراك والتمييز ما يوصله إلى المطلوب من العلم بالله، وبما له من العظمة والجلال والكمال، وبما تقدس عنه وتنزه من النقص ومشابهة المحدثات ومجانستها وفعل القبيح... الخ.

٥- يؤيد ما ذكرنا ويدل عليه: قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨﴾ [الشمس]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ١٠﴾ [البلد]، وقال تعالى يخاطب الجاهلين به: ﴿... أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٤٤﴾ [البقرة]، ﴿...أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس]، فدل ذلك على أن الله تعالى ألهم كل مكلف بما ركز له من فطرة العقل التمييز بين الفجور

والتقوى، والحق والباطل، والهدى والضلال، ومعرفة طريق الهدى وطريق الضلال، وأنه يكفي المكلف لمعرفة الحق وسلوك سبيله ومعرفة الباطل وتركه أن يرجع إلى عقله فإنه سيهديه لا محالة إلى ذلك، بل إنه لا يحتاج إلى كثير عناء، فيكفيه أن يرجع إلى ما في ذاكرته فإنه سيجد فيها ما يهديه إلى الحق، ويردعه عن الباطل.

٦- إذا كان هناك من لا يستطيع أن يصل إلى معرفة الحق من الباطل بعقله وفكره فليس مكلفاً بمعرفة الحق، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

٧- وإنما كان الخطأ في معرفة الله والجهل به عظيماً يستحق به صاحبه اسم الكفر، وينظم به في سلك الفاجرين والفاسقين والظالمين لأسباب:

١- أن الله تعالى يستحق على عبيده أن يشكروه غاية الشكر بما أعطاهم من جلائل النعم وأغدق عليهم بما لا يحصوه من العطايا والمنن، وأن كل ما وجد أو يوجد من نعمة بأحد من خلق الله فهي منه وحده لا شريك له، وأن فضله عليهم عظيم وإحسانه إليهم كثير، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢١]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا..﴾ [إبراهيم:٣٤].

٢- أن الله تعالى مع فضله عليهم وإحسانه إليهم قد دلهم على معرفته بدليلين كبيرين:

أ- بما ركز في فطر عقولهم من التمييز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

ب- بما عرفهم به ودلهم عليه على ألسنة رسله عليهم السلام وبما أنزل في كتبه.

٣- أن الله تعالى بعث في آفاق السموات والأرض آيات عظمته وكبريائه وآيات علمه وقدرته و...الخ، بل إن في كل إنسان من آيات الله الباهرة ودلائل قدرته القاهرة وآثار علمه ورحمته ما يكفي العاقل ويغنيه عما سواه من الآيات.

وقد قال بعض الشعراء:

فيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت].

٤- أن الله تعالى قد حذر عباده وأنذرهم لما في الجهل به والكفر به من العقاب والعذاب، وبما يستحقه الجاهل بالله في الدنيا من الوبال والنكال.

٥- فطر العقول عند عموم البشر تقضي بالعقاب على المتمرد عن طاعة السلطان المصلح في البلاد، القائم بمصالح العباد، وأن عقابه يكون على قدر تمرده وعصيانه.

وأن أعظم عصيان للسلطان المصلح أن يستخف العاصي بسلطانه المصلح ويستهزئ بدولته ولا يعترف بها ولا يقر، ويدعي أن السلطان لغيره والولاية لسواه، ولا يسمع ولا يطيع لشيء من أوامره ونواهيه، بل يخالفه ويعصيه، ويسعى بكل جهوده في إبطال سلطانه، وإفساد العباد ومصالح البلاد، فإن قوانين البشر في قديم الدهر وحديثه تعاقب مثل هذا الذي ذكرنا بأعظم العقاب، إما بالقتل، وإما بالسجن المؤبد، هكذا تقرر في العقول البشرية.

- **وأقول**: إنه لولا الهوى والميل مع شهوات النفس ورغباتها لأبصر أهل المذاهب الباطلة رشدهم، وتركوا باطلهم ومالوا إلى الحق وساروا في الطريق المستقيم، ولكن أهواء النفس وشهواتها هي التي أبعدت الناس عن الحق الواضح، وسلكت بهم في أودية الضلال، وأدخلتهم في المهالك.

[أسماء الله وصفاته التي يجب معرفتها]

سؤال: ما هي أسماء الله تعالى وصفاته التي يجب على المكلف معرفتها والعلم بها؟

الجواب والله الموفق: أن الواجب من ذلك ما تتم به معرفة الله تعالى حق معرفته وذلك:

١- أنه تعالى: موجود، أحد، رب العالمين.

٢- أنه تعالى: حي، قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم.

٣- أنه تعالى: قادر، قاهر، كبير، متعال.

٤- أنه تعالى: عالم الغيب والشهادة.

٥- أنه تعالى: خالق.

٦- أنه تعالى: حكيم، حليم.

٧- أنه تعالى: غني.

٨- أنه تعالى: رازق.

٩- أنه تعالى: رحمن، رحيم، مجيب.

١٠- أنه تعالى: الأول والآخر، المحيي والمميت.

١١- أنه تعالى: ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

١٢- أنه تعالى: لا يبدل القول لديه، ولا يخلف الميعاد.

١٣- أنه تعالى: غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب.

وهناك أسماء غير هذه يعود معناها إلى شيء مما ذكرنا نحو: ودود، ورؤوف، وبر، وولي؛ فمرجعها في المعنى إلى رحمن ورحيم.

والحميد المجيد: اسمان لله تعالى أطلقا عليه لما يفعله من الأفعال الحميدة والأفعال الشريفة والعظيمة، كإسباغ النعم على عباده، وسعة المغفرة، وسعة الحلم، وسعة الرزق و...إلخ.

والظاهر: يعود معناه إلى أنه تعالى ظاهر للعقول بقدرته، فيكون عائداً إلى معنى قادر.

والباطن: يعود معناه إلى أنه ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار.

والوكيل والشهيد والحفيظ والرقيب والسميع والبصير والقريب: يعود ذلك إلى معنى العالِم.

والعلي الأعلى، والمتكبر، والقدوس، والسلام، المتعالي: يعود إلى معنى الواحد الأحد.

والجبار والبارئ المعبود والمهيمن: يعود في المعنى إلى الخالق القادر، وكذلك الباعث الوارث.

والمؤمن: يعود في المعنى إلى رحمن رحيم.

والقوي العزيز وشديد المحال: يعود أيضاً إلى معنى قادر.

والعظيم: يعود في المعنى إلى أنه تعالى لا حد لقدرته، ولا نهاية لعلمه، ولا حد لسعة رحمته ومغفرته وملكه وأوليته وآخريته.

[صفة الذات]

سؤال: يذكر العلماء والمتكلمون صفة الذات فيقولون: عالم لذاته وقادر لذاته...إلخ، ويعسر على أكثر المكلفين معرفة هذا؛ فهل لهم رخصة في الجهل بذلك؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن الواجب من معرفة صفات الله تعالى أن يعلم المكلف أن الله على كل شيء قدير فلا يعجزه مقدور، وأنه بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وأنه حي موجود، لا أول لحياته ولا وجوده، ولا آخر لذلك، فهو حي لا يموت، وأنه الأول والآخر.

فإذا عرف من ذلك ما ذكرنا، واعتقد ذلك واطمأن إليه- فقد عرف ما وجب عليه من معرفة تلك الصفات، وهذه المعرفة التي ذكرنا قد تضمنت معنى ما يذكره المتكلمون من أنه قادر لذاته، وذلك أن معنى ما ذكرنا ومعنى ما ذكروا واحد.

فالقادر لذاته معناه: أنه لا يعجزه مقدور، بل هو على كل شيء قدير، وأنه لا اختصاص لذاته بمقدور دون مقدور، وهذا هو عين ما ذكرنا، وكذلك القول في الباقي.

وتضمن أيضاً الفرق بين قدرة الله سبحانه وتعالى وبين قدرة الإنسان؛ فقدرة الإنسان محدودة بحدود لا تتجاوزها، ومتعلقة بمقدور واحد لا تتعداه، وقدرة

الله تعالى غير محدودة بحد أو مقدور، وهذا معنى قولهم: إن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، لا يعجزه مقدور.

وبعد، فإنه لم يأت بيان ما يذكره المتكلمون في كتاب الله تعالى، ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحد الذي ذكروه.

هذا، مع أن التفكر في ذات الله محرم، ولا سبيل إلى كنه معرفته تعالى، حارت العقول وضلت الأفهام: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه]، فهو سبحانه وتعالى أكبر وأعظم من أن يحاط بعظمته وكبريائه وجلاله، وقد قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء].

هذا، والذي ظهر لي أنه لا ثمرة لما يذكره المتكلمون من التفصيل، اللهم إلا الترجمة والشرح مثلاً لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر]، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾ [التغابن]، ولا سبيل إلى معرفة ما قالوا والتصديق به إلا المعرفة بأن الله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم.

نعم، المطلوب من المكلف هو الإيمان والتصديق بأن الله تعالى قادر عالم..إلخ، فقولهم: لذاته أو بذاته- زيادة فيها إجمال، وذلك لتعدد معاني اللام والباء؛ فإن كانت اللام للتعليل كانت الذات علة للعالمية و...إلخ، ولعل هذا المعنى هو الذي يريده من يقول بالصفة الأخص المقتضية للصفات الأربع وهي: كونه موجوداً قادراً عالماً حياً.

وقد تكون للتعليل على معنى آخر غير هذا، وهو أنه يقال في حق الإنسان: إنه قادر لقدرة، أي: من أجل قدرة جعلها الله فيه بحيث أن هذه القدرة لو سلبت عن الإنسان لم يوصف بأنه قادر؛ فلما أطلقوا على الله سبحانه وتعالى اسم القادر أرادوا أن يفرقوا بين الخالق والمخلوق فقالوا: قادر لذاته، بمعنى: أنه قادر لا من أجل قدرة، وأنه لا تعلل صفاته بشيء سواه.

ولعل المقصود أنه إن كان لا بد من التعليل من أجل التفرقة بين قدرة الخالق والمخلوق، فإنه يقال: قادر لذاته وعالم لذاته بمعنى أنه قادر لأنه الله.

هذا، ولا يستقيم أن تقدر اللام بشيء من سائر المعاني إلا على ضعف.

وأما الباء في قولهم: «قادر بذاته» فإن كانت للسببية كان الكلام عليها كالكلام على اللام التعليلية فيما تقدم سواءً سواء.

وإن كان يراد بها الآلة كالتي في نحو: كتبت بالقلم- فلا يصح ذلك في حق الله تعالى إلا على وجه من المجاز، وذلك أن الله تعالى يخلق ويرزق من غير آلة؛ إذ لا يحتاج إلى الآلات إلا المخلوق، فإطلاق الآلة على ذاته تعالى مجاز، جيء به للتفرقة بين فعل الخالق وقدرته وبين فعل المخلوق وقدرته، وأن لا آلة على الإطلاق.

فإن قيل: إذا لم يعرف ما تقدم على التفصيل الذي يذكره المتكلمون لم تتم المعرفة بالله، وذلك أنه لا بد من معرفة أنها صفات ذاتية، لا أمور زائدة على الذات أو معاني زائدة أو...إلخ.

قلنا: التفكر بعد ما قدمنا مذموم، ويكفي المكلف أن يؤمن بأن الله على كل شيء قدير، وأنه لا تشابه بين الخالق والمخلوق على الإطلاق، وأنه يجب الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، والتصديق بها من غير تصور.

وأرى أنه مما ينبغي سد باب التفصيل والتدقيق على العوام والمبتدئين وناقصي الفهم؛ إذ قد يوقعهم ذلك في تشويش واضطراب وحيرة وشك.

فإن قيل: قد كثر في كلام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وفي كلام علمائهم التعبير بقولهم: عالم بذاته و...إلخ.

قلنا: أكثر ما يدل ذلك على جوازه؛ إذ لا يطلقون على الله إلا ما يجوز إطلاقه عليه، لا على وجوب ذلك.

فإن قيل: المراد بقولهم: لذاته وبذاته وعلم ذاتي و...إلخ- المراد الشرح والتوضيح والتفسير لعلم الله تعالى وقدرته و...إلخ.

قلنا: قولهم: «لذاته وبذاته وذاتي» لا يتم به شرح ولا توضيح ولا تفسير، وذلك: أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، فدون معرفة

الذات الإلهية حجب وأستار من العظمة والكبرياء والجلال، وحينئذ فشرح ذلك المذكور وتفسيره بالذات والذاتي تفسير وشرح بما لا يمكن معرفته.

فإن قيل: لعل مقصودهم بيان انتفاء المعاني الزائدة فلا يتوهم أحد أن هناك قدرة زائدة على ذات القادر.

قلنا: يكفي للدلالة على ذلك أن ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ونحو ذلك مما معناه واضح معقول كما في الأثر: ((تفكروا في المخلوق، ولا تفكروا في الخالق))، ((كل ما تصوره الوهم فالله بخلافه))، ((التوحيد ألا تتوهمه))، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

ففيما ذكرنا ونحوه ما يغني عما يذكره المتكلمون، بل إن بيان الله أحسن وأكمل وأوضح.

[هل حليم وغفور صفتا نفي أو صفتا إثبات]

سؤال: ما هي ثمرة الخلاف في صفتي حليم وغفور، هل هما صفتا نفي أو صفتا إثبات؟

جواب: قبل ذكر ثمرة الخلاف نذكر المعنى على القولين: فالذين قالوا إنهما صفتا نفي، قالوا: معنى «حليم» أنه لا يعجل الانتقام من العصاة، ومعنى غفور: أنه لا يؤاخذ المذنبين بذنوبهم أو لا يعجل المؤاخذة.

والذين قالوا إنهما صفتا إثبات، قالوا: الحليم في حق الله هو أنه يسبل الخير على العصاة ويواصل عليهم النعم، وغفور في المعنى كذلك.

والذي يظهر لي في معناهما هو الجمع بين النفي والإثبات، فمعنى حليم في حق الله تعالى: أنه يواصل على المذنبين النعم ولا يؤاخذهم بذنوبهم ولا يعجل الانتقام منهم، وإنما قلنا ذلك لأن الله تعالى يسبل النعم على المذنبين ولا يؤاخذهم عليها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]، ونحن نرى عياناً العصاة المصرين على ذنوبهم وهم

في نعم متواصلة وخيرات واسعة لم يسلبهم الله تلك النعم، بل لا يزال سبحانه وتعالىٰ يمدهم بالمزيد من النعم والخيرات ويواصل لهم بالإحسان.

وقد رأينا في القرآن الكريم صفتي حليم وغفور تذكر بعد مثل ما ذكرنا كقوله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]، وحينئذ فالصفتان صفتا فعل، ولا يترتب علىٰ الخلاف ثمرة.

[**مالك ورب صفتا ذات أو صفتا فعل**]

سؤال: اختلف علماء الكلام في (مالك ورب) هل هما صفتا ذات أو صفتا فعل، وكل استند إلىٰ دليل، فما الراجح من القولين مع الدليل علىٰ ذلك؟

الجواب: الذي يظهر أنهما صفتا فعل كما قال شارح الأساس ولفظه: لأنهما ثبتتا لله سبحانه باعتبار فعل، وهو: خلقه وإحداثه للمملوك والمربوب، وملكه جل وعلا له. انتهىٰ.

هذا، واعلم أن كلا القولين صحيحان بالنظر إلىٰ المعنىٰ الذي أراده كل واحد منهما، ولا يضر الاختلاف في مثل هذه المسألة، ولا طريق لنا إلىٰ القطع فيها؛ إذ الأدلة التي أوردوها في هذا الباب ظنية.

[**معنى**: **الله شيء لا كالأشياء**]

سؤال: معنىٰ قولكم: الله شيء لا كالأشياء، إذا كان الله شيئاً لا كالأشياء فلا بد له من مكان أولاً، وهل هذا الشيء لا يكون جسماً ولا عرضاً فما هو؟

الجواب: الله شيء غير أنه لا يحتاج إلىٰ مكان؛ لأنه ليس كسائر الأشياء التي تحتاج إلىٰ المكان. **وبعد،** فلا يسأل عن الله «بما هو» ولا «أين هو» ولا «في أي مكان هو» ولا يعرف تعالىٰ إلا بأفعاله «ليس كمثله شيء».

ولفظة «شيء» يصح إطلاقها علىٰ:

١- الأجسام والأعراض يقال لكل منها شيء.

٢- الأمر المستحيل يقال له شيء، فمثلاً تقول: وجود الإنسان وعدمه في

وقت واحد شيء مستحيل، وجلوس الإنسان في وقت واحد في مكانين شيء مستحيل.

٣- الصيام شيء أوجبه الله، وأيام عمرك الماضية ولياليه أشياء ذاهبة، وكل يوم منها وكل ليلة شيء ذاهب يستحيل رجوعه، فالصيام والأيام والليالي الذاهبة أشياء معلومة ليس لها مكان.

٤- والله تبارك وتعالى هو شيء مخالف لجميع الأشياء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].

[ما جاء في القرآن من نفي مشابهة الله تعالى لخلقه]

ما جاء في القرآن من نفي مشابهة الله تعالى لخلقه:

١ـ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾ [الشورى:١١].

٢ـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الصمد].

٣ـ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

٤ـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

٥ـ ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر:٤٦]، ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

٦ـ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾﴾ [مريم]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم].

٧ـ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٨ـ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣].

٩ـ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن].

١٠ـ ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ...إلخ﴾ [الحشر:٢٣].

١١ـ ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤]، ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣].

١٢ـ ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴿٤﴾﴾ [الشورى].

١٣ـ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴿٣٨﴾﴾ [ق].

فما ذكرنا من الآيات يدل دلالة واضحة على:

ـ أن كل مخلوق خلقه الله تعالى لا يشابه الله تعالى بأي شبه، ولا يشترك معه تعالى في صفة من صفاته؛ لعموم النفي في: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وفي: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴿٤﴾﴾، وفي: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴿٦٥﴾﴾.

ودل ﴿أَحَدٌ﴾ على أن الله تعالى متوحد في ذاته وصفاته لا يشاركه فيها شريك، ولا يماثله فيها مثيل؛ إذ لو شاركه أحد من الخلائق في شيء من ذلك لما صح وصف الله تعالى بالأحد، ولما صدق عليه ذلك الاسم.

ـ ما تقدم في نفي المشابهة عموماً، ثم نفى عن نفسه أنه لا يشبه المخلوقات المتوالدة فقال:﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴿٣﴾﴾، ونفى عن نفسه الحدوث فقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾، ونفى عن نفسه الانتهاء والعدم فقال: ﴿وَالْآخِرُ﴾.

ـ وأثبت لنفسه أنه مختص بالظهور لأهل سماواته وأهل أرضه، وذلك لما بث في الآفاق من آيات وحدانيته وعظمته وجلاله وعلمه وقدرته.

ـ ثم أثبت لنفسه أنه الباطن الذي لا يُدْرَك ببصر ولا بشم ولا بلمس ولا بسمع ولا بذوق، ولا يدرك بتصور.

ـ وذكر تعالى أنه لا يضل ويجهل كما تضل المخلوقات وتجهل، ولا ينسى كما تنسى المخلوقات، ولا يغفل ولا يفتر ولا ينام ولا يتعب كما تغفل وتفتر وتنام وتتعب الأجسام.

وأخبر عن نفسه أنه منزه عن صفة الحركة والسكون التي هي من صفات الأجسام، وذلك أن الأجسام تتوصل إلى حاجاتها ومنافعها بالحركات والسكون، فالحركة والسكون آلة تتوصل بها الخلائق إلى الزراعة والصناعة

والأكل والشرب وتبادل المنافع وطلب الرزق في البر والبحر و..إلخ، أما الخالق العظيم فإنه في كل ما خلق وفيما يخلق لا يحتاج إلى حركة ولا سكون، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

فالخلائق تتحرك لحاجتها إلى الحركة، والله تعالى غير محتاج للحركة فلا يصح ولا ينبغي أن نشبه الخالق بالمخلوق في الحركات والسكون.

ـ وأخبر جل جلاله بأنه يطعم المخلوقات ويرزقها لحاجتها إلى الطعام والرزق، وأخبر عن نفسه بأنه غني عن الطعام غير محتاج إليه.

ـ وأخبر تعالى عن مفارقته لخلقه بأنه يُدْرِكُ الأبصارَ المخلوقة، وأنها لا تدركه.

ـ وأخبر عن نفسه بأن المعلومات كلها لا تغيب عن علمه ولا يفوته منها شيء ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف:٨٩].

أما المخلوق فلا يتسع علمه في الوقت الواحد لأكثر من معلوم واحد.

ـ للمخلوق آلتان يعمل بهما وهما اليدان، وله آلتان هما الرجلان يمشي بهما من مكان إلى مكان، وبهما يكر ويفر ويمشي ويجري، وله أليتان وفخذان يجلس عليهما، وله آلتان للبصر، وآلتان للسمع، وله منخران يدرك بهما الروائح، وله حاسة يدرك بها الملموسات، وآلة يدرك بها المطعومات، وعن طريق هذه الحواس يكتسب المخلوق المعلومات، وللمخلوق طرق أخرى لاكتساب المعلومات وهي: التجارب، والاستقراء، وقياس الأمور بعضها على بعض، والحدس، والوجدان، و.. إلخ. والعقل آلة حاكمة.

أما العلي الأعلى تبارك وتعالى فلا يحتاج إلى آلة يتوصل بها إلى ما يشاء على الإطلاق.

فلا يحتاج إلى المشي، ولا يحتاج يدين وساعدين وعضدين وعضلات وأصابع ومفاصل ليتوصل بذلك إلى أعمال اليدين، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، ولا يحتاج إلى آلة بصر، وآلة سمع، وآلة شم، وآلة ذوق، وآلة مس، ولا يحتاج إلى تجربة، ولا استقراء، ولا قياس، ولا حدس، ولا

آلة كلام، ولا آلة تنفس، ولا آلة هضم، ولا آلة تناسل، ولا آلة يجلس عليها، تعالىٰ تقدس عن الحاجة للآلات.

ـ والإنسان يتخذ السرير ليرتفع فوقه عن أوساخ الأرض وترابها وحشراتها، وتعالىٰ الله وتقدس عن الحاجة إلىٰ ما يرفعه ويبعده عن الأقذار والأوساخ وأذىٰ الهوام والحشرات.

ـ ووصف الله تعالىٰ نفسه بالملك القدوس السلام، ومعنىٰ القدوس: أنه المنزه عن كل نقص، وعن كل سوء، وعن كل قبيح، ومعنىٰ السلام أنه السالم من كل عيب ونقص وقبح، فليس بمحتاج إلىٰ آلة ولا إلىٰ غير آلة؛ لأنه لا يحتاج إلىٰ الآلة إلا من كان ناقصاً في ذاته.

فمن الجهل الكبير أن نشبه الله تعالىٰ بالإنسان في الجسم والأعضاء والحواس والكلام والضحك والحركة والسكون والمشي والهرولة و...إلخ.

ـ وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا۝١١٠﴾ [مريم]، فالذي يصور الله تعالىٰ بصورة الإنسان تماماً قد أحاط وهمه وتخيله بمعرفة الله تمام المعرفة.

ـ **وبعد**، فإن الإنسان وسائر الأجسام الموجودة في الكون دلائل دالة علىٰ أن لها خالقاً خلقها، ومصوراً صورها، ومبدعاً ابتدعها:

وفي كل شيء له آية تدل علىٰ أنه الواحد

فلو أن الله تعالىٰ علىٰ شكل إنسان كما يقوله الجاهلون لكان -جل وعلا- آية في نفسه تدل علىٰ خالق خلقه، ومصور صوره، ومبدع ابتدعه.

فمن هنا عرفنا أن الله تعالىٰ ليس له جسم ولا صورة؛ لأن الأجسام تدل دلالة ذاتية علىٰ أنها مُحْدَثَة، وأن لها مُحْدِثاً أحدثها، وخالقاً خلقها.

وهذه الدلالة دلالة ذاتية لا تفارق الجسم ولا تنفك عنه فسبحان الخالق الذي تقدس عن صفات المخلوق، وتعالىٰ ربنا العظيم عن صفات المربوب الضعيف، وتقدس الغني عن مشابهة الفقير المحتاج، وتعالىٰ عن مجانسة

العاجزين والجاهلين، والحمد لله رب العالمين.

ـ واعلم أن الذي أوقع طوائف من الأمة في إثبات الأعضاء والحواس لله حتى جعلوه تعالى على صورة إنسان بيدين ورجلين وساقين وعينين وأذنين يمشي ويهرول ويجلس ويقوم ويضحك و...إلخ- هو الجهل بلغة القرآن الذي أنزله الله تعالى بلغة العرب ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء]، فرأوا فيه ألفاظاً فسروها بجهلهم على غير تفسيرها، وحملوها على غير معناها.

وإليك هذا المثال الذي يصور السبب الذي أوقعهم في الضلال: «الوجه» هذه لفظة مفردة، ومعناها واضح وهو وجه الإنسان الذي يشتمل على أنف وفم وعينين وخدين وشفتين و... إلخ، وهذا المعنى يفهمه الخاصة والعامة والذكي والغبي والأمي و... إلخ.

ولكن أهل اللسان العربي الذين نزل القرآن على لغتهم قد يريدون بالوجه معنى آخر إذا أدخلوه في الكلام المركب فترى قائلهم يقول مثلاً: هذا وجه الرأي، فجعلوا للوجه في هذا المثال معنى غير معناه المعروف.



كتاب العدل

[هل يقبح الفعل لذاته]

سؤال: قال بعض البغدادية -وهو أبو القاسم البلخي ومن وافقه- وبعض الإمامية وبعض الفقهاء الأربعة: إن الفعل إنما يقبح لذاته أي لعينه وجنسه، قالوا: لأن الأصل في مطلق الأفعال الحظر. وقد تأول كلامهم الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام حيث قال: لا يخلو قولهم من أوجه ثلاثة:

١- إما أن يريدوا بذلك أنه لا يتغير قبحه بحسب حال فاعله؛ خلافاً لما يقوله هؤلاء الأشعرية، فهذا لا ننكره.

٢- وإما أن يكون مرادهم أن قبح القبيح إنما هو لأمر يخصه ووجه يقع عليه من غير أن يكون المؤثر أمراً خارجاً عن ذاته من فاعل أو علة، فهذا جيد لا ننكره.

٣- وإما أن يكون مرادهم هو أن القبح مضاف إلى القبيح -أي ذات الفعل- فهذا فاسد؛ لأن المثلين قد يكون أحدهما قبيحاً والآخر حسناً، ومن حق ما كان ثابتاً للذات أن لا يختلف فيه الأمثال، وقد يكون المختلفان مشتركين في حكم من هذه الأحكام فكان يلزم أن تكون متماثلة فبطل إسناد هذه الأحكام إلى الذات. انتهى.

والسؤال: ما معنى قول بعض البغدادية ومن وافقهم مع التمثيل؟ وما معنى الأوجه الثلاثة التي ذكرها الإمام يحيى عليه السلام مع التمثيل؟

الجواب والله الموفق: أن معنى كلام البغدادية ومن وافقهم الذي نقلته عنهم هو أن الفعل يقبح من غير سبب وعلة، فيكفي عندهم أن يصدق عليه اسم (الفعل) فما صدق عليه هذا الاسم فهو قبيح، وذلك أن الأصل في الأفعال عندهم الحظر.

تأويلات الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام:

١- إما أن يريدوا بكلامهم هذا ما نقوله نحن: من أن القبيح لا يتغير قبحه بحسب فاعله، نحو: الظلم؛ فإنا نقول: إن الظلم قبيح سواء فعله العبيد

أم فعله رب العالمين، وهذا خلاف مذهب الأشعرية فإنهم يقولون: إنه يتغير القبيح إلى حسن إذا فعله رب العالمين؛ فإذا أرادوا هذا المعنى فلا خلاف بيننا وبينهم.

٢- وإما أن يريدوا أن الظلم مثلاً قبيح لكونه وقع على وجه يخصه، وذلك الوجه هو كونه خالياً عن جلب نفع أو دفع ضرر أو استحقاق فإذا وقع الفعل على هذه الصفة كان قبيحاً، وقوله: من غير أن يكون المؤثر..إلخ: تأثير الفاعل في القبح هو أمر خارجي، وذلك كما تقوله الأشعرية: إن الفعل يقبح لكون فاعله عبداً، وتأثير العلة كقول الأشعرية أيضاً: إن الفعل يقبح من أجل النهي، فالنهي عندهم علة في قبح القبيح.

٣- التأويل الأخير: إذا كان مرادهم أن الفعل يقبح لكونه فعلاً كالضرب يقبح لكونه ضرباً، والقتل يقبح لكونه قتلاً، و... و...إلخ فيضيفون قبح القتل إلى كونه قتلاً- فهذا لا يصح ولا نوافقهم عليه، وذلك لما يلزم من استواء القتل قصاصاً والقتل عدواناً في القبح، وكذلك ضرب اليتيم تأديباً، وضربه عدواناً في القبح، وذلك معلوم البطلان، فتأمل.

[بخس أولاد الظلمة وفسادهم]

سؤال: جرى ذكر الظلمة المعتدين وبخس ذراريهم، فقيل: كيف جرى وتعدى ذنب الوالد إلى الولد؟ وكيف استحق الولد ذلك وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤]؟

الجواب والله ولي التوفيق: أن بخس أولاد الظلمة وفسادهم ليس عقاباً ولا جزاءً على ظلم آبائهم، وإنما نشأ فسادهم وبخسهم من قبل المنشأ حيث نشأوا بين أبوين فاسدين وتربوا في أحضانهما، فإن لتربية الوالدين لابنهما تأثيراً؛ فإن كانا صالحين تربى الصلاح في الولد، وإن كانا فاسدين تربى الفساد فيه، ومن هنا جاء في الحديث: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما

اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه))، فطبيعة الأبوين وأخلاقهما ودينهما يؤثر في ولدهما، فيتطبع بطبائعهما، ويتخلق بأخلاقهما، ويتدين بدينهما.

فإن قيل: قد يكون للولد المتربي في حضن والديه الفاسدين عذر عند الله؛ لأن ضلاله ليس ناشئاً عن اختياره ولا بسبب منه.

يقال في الجواب: يقال: قد أبطل الله تعالى مثل هذا العذر بالعقل وبالرسل عليهم السلام، وبما أنزل من البينات والحجج في كتبه وعلى ألسنة رسله.

ولم يعذر الله تعالى الذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف].

فإن قيل: روي ما معناه: ((من نبت لحمه من سحت فالنار أولى به))، فيؤخذ منه أن أكل الحرام يؤثر في ضلال الأولاد الذين يغذيهم أبوهم بالحرام.

يقال في الجواب: المراد بذلك المكلفون الذين يتغذون بالحرام فيأكلون الربا والرشوة وأموال الناس بغير حق، ولا يدخل في ذلك الأطفال؛ لما جاء في الحديث الصحيح: ((رفع القلم عن ثلاثة: الصبي حتى يحتلم...)) الحديث.

وأما ما جاء في ولد الزنا فالسبب في فساده هو نشوءه في أحضان الزانية، وليس السبب في فساده كونه خلق من الماء الحرام.

وبعد، فلو فرضنا أن الماء الحرام والمال الحرام سببان لفساد الولد الذي خلق من ماء الزنا، وفساد الولد الذي غذي بالمال الحرام- فإن ذلك لم يبلغ إلى حد لا يمكن الخروج منه، فإن من ذكرنا وإن بلغ في الفساد حداً بعيداً يستطيع بعقله وسمعه وبصره معرفة الحق والصواب، ويميز بين الرشاد والفساد، ومعه من حرية الاختيار مثل ما مع سائر المكلفين، وإذا كان الأمر كذلك فحجة الله تعالى قائمة عليه.

فإن قيل: نرى الناس مختلفين في الطبائع فمنهم من تميل طبيعته إلى الشر، ومنهم من تميل طبيعته إلى الخير، يتبين ذلك في الرجل منذ صغره مما يدل على أن ذلك طبيعة خلقية، لا تَطَبُّع مكتسب من الأبوين.

قلنا: الأمر هو كذلك تقريباً، ولكن لا يتنافى ذلك مع التكليف فبمقدور كل شرير أن ينهى نفسه عن شرها، ويحبسها عن الشر، وبإمكان البخيل أن يحمل نفسه على الجود، وبإمكان الكذاب أن يحمل نفسه على الصدق، وبإمكان الغادر أن يحمل نفسه على الوفاء، وبإمكان الزاني أن يحمل نفسه على العفة، وبإمكان القاطع أن يحمل نفسه على الصلة والبر، و...إلخ. إلا أنه يسهل الإنفاق على الكريم ويشق على البخيل و...إلخ.

[مناقشة للرازي حول خلق أفعال المكلفين]

مما يستدل به الرازي على أن الله تعالى هو خالق أفعال المكلفين من الطاعات والمعاصي بقوله: «هو أن الفعل يتوقف على حصول الداعي، وإلا لزم رجحان أحد طرفي الممكن على الآخر لا لمرجحٍ، وهو محال. وحصول ذلك الداعي ليس من العبد وإلا لزم التسلسل، بل هو من الله تعالى...إلخ». من تفسير سورة التوبة. وقال: إن هذا الدليل قطعي.

قلت: استدلال الرازي هذا استدلال باطل وذلك -وإن كان الله تعالى هو الذي خلق الدواعي-: أن الداعي الذي يجده الإنسان في نفسه غير موجب لحصول الفعل.

ودليل ذلك: ما يجده كل مكلف من نفسه، فيجد المكلف في نفسه الداعي إلى الأكل ولا يأكل، ويجد الداعي إلى الزواج ولا يتزوج، ويجد الداعي إلى السفر ولا يسافر، ويجد الداعي إلى الحديث ولا يتحدث، و...إلخ، ولو كان الداعي موجباً للفعل لحصل الأكل عند حصول الداعي إليه، و...إلخ.

فإن قال أو قيل: إن المراد بحصول الفعل عند حصول الداعي مشروط بعدم الموانع المانعة من حصول الفعل، فقد يحصل داعي الأكل أو الشرب أو السفر أو...إلخ ويكون ثَمَّ موانع تمنع الإنسان من فعل الأكل أو الشرب أو السفر، كأن يكون صائماً ونحوه.

فيقال: لا تنفك العلل الموجبة عن معلولاتها ما دامت العلة علة، فأما إذا انفكت العلة عن معلولها فليست بعلة، ألا ترى أن الجسم لما كان علة في التحيُّز امتنع أن يوجد الجسم ولا يوجد التحيز.

إذا عرفت ذلك فلا ينفع الرازي استدلاله بأن الله تعالى هو الذي خلق الدواعي.

قول الرازي: «وإلا لزم التسلسل» معناه: أنه لو كان حصول الداعي إنما حصل بفعل العبد واختياره لتوقف ذلك على داعٍ يدعو إلى اختيار ذلك الداعي...، وهكذا.

قلنا: قبل الجواب على ما ذكره الرازي من لزوم التسلسل ينبغي أن نذكر مقدمة في الداعي فنقول: تنقسم الدواعي إلى قسمين:

١- فقسم منها ناتج عن طبيعة الجسم وفطرته التي فطره الله تعالى عليها ويعبر عن ذلك بشهوة النفس وهواها.

٢- والقسم الثاني ناتج عن نداء فطرة العقل، وفطرة العقل تدعو إلى فعل ما فيه مصلحة، وترك ما فيه مفسدة.

إذا عرفت ذلك عرفت أن دواعي الشهوة والهوى متوقف على وجود طبيعة الإنسان، وأن حصول دواعي فعل ما فيه مصلحة وحكمة متوقف على وجود الإنسان العاقل، ولولا ما جعل الله تعالى عليه الإنسان من طبيعة الشهوة، وفطرة العقل- لما حصلت فيه دواعي الشهوة، ولا دواعي الحكمة.

[الفرق بين مريد بذاته ولذاته]

سؤال: قال في شرح الأساس: (الذي في شرح عقائد النسفي أن النجارية يقولون: إن الله سبحانه مريد بذاته لا بصفته «بالباء»، والأشعرية يقولون: إنه مريد لذاته «باللام»)؛ فما معنى القولين؟ وما الفرق بينهما؟

الجواب والله الموفق: أن مذهب الأشعرية كما في كتاب القلائد أن الله تعالى مريد بإرادة قديمة اهـ.

أما النجارية فإنهم يقولون: إن الله تعالى مريد، ولكن ليس له تعالى صفة اسمها إرادة كما يقوله الأشعرية بل إنه تعالى عندهم يريد بذاته، وذلك كما نقول نحن الزيدية: إنه تعالى عالم بذاته وقادر بذاته وحي بذاته.

وهذا أحد احتمالين، والاحتمال الثاني أن يكونوا -أي النجارية- عنوا بالباء السببية، وبناءً عليه فيكون مذهبهم موافقاً لمذهب الأشعرية؛ لأن الذي يظهر أن الأشعرية يريدون باللام التعليل فلا فرق إذاً على هذا.

أما على الاحتمال الأول فالباء للآلة مثلها في كتبت بالقلم، والفرق في هذا الاحتمال ظاهر.

[معاني الإغواء في القرآن الكريم]

سؤال: قال الله تعالى حكاية: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ...الآية﴾ [هود] ظاهر هذه الآية يؤيد قول المجبرة أن الله يريد معاصي العباد ويشاؤها، وأنه هو الذي يفعلها، فكيف تقولون في تفسير هذه الآية؟

الجواب والله الموفق: أن الغي قد يطلق في اللغة ويراد به العذاب والعقاب، وعليه قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم٥٩]، وقول الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

فبناء على ذلك يكون معنى: «يريد أن يغويكم» هو: يريد أن يعذبكم ويعاقبكم، وعلى هذا التفسير لا يكون في الآية ما يؤيد كلام المجبرة.

والدليل على أن المقصود هو ما ذكرنا من التفسير وأنه المتعين: سياق الآية فإن قبلها قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝٣٣ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي...﴾ الآية [هود]، ففيما ذكرنا من سياق الآية أن القوم قد استعجلوا عقاب الله تعالى، فأخبر نوح أن نصحه لا ينفع من يريد الله أن ينزل به العذاب والعقاب.

حصول مشيئة المكلف

لحصول مشيئة المكلف في فعل شيء أو تركه أسباب ودواعي، فإذا حصل السبب والداعي إلى فعل شيء حصلت الإرادة لفعله، وقد يحصل سببان متنافيان، سبب يدعو إلى فعل الشيء وسبب يدعو إلى تركه، فيميل المكلف إلى أقوى السببين، وإذا لم يقو أحدهما على الآخر تحير المكلف وتردد.

الأسباب والدواعي

- الدواعي والأسباب التي تبعث على الإرادة في نفس المكلف ترجع إلى شيئين اثنين:

١- علم المكلف أو ظنه أو توقعه لحصول منافع ومصالح على عمل معين، إذا عمله حصلت له تلك المنافع والمصالح.

٢- حصول علم المكلف أو ظنه أو توقعه بأنه يترتب على فعل ذلك الفعل المعين أضرار مؤذية، فإنه ينفر عن ذلك الفعل ولا يريده، بل يريد تركه والابتعاد عنه.

- ولما ذكرنا أكثر الله تعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الترغيب في المنافع الأخروية والسعادة الأبدية في جنات النعيم، ومن التنفير عن العذاب الأليم الذي أعده الله تعالى للمجرمين في جهنم؛ فإن من شأن المكلف العاقل أن يرغب في طلب نعيم الجنة، وينفر من الأسباب الموقعة في عذاب جهنم.

وقد يقال: لوكان الأمر كما ذكرتم لتدافع المكلفون إلى الأخذ بأسباب النعيم الأبدي، وابتعدوا عن أسباب العذاب الأليم.

فيقال في الجواب: إن في نفس كل مكلف دواعي وأسباباً متنافية فيؤْثِر بعض الأسباب على بعض، فترك المكلفين للأخذ بأسباب السعادة الأبدية، وعدم الابتعاد عن أسباب العذاب الدائم هو لترجيحه الأخذ بأسباب النعيم العاجل، وإيثاره لدفع أسباب الضرر العاجل.

القضاء والقدر

انقسم الناس في العهد الأول في هذا الباب إلى قسمين:

١- جبرية: تقول: إن الله تعالى هو الذي خلق أفعال العباد الطاعات منها والمعاصي، وشاءها وأرادها واختارها دون العباد، فلا مشيئة لهم ولا إرادة ولا اختيار. يتمثل هذا المذهب في أهل السنة والجماعة.

٢- غير جبرية: ويتمثل في المعتزلة وطوائف الشيعة، ويقولون بأن العبد هو الذي فعل المعصية باختياره ومشيئته وإرادته، دون الله تعالى فلا مشيئة له فيها، ولا إرادة ولا فعل.

هكذا أنقسم المسلمون في عهدهم الأول.

ثم إن أهل السنة والجماعة بعد حين من الدهر تراجعوا عن ذلك المذهب لظهور فحشه، ووضوح قباحته، فصنعوا لأنفسهم مذهباً متوسطاً بين مذهبهم الأول وبين مذهب المعتزلة، فقالوا: إن العبد يفعل المعصية باختياره ومشيئته وإرادته، وأن الله تعالى هو وحده الذي خلق المعصية وشاءها وأرادها.

وقد اتفق رأي أهل السنة على هذا المذهب، وأول من أخرجه واستدل له وحسنه أبو الحسن الأشعري في القرن الخامس الهجري.

[**من صور القضاء والقدر**]

سؤال: رجل خرج من بيته يسوق سيارة جديدة وإطاراتها جديدة، وجميع ما في السيارة مضمَّن، وهو يسير في سرعة معقولة -الطبلون لا يتجاوز ٤٠ كم في الساعة- فانفجر أحد إطارات السيارة وانقلبت فمات؛ فهل موته بقضاء وقدر أم لا؟ مع ذكر قاعدة نميز بها الأفعال التي هي بقضاء وقدر وعكسها؟

الجواب ومن الله التوفيق: أن هناك قاعدة تقول: (إن فاعل السبب هو فاعل المسبب) وهذه القاعدة صحيحة، والدليل عليها: ما ذكره الله تعالى عن أصحاب السبت ونصبهم للشباك يوم الجمعة.

وهذا السائق هو نفسه السبب في حدوث ما حدث، وبناءً على هذا فما حصل

بسبب فعل الإنسان وتولد من فعله فهو منه، ولذا أمر الله تعالى قاتل الخطأ بالدية والكفارة، وقال تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:١٠٢].

ويمكننا أن نقول: إن تخلية الله تعالى بين السائق والوقوع في الخطأ المؤدي لموته يسمى قضاءً وقدراً.

[مجوس هذه الأمة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي]

روى البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٥) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لرجل قدم عليه من فارس: ((أخبرني ما أعجب شيء رأيت في فارس؟)) فقال: رأيت أقواماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم؛ فإن قيل لهم: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: قضاه الله علينا وقدره، فقال عليه السلام: ((سيكون في آخر أمتي أقوام يقولون مثل مقالتهم أولئك مجوس أمتي)). انتهى.

المؤمن مبتلى

اقتضت حكمة الله تعالى أن يبتلي عبده المؤمن في هذه الحياة الدنيا، فيبتليه في نفسه بمرض أو بِشَوَهٍ، أو يبتليه في رزقه فيضيقه عليه ويزويه عنه، أو يبتليه في أولاده، أو يبتليه في زوجته، أو يبتليه بالخوف، أو بما أشبه ذلك مما ينغص عليه معيشته ويكدرها عليه، ولا تكاد تصفو له الحياة أو تحلو له يوماً مَّا.

ولعل السر والحكمة في ذلك هو ألا يطمئن المؤمن إلى الدنيا، فإن المعيشة إذا احلولت للعبد وسلمت من المكدرات اطمأن إليها ونسي ما وراءها، وتماماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ۝٧﴾ [العلق].

درجات الإيمان

١- إيمان الملائكة، وهو أرفع درجات الإيمان.

٢- إيمان الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم.

٣- إيمان العلماء العاملين.

٤- إيمان المؤمنين الخاشعين لله المتواضعين العاملين.

٥- إيمان عوام المؤمنين وهو درجات.

[حكم الإسلام فيمن ولد ونشأ ومات في بلاد لم تبلغها دعوة الرسل]

سؤال: كيف حكم الإسلام فيمن ولد ونشأ ثم مات في زاوية من زوايا الأرض بعيداً عن دعوة الرسل، لم يسمع طيلة حياته بذكرهم، ولا نقلت إليه أخبارهم ودعوتهم، هل يحكم عليهم بالخلود في النار كسائر الكافرين؟ أم لهم حكم آخر غير حكمهم؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن الله تعالى خلق الإنسان، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، فطبيعة السمع إدراك المسموعات وتمييزها، وطبيعة البصر رؤية المرئيات وتمييزها، وطبيعة الفؤاد التفكير والنظر والتعجب، والاستنكار والاستحسان والاستقباح و...إلخ.

فالفؤاد بطبيعته لا يزال يفكر فيما يرى ويسمع من أين جاء؟ وكيف جاء؟ ومن جاء به؟ وإلى أين يذهب؟ و... و...إلخ؛ فلا يستقر له قرار حتى يصل إلى الحقيقة.

ويبتدئ هذا التفكير في الإنسان من حين تمييزه، وهذا ما يجده كل إنسان تقريباً في صغره.

فبناءً على ما ذكرنا فإن حجة الله تعالى قائمة على هذا البعيد عن دعوة الرسل بما ركب الله فيه من السمع والبصر والفؤاد التي تسوقه إلى المعرفة بالله سوقاً لا يحتاج معه إلى تكلف النظر، بل يأتيه النظر والتفكير عفواً.

فإن استجاب هذا البعيد لما ساقته إليه فطرة العقل، وصدق به؛ فآمن بالخالق العظيم العالم الحكيم- فلا يحكم عليه بأحكام الكافرين، بل يحكم له بالنجاة من النار؛ إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وإن لم يستجب بل غالط نفسه، وكابر عقله وفطرته التي فطر الله الناس عليها- فهو من الكافرين، ويحكم عليه بأحكامهم.

هذا، والدليل على ما ذكرنا من أن النظر والتفكير يأتي عفواً بغير تكلف: قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]،

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴿٢٥﴾...﴾ الآيات [المرسلات]، ونحو ذلك في القرآن كثير.

فإن قيل: لو كان الأمر على ما ذكرتم لما أمر الله تعالى بالنظر في نحو قوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾ الآية [يونس:١٠١].

قلنا: ذلك وارد على سبيل التعزيز لما استقر في فطرة العقل، ومن هنا جاء في كثير من القرآن ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إشعاراً بوجود الدليل الفطري في العقول، وأنهم لا يحتاجون في التصديق بالله إلا إلى أن يرجعوا إلى تذكر ما استقر في عقولهم من التصديق والمعرفة.

نعم، المراد بما ذكرنا من النظر والتفكير هو النظر الأول الذي يسوق إلى الإيمان بالله والتصديق به، ثم من بعد ذلك قد يجب النظر، وذلك لإزاحة الشبهات والشكوك، أو لزيادة المعرفة بالله، وتمكن التصديق به.

هذا، وقد ندب الله تعالى إلى ذكره على الإطلاق فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب]، والصلاة ذكر، وتلاوة القرآن ذكر، و...إلخ.

فإن قيل: ما معنى الأثر القائل: ((لا عبادة كالتفكر)).

قلنا: التفكر المراد في الأثر هو:

١- التفكر في المخلوقات لما يؤدي إليه من استشعار عظمة الله وقدرته وجلاله وهيبته.

٢- التفكر في النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، من النعم الكبيرة والصغيرة، والنعم الظاهرة والباطنة وتعدادها، والتفكر في كثرتها، وذلك لما يؤدي إليه ذلك من شكر الله تعالى وحمده.

٣- التفكر في الذنوب وكثرتها، والتفكر في التفريط في طاعة الله، والتفريط في ذكره، وفي قلة شكره، وفي حلم الله تعالى عنه، والتفكر في كثرة النسيان والغفلة عن استشعار عظمة الله وجلاله، والتفكر في قلة الهيبة من الله؛ وذلك لما يؤدي إليه من التوبة والاستغفار.

٤- التفكر في ضعف الإنسان غاية الضعف، وفي فقره وفاقته، وفي حاجته، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وأنه لا يستغني عن الله طرفة عين، وأنه في غاية الحاجة والاضطرار إلى ربه، و..إلخ، وذلك ليعتمد في كل أموره على ربه، وليسأله وليدعوه دعاء المضطر.

٥- التفكر في حال الإنسان في الدنيا ضعف وقوة وفقر وغناء، وصحة وسقم، وموت وحياة و...إلخ، وذلك لما يؤدي إليه هذا التفكر من السلامة من الغرور بالدنيا والوثوق بها، وليحذر الغرور وعاقبة المغترين بها.

٦- التفكر في المصير المحتوم من الموت والحساب والجنة والنار، وذلك لما يؤدي إليه من تقليل الالتفات إلى الدنيا وزينتها، ومن تقليل الطمع والحرص عليها، ولما يؤدي إليه أيضاً من قوة الداعي إلى الطاعات، وقوة الصارف عن الشهوات و...إلخ.

وغير ذلك من التفكير الذي يدعو إلى تعظيم الله وتنزيهه، وتسبيحه وتحميده، وتكبيره وتوحيده، وطاعته و...إلخ.

فبما ذكرنا من الفوائد الناتجة عن التفكير كان له تلك المنزلة الفاضلة لسائر العبادات، وحق له أن يكون كذلك؛ لأن به تفتح أبواب الخيرات فهو أساسها ومنبعها.

[مناظرة أبي الحسن الأشعري وأبي علي الجبائي حول أفعال العباد]

ثلاثة إخوة:

-مؤمن بر تقي.

-فاجر شقي.

-طفل.

مات الثلاثة جميعاً.

إذا قال الطفل: لو أبقيتني يا إلهي لنلت منزلة المؤمن البر التقي.

فيقول الله: كنت أعلم أني لو أبقيتك لعصيت، وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك.

فإن قال الفاجر الشقي: يا إلهي، كما علمت حاله فقد علمت حالي فلِمَ راعيت مصلحته دوني؟

قيل: إن أبا الحسن الأشعري أورد ذلك على الشيخ أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، وأن أبا علي تحير في الجواب وأفحم، وكانت هذه الأسئلة هي السبب التي دعت أبا الحسن الأشعري إلى ترك مذهب المعتزلة.

قلت: يَرِدُ هذا على من يقول: إنه يجب على الله تعالى أن يراعي الأصلح لعباده، فإذا علم تعالى من حال العبد أنه سيؤمن ويتوب إلى الله عند أن يصل عمره ثمانين سنة فإنه يجب على الله تعالى أن يؤخره إلى أن يبلغ ثمانين سنة، وأنه إذا علم أن المؤمن إذا تجاوز الستين من عمره فإنه سيفتتن ويدخل في معاصي الرحمن فإنه يجب على الله تعالى أن يخترم عمره قبل أن يصل إلى ذلك.

وقد يجاب على تساؤل أبي الحسن الأشعري من وجهة نظر الزيدية وعلى مقتضى أصول ديانتهم بأن يقال:

١- خلق الإنسان بما هو عليه من الكمال والجمال والسمع والبصر والعقل من أعظم نعم الله، أو هو أعظم نعم الله على عبده، وهذه النعمة العظيمة تفضُّل من الله، وإحسان منه خالص.

٢- وإمداده تعالى للإنسان بالصحة والعافية وطول العمر نعمة أخرى، وفضل فوق فضل، وإحسان فوق إحسان.

٣- يحصل العصيان من المكلف إذا توفرت له الصحة والعافية والفسحة في العمر، وإذا لم تتوفر الفسحة في العمر فلا يحصل العصيان، أما الصحة والعافية فتكون المعاصي معها أكثر، وقد تحصل المعصية من غير صحة وعافية كمعصية الكفر والعقائد الباطلة.

ولا خلاف عند العقلاء أن للمتفضل أن يعطي من فضله وإحسانه من يشاء، وأن يوزع فضله وإحسانه كيفما شاء فيعطي البعض كثيراً والبعض الآخر قليلاً؛ وبناءً على ذلك فقد وصل المؤمن البر التقي إلى المنازل الرفيعة بفضل الله ورحمته، وبعمله وإخلاصه واستقامته، ودخل الفاجر الشقي النار بسوء عمله وسوء اختياره، ودخل الطفل الجنة بفضل الله وبرحمته لا بعمله.

وفضل الله تعالى على الفاجر الشقي عظيم، فأنعم عليه بنعمة الخلق والكمال والجمال والسمع والبصر والعقل والصحة والعافية ومد له في العمر، ودعاه على ألسنة رسله عليهم السلام وعلى ألسنة حججه وفي كتبه إلى رضوانه ومغفرته والسعادة الأبدية في جنات النعيم، وحذره الوقوع في أسباب سخطه والسلوك في سبل الضلال والهلاك المؤدية إلى العذاب العظيم الذي لا ينقطع.

فنعمة الله تعالى عظيمة على المؤمن والفاجر والطفل.

وفجور الفاجر إنما حصل من تلقاء نفسه.

وسؤال أبي الحسن مما لا ينبغي، ولا يحتاج إلى رد بعد التصديق والإيمان بقوله تعالى حكاية لقول الملائكة وجوابه عليهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة].

وعند سماع الملائكة لهذا الجواب قدسوا الله ونزهوه عن فعل ما لا ينبغي من الفساد والظلم، واعترفوا بجهلهم، وأنهم إذا لم يعرفوا وجه الحكمة فيما خلق الله تعالى فإن الله تعالى عليم حكيم لا يخلق شيئاً ولا يفعل فعلاً إلا عن علم وحكمة.

من كلام زيد بن علي عليه السلام في الرسالة المزينة

(ثم إني أرتضي لك ألا تخرج العاصين من قدرة الله تعالى، ولا تعذرهم في معصية الله، ومن قال إنه قد ملك أعماله مع الله تعالى فقد أشرك بالله، ومن قال إنه قد ملكها دون الله تعالى فقد كفر بالله، ولكن القول الذي أرضاه في هذا الباب اتباع...إلخ).

قلت: المعنى والله أعلم: أن العاصي هو الذي عمل المعصية بقدرته وباختياره، والله سبحانه وتعالى هو الذي أعطاه القوة والقدرة، وخلق فيه الشهوة، ولم يحل بينه وبين المعصية، ولو شاء أن يمنعه منها لمنعه؛ فمن قال: إنه هو الذي جعل لنفسه القوة والقدرة على فعل المعصية فقد كفر، أو قال: إنه جعل لها بالاشتراك مع الله ذلك فقد أشرك، وذلك أن خلق القُوى والقُدر مما لا يدخل تحت قدرة بشر، فمن ادعى ذلك لنفسه فقد ادعى صفة الإلهية، ومدعيها كافر أو مشرك، والله أعلم.

[عن الروح]

سؤال: الروح أمر استأثر الله بعلمه كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥]، وادعاء معرفة ماهيته قريب من دعوى علم الغيب؛ لعدم الدليل على معرفته، وقد روي عن القاسم والهادي والناصر والحسين بن القاسم العياني والمؤيد بالله وأحمد بن سليمان وغيرهم من أئمة العترة عليهم السلام: أنها جسم لا يعلم حقيقته إلا الله؛ فهل يكون إثباتهم لها جسماً خوضاً في ماهية الروح؟

الجواب والله الموفق: أن هذا ليس خوضاً في ماهية الروح، وقولهم: جسم لا يعلم حقيقته إلا الله ليس تعريفاً، وإنما هو تفسير لقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وتسميتهم له جسماً أو عرضاً لا يعد رجماً بالغيب؛ إذ كل ما خلق الله في هذا الكون لا يعدوهما سواءً عرفنا ماهية المخلوق أم جهلناها.

[الفرق بين وفاة النوم ووفاة الموت]

سؤال: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠]، هل الوفاة هنا وفاة كاملة مثل وفاة الميت بمعنى خروج الروح؟ وكيف تفسرون لنا حركات العبد النائم إذا لم يكن فيه روح؟ والأحلام كالشهوة إلى من تنسب إلى الله أم إلى العبد أم إلى الشيطان؟ وهل للشيطان علاقة بالميت؟

الجواب: ليست الوفاة المذكورة في الآية كوفاة الميت تماماً بل هي شبيهة بها من حيث أن النائم يغيب عنه ادراك السمع والبصر والعقل والشم والطعم واللمس، وتغيب عنه القوة والقدرة ويغيب هو عن الدنيا بما فيها من الهم والغم والفرح والسرور، وهو كالميت في كل ذلك إلا أن أعضاءه ما تزال حية صالحة لعودة الوعي والإحساس والروح، وحركات النائم هي حركات غير اختيارية ناتجة عن طبيعة الجسم الحي.

أما الأحلام فإنها إذا كانت صالحة من الله، وإن كانت أحلام قبيحة فهي من الشيطان، جاءت بذلك الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنائم ليس بميت تماماً بل هو شبيه بالميت في كثير من أحواله.

[في الرزق]

سؤال: من المعلوم أن الرزق من الله قد ضمنه وتكفل به، ولكننا ننظر إلى العامل فهو لا يحصل على أجرته إلا بكد يده وتعبه وأن الذي يعطيه أجرته يعطيه باختياره، والعامل كذلك أعطاها باختياره؛ فكيف تفسير رزق الله الذي هو منه بقضاء وقدر؟

الجواب والله الموفق: أن الله سبحانه وتعالى وهو العليم الحكيم قد ضمن أرزاق الحيوانات فقدر لها ما يكفيها ومن هنا قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، وقال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت:١٠]، وقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦].

غير أن حصول الرزق مرهون في الغالب على الطلب وحصول السبب؛ لما يعلمه الله تعالى من المصالح لعباده في ذلك، فمن ذلك التكليف والبلوى المتعلقة بالأموال كالصدق في البيع والشراء، وترك اليمين الكاذبة، وترك الغش والخداع، وترك الربا في ذلك، ومن ذلك عمارة الأرض باتخاذ بعضهم بعضاً سخرياً، واختيار المكلفين وتمييز الخائن من الأمين...وإلخ ما لا يحصى من المصالح العظيمة المترتبة على ذلك.

فالله سبحانه قد ضمن لعباده الأرزاق وأرشدهم إلى أسبابها وطرقها، ومن هنا قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى۝١ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى۝٢ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى۝٣﴾ [الأعلى]، فكل نوع من الحيوانات قد قدر لها أرزاقها وهداها إلى نيل رزقها وإدراكه، وانظر إلى النمل كيف تهتدي إلى نيل رزقها وكذلك أنواع الطيور وغيرها من الحيوانات، ثم انظر إلى المواليد من الحيوانات كيف تهتدي إلى رزقها الذي جعله الله تعالى لها، وهكذا سنة الله في هذه الدنيا، فمن هنا أمر الله تعالى مريم بهز النخلة.

نعم، ما قدمنا كلمة عامة، فأما العامل فهو كغيره من الحيوانات قد فطره الله تعالى على السلوك في طريق طلب الرزق والتسبب في تحصيله، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ۝٨﴾ [العاديات]، وقال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا۝٢٠﴾ [الفجر] وقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران:١٤] إلى غير ذلك من الآيات.

إذاً فرزق الإنسان مكتوب له بشرط الطلب، ولذا قال الله تعالى: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨].

وهناك رزق آخر يأتي بغير طلب كما يعطاه الفقراء من الزكوات، وكالصدقات النافلة والنذور والهبات، والهدايا والضيافات، ونفقة الأولاد

ونحوهم، وغير ذلك من الأرزاق التي تأتي عفواً، وقد روي عن أمير المؤمنين أنه قال: (الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك) فالذي تطلبه هو الأول، والذي يطلبك هو ما ذكرناه ثانياً.

[تفسير ضمان الله للرزق مع إيجاب التكسب أحياناً]

من المعلوم أيضاً أن الله قد ضمن الرزق لعباده، ووجدنا الشارع قد أوجب التكسب في بعض الحالات نحو أن يكون للإنسان أبوان عاجزان معسران؛ فهل يوجد تناف بين ضمان الله للرزق وبين التكسب؟

الجواب: أنه لا تنافي بين ذلك، ولذا قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]، فالزارع يلقي البذر في التراب وينتظر رزق الله و.. و..إلخ، وذلك ابتغاء لما عند الله من الرزق، والعامل كذلك والتاجر كذلك.

هذا، وليكن على بال الإنسان الطالب للرزق أن الرزق من فضل الله ونعمته، وأنه الذي هدى إلى طريق طلبه وأرشده إلى سببه، وأن الصحة والعافية وقوة الأيدي والأقدام من فضل الله عليه، فعلى هذا فإن الرزق من فضل الله فلا على الإنسان إلا أن يثق بضمان الله تعالى، وليس معنى الضمان أن تترك السير في الطلب، وأن تعطل آلات الكسب التي جعلها الله تعالى لك أيها الإنسان.

[تقسيم الله للرزق بين عباده]

سؤال: حول حديث: ((من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته..)) إلخ- قد نرى من يطغى بسبب الغنى، ومن يطغى بسبب الصحة و.. و.. إلخ، وعلى هذا فقد يحتج الطاغي فيقول: يا رب لو أفقرتني لم أبغ ولم أطغ، ويقول الفقير: لو..إلخ؟

الجواب: أن الله سبحانه وتعالى لرحمته بعباده قد يسر لهم أسباب طاعته، ومن ذلك ما يبتلي به عباده من الغنى والفقر والصحة و..إلخ، فكل ذلك قد جعله الله تعالى لمصالح عظيمة ولحكم بالغة.

هذا، وإن كان الله تعالى قد جعل لكلٍ من عباده أسباب الصلاح، ووفرها له، فقد يعرض العبد عن ذلك، ويختار العناد، ويسير في طريق الفساد، وقد يختار سبحانه لعبده الغنى من أجل صلاحه، فيسخر العبد ذلك في طرق الفساد، فإذا قال العبد: لو أفقرتني يا رب لم أدخل في الفساد، فالجواب عليه أن يقال: إن الله تعالى هو أعلم بمصالح عباده.

[البلوى والاختبار]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله على ما أولى، فنعم ما أولى، ونعم المولى، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله ما تنفس صباح، وما دف جناح، وما لمع برق ولاح.

قضت حكمة الحكيم العليم في هذه الدار بالبلوى والاختبار للمكلفين ليتكشف ويتميز الصادقون من الكاذبين: ﴿الم۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ۝٣﴾ [العنكبوت].

وقد كثرت البلوى والاختبارات للمؤمنين على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كانت كما ذكر الله جل جلاله في قوله في سورة البقرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ۝١٥٥﴾ [البقرة]، وما مضى من الفتن على أول هذه الأمة سيمضي على من بعدهم إلى أن ينقطع التكليف، ولا يزال ناعق الفتنة ينعق بالدعوة إلى فتنة في الأجيال، يزخرفها لهم ويحسنها إليهم، بلفيف من الشبه التي أعدها لدعوته، وزينها بخبث صناعته، هكذا اقتضت حكمة العليم الحكيم؛ ليتميز الخبيث من الطيب، وليظهر ظهوراً مكشوفاً أهل الإيمان الصادق وأهل الإيمان الكاذب، وتماماً كما قال سبحانه: ﴿الم۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ۝٣﴾،

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١].

- قد تكون البلوى والفتنة من الله تعالى، وذلك مثل تكليف الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، ومثل التكليف بالقتال، والتكليف بالتكاليف الثقيلة التي لا يقوم بها إلا المخلصون.
- وقد تكون الفتنة بسبب دعاة الضلال، وبما يزينونه من الشبهة لترويج فتنتهم وتزيينها للناس.

[معنى النصر من الله تعالى]

سؤال: قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد]، فهل الآية عامة في كل من نصر الله تعالى لا بد أن يُنصر؟ وما تفسيرها مع مثل الحسين عليه السلام وأنصاره، وزيد وأنصاره؟ وغيرهما كثير ينتصر أعداؤهم عليهم؛ فما هو المقصود؟

الجواب: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ عام في المخاطبين وفي غيرهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ..﴾ [الحج:٤٠]، ويأتي نصر الله تعالى على صور كثيرة:

١- منها الظهور والغلبة على العدو.

٢- ومنها ما حكاه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ..﴾ الآية [التوبة:٤٠]، فسمى الله تعالى سلامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسر المشركين له، أو قتلهم إياه باختفائه في الغار وهروبه من مكة نصراً مع أن الغلبة والسلطان للمشركين.

٣- ومنها ما حكاه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج]، فسمى الله تعالى اشتغال الظالمين بقتال بعضهم لبعض نصراً لأوليائه.

وللنصر صور كثيرة تظهر بالتأمل في كتاب الله تعالى.

-وانتصار علي عليه السلام والحسين وزيد ويحيى بن زيد وغيرهم من دعاة الله يتمثل في ظهور دينهم الذي قاتلوا عليه، ومذهبهم الذي صبروا على الموت من أجل حياته، فإنه ما زال قائماً وحياً إلى يومنا هذا على رغم أنوف الذين جهدوا من بني أمية وبني العباس وغيرهم على طمسه من الوجود، والقضاء عليه تماماً، ومسحه من صدور الأمة، فإنهم بعدما بالغوا في ذلك وبلغوا الغاية والنهاية في محاولة ما أرادوا- رجعوا خائبين، وذهبت مساعيهم أدراج الرياح، وماتوا بغيضهم إذ لم يبلغوا ما أرادوا، وأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وما زالت إلى اليوم المساعي الظالمة والقوى المتغلبة تحاول في طمس ذلك المذهب وقلعه من أساسه فلم تنجح ولم تفلح.

*****

كتاب النبوة

رسل الله وأنبياؤه عليهم السلام

هم أكمل البشر في الشمائل والفضائل فقد تجاوزوا الرقم القياسي في هذا المضمار، فبلغوا الدرجة القصوى، والمنزلة العليا من الكمال البشري.

فلا تعرف فضيلة بشرية إلا وقد بلغوا فيها الغاية والنهاية صلوات الله عليهم وسلامه ورحمته وبركاته.

ولم تكن فضائل كل نبي خافية على قومه، ومع ظهور الفضل الكامل لكل نبي ورسول، وظهور منزلته بين قومه فإن كلاً منهم يقابل بالتكذيب والاستهزاء والسخرية من قومه.

ومن أعجب العجب ما يلاقيه رسل الله عليهم السلام من إجماع أقوامهم تقريباً على الكفر بهم ورد دعوتهم مع معرفتهم بما عليه رسلهم من صفات الكمال والشرف والأمانة والصدق، بالإضافة إلى ما يؤيدهم ربهم تعالى به من البراهين المعجزة الدالة على صدقهم فيما ادعوه من النبوة والرسالة.

وبذلك يعلم أقوامهم أنهم رسل مرسلون من ربهم إليهم، فلا يقبلون الدعوة ولا يصدقون بها، بل يقابلونها بالتكذيب والسخرية والرد، ثم الحرب ضدها، بل لا تزيدهم إلا طغياناً وكفراً.

لذلك يستغرب هذا الموقف، ويقف العقل عنده متحيراً، كيف لا يقبلون دعوة ربهم العظيم الذي وسعهم برحمته وأسبغ عليهم نعمه، وأحاط علمه وقدرته بكل شيء، مع ما هم فيه من الحاجة إلى ربهم: ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝٣٠﴾ [يس].

يكاد الكفر أن يطبق الكرة الأرضية اليوم، ولم يكتف الكفر وأهله اليوم بما هم عليه من التمرد على الله والفسوق والعصيان والظلم والعدوان والفساد والعناد على وجه الكرة الأرضية، لم يكتفوا بذلك؛ بل شمروا عن سواعد الجد لنسف ما بقي من الحق والإسلام على وجه الأرض.

فأعلن الكفر والكافرون ودول العرب ودول الإسلام الحرب ضد المسلمين وإسلامهم على ما هم فيه من الضعف والفقر وفقدان آلات الدفاع.

كلام الله

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء]: لا خلاف بين المسلمين أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وأن الله تعالى يوصف بأنه متكلم.

ولو وقف علماء المسلمين عند هذا الحد لكان خيراً لهم وأسلم، ولكنهم دخلوا في خلافات شديدة ونزاعات حادة حتى كفّر بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعض، وفتحت بينهم عداوات شديدة، وتعصب كل طرف منهم لرأيه و...إلخ.

وجعلوا هذه المسألة من أهم مسائل الدين، ومن أكبر مسائل أصول الدين، وصدروا هذه المسألة فيما صدروا في كتب العقيدة، وأكثروا هنالك المسائل والأحكام، وفرّعوا على ذلك فروعاً أصولية، وجعلوا ذلك من أهم عقائد الإسلام وأكبر أسسه.

- وفي الحقيقة والواقع أنهم تجاوزوا الحدود، ودخلوا في مَهَامِهَ مطموسة الأعلام ومظلمة الأرجاء، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.
- وقد رضي الله تعالى من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ومن المؤمنين بدون ما ذكروا في هذه المسألة، فقال سبحانه: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ...﴾ الآية [البقرة:١٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾ الآية [البقرة:٢٨٥]، ووصف الله تعالى القرآن المجيد بصفات تتلى فيما يتلى من كلام الله ووحيه، ولم يذكر الله تعالى فيما ذكر شيئاً مما يذكره متكلمو أهل السنة ويشددون فيه، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]، وقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨]، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥]، وقال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴿١﴾﴾ [هود]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴿١﴾﴾ [القدر].

وسماه الله تعالى روحاً: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، وسماه قرآناً وفرقاناً وكتاباً ووصفه بصفات شريفة: ﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴿٢﴾﴾ [يس]، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]، ﴿لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴿٤١﴾﴾ [فصلت]، ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ﴿١﴾﴾ [ص]..إلى غير ذلك من الأوصاف الحميدة.

ولم يذكر الله تعالى في كتابه ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا الصحابة ولا التابعين شيئاً مما ذكره المتكلمون فلم يذكروا:

١- أن القرآن وسائر كلام الله تعالى صفة لله تعالى ذاتية.
٢- ولا أنه صفة له تعالى قائمة بذاته.
٣- ولا أنه صفة له تعالى قديمة.
٤- ولا أن صفة «متكلم» من صفاته تعالى وأسمائه الحسنى.
٥- ولم يذكروا أن كلام الله تعالى هو شيء آخر غير الحروف والأصوات.
٦- ولم يذكروا الكلام النفسي.
٧- ولم نر إشارة في القرآن أو السنة أو الآثار تشير إلى فروع هذه المسألة وأهمية المسائل التي ذكروها.

[الكلام في أن الشرائع مصالح]

سؤال: يقال: إن الشرائع مصالح، ويقال: قد تكون بعض الشرائع مصالح وبعضها مجرداً عن المصالح، فما هو الراجح من القولين؟

الجواب والله الموفق: أن الراجح هو القول الأول وهو أن الشرائع مصالح، ويدل على ذلك:

- قوله تعالىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ [الأعراف:٣٣].
- وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل:٩٠].
- وقوله تعالىٰ: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [الاعراف:١٥٧].
- وقوله تعالىٰ في آخر آية الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].
- ولا يخفى أن شرائع المعاملات مبنية علىٰ مصالح معقولة.
- وقد اكتشف العلم الحديث الكثير من الأسرار والحِكَم والمصالح التي بنيت عليها الأحكام الشرعية.
- **وبعد**، فقد ثبت أن الله تعالىٰ عليم وعدل حكيم وغني غير محتاج، وذلك يقتضي أن لا يكلف الله تعالىٰ عباده من الأعمال ما لا مصلحة لهم في فعله.

بيان ذلك:

- أن الله تعالىٰ غني عن أفعال العباد وأعمالهم، غير محتاج إليها علىٰ الإطلاق، وأنه عالم أنه مستغن عنها.
- وأن الله تعالىٰ حكيم، ومن شأن الحكيم أن لا يصدر منه أمر لا حكمة فيه ولا مصلحة، وإلا لم يكن حكيماً.



كتاب الإمامة

[هل الإمامة ظنية أو قطعية]

قال قوم: إن الإمامة ظنية، وقال آخرون: بل قطعية.

قلت: الإمامة من حيث هي في الجملة قطعية قضى بها العقل، وأجمع على حتميتها البشر في الجاهلية والإسلام.

أما تفاصيلها فنقول:

١- إمامة علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام قطعية استدلالية عند الزيدية وغيرهم، ومعنى ذلك أن من نظر في الأدلة الدالة على إمامة الثلاثة حق النظر علم قطعاً استحقاقهم للإمامة.

٢- إمامة أهل البيت عليهم السلام في الجملة قطعية استدلالية أيضاً.

٣- شروط الإمام قطعية التي هي: الذكورة والمنصب والعلم والورع و...إلخ.

٤- إذا توفرت الشروط في الإمام فهو إمام قطعاً، وذلك من حيث أن الشروط القطعية قد توفرت فيه قطعاً.

فإن قيل: قطعية الشروط ممكن في الذكورة والعلم والشجاعة والسخاء، أما ما سوى ذلك فالقطع غير واضح.

قلنا: أما النسب فالشهرة تكفي وهي قائمة مقام العلم اليقيني، أما الزهد والورع والتدين فالمراد القطع على الظاهر، وهذا كاف لأن التكليف في ذلك إنما هو بالظاهر.

فإن قيل: يشكل ذلك فيما إذا تعارض اثنان فعلى ما ذكرتم يلزم أن يكون أحدهما فاسقاً، وأنتم لا تقولون بذلك.

قلنا: مخالفة القطعي في هذا الباب وما أشبهه خطأ لا يوجب تكفيراً ولا تفسيقاً، ألا ترى أن أئمتنا عليهم السلام لم يقطعوا على من تقدم أمير المؤمنين بكفر ولا

فسق، بل ردوا الحكم عليهم بأن قالوا: إن كانوا علموا استحقاق أمير المؤمنين للخلافة فقد فسقوا، وإن كانوا لم يعلموا ذلك فقد أخطأوا، ولا يلزمهم كفر ولا فسق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

[كلام الإمام زيد في الأئمة إذا لم يدع منهم أحد]

قال الإمام زيد بن علي عليهما السلام في كتاب تثبيت الوصية: «فإن لم يدع منهم داع – أي أهل البيت– فهم أئمة للمسلمين في أمرهم وحلالهم وحرامهم، أبرارهم وأتقياؤهم». انتهى.

قلت: يريد عليه السلام أن الاهتداء بهدي أهل البيت والاقتداء والتأسي والاتباع لهم ثابت وواجب على المسلمين، سواء كان هناك داع قائم منهم أم لم يكن.

فإن كان هناك قائم منهم كان هو المقصود بالاتباع، وإن لم يكن فالواجب اتباع علماء أهل البيت الأبرار الأتقياء.

والدليل على ما ذكره الإمام زيد: ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واشتهر من حديث الثقلين؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل القرآن وعترته خليفتين، وهذا الحديث –أعني: حديث الثقلين– يدل على أن خلافة النبوة خاصة بعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم من الناس.

فإن قيل: قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((الأئمة من قريش))، مما يدل على أن الإمامة جائزة في جميع بطون قريش.

قلنا: حديث ((الأئمة من قريش)) حديث مطلق، وحديث الثقلين مقيد، واللازم حمل المطلق على المقيد، فيكون المراد بالأئمة من قريش هم عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم.

[حديث: الأئمة من قريش]

في الجامع الكافي: وقال محمد بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: «الأئمة من قريش ما إذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا، وإذا استرحموا رحموا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وفيه: روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((قريش أئمة هذه الأمة، أبرارها أئمة أبرارها وفجارها أئمة فجارها)).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، تجدون من خير الناس أشد كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه)). اهـ من أنوار التمام.

قلت: نالت قبيلة قريش شرفاً كبيراً ورفعة عظيمة في الدنيا لسببين اثنين:

١- بسكناهم البلد الحرام، فقد كانت العرب تعرف لهم ذلك في الجاهلية فلا يتعرض لهم أحد إلا بخير، وقد امتن الله عليهم بذلك وذكَّرهم هذه النعمة العظيمة في آي كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ..﴾ [العنكبوت٦٧].

٢- أن رسول الله ﷺ من قريش.

لذينك فإن قبائل العرب تنظر إلى قريش بعين التعظيم والتوقير، وتعترف لها بالشرف والفضل، وهذا بالإضافة إلى ما تتمتع به قريش من كمال الخَلْق والسبق في مكارم الأخلاق؛ لذلك كله صار الناس تبعاً لهم برهم تبعاً لبرهم، وفاجرهم تبعاً لفاجرهم، وما زال الأمر كذلك بعد الرسول ﷺ إلى القرن السابع حيث ضعف العرب وضعفت قريش، وهنالك تغلب العجم واستولوا على الأمر.

[ما حدث من المسلمين في مرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته]

سؤال: مما يحير العقل ما حدث من المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبل ذلك عند مرضه وحثه للخروج في بعث أسامة وتثاقلهم عن إجابته وكأنهم أشفق به من نفسه، ثم لما توفي صلى الله عليه وآله وسلم تركوه وانشغلوا بأمر البيعة للخلافة، وهنا سؤال: لماذا كان الأنصار وحدهم مجتمعون في السقيفة؟ ولماذا بايعوا لأبي بكر؟ ثم لَمَّا دعاهم علي أو فاطمة بعد ذلك قالوا: إن هذا القول لو سمعناه منكم قبل البيعة لأبي بكر لما تخلف منا رجل.

وأين الأحاديث التي في ذكر علي عليه السلام وأحقيته بالخلافة؟ فهل نسيها الكل، أم تناسوها؟ مع أن الأنصار محبون لعلي عليه السلام.

وكذلك حادثة الاعتراض على كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (رزية يوم الخميس)، كل هذا موجود في مصادر الشيعة والسنة، فكيف يمكن تصوير الموقف على حقيقته؟ وهل هناك في الأحاديث ما لم يكن يعرفه أهل ذلك العصر؟ أم أن هناك وجهاً آخر خفياً كان يتصرف ويعرقل الأوامر النبوية؟

أوضحوا لنا الأمر وما عذر من له عذر؟ وما هو الحق في هذه الأحداث؟

الجواب: لا شك ولا إشكال في انحراف قريش في الجملة عن علي عليه السلام وعداوتهم له، وفي نهج البلاغة الكثير من شكايته من قريش مثل قوله: (اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي، ومنعوني حقاً هو لي..) أو كما قال، ومثل قوله: (جزت قريشاً عني الجوازي..إلخ).

وقد سيطرت قريش على الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصارت الخلافة قرشية خالصة، وأبعد عنها بنو هاشم والأنصار فلم تجعل لهم فيها قريش حظاً ولا نصيباً.

وأعلنت الحرب الباردة على علي عليه السلام وأهل البيت وعلى الأنصار؛ فمنع الخلفاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق رواية وكتابة، فلم يجسر أحد على أن يروي فضل علي وأهل البيت أو فضل الأنصار، ثم روجوا الدعايات

وأشاعوها ضد شخصية علي عليه السلام حتى صار عليه السلام عند العامة من المسلمين علماً للباطل، وهذا في عصر الخلفاء الأولين.

أما الأنصار وإن كانت مودتهم لعلي عليه السلام أكثر من مودتهم لغيره فقد طمعوا في الخلافة بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونسي عامتهم وصايا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتركوها إيثاراً منهم للهوى وطمعاً في متاع الدنيا.

ولم يحضر اجتماع السقيفة أحد من علمائهم وأهل البصائر منهم، وإنما حضر العامة منهم وأعرابهم؛ فلم يحضر أبو أيوب الأنصاري ولا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقد قام اثنا عشر من علمائهم حين تولى أبو بكر الخلافة وأعلنوا ما عندهم من العلم وذلك مشهور.

-والمعلوم أن العامة من الناس أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فليس اجتماعهم في السقيفة بمستنكر؛ لأنها طبيعة العوام وجهلة الأنام.

واعلم أن اجتماع عوام الأنصار في السقيفة لطلب الخلافة لم يكن عن رأي ذوي العلم منهم وذوي بصائرهم بدليل استنكار علمائهم الاثني عشر الذين قاموا في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبينوا للناس ما عندهم من العلم في علي عليه السلام واستحقاقه للخلافة دون أبي بكر.

-وما قاله الأنصار لعلي وفاطمة بعد بيعة أبي بكر صحيح؛ لأنه لو كان علي عليه السلام مكان أبي بكر وعمر يوم السقيفة لبايعوا له، أو لو خيروا بين الرجلين لاختاروا المبايعة لعلي، ولا يستنكر من العوام أي اختيار؛ فهم على استعداد أن يبايعوا سعد بن معاذ وقد كانوا قاصدين لذلك، وأن يبايعوا لغيره من غير مبالاة كما هو شأن العوام على الإطلاق.

-هذا هو حقيقة الوضع يومئذ؛ فقد تغلب على الأمر يومئذ قريش وهم أعداء علي عليه السلام وتبعهم عوام الأنصار، ولم يبق أمام علي إلا بنو هاشم وذوو العلم والبصائر من الأنصار وهم قليلون يعدون على الأصابع.

فائدة في الإيمان الجملي

قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...﴾ إلىٰ آخر الآية [البقرة:١٣٦]، ونحو ذلك.

قد يؤخذ من ذلك ونحوه: كفاية الإيمان الجملي، وبناءً علىٰ ذلك فلا يشترط معرفة أئمة أهل البيت علىٰ التفصيل، اللهم إلا من جاء الدليل علىٰ وجوب معرفته علىٰ التعيين كأمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام، وإمام الزمان؛ فإن الأدلة قد قضت بوجوب معرفة من ذكرنا علىٰ التعيين.

أما الثلاثة- فالأدلة علىٰ ذلك كثيرة.

وأما إمام الزمان فلنحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم المروي: ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)) أو كما قال.

والواجب أن يعرف المكلف بعد ذلك علىٰ الجملة أن أهل البيت بعد الثلاثة الذين هم ذرية الحسنين- هم أهل الحق وورثة النبي، وخلفاؤه والقائمون مقامه، وأن متبعهم ناج، ومخالفهم ضال، وأنهم خيرة الله وصفوته من هذه الأمة، وأن محبتهم فريضة واجبة، وأن الله طهرهم من الرجس تطهيراً.

ويؤيد ما قلنا: أن الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله في حق أهل البيت هو تعريف الأمة بأهل الكساء، وتعيينهم، وفضلهم، وطهارتهم، وتقدمهم، وخلافتهم، و..إلخ، ثم بيان فضل أهل البيت علىٰ الجملة، وأنهم أهل الحق إلىٰ يوم القيامة، وأنهم..إلخ، كما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم إيجاب معرفة إمام الزمان كما قدمنا.

هذا، وأما الإيمان بالله تعالىٰ إيماناً جملياً كإيمان العوام- فالذي يظهر لي أنه يكفي العامي إيمانه الجملي.

والذي يدل علىٰ ذلك: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يكتفي بذلك.

ويشهد لما قلنا: الحديث المشهور: ((أركان الإسلام: أن تشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن تقيم الصلاة...إلخ)) أو كما قال.

ويشهد أيضاً لما ذكرنا: ما ذكره ابن أبي الحديد من اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بمعرفة علم الكلام، وما ذكره ابن أبي الحديد صحيح؛ إذ لم يرو عن أحد من الصحابة -على كثرة ما روي عنهم- شيء من تفاصيل علم الكلام البتة.

نعم، دفع الشبه واجب فيجب على الكفاية معرفة علم الكلام، معرفة يتمكن معها من دفع الشبه ورد التلبيس.

وفي الحديث: ((ولكن يُقْبَض العلم بموت العلماء...إلخ)) والواقع يصدق حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإن العالم إذا كان في القبيلة أو القرية فإن تلك القبيلة تكون أبعد من الفتن والضلال، فإذا مات العالم منها تسربت إليهم الشبه والتلبيسات.

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من شأن المؤمن أن يأنس بالمعروف وينسجم معه، ويرتاح له، وأن ينزعج للمنكر وينفر عنه، ويتضايق منه.

هكذا تكون طبيعة المؤمن الذي حل الإيمان قلبه، وهكذا تكون نفسياته، وهذا هو المقصود بإنكار المنكر بالقلب، وإنكار القلب للمنكر فريضة واجبة لا يعذر أي مكلف في تركها، ولا يجوز في أي حال من الأحوال تركها.

غير أن هذه الفريضة مترتبة على العلم بالمعروف والمنكر، وبعد العلم بذلك لا يحتاج المؤمن إلى عناء في حصول ذلك الشعور النفسي.

وهذا الشعور هو من علامات الإيمان ودلائله، بل هو من لوازمه فلا يتم إيمان المؤمن إلا بذلك، وقد يقل هذا الشعور بقلة الإيمان ويكثر بكثرته.

وهذا الشعور النفسي باب عمل كبير فقد صح أنه من رضي عمل قوم أشرك في عملهم، وحينئذ فمن رضي أمراً فقد دخل فيه، ومن سخطه فقد خرج منه.

- إذا عرفت ذلك؛ فاللازم على المؤمن أن يهتم أشد الاهتمام بهذا الباب، وذلك بتربية نفسياته على هذه الطبيعة، ومحاولة زيادة ذلك الشعور النفسي، ويتجنب التفريط في ذلك.
- وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعدما ذكرنا ثلاث مراتب:

١- المرتبة الأولى: تكون بالعمل الصامت كالإعراض عن العاصي وهجرانه، وقطع الإحسان عنه، وبظهور علامات الغضب على الوجه.
٢- المرتبة الثانية: تكون بالقول كالوعظ والتذكير بثواب الله وعقابه، والحث على فعل المعروف، والزجر والتنفير من إتيان المنكر.
٣- المرتبة الثالثة: العمل، كالعقاب على المعصية، والقبض على يد العاصي بالحبس أو الضرب و...إلخ.

فهذه ثلاث مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمرتبة الرابعة: هي ما صدرنا به هذا المبحث وهي الشعور النفسي.

فالشعور النفسي والمرتبة الأولى من الثلاث يجبان على المؤمن في كل حال، ومن دون أي شرط إلا العلم فهو شرط عام لكل المراتب.

أما المرتبتان الأخيرتان فلوجوبهما شروط بعد العلم:

١- ظن ترتب الفائدة على الأمر والنهي، فإذا ظن المؤمن أنه سيكون لأمره أو نهيه فائدة ومصلحة وجب وإلا فلا يجب. ودليل ذلك عقلي، فالعقول تجزم بقبح العمل الذي لا يترتب عليه أي فائدة، وتعد فاعل ذلك جاهلاً أحمق.
٢- أن يأمن الآمر على نفسه وعرضه وماله، ودليل ذلك: ما جاء في قصة أصحاب الكهف، وما أمر الله تعالى المسلمين لضعفهم في أول الأمر من الكف والإعراض والعفو والصفح والتكتم، وقال تعالى في هذا الباب: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران:٢٨]، ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦].

٣- أن لا يكون الأمر والنهي سبباً لزيادة المنكر، أو حصول أمر آخر أنكر منه، ودليل ذلك: العقول وما فطرها الله تعالىٰ عليه من استنكار ذلك، وقد قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

[وجوب غلبة الظن بالنصر لمن أراد الانتصار للدين]

في الجامع الكافي: قال الحسن عَلَيْسَلَامْ: ويحق علىٰ من أراد الله والانتصار للدين أن لا يظهر نفسه ولا يعور بسفك دمه ودماء المسلمين وإباحة الحريم إلا ومعه فئة من المتدينين يوثق بطاعتهم ووفائهم. اهـ

قلت: ويؤيد هذا ويدل عليه ما ثبت من أن الله تعالىٰ أمر نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين بكف القتال في أول الإسلام، فلما هاجروا إلىٰ المدينة وصار لهم كيان ودولة وعدد وعدة، أذن الله تعالىٰ لهم في قتال المشركين، وبناءً علىٰ هذا فلا يجوز أن يعرض المسلم نفسه وإخوانه المسلمين لسفك دمائهم وإباحة حريمهم إلا إذا صار لهم قوة وعدد وعدة يحصل معها الظن بالنصر والحفاظ علىٰ دماء المسلمين وحماية حريمهم والذب عن حوزتهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ [البقرة١٩٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴿٢٩﴾﴾ [النساء]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...الآية﴾ [الأنفال٦٠]، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال]، فأوجب الله تعالىٰ علىٰ المؤمنين الصبر والقتال للعدو إذا كان العدو مثلهم مرتين.

❁❁❁❁❁

كتاب المنزلة بين المنزلتين

[الحسنات والسيئات]

سؤال: ذكر الله تعالى أن الحسنة بعشر أمثالها، وأن السيئة بمثلها في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا...﴾ [الأنعام:١٦٠]، وقد ثبت أن جزاء العاصي بسبب معصيته الخلود في النار إن لم يتب، وظاهر الآية الإخبار عن فضل الله ورحمته بعباده فلذلك جعل ثواب الحسنة عشر أمثالها، وجعل جزاء السيئة سيئة واحدة.

والمطلوب بيان أن الخلود في النار مثل السيئة، وبيان فضل الله ورحمته في ذلك؟

الجواب والله الموفق والمعين: يمكن أن يراد بذلك صغائر الذنوب التي لا توجب لصاحبها الخلود في النار، فأما المؤمنون فيكفرها الله تعالى بفعلهم الطاعات واجتنابهم الكبائر، وأما غيرهم فيجازون عليها بمثلها يوم القيامة، ثم ينقطع عنهم عذابها، ثم يخلدون في النار بكفرهم بالله واقترافهم كبائر الإثم والفواحش، وبتكبرهم على الله وعلى رسوله وكتابه.

وعلى هذا ففضل الله ورحمته واضح، أما في جزاء الحسنة فبلا شك، وأما في جزاء السيئة فلأنه لا يجازي مقترف الصغيرة من الكافرين والفاسقين إلا بقدرها ثم ينقطع عذابها، ثم يبقى مخلداً في نار جهنم بكفره وفسقه.

وأما في حق المؤمن فإنها تكتب عليه الصغيرة سيئة، ولكن الله تعالى لسعة رحمته ومغفرته يغفرها ويتجاوز عنها يوم القيامة بسبب اجتنابه لكبائر الإثم والفواحش، وبأدائه لفرائض الرحمن تبارك وتعالى، ففضل الله في حق المؤمن أوضح وأبين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢]، وقال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤]..إلى غير ذلك.

نعم، الكفر بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس، وسائر الكبائر التي قد حكم الله تعالى على فاعلها بالخلود في النار إن لم يتب منها- يكون جزاء مرتكب أي من ذلك مثله، والمثل كما أخبر الله هو الخلود في عذاب النار.

هذا، وإن كنا نحن البشر لا ندرك ولا نفهم المماثلة بين الزنا مثلاً وجزائه -وهو الخلود في النار- فإنا نعرف وندرك أن الله عدل حكيم لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها.

وسبب هذا الإشكال أن الإنسان يقوِّم ويزن المعصية بميزان عقله الضعيف، ومن هنا قال الله تعالى في قصة الإفك في سورة النور: ﴿**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴿١٥﴾**﴾ [النور]، وقال تعالى وهو يصور لنا معصية القتل وعظمها: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة:٣٢].

ومما قد يدرك وجه كبره وعظمه ما جاء في الحديث: ((ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)).

ومن ذلك: الصد عن سبيل الله، والوقوف في طريق الهدى والإيمان وذلك لما يترتب عليه من الحيلولة بين الناس وبين الهدى الذي هو سبيل السعادة.

وفي الحديث: ((لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس)) والعكس في العكس.

[الموازنة]

سؤال: قد صح عن بعض أئمتنا عليهم السلام القول بالموازنة بين الحسنات والسيئات مستدلين بقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴿٨﴾**﴾ [الزلزلة]، وصح عن باقي أهل البيت عليهم السلام القول بالإحباط، فتعارضت أقوالهم في هذه المسألة؛ فهل هذه المسألة من المسائل الأصولية التي الحق فيها مع واحد والمخالف مخطئ آثم؟ أم أنها من المسائل الظنية التي كل مجتهد فيها مصيب؟

الجواب والله الموفق: أن المخطئ في مثل هذه المسألة معذور، ولا يقال: مصيب لأن الواقع يوم الحساب هو أحدهما، والظاهر أن هذه المسألة من ظنيات مسائل الأصول ومتفرعاتها، والحق فيها مع واحد.

[في الإحباط والتوبة]

على القول بأن كبائر المعاصي محبطة للأعمال فإذا فعل المؤمن معصية كبيرة ثم تاب؛ فهل تعود له الحسنات التي كان عملها قبل المعصية أم أنها لا تعود؟

وإذا قلتم بعودتها فيلزم أنه إذا كان مؤمنان نشأا على طاعة الله في وقت واحد فعصى أحدهما ثم تاب، فيلزم استواؤهما في الثواب والدرجات، وذلك بين البطلان؛ فما هو الجواب على هذه المسألة جزاكم الله خيراً؟

الجواب: هو أنه على القول بعود الحسنات فإنه لا يلزم تساويهما؛ إذ تخلل العصيان في أحدهما دون الآخر فارق.

أما هل تعود حسنات التائب أم لا، فلا طريق لنا إلى البت في القول والقطع فيه، والأدلة غير صريحة في ذلك والعقل يجوز....، ويجوِّز...

ولا بُعْد في عودها؛ لسعة رحمة الرحمن وسعة فضله وعفوه وكرمه وغناه، وإذا تاب العاصي من عصيانه فإنه تعالى يكفر ذنبه ويغفره له كأن لم يكن، وإذا كفره تعالى وغفره فإنه سبحانه يكفر آثاره وتوابعه، والإحباط هو من آثار الذنب وتوابعه فالأقرب أنه تعالى إذا غفر الذنب عفا عن آثاره وكفرها كأن لم تكن.

[معنى: يبدل الله سيئاتهم حسنات]

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان:٧٠]:

ـ تبديل الله تعالى لسيئات التائبين حسنات هو أن الله تعالى بكرمه يرد للتائب مثل ما حبط بالكبيرة من الحسنات، فتصبح حسنات التائب بعد التوبة مثل حسناته التي كانت في صحيفة أعماله قبل فعله للكبيرة.

وما ذكرنا من تفسير الآية هو أحد تفاسير ثلاثة ذكرها العلماء.

ويدل على هذا التفسير ما روي في الحديث المشهور: ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)).

وروي أن أحد الصحابة سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن أعمال برٍّ كان يتحنث بها في الجاهلية، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((أسلمت على ما أسلفت))، هذا معنى الرواية، ومعناها: أنه بإسلامه يكتب له ثواب ما أسلف من أعمال البر في الجاهلية.

وقال سبحانه: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨]، وفي الحديث: ((التوبة تجب ما قبلها))، فإذا كانت التوبة تمحو المعصية وتذهب بها حتى يصير المذنب بالتوبة كمن لم يذنب فإنه لم يبق حينئذ ما يوجب إبطال الحسنات المتقدمة على المعصية.

وأنا أستقوي هذا القول وأميل إليه لما سبق، ولما علم من عظيم رحمة الله وكبير فضله على عباده، وأن عادته الرحمة والإحسان وأن غضبه وعقابه لم يكن إلا لعارض اقتضته الحكمة، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ [النساء].

ويدل على ذلك أن الله تعالى دعا عباده جميعاً إلى سلوك طريق الجنة، ورغبهم فيها وحثهم عليها، وأرسل رسله وأنزل كتبه ليدعوا إلى دار رحمته، ثم حذرهم من السلوك لطريق غضبه وعذابه وحذرهم منها ونهاهم عنها و..إلخ.

[صغائر المعاصي]

سؤال: المطلوب بيان وتوضيح صغائر المعاصي؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن العلماء قد اختلفوا في الصغائر ما هي، بعد الاتفاق على أن في المعاصي صغائر وكبائر.

فالمشهور من مذهب أئمتنا عَلَيْهِم السَّلَام أن كل عمد كبيرة، وعليه فالصغائر هي: ما جاء من المعاصي عن طريق الخطأ والنسيان. ومن الخطأ: الخطأ في الاجتهاد والتأويل كما في معصية آدم ويونس عَلَيْهِمَا السَّلَام.

وقال آخرون: الكبائر: ما توعد الله تعالى عليه بالنيران، أو وصفه بالعظم، أو ما شرع فيه حد، أو..إلخ، وما سوى ذلك فصغائر. وقيل....، وقيل.. إلخ.

قلت: مما لا شك فيه أن المعصية توصف بالصغر بالنسبة إلى ما فوقها، وتوصف بالكبر بالنسبة إلى ما تحتها، فتقبيل الأجنبية أكبر من النظر وأصغر من الوطء، وهكذا سائر المعاصي، غير أنه لا ينبغي أن يركن إلى هذه الطريق في تعيين الصغائر، ولا يعتمد على هذا الميزان بدليل:

١- ما جاء في قصة الإفك، وذلك حين تلقى المسلمون حديث الإفك بألسنتهم وتناقلوه، ثم وبخهم الله تعالى على ذلك وذمهم، وقال لهم: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴿١٥﴾﴾ [النور].

٢- ما جاء في الحديث المشهور: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبرين وقال: ((إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول)).

والذي يظهر لي صحة قول من يقول: إن هناك صغائر غير الخطأ والنسيان، غير أن الله تعالى لم يعينها؛ إذ لو عينها تعالى لكان التعيين لها إغراءً منه بفعلها، والإغراء بالقبيح مما يجب تنزيه الله تعالى عنه.

[كلام في تكفير الصغائر وأنواعها]

مكفرات الصغائر:

الصلوات الخمس مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.

من الجمعة إلى الجمعة.

من رمضان إلى رمضان.

وصيام عرفة يكفر السنة الماضية.

والحج المبرور والعمرة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤].

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١].

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢].

وعلى الجملة فكل شيء من الأعمال فيه طاعة لله فإنه يكفر الصغائر بدليل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

فإن قيل: اجتناب الكبائر يكفر الصغائر، فماذا تكفر الصلوات الخمس؟ والصلوات الخمس تكفر ما بينهما، فماذا تكفر الجمعة؟ وماذا يبقى من الصغائر ليكفره صيام رمضان و....إلخ؟

قلنا: الذي يخيل إلي أن صغائر الذنوب تختلف، فمنها ما يكفره اجتناب الكبائر، ومنها ما تكفره الصلوات، ونوع منها تكفره الجمعة، ونوع يكفره الحج، ونوع تكفره الصدقة و....إلخ.

ويمكن أن يتأيد ما ذكرنا بأمور:

١- ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما معناه: ((يا معشر التجار شوبوا تجارتكم بالصدقة؛ لما عساه يحصل من الكذبة، و...إلخ))، فأرشد صلى الله عليه وآله وسلم التجار إلى تكفير ما عساه يكون في تجارتهم من نحو الكذبة في المساومات.

٢- أن الله تعالى جعل كفارة قتل الخطأ العتق والصيام، وهكذا في الظهار بزيادة الإطعام، وجعل في حلق المحرم رأسه صياماً أو صدقة أو نسكاً، وفي كفارة اليمين الإطعام أو الكسوة أو العتق ثم الصيام، وجعل تعالى فيمن لم يستطع الصيام لكل يوم إطعام مسكين.

وروي عن أمير المؤمنين أنه أرشد من أتى امرأته وهي حائض إلى التصدق بدينار أو بنصف دينار، و..إلى آخر ما ورد في هذا الباب، فإن الله تعالى قد جعل لتكفير كل نوع من الانتهاكات نوعاً من الحسنات، ولا شك أنها لا تكفر بغيره، وبناءً على ذلك فيكون تكفير الصغائر على ذلك النحو.

٣- قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].

لذلك فنقول: إن ما يلحق الإنسان -في نفسه أو ولده أو أهله أو ماله أو فيما يحب- من حوادث الدنيا وعوارضها هو نتيجة لذنب كسبته يده، وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للسلامة من ذلك إلى الصدقة فإنها ترد البلاء، وأرشد إلى صلة الرحم فإنها تزيد في العمر.

وجاء كما في رواية زيد بن علي عليهما السلام: أن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر -مائة مرة- تدفع مائة نوع من البلاء، وقراءة الفاتحة وبعدها: الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه- يدفع سبعين نوعاً من البلاء، وجاء في قراءة آية الكرسي والمعوذتين نحو من ذلك، إلى غير ذلك؛ فيمكننا أن نقول حينئذ: إن الصدقة وصلة الرحم والتسبيح مائة مرة وقراءة الفاتحة و..إلخ كل ذلك يكفر الذنب الذي يسبب حصول المصائب والبلاء و..إلخ.

لذلك نقول: إن الثواب تختلف أنواعه، فثواب الصلوات نوع، وثواب الصدقة نوع، وثواب الصيام نوع، وثواب الحج نوع، و...إلخ.

[حديث: من أقال نادماً أقال الله عثرته يوم القيامة]

سؤال: حديث: ((من أقال نادماً أقال الله عثرته يوم القيامة)): إن كانت العثرة كبيرة فلا يكفرها إلا التوبة كما ذلك معلوم من أصول الأئمة عليهم السلام، وإن كانت العثرة صغيرة، فالصغائر مكفرات بالطاعات؛ فما هو المعنى المراد بذلك؟

الجواب والله الموفق: الذي يظهر لي والله أعلم أن المراد أن الله تعالى يعطي فاعل الإقالة من زيادة الألطاف والتوفيق في الدنيا فيدعوه ذلك إلى التوبة والندم على ما فعل من عثرات وزلات؛ فإذا جاء يوم القيامة أقال الله عثرته التي كان قد استقال منها في الدنيا بتوفيق الله وألطافه التي أمده بها في الدنيا جزاءً على إحسانه بفعل إقالة النادم، وهكذا يمكن أن تفسر الأحاديث المشابهة لهذا الحديث، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

[في لحوق ذرية المؤمن به]

سؤال: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور]:

هل سيلحق الأدنى من الذرية بذي الدرجة الرفيعة من أصوله بدون عمل في الدرجة؟

وهل سيلحق المؤمن من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدرجة والمنزلة؟

وأيهما أفضل المؤمن من أهل البيت، أم المؤمن العالم المجاهد من غير أهل البيت؟

وهل يتنافى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾﴾ [النجم]، مع ما تقدم؟ وإن تنافى فكيف التوفيق؟

الجواب والله الموفق: أن هذا السؤال يشتمل على عدة أسئلة، وهذه هي الأجوبة مرتبة على حسب الترتيب الوارد في السؤال:

١ - الذرية الصالحة ستلحق بأصلها الرفيع الدرجة، وليس معنى هذا أن الذرية ستلحق بأصلها بحيث تكون في درجته ومنزلته عند الله، فيكون المؤمن من أهل البيت عليهم السلام في منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي منزلة علي عليه السلام؛ فإن المعلوم أن لهما صلوات الله عليهما منازل ودرجات عند الله تعالى لا يلحقهما لاحق من هذه الأمة.

وفي الحديث: قيل يا رسول الله: وما الوسيلة؟ قال: ((هي أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا نبي، وأرجو أن أكون أنا هو))، وفي حديث: ((لَضَرْبَة علي يوم الخندق تعدل أعمال أمتي إلى يوم القيامة)) أو كما قال. إلى غير ذلك.

وحينئذ فالمعنى أن الله تعالى سيلحق الذرية الصالحة بآبائهم الصالحين في مطلق الكرامة فيعطيهم من الكرامة ما لا يعطي غيرهم ممن هو مثلهم في الإيمان والعمل، وإنما حصلت لهم تلك الكرامة والرفعة؛ لأنها من تمام ثواب الله وكرامته على آبائهم، فقد استحق الآباء بسبب صالح أعمالهم الثواب

والدرجات، ومن جملة ما استحقوه إكرام الذرية الصالحة، وحينئذ فما حصل لهم من الدرجات والكرامات الزائدة فقد حصل بالعمل، وهم وإن لم يعملوا فقد عمل آباؤهم، والثواب في الحقيقة إنما هو للآباء، وإكرام الأبناء إكرام للآباء، يعرف ذلك الناس ويجدونه في نفوسهم بلا شك ولا امتراء.

٢- هل سيلحق المؤمن من أهل البيت منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: قد سبق الجواب على هذا في ضمن الجواب الأول، فلا حاجة لإعادته، ونزيد هنا فنقول:

يمكننا أن نقول: إن الله تعالى قد ألحق ذرية نبيه في هذه الحياة الدنيا بأبيهم صلى الله عليه وآله وسلم في الشرف والرفعة والكرامة، فلهم في هذه الدنيا شرف النبوة وكرامتها ورفعتها، أخذ الله تعالى على هذه الأمة أن يراعوا ذلك.

ومعلوم أن من يراعي هذه المنزلة لذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تبلغ الحد الذي ينبغي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى هذا القياس لما يبلغونه من الكرامة في الآخرة، وإن كانت الكرامة تختلف.

٣- أيهما أفضل المؤمن من أهل البيت أم المؤمن العالم المجاهد من غير أهل البيت؟

الجواب: أن لكل فضلاً، ومقادير الفضل وما يترتب عليه من الثواب لا يعلمه إلا الله تعالى.

والأقرب عندي أن العالم المجاهد أفضل من المؤمن من أهل البيت الذي ليس بعالم ولا مجاهد:

- لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].
- وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]. إلى غير ذلك من الآيات.

وجاء في السنة الكثير كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))، وحديث: ((العلماء ورثة الأنبياء))، وغير ذلك كثير.

ومما يدل على شرف العلم: ما ذكره الله تعالى من اتباع موسى صلوات الله عليه وهو من أولي العزم للخضر عليه السلام اتباع الخادم للمخدوم.

فإن قيل: الولد بَعْضٌ من أبيه، ولا شك في فضل بعض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على غيره.

قلنا: لا شك في ذلك، غير أن هذه البعضية يخالف حكمها حكم البعضية الحقيقية، بدليل أن في الذرية المؤمن والفاسق والظالم، أما البعضية الحقيقية فالعصمة ثابتة لها.

٤- قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴿٣٩﴾﴾ [النجم]، لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١]، وذلك أن الجزاء الذي يستحقه المكلف استحقاقاً إنما هو بالعمل، ولا مانع أن يعطيه الله تعالى ما يستحقه بعمله، ثم يعطيه ما لا يستحقه تفضلاً منه ورحمة.

[هل يقطع بكفر أو فسق من قال بالخروج من النار]

سؤال: قال بعض علماء أهل البيت: إنه لا يقطع بكفر أو فسق من قال بالخروج من النار مع العلم أن القول بخروج أهل الكبائر من النار رد لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴿١٦﴾﴾ [الانفطار]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾..إلخ الآيتين [النساء:١٢٣]، ونحوهما؛ فلماذا لم يقطع بفسقهم أو كفرهم؟

الجواب والله الموفق: أن الخطأ في بعض المسائل الأصولية والقطعية لا يخل بالإيمان، وسأوضح لك قاعدة تتبين من خلالها المسائل وتتميز بعضها من بعض **فنقول**:

الخطأ الذي لا يستلزم الجهل بالله تعالى، ولا نسبة القبيح إليه فلا يكفر صاحبه،

ولا يفسق، وإن خالف الدليل القاطع، كمن يزوج المعتدة في عدتها خطأً، وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الأحزاب:٥]، وقوله تعالى معلماً لعباده ومرشداً: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله ÷: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)).

وقولهم إنه لا يقطع بكفره أو فسقه بناءً منهم على أنهم أخطأوا فلم يطلعوا على الأدلة أو لم يفهموا معناها، أما مع الاطلاع على الأدلة وفهم معناها واطلاعهم على الفاسد والصحيح منها فلا عذر لهم ولا حجة.

فهذه القاعدة مبنية على هذا، وقول بعض الأئمة مبني على هذا أيضاً، فإذا ظهر التمرد والمعاندة فيلزم القطع بالكفر أو الفسق.

[في فسق المغني والمستمع للغناء]

قد سألت بعض العلماء رضي الله عنهم عن المغني أو المستمع للمغاني هل هو فاسق، فتوقفوا في ذلك ولم يقطعوا بفسقه مع العلم أن أدلة تحريم الغناء كثيرة، وقد ألف المولى الحجة مجدالدين المؤيدي عليه السلام كتاباً مستقلاً في ذلك، وأيضاً روى الإمام الحجة عبدالله بن حمزة عليه السلام إجماع أهل البيت عليهم السلام على تحريمه وإجماع أهل البيت حجة قاطعة.

والسؤال: أليست هذه الأدلة تفيد العلم فيصح الحكم بفسقه؟ وإذا كانت غير مفيدة للعلم فهل يوجد مرتبة غير كافر التصريح وكافر التأويل وفاسق التصريح وفاسق التأويل؟

الجواب والله الموفق: اعلم أيها الأخ الكريم أنك لو سألت ذلك العالم عن حكم إتيان النساء حال الحيض لأجابك بنفس الجواب في حكم فاعل ذلك، ولتوقف؛ مع أن تحريمه بنص القرآن، والسبب في ذلك أن علماء الأمة قد اتفقوا على أن صاحب الكبيرة فاسق وقطعوا بفسقه، وعلى أن صاحب الصغيرة غير فاسق.

غير أنهم اختلفوا في تعيين الكبائر والصغائر، فقيل... وقيل... وقيل: إن كل

ما توعد الله عليه بالنار أو وصفه بالعظم فهو كبيرة، وما سوى ذلك محتمل للكبر والصغر، ولعل الذي أجابك قد أجابك بناءً منه على هذا القول، وليس معنى هذا الجواب الذي أجابك به بعض العلماء أن تحريم الغناء محل نظر أو مشكوك فيه، بل أن الأمر عنده كما وصفنا.

والواجب النهي عن الغناء وعن كل المعاصي ولو لم يقطع بفسق صاحبها كالغناء وإتيان النساء في الأدبار، وإتيانهن حال الحيض، ونكاح المعتدة، ودخول البيوت بغير استئذان، وغض البصر عن الأجنبية والغمز والتقبيل ونحو ذلك.

وليس معنى ذلك التسهيل فيها فلا ينبغي التسهيل في شيء من المعاصي على الإطلاق بل ينبغي النهي عنها أشد النهي.

وإذا تعمد أحد شيئاً من الصغائر وقال: لا حرج علي فيها فهو كافر، ولكن بشرط أن يكون قد تبين له أنها مما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا، والذي رجحه صاحب الأساس أن كل عمد كبيرة، وذلك للوعيد العام لكل عاص لله تعالى بالخلود في النار؛ فينبغي للمؤمن أن يبني على هذا في خاصة نفسه للاحتياط، ثم ليعامل الناس بالمذهب الأول فلا يكفر ولا يفسق للاحتياط أيضاً.

واعلم أنه لا يؤثر كون المعصية صغيرة في وجوب إنكار المنكر بل يجب إنكار المنكر مطلقاً بالقول والفعل على حسب الترتيب، ومن الله التوفيق.

[من في حكم الفاسق]

سؤال: قال أهل المذهب: إن صلاة الجماعة لا تنعقد خلف الفاسق أو من في حكمه؛ فالفاسق معروف، ولكن نريد معرفة قاعدة نعرف بها الذي هو في حكم الفاسق؛ فما هي؟

الجواب والله الموفق: أن كلامهم حول تفسير الذي هو في حكم الفاسق غير واضح، ولكن ينبغي أن يكون ذلك هو فاعل المعصية المحتملة للصغر والكبر، وإن كان ذلك لا يستقيم على كلامهم لأن كل عمد عندهم كبيرة.

ولعل هذا الذي قلناه هو المراد عند الطبقة العليا من المخرجين، فإنه وإن لم يكن مذهبهم ذلك فقد وضعوا المذهب للمقلدين سواء من يقول إن كل عمد كبيرة أم من يقول بخلافه. هذا ما ظهر لي والله ولي التوفيق.

[جهاد المنافقين]

سؤال: قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]، لم يرو في سيرة النبي ﷺ أنه قاتل المنافقين، والذي روي في سيرته أنه لم يقاتل ﷺ إلا المشركين فما هو هذا الجهاد؟

الجواب: أن الجهاد كلمة تطلق على ما يظهر من اشتقاقها على إبلاغ الجهد في النصيحة وفي القتال، وفي أي عمل يخص الإنسان أو يعم نفعه غيره.

فالذي يجهد في طلب العلم يقال له مجاهد، والذي يسعى جهده لنصح المسلمين يقال له مجاهد، والذي يبالغ ويحرص على بر والديه وصلة أرحامه يقال له مجاهد، و...إلخ.

فالنبي ﷺ قد امتثل أمر الله في هذه الآية فأبلغ وسعه في قتال المشركين، وسعى غاية وسعه في النصح للمنافقين، وفي الرد لمكائدهم، وفي إبطال فسادهم، وفي التحذير منهم، وعلى ما ذكرنا جاء الحديث المشهور: ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)) وهو جهاد النفس.

وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآيات [النساء:٩٥]، فإن المراد بالمجاهدين هنا المجاهدون بالسيف والقتال بقرينة مقابلته بالقاعدين.

وقوله تعالى: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصف:١١]، يراد به هنا القتال بقرينة ما بعده.

في السير

جهاد البغاة أفضل من جهاد الكفار، وذلك لوجوه:

١- أن الكفار كادوا الإسلام من أطرافه، والبغاة كادوه من بحبوحته.
٢- معصية البغاة وقعت في دار الإسلام فصارت كالمعصية في المسجد.
٣- قد يجر البغاة بشبهتهم الكثير من الناس إلى المعصية بخلاف الكفار فلا أحد من المسلمين يصدقهم، ولا يخفى أن الفضل تابع للأصلح والأنفع فما كان أصلح للإسلام والمسلمين وأنفع فهو أفضل مما هو دونه في النفع والصلاح.

وروى الإمام أبو طالب بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((والذي نفس محمد بيده للزبانية من الملائكة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة النيران والأوثان، فيقولون: يا رب بدئ بنا، سورع إلينا، يا رب يا رب؛ قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: ليس من يعلم كمن لا يعلم)). انتهى.

أنواع الكفر

١- كفر الجحود، وهو كفر عباد الأصنام وكفر اليهود والنصارى وكذلك كل من أنكر وجحد شيئاً مما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام، ويلحق بذلك المجبرة والمشبهة ونحوهم، وكذلك من أنكر أن يكون الله خلق بعض مخلوقاته كالمطرفية، ومن زعم أنه يفعل كفعل الله الذي لا يقدر عليه سواه.
٢- كفر النعمة، وهو الإخلال بشكر الله تعالى.
٣- كفر الجارحة وفي هذا وقع الخلاف، ومن الأدلة على إثبات هذا القسم:
١- أن الصحابة كانوا يقولون في حق مرتكب المعصية الكبيرة: إنه قد نافق، وحقيقة النفاق: إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وربما قالوا: إنه قد كفر، ومن ذلك ما روي عن عائشة أنها قالت في حق عثمان: اقتلوا نعثلاً فقد كفر.
٢- في الحديث المشهور: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن...الحديث))، ومثل هذا

الحديث قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾ [المائدة:٨١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۝١﴾ [الأنفال]، ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور:٣].

٣- قوله تعالى: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ۝٣﴾ [النور]، فدلت هذه الآية أن الزاني والزانية قد زال عنهما اسم الإيمان.

٤- أن القاتل عمداً لا يرث مما يدل على أنه قد انقطعت بالقتل ولاية الإسلام وروابط الإيمان، وقد استدل بهذا الدليل الإمام زيد عليه السلام.

في كفر التأويل

للمذهب: القطع بدخول فساق هذه الأمة الجنة وإن ماتوا على الفسق والتمرد- كفر تأويل لا تصريح، أما تجويز دخولهم الجنة فخطأ لا يبلغ كفراً ولا فسقاً. هذا كله للمذهب كما في الشرح والحواشي.

قلت: ووجه الطرف الأول أن القطع بدخول الفساق الجنة من غير توبة يتضمن التكذيب بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء:١٤]، ونحوها.

وإنما كان كفر تأويل ولم يكن كفر تصريح لأن قولهم ذاك ليس تصريحاً بتكذيب الآية وإنما تضمنه.

- ووجه الطرف الثاني أن تجويز دخول الفساق الجنة لا يتضمن التكذيب بالآية ونحوها، وإنما هو خطأ ما كان ينبغي أن يصدر من مصدق بالقرآن.

[توبة الكافر بعد موته]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ [آل عمران٩١]: **السؤال:** ما هو الوجه في قوله تعالى: ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ [آل عمران٩١] بعد قوله: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾؟

الجواب وبالله التوفيق: لنفهم أن الآية مسوقة لبيان أن توبة الكافر غير مقبولة بعد موته، فكأن الله تعالىٰ قال: إن توسل الكافر بعد موته إلىٰ الله تعالىٰ بالتوبة أو بأي عمل صالح حتىٰ ولو كانت وسيلته إلىٰ الله ملء الأرض ذهباً لما قبلها الله منه، بل ولو أنه يعطي ملء الأرض ذهباً بدلاً عن دخوله النار ويكون هذا البدل فدية له من النار كما يفدي الأسير في الدنيا ويطلق مقابل مال للذي أسره، وبهذا تعرف الفرق بين معنىٰ الجملة الأولىٰ، ومعنىٰ الجملة الثانية؛ فالجملة الأولىٰ يراد بها التوسل إلىٰ رضا الله تعالىٰ وعفوه، بأن يكون ذلك الذهب كفارة لذنوبه، كما أن العاصي في الدنيا من بعض الذنوب عندما يتوب إلىٰ الله تعالىٰ يعطي إلىٰ الفقراء شيئاً من المال كفارة ذنوبه.

والجملة الثانية ليست كذلك بل يراد بها معنىٰ آخر هو أن الكافر لا تقبل منه الفدية، والفدية ليست وسيلة ولا كفارة كما ذكرنا في معنىٰ الفدية سابقاً. والله أعلم.

❁❁❁❁❁

كتاب الوعد والوعيد

[الخلود في النار]

سؤال: هل يصح التفضل من الله تعالى على العاصي المصر بعد الحكم بخلوده في النار، فيعفو عنه، فيمنع عنه دخول النار كما أنه في الشاهد يحسن من الملك العفو عن أحد رعيته بعد الحكم عليه بالعقوبة، هل كما يحسن من العبد يحسن من الله تعالى؟

الجواب وبالله التوفيق:

- العفو عن المجرم حسن في العقل وجائز في أحكامه في الجملة، ولا يجب على ذي الحق أن يستوفي حقه، بل له أن يأخذ أو يترك شاهداً وغائباً، هكذا تقرر في أحكام العقول.
- إلا أنه قد يعرض دون الإحسان مانع يمنع من الحكم بحسن الإحسان، فيصير الإحسان بسبب ذلك المانع العارض قبيحاً، واتصاف الإحسان حينئذ بصفة القبح اتصاف عارض.

فإن قيل: الحسن والإحسان من الصفات التي لا تتغير ماهياتها، فلو أخبر مخبر وقال: الإحسان قبيح، أو الحسن قبيح، لعد خبره باطلاً، ولكان مثل قول القائل: الساكن متحرك، والمثلث مربع، والبر بحر، وإنما كان مثل ذلك باطلاً غير مقبول؛ لأنه إخبار عن الشيء بضد ماهيته، أو بخلافها، والمعروف عند العقل أن ماهية الشيء لا تتغير.

فيقال في الجواب: نعم الإحسان لا يتغير كما قلتم، فمن المستحيل أن يكون الإحسان قبيحاً.

والذي نعنيه أن الإحسان يكون قبيحاً لا لأنه إحسان، بل لقبح ضميمة انضمت مع الإحسان ولزمته بحيث يلزم من فعل الإحسان حصول ذلك القبيح الملازم له. ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

المثال الأول: قول الصدق حسن، ولا يتصور أن يخرج الصدق من حيث هو صدق عن الاتصاف بهذه الصفة ويصير قبيحاً، إلا أنه قد ينضم إلى قول الصدق ضميمة يصير الصدق معها قبيحاً لا لأجل أنه صدق بل لأجل عروض الضميمة التي انضمت إليه ولازمته؛ فلو أن ظالماً يبحث عن رجل مؤمن بريء ليقتله أو ليعذبه أو ليأخذ ماله، وكنت تعرف الرجل ومكانه، ثم سألك ذلك الظالم عن الرجل ومكانه ليقتله أو....، وهو قادر على أخذه وقتله؛ فإن قول الصدق للظالم في تلك الحال يكون قبيحاً وجريمة يستحق بها القائل مقت الله وغضبه، وهذا واضح فإن العاقل يدرك قبح ذلك بمجرد عقله، ولا شك أن القبح الذي نجده في ذلك القول الصادق لم يكن ناتجاً عن قول الصدق لذاته، بل إنما كان القبح لأجل ما انضم إلى قول الصدق من حصول قتل المؤمن وأخذ ماله وتعذيبه.

فأنت ترى في هذا المثال ما يبين لك أن الحسن قد يصير قبيحاً لحصول عارض عرض دون الحسن.

المثال الثاني: إذا كان هناك في رعية السلطان من يتسلط على الرعايا بالقتل والنهب والأذى، ثم أخذه السلطان، وقد عرف من حاله أنه لا يترك صنيعه ذلك، وعرف أن العفو لا يزيده إلا تمرداً وعدواناً، فإن العفو حينئذ يكون قبيحاً لا من أجل أنه عفو، بل لأجل ما انضم إلى العفو ولزمه من حصول الشر والضر على الرعايا، ولا شك أن جميع الرعايا سيسخطون على السلطان حين عفا ويذمونه، وتنطلق ألسنتهم في سبه ولعنه، وما ذلك لأجل أنه عفا؛ فالعفو حسن يستحق فاعله المدح والثناء، بل لأجل ما انضم إلى عفوه من حصول القبح.

- فإذا استوضحت أيها السائل ما ذكرنا، وتبين لك ما شرحنا– فاعلم أن عفو الله تعالى يوم الحساب عن الذين ماتوا مصرين على كفرهم وجحودهم وفسوقهم لا يحسن؛ لما يصاحب العفو يومئذ وينضم إليه من القبح.

- **بيان ذلك**: أن الله تعالى توعد المجرمين والفاسقين والكافرين والمنافقين بالوعيد الشديد، والعذاب الدائم في جهنم وعيداً مؤكداً، وكرر ذلك في كتابه تكريراً كثيراً.
- وأصحب ذلك الوعيد الشديد بأن وصف نفسه تعالى بأنه لا يخلف الميعاد، وبأنه لا يبدل القول لديه، وبأن قيله أصدق الأقاويل، وحديثه أصدق الحديث، وأقسم تعالى لعباده أيماناً كثيرة في كتابه الحكيم أنه سيعذب المنافقين والكافرين والفجار والظالمين، والمتكبرين في العذاب الخالد الأبدي.
- فإذا فرضنا وجوزنا أن الله تعالى سيعفو عن أولئك أو عن بعضهم؛ فإنه سينضم إلى فرضنا وتجويزنا ذلك- اتهام الله تعالى بالكذب، وخلف الوعد، وعدم مصداقية أيمانه وحلفه في كتابه.
- ولزم في تجويز العفو من الله يوم القيامة تجويز الكذب في القرآن، ولا شك أن تجويز الكذب في القرآن كفر ونفاق.
- **وبعد**، فكل ما في القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وذلك إجماع بين المسلمين، والحق ضد الباطل، وتجويز العفو يعتبر تجويزاً لعدم مصداقية هذه الآية.

[تفسير قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها]

سؤال: ما هو التفسير المناسب لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا۝٧٢﴾ [مريم]؟

الجواب: الخطاب في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ هو للمنكرين للبعث والجزاء بدليل أول الكلام وهو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا۝٦٦﴾ [مريم]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا...﴾ [مريم:١٩]، إخبار من الله تعالى عن حال المتقين بعد أن ذكر أخبار المكذبين، و(ثم) جاءت في هذا الموضع لتدل على بُعْد حال المتقين عن حال المكذبين؛ فكأنه قال: لا تخافوا أيها

المتقون عند سماعكم لحال المكذبين فإن حالتكم عند الله ليست كحال المكذبين، فأنتم في منجاة عن وعيدهم، وسيرفعكم الله في مقام أمين لا يلحقكم فيه شيء من الوعيد.

- وقوله تعالى: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا۝٧٢﴾ [مريم] إخبارٌ من الله تعالى بأن المكذبين بالبعث سيردون جهنم ثم لا يخرجون منها، بل يبقون فيها للعذاب الدائم.

فإن قيل: ما هو السر والحكمة في توسيط: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا...﴾ بين قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا۝٧٢﴾.

فيجاب: لعل الحكمة في ذلك هي المبادرة والسرعة لتبريد حرارة خوف المؤمنين حين يسمعون آيات الوعيد المؤكدة، فلربما لو أخر الإخبار عن نجاة المتقين إلى أن يستكمل ذكر الوعيد لتفطرت قلوبهم وخرجت نفوسهم.

الثواب والعقاب في القرآن الكريم

- ورد وعد الله تعالى بالثواب والنعيم في الجنة:

١- للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، المتقين للوقوع في معاصي الرحمن إلى أن يلقوا الله تعالى.

٢- للتائبين الذين رجعوا إلى الله، واستغفروا لذنوبهم، ثم التزموا بتقوى الله تعالى وطاعته.

- وليس في كتاب الله تعالى ما يدل أو يشير إلى الوعد بالجنة والمغفرة لمرتكبي كبائر العصيان الذين ماتوا على ذلك ولم يتوبوا.

- بل ورد في القرآن التيئيس لأهل الكبائر من رحمة الله في الآخرة، وقطع أطماعهم من ذلك: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ۝١٨﴾ [غافر]، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا۝١٢٣﴾ [النساء]، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ۝٧٢﴾ [المائدة]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨].

- بل ورد الوعيد العظيم بالنار والخلود فيها لأهل الكبائر من هذه الأمة، والمفروض أن القرآن يقدم على السنة عند التعارض، فالأحاديث التي يرويها أهل السنة والجماعة في الشفاعة لأهل الكبائر وفي دخولهم الجنة لا يجوز الاعتماد عليها، ولا الركون إليها؛ لأنها مخالفة لآيات القرآن.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]- لا يتم به الاحتجاج لأهل السنة؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مجمل لا ندري من هم الذين يشاء الله أن يغفر لهم، فإذا قال أهل السنة: هم أهل الكبائر المصرون الذين ماتوا على ذلك ولم يتوبوا من كبائرهم، فإنا نقول: هم التائبون من الكبائر دون المصرين، أو هم الذين يرتكبون المعاصي عن طريق الخطأ والنسيان، فإن الله يغفر لهم بخلاف الذي يرتكب كبيرة الشرك خطأً أو جهلاً ونسياناً فإن الله لا يغفر ذلك.

فمن هنا قلنا: إن الآية مجملة يمكن تفسير إجمالها بعدة وجوه كلها محتملة؛ فالاعتماد على السنة فيما يخالف القرآن خطأ كبير، وفيه خطر عظيم، فإن آيات القرآن الكريم حق وصدق بلا ريب ولا شك، أما الروايات المروية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإنها محتملة للصدق والكذب.

- أهل السنة والجماعة اعتمدوا في هذا الباب على روايات رواها محدثوهم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونحن اعتمدنا على القرآن، ولم نلتفت إلى ما رواه محدثو أهل السنة لمخالفته القرآن، ونرى أننا بذلك أهدى سبيلاً من أهل السنة.

[حساب المكلفين على قدر عقولهم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وصلوات الله وسلامه على نبيه ومصطفاه، وعلى أهل بيته المصطفين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، وعلى من يستحق ذلك من المخلوقين، **وبعد:**

فالذي يظهر لي -والله أعلم- أن الله تعالى سيحاسب المكلفين ويؤاخذهم

على قدر عقولهم، وذلك لأن المكلف الذكي يدرك بعقله دقائق المعاصي وغوامضها، ويطلع بذكائه على خفاياها، فلا يكاد يرتكب معصية مهما دقت إلا وهو يدرك أنها معصية، ولا يخرج من فيه كلمة إلا وهو يدرك مداها من الضر والنفع، بخلاف المكلف الغبي، فإنه لا يدرك إلا واضحات الأمور دون غوامضها، ولا يعرف إلا جلائلها دون دقائقها؛ فيتكلم بالكلمة الضارة وهو يظن أنها نافعة، ويقع في دقائق المعاصي وغوامضها وهو لا يشعر، ويظن أنه في عمل صالح وهو في الواقع في عمل سيئ، فيظهر لي -والله أعلم- أن حساب مثل هذا يوم القيامة يكون دون حساب الذكي.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وليس في وسع المكلف الغبي مهما حرص واجتهد في التحفظ ألا يقع في دقائق المعاصي وخفيها، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وآله.

[أسئلة حول حياة الروح وعلاقتها بالجسد]

س١/ هل لقرب قبرٍ من قبر غيره فائدة للميت غير التبرك أو التعرض لكثرة الدعاء؟

س٢/ هل يعلم الميت مَنْ بجواره، ويسعد بجوار الصالحين، ويتأذى بجوار الفاسدين كما في جوار الدنيا؟

س٣/ بما أنه لا بد من حرمة القبر، فهل يتأذى الميت من ذلك؟

- وإذا كان ذلك فهل يتأذى من جوار الأحياء المفسدين؟
- وهل يحس بالغناء والفساد مثلاً، كما يحس بالسلام والدعاء؟
- وهل روحه تكون بجوار قبره أو في داخله؟ أم أنها في محل آخر؟ فهل السلام يصل سواء عند القبر، أو كان الزائر بعيداً عنه؟
- وما فائدة القرب إذاً؟

س٤/ هل حياة البرزخ تختص بالروح أم للجسم فيها نصيب؟

- وإذا كانت للروح فما الفرق بين الشهداء وغيرهم؟

س٥/ هل تتلاقى أرواح المؤمنين وإن كانت قبورهم متباعدة؟ أم أرواح المتعارفين فقط؟ وكيف تفسر على هذا حبهم لتقارب قبورهم؟

س٦/ إذا كانت الأرواح في مكان مجتمعة والسلام والدعاء يصل إليها فيه، ولا علاقة له بالقبر- فهل الزيارة مثلاً لعلي عليه السلام عند زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما لو زرناه عند قبره عليه السلام؟

س٧/ وبعد هذا، هل لتفكير الإنسان أين يقبر فائدة؟

- وهل لقربه من أحد يؤدي إلى أنس به أو لقاء له، أم أن ذلك بحسب العمل؟

أوردَ هذه الأسئلة أحد طلاب العلم، وطلب الإيضاح.

الجواب وبالله التوفيق:

جواب السؤال الأول:

- فائدة مجاورة أولياء الله الصالحين في قبورهم هي طلب البركة بمجاورتهم، ومن البركة ما يلحقه من دعاء الزوار، وما يعمه من رحمة الله النازلة على أولياء الله هنالك.

وليست المجاورة سبباً للأنس واللقاء والتزاور والاجتماع بين أرواح المتجاورين، وذلك لأن سكان القبور أجساد لا حياة فيها، لا تسمع ولا ترى ولا تعقل، ولا تفرح ولا تحزن، ولا...إلخ، وتماماً كالجماد، بل إن الجسد بالموت يصير جماداً.

ودليل ما ذكرنا هو ما نعرفه من حقيقة الموت وماهيته.

الجواب الثاني:

يُعلم من الجواب الأول، ولا يخفى أن الجسد الميت قد نزعت منه الروح وما سواها من الحواس والمشاعر والإدراكات والعلوم والظنون و...إلخ؛ لما عرفت

من أن الموت هو عدم الحياة، وأن الحياة شرط في الإحساس والإدراك و...إلخ.

الجواب الثالث:

لا يتأذى الميت من انتهاك حرمة قبره، ولا مما يقع من العصيان بجوار قبره، ولا يحس بذلك ولا يدركه.

أما إدراكه لما يلحقه من الدعاء والسلام والثواب- فإنه يدركه بروحه لا بواسطة جسده؛ لأن آلات الإدراك الكائنة في جسده قد بطلت وفسدت، ولا تعود الروح إلى الجسد إلا يوم القيامة.

- والذي استوضح علمه أن الروح قد فارقت الجسد، وأن الله قد أخذها إليه، ولا نعلم بعد ذلك تحديد مكانها، والمعلوم في الجملة أن أرواح أولياء الله الصالحين في محل كرامة الله ورحمته بدليل: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران].
- وقد روي أن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر تتنعم في الجنة: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ [النجم].
- ويمكن أن تكون أرواحهم في السماء بدليل ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى بعض الأنبياء في السماء ليلة المعراج، ويحتمل أنها في غير ما ذكرنا حيث يتحفها الله بتحف كرامته، وعلى الجملة فليس هناك دليل قاطع على تعيين مستقر أرواح المؤمنين.
- وبركة الدعاء والسلام تصل إلى أرواح المدعو لهم والمسلم عليهم سواء أكان ذلك عند القبر أم بعيداً عنه، ومن أدعية التشهد المشهورة: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، ذكره الهادي عليه السلام وغيره، ولم يشرع ذلك إلا وهو يصل إلى المسلَّم عليهم، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما معناه: ((من قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت كل عبد صالح في السموات والأرض))،

والمعروف عن علماء أهل البيت عليهم السلام أوليهم وآخريهم أنهم يقولون عند ذكر الأئمة أو الإمام: عليهم السلام، أو: عليه السلام.

- وللزيارة لمضاجع أولياء الله الصالحين فوائد غير وصول الدعاء والسلام، هي:

١- تعريض الزائر لثواب الزيارة، وثواب تجشم المتاعب في السفر، وذلك فائدة للزائر، وهي غير الفائدة التي تصل إلى الميت.

٢- إظهار فضل صاحب القبر للناس والإعلان عن كرامته عند الله ومنزلته لديه، وإحياء ذلك بين الناس إن كانوا قد نسوا مكانته، أو المحافظة على حياة مكانته إن لم يكونوا قد نسوها، فإن عوام المؤمنين يستدلون بما يرون من الزيارات على فضل المزور ومكانته عند الله.

وإذا كان صاحب القبر إماماً في الدين وقدوة يقتدى بها؛ فإن متابعة الزيارات لقبره وكثرة الزوار له توثق الاقتداء به، وتقوي عزائم المقلدين له، وتشد رابطة التقليد بينهم وبينه.

٣- وفي الزيارة ما يقوي صلة الخلف بالسلف ويربط الماضي بالحاضر، مع ما في ذلك من استحضار حياة المزور، وما لقي في حياته، وما وصل إليه من المكارم، وما قدمه للناس من المنافع، وفي استحضار ذلك ما يحرك دواعي النفس إلى السعي إلى مثل ما سعى إليه والوصول إلى ما وصل إليه.

٤- وفيها تعظيم للمزور، وهو فائدة أخرى يؤجر الزائر عليها، وعبادة ثانية يثاب عليها.

٥- وفيها الإرغام للأعداء، وإدخال الأذى عليهم بما يرون من تعظيم المزور وإظهار فضله.

وهذا بالإضافة لما في زيارة القبور عموماً من العظمة والاعتبار ((فإنها تذكر الآخرة)).

الجواب الرابع:

حياة البرزخ هي حياة روحية تختص بها الروح، وليس للجسد فيها نصيب، وكل أولياء الله المؤمنين شهداء، وقد وصفهم الله تعالى في سورة الحديد بأنهم صديقون وشهداء، وفي الحديث: ((ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً)).

وقد ذكر الهادي عليه السلام أن من مات على فراشه وله نية صادقة في نصرة أولياء الله فإنه كالمتشحط بدمه في سبيل الله.

وقد ثبت أن الراضي بعمل قوم شريك في عملهم، وفي الحديث: ((أنت مع من أحببت))، وعن علي عليه السلام: (لقد شاركنا في هذه الحروب رجال لم يرعف بهم الدهر بعد) هذا معنى الرواية، وهي في نهج البلاغة.

وعلى هذا فالمؤمنون كلهم شهداء، وإن كان للمتشحط بدمه في سبيل الله مزية، هذا ما تفيده الأدلة.

الجواب الخامس:

الظاهر أنها تلتقي أرواح الصالحين بعد موتهم سواء أتقاربت مضاجعهم أم تباعدت، ودليل ذلك الروايات التي ذكرتها في ديباجة السؤالات.

وتلتقي الروح المؤمنة بمن كان يحب، ولا شك أن المؤمن يحب المؤمنين من كل قريب وبعيد، من يعرف ومن لا يعرف، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، والمشهور عن عمار أنه قال يوم قتله:

اليوم ألقى الأحبة ... محمداً وحزبه

- وفائدة محبة المؤمن لقبره عند قبور الصالحين هي ما يرجوه من بركة قربهم، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم.

الجواب السادس:

قد ذكرنا فيما تقدم أن الدعاء والسلام يصل إلى روح الميت، ولو من بُعْدٍ، وذكرنا دليل ذلك.

ولا تستوي زيارة علي عليه السلام والسلام عليه من عند قبر الهادي عليه السلام وزيارته والسلام عليه من عند رأس ضريحه، وإن كان يصله الدعاء والسلام من هنا وهناك- وذلك لما ذكرنا سابقاً من حصول ما يحصل من أسباب الثواب والفضل لمن يزور ضريح المؤمن من قرب؛ فارجع إلى ذلك.

الجواب السابع:

للتفكير في مكان القبر فائدة وإلا لما فكر الحسن عليه السلام في المكان الذي يقبر فيه، ولما أوصى بأن يقبر في جوار جده، فإن لم يتهيأ ذلك فليقبر في جوار أمه.

وفي الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قبر عثمان بن مظعون أعلم قبره بحجر كبيرة وضعها عند رأسه ثم قال: ((لأقبر إلى جنبه من يموت من أهلي)) هذا معنى الرواية وهي مشهورة متداولة.

قد يقال:

- إنه يُرى أو يُسمع العذاب في قبور بعض المجرمين، واشتهر ذلك على طول التأريخ.
- كما أنه يحصل حول قبور بعض أولياء الله وفوقها آياتٌ تدل على تكريم صاحب القبر وتعظيمه، وذلك يدل على أن لروح صاحب القبر وجوداً بالقرب من القبر أو بداخله.

فيقال في الجواب:

قد دلت الأدلة على أن الروح لا تعود إلى جسد الميت بعد خروجها منه إلا يوم البعث والحساب مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون].

وبناءً على ذلك فما يُرى ويُسمع في القبور أو عليها أو حواليها من أمارات كرامة الميت، أو أمارات عذابه- إنما هي ألطاف للأحياء، وتنويهٌ بمكانة صاحب

القبر عند الله، وتشهير بفضله، أو بعظيم جرمه؛ فيزداد المؤمنون بما يرون من الكرامات على قبور أوليائه يقيناً وبصيرة، ويرتدع المجرمون بما يرون من أمارات النكال عن ارتكاب الجرائم، ويدعوهم ذلك إلى التوبة والاستغفار.

وإظهار كرامة صاحب القبر للناس هو من جملة الثواب لصاحب القبر، وقد جعل الله تعالى الذكر الحسن للميت في الدنيا ثواباً عاجلاً كما حكى الله تعالى عن إبراهيم قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء]، ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴿٤١﴾﴾ [مريم]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى...﴾ [مريم:٥١]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ...﴾ [مريم:٥٤]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ...﴾ [مريم:٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات].

فإن قيل: كيف يكون ما ذكرتم ثواباً مع أن صاحب الثواب ميت لا يدرك ذلك الثواب ولا يلتذ به، ولا يتنعم فيه؟

فيقال: ثواب الدنيا يتقاضاه الأولاد والذراري بعد موت صاحبه، فهم بمنزلة الأب، وحكم الأب حكمهم في هذا الباب بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣].

وفي الحديث: ((حربهم حربي، وسلمهم سلمي))، ((أحبوا أهل بيتي لحبي))، وقوله ﷺ في حديث زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام على تباعدها وتفرقها: ((يريدون بذلك بري وصلتي...إلخ))، وحديث: ((من أحبهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني...))، والحديث في هذا الباب كثير.

وبعد، فإن المرء يحب الخير لذراريه ويسعى في حياته إلى فعل الأسباب التي يترتب عليها حصول الخير لهم بعد موته، ويحرص كل الحرص على تحقيق ذلك لهم، ويسعى في دفع أسباب الشر عنهم.

فإذا تحقق ذلك، ورتب لهم ما هنالك من أسباب، وأحكم تأسيسها فرح وامتلأ غبطة وسروراً، وقد يكون ما يحصل في المستقبل من الخير لذرية الرجل أقر لعينه مما لو حصلت له في حياته، بل إنه قد يقدم سرور ذراريه وسعادتهم المقدرة في المستقبل بعد موته على سرور نفسه وسعادتها في حال حياته، ويؤثرهم بذلك على نفسه.

- ولا يبعد أن الله سبحانه وتعالى يطلع الأرواح الزكية على ما أعطاها بعد موتها في أهل الدنيا من الذكر الحسن والثناء الجميل والشرف العظيم والشهرة والمنزلة.
- أما يوم القيامة فسيطلع الله تعالى أولياءه الصالحين على ما امتن به عليهم في الحياة الدنيا من بعد موتهم من الثناء الحسن والشرف الرفيع والتعظيم والرفعة؛ لأن ذلك من جملة ثواب المؤمنين، ولا شك أن المؤمن سيستر إذا علم بما جرى له من بعد موته في الحياة الدنيا من حسن الذكر والشرف العظيم، والكرامات التي أظهرها الله تعالى على قبره و...إلخ.
- كما أن المؤمن سوف يسترُّ يوم القيامة إذا علم أن الله تعالى أخزى عدوه في الدنيا، وأناله فيها أنواع العذاب.
- ومما يدل على أن الذراري في باب الثواب بمنزلة أبيهم: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢].

قواعد وأحكام

[دفع الضرر عن النفس]

دفع الضرر عن النفس واجب عقلي مع الاستطاعة، سواء أكان الضرر معلوماً أم مظنوناً، أم مشكوكاً فيه، ونعني بالمشكوك فيه أن يستوي تجويز حصوله وعدم حصوله.

أما الضرر الموهوم وهو الذي يكون تجويز حصوله أقل من (٥٠ في المائة) فالعقل يحبذ الاحتراز عنه والاحتياط له، ولا يوجبه إيجاباً.

إذا أخبر مخبر بما فيه خطورة على السامع فيجب عليه النظر في ذلك، ولا يجوز له الإعراض والتكذيب من أول وهلة، هكذا يحتم العقل على العاقل.

الاحتياط والحذر:

الاحتياط والحذر واجب في الجملة، ويتأكد وجوبه على ولاة الأمور، فلا يجوز اتخاذ قرار الدخول في حرب أو في معركة إلا بعد النظر فيما يترتب على الدخول فيها من نتائج إيجابية وسلبية، وبعد النظر فيما سيحصل من العوارض والاحتمالات، ثم الإعداد لدفع ما يتوقع حصوله من ذلك.

العقل

العقل قوة مدركة إدراك تمييز بها يميز العاقل بين الحق والباطل، والحسن والقبيح، ويهتدي به إلى طرق الاستدلال والفاسدة، ومعرفة النتائج المترتبة على الاستدلال، وينتقل به من المحسوس إلى ما وراء المحسوس، ومن الجزئيات إلى الكليات، وبه يكتشف العاقل أسرار المادة، وما أودع الله تعالى فيها من المنافع للناس.

وظيفة العقل

وظيفة العقل التي يتحتم على العاقل أن يسخره فيها هي: جلب المنافع لصاحبه ودفع المضار عنه، وأول ما يتحتم عليه شكر المتفضل على العاقل بنعمة الخلق والعقل والسمع والبصر و...إلخ- ليستجلب بذلك المزيد من نعمة المنعم، ويدرأ بالشكر مضار كفران النعمة؛ إذ لا خفاء عند العقلاء أن كفران نعمة المنعم سبب داع إلى سلب النعمة عن الكافر، وأنه معرض لسخط المنعم.

فإن قيل: كيف يهتدي العقل إلى ذلك؟ ومن أين له أن يعلم ذلك؟

فيقال: العقل يهتدي إلى وجوب شكر المنعم بفطرته، ويدرك ذلك ببادئ فكرته من غير عناء نظر وإجالة فكر، بل إن الكثير من الحيوانات تدرك شيئاً من

ذلك، وتفرق بين من أحسن إليها وبين من أساء إليها، فتتعامل مع المحسن معاملة حسنة، بل إن بعض الحيوانات تضحي بحياتها في سبيل المحسنين إليها.

فإن قيل: إن خالق العقل جل جلاله غني غير محتاج، لا ينفعه شكر من شكره، ولا يضره كفر من كفره.

فيقال: إن السبب الباعث للشكر والداعي إلى وجوبه هو حصول النعمة عند العبد من غير نظر إلى غنى مسديها أو حاجته، بل إن غناه أدعى إلى وجوب الشكر وأدخل في تحتمه، أما إذا كان المنعم محتاجاً فربما كان إنعامه على المرء لطلب المكافأة والرد بالمثل أو أكثر فيكون ذلك من باب المعاملة، ولا يخرجها ذلك من باب الإنعام المستدعي للشكر، إلا أنه لا يكون مثل الذي يعطي لمجرد الإحسان والإنعام.

وحينئذ فما ذكر من غنى المنعم وعدم حاجته ليست سبباً في عدم وجوب الشكر، ولا مانعاً من وجوبه.

العقل البشري آية من آيات الله

العقل أثر عظيم من آثار قدرة الله، وآية من آيات علمه وحكمته، له قدرات غير محدودة، وفيه سعة واسعة لا يضيق بها فيه، بل يتسع ويزيد، ويتطور، وبقدرات العقل وطئ الإنسان بقدمه سطح القمر، وغزا الكواكب التي تدور حول الشمس، وبقدراته طار الإنسان في السماء، وغاص في قعور المحيطات والبحار، وبواسطته تقدم البشر في صناعة وسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية ووسائل الاتصالات المسموعة والمرئية، ووسائل الإعلام بأنواعها الكثيرة المرئية والمسموعة، وفي صناعة الذرة، وفي مختلف المجالات في الطب والهندسة والعمران والكيمياء والفيزياء، وفي المجال الحربي والسلمي، وإلى آخر ما نرى ونسمع من تطور الصناعة والحضارة؛ فإن كل ذلك ناتج عن قدرات العقول البشرية ونظرها في أسرار المادة التي أودعها الله تعالى في مخلوقاته.

- ما ذكرنا هو دليل على عظمة العقل البشري وقدراته في اكتشاف أسرار المادة وتطوير الصناعة، وتوفير أسباب السعادة الدنيوية، وفي ذلك آية بينة على عظمة

خالق العقل، وسعة علمه وقدرته وحكمته.

- وله مجال آخر غفل عنه البشر ولم يفتحوا بابه، وقد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام ليوقظوا الناس عن غفلتهم، ويفتحوا عيون قلوبهم إلى هذا المجال، وهذا المجال هو مجال العلم بالله وبجلاله وعظمته وقوته وقدرته والعلم بكتبه ورسله وملائكته، والعلم باليوم الآخر، وما فيه من حساب وجزاء وثواب وعقاب، ونعيم وجحيم.

فدعا الله تعالى العقول للنظر في هذا المجال ليتعرفوا على أسباب السعادة في الدار الآخرة، فيكونوا بذلك قد جمعوا بين السعادتين الدنيوية والأخروية.

وقد أراد الله تعالى من البشر فيما ابتكروه بعقولهم وتوصلوا إليه بنظرياتهم من أسباب السعادة في الدنيا أن يكون سبباً وطريقاً يوصلهم إلى السعادة في الدار الآخرة، ولكنهم أساءوا في فهم ذلك وفي استعماله، فجعلوا من ذلك التطور سبباً للفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل والتدمير والخراب: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧﴾ [الروم].

- **نعم،** وظيفة العقل التي خلقه الله تعالى من أجلها بالدرجة الأولى هي أن يكون وسيلة لصاحبه إلى الإيمان بالغيب، والمراد بالغيب هو ما وراء المادة المحسوسة.

والذي وراء المادة هو خالق المادة، ومعرفة ما له من الجلال والكمال والقدرة والعلم، وما يستحق من التسبيح والتقديس والشكر والمدح والثناء على آثار رحمته وسعة نعمته وعمومها في مخلوقاته، ومعرفة ما توجبه حكمته فيما خلق من البعث والحساب ومجازاة المحسنين وعقاب المسيئين، والعدل والإنصاف بين الظالمين والمظلومين.

- وقد بث الله تعالى في المحسوسات المادية المبثوثة في السماوات والأرض ما يدل دلالة واضحة للعقول على كل ذلك الغيب الذي حتم الله على أهل العقول الإيمان به والتصديق له.

وعزز ذلك بأن بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام ليدعوا العقلاء إلى الإيمان به، وأنزل لهم الكتب وبين لهم فيها الحجج البينات والآيات المبصرات، وصَرَّف لهم الدلالات، ونَوَّع لهم البراهين، وأوقفهم فيها على ما يزيح الشك وينفي الريب حتى لا يبقى لهم حجة، وحتى تنقطع معاذيرهم، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت].

- وهذا العلم بالغيب الذي ذكرنا هو وظيفة العقل الواجبة عليه التي شدد الله تعالى في إيجابها وحتميتها، ولم يرخص فيها بل فرضها على أهل العقول فرضاً، وحتمها عليهم حتماً، وأكّد وشدَّد، ووعد وتوعد، وكرر الأمر بها وردّد، و...إلى آخر ما ذكر الله في القرآن، وثنّى وفصل وبيَّن، وأجمل وفصل، وخص وعم؛ تشديداً منه جل وعلا في الإيجاب وقطعاً للمعاذير ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال].

- أما نظر العقول في أسرار المادة، واستخراج منافعها المادية والانتفاع بها في شؤون الحياة الدنيا- فلم يحتمه الله ولم يوجبه، ولم يحرمه، بل أباح ذلك لعباده: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ [الأعراف:٣٢]، ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ [البقرة:٢٩]، ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا..﴾ [المؤمنون:٥١].

ومن فضل الله على عباده أن سخر لهم الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والبحار والرياح والسحاب، وسخر الأنعام وذللها، ومهد لهم الأرض وسخرها، وأنزل لهم الحديد ومعادن الأرض، ويسر لهم التقلب في الأرض وعلى مناكبها، و...إلخ، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم].

- دلالة ما ذكرنا على الخالق الحكيم وعظمته وجلاله وعموم فضله ونعمته واستحقاقه للشكر والعبادة دون ما سواه هي دلالة واضحة لا تحتاج إلى

إعمال الفكر وإجهاده، بل يدركها العقل بفطرته وببادئ فكرته.

- وأما دلالة ذلك على اليوم الآخر والحساب والجزاء فمن طريقين:

١- الطريق الأولى: دلالتها على إمكان البعث للأموات، وهذه الدلالة واضحة للعقول أيضاً، وقد قال الله تعالى في الرد على من استبعد بعث الأموات في آخر سورة «يس»: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.. إلى آخر سورة يس.

٢- الطريق الثانية: دلالتها على حتمية البعث والحساب والجزاء، وأنه حق لا بد من وقوعه؛ فإن دلالتها على ذلك تحتاج إلى إعمال الفكر ومزيد من التأمل، وقد نبه الله تعالى ذوي العقول، ولفت عيون بصائرهم إلى الطريق التي إن مدوا إليها بصائرهم وسرحوا فيها أبصارهم وصلوا إلى الإيمان بحتمية البعث والجزاء، فقال جل شأنه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الدخان]، ونحو هاتين الآيتين في القرآن كثير.

فإن العاقل إذا سرح فكره في الحياة الدنيا، وتأمل في حوادثها حق التأمل- يجزم بعقله أنه لا بد من حياة أخرى تكون امتداداً لهذه الحياة الدنيا، ومترتبة عليها.

كيفية النظر وترتيبه

يتدرج الفكر في التأمل على هذا النحو:

١- تدل الآيات المبثوثة في الكون بما فيها الإنسان والحيوان على خالق قدير عليم حكيم غني حميد، ليس كمثله شيء سميع بصير، وأنه المالك للسماوات والأرض وما بينهما، القابض الباسط الرازق المحيي المميت، الحي القيوم العلي العظيم، وأنه قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً،

لا يظلم ولا يجور ولا يفعل القبيح، وأن أفعاله كلها حسنة، وأنه لا يريد الفساد ولا يحب المفسدين... وإلى آخر ما يتضمنه بابا التوحيد والعدل مما يتوصل إليه الفكر حسب ما يذكر في كتب أصول الدين.

هذه هي أول خطوة وأول درجة.

٢- الخطوة الثانية: يعلم مما سبق الخطوة الأولى أن الله عليم لا تخفى عليه خافية، وأنه حكيم بمعنى أن أفعاله كلها أفعال حكمة فلا يخلق أي خلق إلا لغرض ومصلحة وحكمة وأنه غني لا تلحقه الحاجة لذاته، فإذا استيقن الفكر ذلك وتحققه واستحكم عنده علمه، ثم سرح فكره في خلق السماوات والأرض وما بينهما، وفي خلق البشر، وما هم عليه من التفاوت في الأعمار والأرزاق، والقوة والضعف، والأمن والخوف، وما هنالك من التظالم والعدوان، وقتل الأطفال والنساء والرجال، وسلب الأموال، وانتهاك الأعراض، ودوس الكرامات، والسجون والتعذيب، والقهر والاستعباد، وإلى آخر ما يوجد ويحصل على الدوام بين الأمم والجماعات والأفراد.

هذا من ناحية ما يحصل من البشر من بعضهم، ومن ناحية ما يحصل من الله تعالى من الأمراض، واخترام الأعمار، فنرى المولود يولد عليلاً، ثم تسوقه علته إلى الموت بعد سنة من مولده أو أقل أو أكثر، وترى الموت يخترم الطفل المعافى قبل بلوغه أو بعد بلوغه، فمنهم من يبلغ سن العشرين ثم يخترمه الموت، ومنهم من يبلغ الثلاثين أو الأربعين أو الثمانين ثم يخترمه الموت، ومنهم من يستولي عليه البلاء أكثر عمره ثم يموت.

فإن الفكر إذا أطال التأمل والنظر فيما عليه البشر في حياتهم وأطال تأمله لما ذكرنا مع استصحابه للعلم بحكمة الله وعلمه وغناه وعدله- يجزم بحتمية حياة أخرى مترتبة على هذه الحياة الدنيا، يجازى فيها المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، وينتصف الله فيها من الظالم للمظلوم، وتسوي فيها الأعواض و...إلى آخره.

وذلك أن الفكر حين وقف عند قول من يقول: إن الحياة الدنيا تنتهي بالموت وأنه لا حياة بعد الموت كما يقوله المشركون: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام] وجد أن الحكمة تَقْتَضي حياة أخرى لخلو مشوار الحياة الدنيا من الحكمة والعدل والإنصاف والمجازاة، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الحجر:٨٥]، أي: أن الله تعالى خلق ذلك لحكمة بالغة وغرض عظيم، وهذه الآية ونحوها جواب على المشركين المنكرين للبعث والحساب من حيث أن إنكارهم للبعث والحساب متضمن لنسبة الخالق جل وعلا إلى العبث واللعب في خلقه للسماوات والأرض وما بينهما.

وذلك من حيث أن الحياة الدنيا انتهت بموت المحسن والمسيء، والظالم والمظلوم، والقوي والضعيف، والآمن والخائف، والجبار العاتي والمستضعف العاني، والساجن والمسجون، والمفسد في الأرض والمصلح، والمعافى والمبتلى، و.. و...إلخ، مع العلم أن الله تعالى -وهو الحكيم العليم الغني- هو الذي أعطى الظالم القوة ومكنه من آلات الظلم، وخلى بينه وبين المظلوم ولم يمنعه منه، ولم يَحُل بينه وبينه مع قدرته على ذلك، ومع علمه بما يفعله الظالم، ومع غناه عما هنالك من الظلم، وهو سبحانه هو الذي أعطى المتكبر المال ومكنه من التسلط، وهو الذي أفقر الفقير وصرف عنه الأموال وزواها عنه، وحال بينه وبين القوة والتسلط.

وهو سبحانه وتعالى هو الذي ابتلى أهل العلل والأمراض وألحق بهم الآلام، وهو الذي يخترم الآجال، ويؤلم الأطفال، وهو الذي يخلي بين ما يؤذي من الهوام والسباع وبين الناس، ويخلي بين المخاوف وبين الناس، وهو الذي يسلط الجوائح والمصائب على الناس، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴿٤٨﴾﴾ [النجم].

وعلى الجملة فيصاحب المرء منذ مولده وإلى وفاته أنواع من البلاوى والأذى والآلام، والأحزان والهموم، والمخاوف والقلق، وأنواع من المصائب في الأبدان والأولاد والأموال، ومعاناة عريضة من شدائد الفقر والحاجة والخوف، والبأساء والضراء، وكل ذلك في أعمار قصيرة.

يخلق المرء ضعيفاً فينشأ ويترعرع، ويصاحبه الضعف إلى أن يدخل في السبع الثالثة من عمره؛ فيشتد عوده ويستغلظ ساعده، ويكون في أقوى قوته، ثم يتدرج في عمره بقوة بدنه إلى أن يصل الأربعين من عمره، ثم تخف قوته شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ منتهى عمره، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم:٥٤]، وقال: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس:٦٨]، فيموت الناس الظالم والمظلوم، والغابن والمغبون، و...إلخ، وهاهنا يقف الفكر متحيراً يفتش عن الحكمة والسر المكتنفة لهذه الحياة الدنيا التي تنتهي بالموت فلا يجد لها أثراً.

وهذا مع أن الفكر قد استيقن أن خالق هذه الحياة الدنيا غني غير محتاج إلى مخلوقاته، وعليم حكيم لا يصدر منه العبث واللعب، وأن أفعاله كلها حسنة مبنية على العدل والحكمة؛ لذلك فإن الفكر بعد إمعان النظر وطول التأمل يقضي بحتمية حياة أخرى تبتني على هذه الحياة الدنيا تظهر فيها الحكمة من الخلق الأول، وينكشف السر الذي من أجله خلق الله الحياة الدنيا.

قال الله تعالى مخاطباً منكري البعث والجزاء: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى۝٣٦﴾ [القيامة]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ۝١١٥﴾ [المؤمنون]، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ۝٣٦﴾ [القلم].

والقرآن الكريم مليء بمثل هذا الاستدلال، ولا سيما السور المكية.

يستنكر الله تعالى على المشركين إنكارهم للبعث والجزاء؛ لما يلزم منه من نسبة العبث إلى الله واللعب في خلق ما خلق في هذه الحياة الدنيا، ولما يلزم من المساواة

بين المحق والمبطل، والظالم والمظلوم، والمسلم والمجرم، والشاكر والكافر، والمبتلى والمعافى، والغني والفقير، و...إلخ.

ولا يخفى أن ذلك يبطل حكمة الخالق الحكيم، وينقضها، ولا يصير -تعالى وتقدس- ظالماً وعابثاً ولاغياً، وذلك قبيح يتعالى الحكيم الغني العليم عن فعله.

يوضح ذلك: أن الله تعالى غني غير محتاج إلى ما خلق في الحياة الدنيا، وهو تعالى عالم بأنه غني غير محتاج وهو بكل شيء عليم، وإذا كان عز وجل غنياً وعالماً، فلا يصدر منه أي فعل إلا بداعي الحكمة، أما فعل ما لا حكمة فيه فلا يصدر إلا عن الجاهل أو الغافل أو المحتاج.

ومن جهة أخرى نقول: خلق الله تعالى الإنسان على ظهر هذا الكوكب الأرضي، وسخر له الشمس والقمر والليل والنهار والكواكب، وسخر البحر والرياح والسحاب، وسخر له الحيوان والهواء، وأنزل له بركات السماء، وأخرج له بركات الأرض، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، وأعطاه القوة في بدنه وفكره وحواسه جعل له الحرية والسيطرة في الأرض، مع أنه تعالى ليس بمحتاج بشيء من ذلك، وليس له تعالى منفعة في شيء مما خلق.

ثم إنه تعالى مع ذلك يميت ويحيي، يذهب بأمة ويأتي بأمة، ويصطلم قوماً ويأتي بآخرين، ويعاقب الأجيال، ويأتي بخلف بعد سلف.

لا يعيش المرء في حياته على ظهر هذا الكوكب أكثر من سبعين عاماً في الأغلب ثم يموت ويخلفه غيره وهكذا؛ فالحكمة ظاهرة في خلق الشمس والقمر والليل والنهار و...إلخ، وذلك ما يحصل من النفع للإنسان، ولكن ما هي الحكمة في خلق الإنسان الذي ينتفع على ظهر هذه الأرض بما خلق الله فيها؟

إن الفكر حين يرى حياة المرء تنتهي بالموت في هذه الحياة الدنيا قبل أن تظهر الحكمة المترتبة على خلقه يجزم ويقطع بحتمية حياة أخرى تظهر فيها الحكمة من خلق الإنسان.

زيادة إيضاح

١- بعد معرفتنا لعدل الله وحكمته وعلمه وغناه- نعلم أن الله تعالى لم يخلق الإنسان ليفسد في الأرض ويسفك الدماء، ويظلم الناس، وينتهك الأعراض، وينتهب الأموال، حتى إذا بلغ منتهى عمره يتوفاه الله.

٢- ولم يخلق المظلوم لهتك عرضه، ونهب ماله، وجلد ظهره وبطنه، وقتل أهله وأولاده، ثم إزهاق روحه تحت أقدام الظالمين؛ فإن العقل يجزم بأنه لا تظهر حكمة في خلق الظالم والمظلوم إذا كان الموت هو النهاية، بل إن خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا يكون حينئذ عبثاً وباطلاً، ولعباً وظلماً قبيحاً، تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.

وقد أدرك ذوو العقول الزاكية في الجاهلية حتمية البعث بعد الموت للجزاء والحساب من قبل أن تبلغهم دعوة الرسل عليهم السلام فروى نقلة الأخبار ذلك عن الزبير بن عبدالمطلب، وعن قس بن ساعدة الأيادي وغيرهما.

ثم جاءت رسل الله عليهم السلام بتأكيد البعث والجزاء والحساب، وتهويل أمره، والتخويف منه، والإنذار بقدومه، والتوصية للناس بالاستعداد له، واتقاء مخاوفه، وقد كثر في كتاب الله الكريم ذكر ذلك، ولا سيما في السور المكية.

وما ذكر في القرآن في هذا الباب جاء إلى العقل، وصدم الفكر من ثلاث طرق:

الطريق الأولى: بيان قدرة الله على إحياء الموتى؛ لأن المشركين استبعدوا إحياء الموتى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا...﴾ الآيات [يس]، وقد نوع الله الحجج والآيات في هذا المجال.

الطريق الثانية: ضرورة البعث والحساب، ضرورة تقضي بها الحكمة والعدل، وتنزيه الله تعالى وتقديسه عن ترك ذلك لما فيه من اللعب والإخلال

بالعدل والحكمة، وقد فصلنا هذه الطريق فيما سبق، وقد أكثر الله من تصريف الدلالات وتفصيلها في القرآن الحكيم في هذا الباب مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المؤمنون]، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ...﴾ [آل عمران:١٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝٢٧ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۝٢٨ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٢٩﴾ [ص]، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾ [الدخان]...إلى غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة إلا أنها تحتاج إلى فضل نظر وتأمل.

الطريقة الثالثة: هي أن العقل يقضي بوجوب الحذر وأخذ الحيطة عند سماع النذير بإقبال خطر مهلك يتوقع حصوله وإحاطته بالناس؛ فالعاقل يأخذ حذره ويحتاط لنفسه، ولا سيما إذا كان المخبر من أهل الصدق، وعلى هذا الطريق جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠﴾ [الأحقاف]، فبهذه الآية نبه الله ذوي العقول، وأيقظهم من غفلتهم فإن العاقل إذا سمع النذير يأخذ بالحيطة ويبادر إلى أسباب الوقاية.

أما الذي يتجاهل النذير، أو يستخف به، أو يكذبه، ولا يتبين خبر النذير، ولا يأخذ حذره ولا يحتاط- فإنه ظالم لنفسه سيئ التدبير، جاهل، خارج عن

دائرة العقلاء، يستحق الذم واللوم عندهم، ومن هنا قال مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر].

وقد نظر الشاعر إلى هذه الطريق في قوله:

قال المعلم والطبيب كلاهما ... لن يبعث الأموات قلت إليكما

إن كان قولكما فليس بضائري ... أو كان قولي فالوبال عليكما

- وحينئذ فالحازم هو الذي يأخذ حذره ويحتاط لنفسه في التوقي لخطر يوم القيامة، حتى ولو لم يحصل له إلا الظن بوقوعه.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة].

- وقد وصف الله تعالى المعرضين عن إنذار الرسل عليهم السلام بقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان:٤٤].

- وفي هذه الطريق الثالثة كفاية كافية لإيقاظ العقول وتنبيهها إلى الخطر العظيم الذي ينتظرها، وقد اكتفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الطريق الثالثة في أول بلاغ صدر منه صلى الله عليه وآله وسلم إلى قريش حين جمعها فقال لهم صلى الله عليه وآله وسلم ما معناه: ((إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)).

وقد أكثر الله تعالى في القرآن من نحو قوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾﴾ [الليل]، وقوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم:٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل].

وقوله: ﴿الْقَارِعَةُ۝١ مَا الْقَارِعَةُ۝٢﴾...إلى آخر السورة [القارعة].

وقوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١].

وقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ۝١﴾ [القمر].

وقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ۝١﴾...الآيات [التكوير].

وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ۝١﴾...إلى آخر السورة [الانفطار].

وعلى الجملة فالسور التي نزلت بمكة تتركز حول التوحيد ونفي الشركاء، والإنذار والتخويف من العذاب الذي أعده الله في الدار الآخرة.

- ومن الغريب أن المشركين «قريشاً» قابلوا الإنذار بالتكذيب والاستهزاء من غير نظر وتأمل فيما أنذروا به، وذلك الصنيع صنيع من لا عقل له، ومن هنا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ۝١٩﴾ [الرعد]، وقال تعالى فيهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ۝١٧١﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ۝١٧٩﴾ [الأعراف].
- ومما يثير التعجب إعراض البشر عن دعوات رسل الله وأنبيائه عليهم السلام، واستجابتهم لدعاة الباطل وإقبالهم على التمسك بالخرافات، وبما توحيه الشياطين من عبادة الأصنام، وارتكاب الفواحش والآثام.
- بل إنه لم يكفهم ما هم فيه من الجهل والظلم والعدوان فجندوا أنفسهم وأموالهم في محاربة أنبياء الله ورسله عليهم السلام، والتفاني في إطفاء نور الله وطمس دعوة الرسل عليهم السلام.

الفناء

الذي يظهر –والله أعلم– من الفناء قبل البعث هو فناء الأحياء من الملائكة والجن والإنس والحيوانات، وتفتيت الأرض والجبال وما فيها، وخراب السماوات ونجومها وكواكبها وشموسها وأقمارها، وذهاب الليل والنهار، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وليس المراد فناء ذلك

الفناء المحض والعدم المطلق، لما ذكر الله تعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم أن الناس سيبعثون يوم القيامة من قبورهم، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج:٤٣].

[كيف يحاسب الناس يوم القيامة]

كتب سلمان الفارسي يسأل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يحاسب الناس يوم القيامة؟ فوقَّع في الكتاب: (يحاسبون كما يرزقون). انتهى.

قلت: في هذا دليل على أن حساب الخلائق يتم في وقت واحد كما يرزقهم تعالى في وقت واحد.



مبحث هام عن الزيدية وأصولها

الزيدية

هذه النسبة يراد بها كل من يوافق الإمام زيداً عليه السلام في عقيدته (أصول الدين)، كما يقال: الأشعري هو من يوافق أبا الحسن الأشعري في عقيدته.

أما فروع الدين الفقهية فقد اتفق رأي الزيدية قديماً وحديثاً على جواز وصحة تقليد أي إمام من أئمة الزيدية، أو أي عالم من علمائها المجتهدين، فلا حرج على الزيدي في أن يقلد عالماً من علماء عصره المجتهدين، بل إنهم قد قرروا أن تقليد الحي أولى من تقليد الميت.

وذلك لأن الزيدية فتحت باب الاجتهاد لكل من يستطيع الاجتهاد، وأوجبت على المجتهد أن يعمل باجتهاده، وحرمت عليه أن يقلد غيره مع تمكنه من الاجتهاد.

إذا عرفت ذلك، فإن الذين يقولون: إن نسبة الزيدية إلى زيد غير صحيح وإنما هم هدوية لتقليدهم الهادي- هم واهمون في ذلك، فإن النسبة إلى زيد هي كما قلنا أولاً يراد بها نسبتهم إليه في أصول الدين، وتماماً كما يقال: الأشعري نسبة إلى أبي حسن الأشعري لمن يتبعه في أصول الدين، فيقال له: أشعري، وإن كان مقلداً في الفروع لأبي حنيفة أو للشافعي أو لمالك أو....إلخ، ولا يخرجه ذلك من صحة النسبة للأشعري.

[الإمامة عند الزيدية]

سؤال: يوجه بعض أهل المذاهب النقد على مذهب الزيدية في الإمامة فيقولون: كيف يصح لنا أن نثق بأئمة الزيدية ونحن نرى أكثر من إمام في العصر الواحد يتنازعون الإمامة ويختلفون عليها وقد يؤول اختلافهم إلى القتال؟

الجواب ومن الله التوفيق: أن السؤال والاعتراض إن كان من الإمامية؛ فالجواب عليهم:

- أن الأدلة التي روتها الأمة وأجمعت على صحتها مثل حديث الثقلين دلت على أن أهل البيت هم خلفاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والقائمون مقامه و...إلخ، وادعت الإمامية التنصيص بالإمامة على اثني عشر إماماً مسمين بأسمائهم آخرهم محمد بن الحسن العسكري الذي ولد واختفى على حسب قولهم في منتصف القرن الثالث، ثم لم يأتوا على دعواهم بدليل قاطع، وإنما يستندون إلى روايات رووها وحدهم دون غيرهم.

فرددنا عليهم دعواهم، وتمسكنا نحن الزيدية بالأدلة التي أجمعت على صحتها الأمة، ولم نلتفت إلى قول الإمامية لخلوه عن الحجة والبرهان.

- وحينئذ فلم يبق بعد ذلك إلا أن ندين بإمامة أهل البيت إلى يوم القيامة، والمراد بإمامة أهل البيت إمامة علمائهم، فمن نصبه علماؤهم إماماً وشهدوا له بالإمامة ودانوا له بالطاعة فهو الإمام الذي أوجب الله طاعته.

- وكان الواجب على المؤمنين الالتفاف تحت رايته وأن يدينوا الله بولايته وإمامته؛ فإلى هذا المساق ساقتنا الأدلة التي أجمعت على صحتها الطوائف المختلفة ولم نر بداً من التسليم لها والوقوف عندها.

- ولا يخفى أن الزيدية لا تدين بإمامة الإمام من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلا إذا كان شاغلاً للفراغ الذي كان يشغله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في باب الولاية من العلم الوافر والتواضع والعدل والإنصاف والزهد والورع وكمال العقل وحسن الرأي والسياسة والرفق والحكم والكرم والشجاعة؛ فإذا كان الإمام كذلك وشهد له علماء أهل البيت بذلك ونصبوه إماماً فهو الإمام.

- بل إن الإمام إذا استجمع ما ذكرنا من الصفات ودعا الناس إلى بيعته فهو الإمام، ولا يشترط أن ينصبه علماء أهل البيت.

- وإنما قلنا فيما تقدم: إنه يشهد له أهل البيت بالإمامة وينصبونه إماماً من أجل وصول الناس إلى معرفة إمامته؛ لأن عامة المسلمين إنما يستدلون على إمامة الإمام بشهادة العلماء وفتاويهم ونحو ذلك.

- وإذا بايع بعض العلماء لرجل بالإمامة وبايع آخرون من العلماء لرجل آخر بالإمامة، ثم أصر كل منهما على إمامته وحصل بينهما خلافات وعداوات و...إلخ؛ فالواجب على المؤمن أن يتوقف حتى يتبين له الإمام منهما.

- فإن لم يتبين له الإمام فليتوقف، ولا يجوز له إبطال إمامة أيهما بغير حجة.

- وليس اقتتال الإمامين دليلاً على بطلان إمامتهما جميعاً وذلك:

لأن المفروض أن كل واحد منهما مستجمع لخصال الإمامة على أكمل الوجوه، لأن علماء الزيدية لا تنصب للإمامة إلا من كان كذلك، وإذا كان كل واحد منهما كذلك فالإمام منهما في الحقيقة هو الذي سبقت بيعته بيعة الآخر، وكان الإمام الآخر مخطئاً في منازعته لصاحبه.

- ثم إنه لا يحصل التنازع والقتال بين الإمامين إلا مع اعتقاد كل منهما أنه أكمل من الآخر وأجمع لخصال الإمامة، وأحسن رأياً وأوفر عقلاً وأكثر علماً وأبصر بتدبير شؤون الولاية و...إلخ.

وعلى كل حال فالذي سبقت بيعته هو الإمام، والآخر مخطئ معذور؛ لأنه يرى أنه الأكمل والأجمع لخصال الإمامة.

- وعلى كل حال فالواقع أن دعوة الإمامين واحدة ومذهبهم واحد وأصول عقائدهم وفروعها واحد لا يختلفون في مذاهبهم ولا يدعون إلى غير ما دعا إليه من قبلهم من الأئمة.

- وليس خلاف الإمامين إلا في الأحق منهما بأن يكون على رأس تلك الدعوة وذلك لا يضر بإمامة الإمام منهما، ومخالفه مخطٍ معذور.

- هذا مع ندرة القتال بين أئمة الزيدية، والذي حصل من ذلك هو بين الحسين بن القاسم العياني والزيدي، أما من سواهما من أئمة الزيدية فلم يحصل بينهم قتال، وإن كان قد حصل الخلاف على من يستحق الإمامة.

أما الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين فكان القتال بينه وبين من ليس بإمام.

وأما ما يذكر في تاريخ أئمة الزيدية من قتال فإنه يكون بين من ليسا بإمامين، أو بين إمام وبين من ليس بإمام، ولو تحرينا النظر واستقصينا البحث فيما جرى بين الزيدي وبين الحسين بن القاسم لعرفنا أن أحدهما إمام والآخر ليس بإمام.

ومن هنا يمكننا القول بأنه لم يقع قتال بين إمامين من أئمة الزيدية على الإطلاق.

[أصول الدين وأصول الفقه عند الزيدية]

ورد علي سؤال وهو أنه يقال: إن علم أصول الدين ليس من علوم أهل البيت، وإنما أخذته الزيدية من المعتزلة، وهكذا علم أصول الفقه، وإنما أخذته الزيدية من الأشعرية؛ فهل ذلك صحيح؟ وما هو الجواب؟

فأجبت بجواب شفهي في محضر عام وكانت خلاصة **الجواب:**

١- أن ذلك دعاية كاذبة يراد بها تزهيد الناس عن دراسة ذينك العلمين، وإبعادهم عن معرفة أحكام الله تعالى التي كلف بها عباده وهي:

أ- الأحكام العقائدية (أصول الدين).

ب- الأحكام العملية (العبادات والمعاملات)، ومعرفة ذلك كما ينبغي متوقفة على معرفة أصول الفقه.

٢- أن الذي أسس علم أصول الدين وعلم أصول الفقه هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن أراد معرفة صحة ما ذكرنا فليطالع كتاب «نهج البلاغة» الذي اشتمل على الكثير من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه ورسائله وحكمه، وكتاب «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، فإنه سيجد فيه تصديق ما ذكرنا.

وهذا بالإضافة إلى أن علماء المعتزلة يسندون علم أصول الدين إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأسانيدهم المتصلة إلى الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده.

وقد ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام جميع أبواب أصول الفقه في نهج البلاغة، وذكر عليه السلام أحوال الرواة الذي هو أصل علم الحديث.

٣- للإمام زيد بن علي عليه السلام كتب ورسائل في علم أصول الدين مطبوعة في ضمن «مجموع كتب الإمام زيد بن علي» ذكر فيها أعظم أبواب أصول الدين، وقد كانت كتب الإمام زيد بن علي أول ما دون وكتب في الإسلام، ولم يكن للمعتزلة في وقته كتب ولا مؤلفات، بل لم تكن المعتزلة قد ولدت ولا وجدت.

٤- علم أصول الدين موجود برمته في القرآن الكريم من أوله إلى آخره، والسبب في اختلاف علماء المسلمين في الكثير من أصول الدين هو اختلافهم في تفسير محكم القرآن ومتشابهه، واختلافهم ناشئ إما عن اختلاف أفهامهم، وإما عن الأهواء.

٥- وعلم أصول الفقه أيضاً موجود بالقوة في القرآن الحكيم؛ لأن القرآن اشتمل على العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والنص والظاهر والمؤول، والمنطوق والمفهوم، والحقيقة والمجاز، والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي، والناسخ والمنسوخ، والرخصة والعزيمة، وفرض العين وفرض الكفاية، والفرض المعين والفرض المخير، والمطلق والمؤقت، والمضيق والموسع، والأداء والقضاء، والاجتهاد والتقليد، وأن القرآن حجة، وأن أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله وتروكه حجة، و...إلخ.

- ودارس القرآن وإن بلغ من الذكاء والفطنة والحفظ ما بلغ لا يصل بذكائه وفطنته إلى مراد الله تعالى من الأحكام التي كلف الله تعالى بها عباده إلا إذا كان ذا قدم راسخ في معرفة علم أصول الفقه، وإلا تخبط في فهمه وضل عن المراد ضلالاً بعيداً.

٦- علم أصول الفقه علم ليس مقصوداً في ذاته، وإنما هو آلة يتوصل بها إلى

العلم بأحكام القرآن والسنة، ويمكننا أن نشبهه بالمنظار الذي يكشف ويوضح ما لا يمكن استيضاحه بالعين المجردة.

٧- لو كان علم أصول الفقه من علوم الأشعرية لما تقبله منها أهل المذاهب الأخرى جميعاً كالإمامية والزيدية والسلفية والظاهرية والإباضية، وهكذا علم أصول الدين لو كان من علوم المعتزلة لما تقبلته الطوائف الأخرى مثل الإمامية والزيدية والإباضية و...إلخ؛ لما بينهم من العداء.

٨- لا شك أن علماء المسلمين اختلفوا في العقائد الإلهية فقال بعضهم: إن المكلف مختار في أفعاله الطاعة منها والمعصية، وقال بعضهم: بل لا فعل للعبد في فعل طاعة أو معصية، ولا إرادة له في ذلك، بل الله تعالى هو الذي يفعل الطاعة والمعصية في المكلف بقدرته وإرادته ومشيئته، وحصل بسبب ذلك الاختلاف- مجادلات أورد فيها كل فريق ما استطاع من الأدلة والحجج، وحاول كل فريق أن يبطل ما أدلى به الفريق الآخر من الأدلة والبراهين.

٩- وهكذا كانت الخلافات بين علماء المسلمين في سائر المعارف الإلهية، فكتبت تلك الخلافات وما دار فيها من الحجج والبراهين والشبه، والردود والجوابات؛ لما فيها للناظر من الاستبصار، واستحكام معرفة الحق من الباطل، واطمئنان النفس، بحيث لا يمكن لأحد أن يلبِّس على الدارس في دينه أو يشبه عليه في عقائده.

-العلم بجميع أنواعه محمود يحسن تعلمه، ويمدح حامله بما في ذلك علم أصول الدين وعلم أصول الفقه، إلا علم السحر وعلم النجوم وعلم الكهانة، وعلماء المسلمين من كل الطوائف لا يختلفون في ذلك على طول تأريخ المسلمين وحتى اليوم، وحينئذ فلا سماع لذم من يذم ذينك العلمين، ولا عبرة بذمهم لمخالفتهم إجماع المسلمين، بل إجماع عامة العلماء.

-وقد سمعت من غير هذا السائل: إن ذينك العلمين ضلال، ويعللون ذلك

بأنهما ليسا من علوم أهل البيت، بل من علم المعتزلة وعلم الأشعرية.

ومن تعليلاتهم: أن علم أصول الفقه سبب لاختلاف الناس، وذلك من حيث أنه يوجد في علم أصول الفقه قاعدة تقول: «إن كل مجتهد من العلماء مصيب»، وهذه القاعدة تبرر الاختلاف وتحبذه وتصوبه، وتدخله في الحق، مع العلم أن الله تعالى قد نهى في القرآن عن التفرق والاختلاف.

والجواب على تعليلهم هذا: أنه كان من المفروض عليهم أن يوجهوا نقدهم إلى هذه القاعدة وحدها، ولا يعمموا نقدهم على جميع ما اشتمل عليه علم أصول الفقه، هذا هو القانون المنطقي الجاري عند العلماء.

-والمراد بتلك القاعدة عند علماء المسلمين هو تصويب المجتهدين فيما اجتهدوا فيه من المسائل التي لم يَرِد في حكمها نص من الكتاب، ولا من السنة، ولا من أهل الإجماع كالمسائل المستجدة التي لم تحدث في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما حدثت اليوم أو نحو ذلك، وذلك مثل:

١- الذي يسافر جواً من الصين إلى اليمن بعد أن صلى الظهر والعصر هناك، ثم يصل مطار صنعاء قبل دخول وقت ظهر ذلك اليوم، هل يلزمه أن يصلي الظهر والعصر حين يدخل الوقت أم لا؟

٢- كيف يصلي الصلوات الخمس المسلم الذي يكون في الدائرة القطبية الشمالية حيث تشرق الشمس ثم تغرب بعد دقائق، أو لا تزال الشمس شارقة ثم تغرب لحظات، ثم تشرق على حسب اختلاف الفصول هناك؟

٣- وكالبيع والشراء بواسطة التلفون.

٤- وكتشريح الجثث في كليات الطب، أو لمعرفة سبب الموت.

٥- وهل المغذية وضرب الإبر يفطران الصائم؟

٦- وهل يلزم صاحب مرض الربو أن يقضي الصيام إذا استعمل البخاخة؟

٧- وما هو الحكم الشرعي فيما تعمله شركات التأمين المختلفة؟

فمثل هذه القضايا تحتاج إلى نظر المجتهدين لاستخراج أحكامها من مصادر التشريع.

مكانة الزيدية ودورها في أنواع العلوم

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو إمام الزيدية، وقد كان عليه السلام هو أول من فتح للناس باب علم الكلام، وذلك كتابه عليه السلام (نهج البلاغة) الذي تنحني لبديع فلسفته إن صح التعبير جباه فلاسفة الروم واليونان، وتتصاغر أمامها فلسفتهم، ومنه عليه السلام أخذ علماء الكلام فلسفتهم الكلامية.

قال ابن أبي الحديد في ج١/ ١٧ وهو يتحدث عن ابتداء علم الكلام: ومن كلامه عليه السلام اقتُبِس، وعنه نُقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ؛ فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر تلامذته عليه السلام، وذلك أن واصل بن عطاء هو كبير المعتزلة قد أخذ العلم عن أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ علي عليه السلام.

وأما الأشعرية فإن كبيرهم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشائخ المعتزلة.

وأما الزيدية والإمامية فانتماؤهم إليه ظاهر. انتهى.

ثم قال في ص ١٨: ومن العلوم علم الفقه وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه؛ فأبو حنيفة أخذ الفقه عن جعفر بن محمد عليه السلام، والشافعي أخذ الفقه عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة...إلخ. انتهى.

ثم قال في ص ١٩: ومن العلوم علم تفسير القرآن، وعنه أُخِذ ومنه فُرِّع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك؛ لأن أكثره عنه وعن عبدالله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له عليه السلام، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخرِّيجه، وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب

هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي، والجنيد، وسَرِيّ، وأبو يزيد البسطامي، ومعروف الكرخي، وغيرهم. انتهى كلام شرح نهج البلاغة.

قلت: وصدق الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث يقول: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب)) أو كما قال.

ثم نقول بعد ذلك: إن التأريخ قد ظلم الزيدية حيث أغفل ذكرها في هذا المجال وحظها الأكبر وتقدمها وسبقها في تقرير فلسفة الكلام وقواعد الأصول وعلم الفقه والحديث والتفسير و...إلخ؛ فلا تكاد تسمع لهم في كتب التأريخ في هذا المجال حساً ولا حركة.

مميزات وفوارق

تميز أئمة الزيدية منذ عهدهم الأول (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ومروراً بمجدد الدعوة زيد بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وابنه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم إلى آخر دعاتهم وأئمتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بمميزات ظاهرة هي كما يلي:

١- العدل في الرعية في غايته القصوى، ولا يوجد ذلك في غيرهم من الخلفاء على الإطلاق، ومن أجل ذلك نقم كثير من الصحابة على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه السيرة العادلة فنكثوا بيعته، والأدلة التأريخية على ذلك متكاثرة ومتواترة.

ومن أقوالهم المشهورة: (نقدمكم في العطاء، ونتقدمكم عند اللقاء) وهكذا كانوا منذ أمير المؤمنين إلى آخر دعاتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ولم نجد هذه الميزة الكريمة لأحد من الخلفاء ولا حتى الخلفاء الأولين.

٢- تميز أئمة الزيدية بسياسة إسلامية عالية لم يسلكها غيرهم من الخلفاء على الإطلاق أيضاً، وهي التوجه التام إلى نشر العلم، ومن هنا فإنك تجد لكل إمام من أئمتهم عدة مؤلفات في مختلف العلوم الإسلامية.

وقد كان الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ يملي مسائل العلم وهو على ظهر الخيل في حال

الجهاد، وكانوا يرون ذلك من أعظم أبواب الجهاد ومن أولاها بالاهتمام، ومن واجبات الأئمة؛ لذلك أثر عنهم في هذا المجال ما لم يؤثر عن غيرهم من الكثرة الهائلة في تراثهم العلمي والثقافي، وما تحمله مؤلفاتهم من الإبداع العجيب الذي يدل على ما وراءه من غزارة المادة وقوة الفكر وتوقد الذكاء.

ومن أراد تصديق ما قلنا فما عليه إلا أن يطالع كتب الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وهي مجموعة كتب في فنون من العلم مختلفة، أو كتب حفيده الإمام الهادي عليه السلام وهي أيضاً مطبوعة متوفرة في المكاتب اليمنية، أو كتب محمد بن القاسم بن إبراهيم، أو كتب الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام، والمطبوع منها هو كتاب إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي كبير ظني أنه لم يؤلف قبله مثله في بابه.

وعلى الجملة فإنه لم يبلغ فريق من طوائف المسلمين ما بلغت إليه الزيدية في هذا المجال.

وفي كبير ظني أن مسند الإمام زيد بن علي عليه السلام هو أول كتاب ألف وجمع في الحديث والفقه، وذلك أن استشهاد زيد عليه السلام كان سنة ١٢١هـ وهذا التاريخ سابق لزمن تدوين الحديث وترتيبه.

وللإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية كتاب مشهور بكتاب (السيرة) يوجد منه مقتطفات في كتب الفقه في أبواب متفرقة، وقد قيل: إن محمد بن الحسن الشيباني أخذ منه كتابه الموطأ في الفقه، والنفس الزكية قد استشهد في أول خلافة أبي جعفر المنصور، وذلك قبل أن يجمع مالك الموطأ.

[أصول الزيدية]

أصول الزيدية التي بنيت عليها ديانتهم هي:

١- دليل العقل.

٢- دليل القرآن.

٣- دليل السنة المجمع على صحته بين طوائف المسلمين.

٤- دليل الإجماع.

فعلى هذه الأصول بنيت ديانة الزيدية، وكل ديانة فكرية جاءت عن غير هذه الأصول فإن الزيدية لا تلتفت إليها ولا تعوِّل عليها.

ولنبدأ في تفسير هذه الأصول الأربعة؛ فنقول وبالله التوفيق:

١-دليل العقل

دليل العقل: هو أول الأدلة عند الزيدية وأقواها، ولنتكلم هنا على شيئين اثنين:

١- توضيح الدليل على صحة دعواهم أن العقل حجة قاطعة في الدين.

٢- توضيح أن دليل العقل هو أقوى الأدلة.

فنقول: الدليل على ما ادعينا من أن العقل حجة قاطعة في الدين- هو دليل ضروري وجداني لولا تلوث الكثير من فطر العقول بالمذاهب الخرافية التقليدية الموروثة التي يتلقاها الخلف عن السلف، وينشأ عليها الصغير ويهرم الكبير.

فإن قال القائل: إن الأحكام الضرورية لا تزول بالتشكيك والتلبيس، فإن العاقل لا يقبل ولا يصدق من يروِّج له بأن الليل نهار أو العكس؛ لذلك فإن حكم العقل لو كان ضرورياً كما تقولون لم يقع فيه اختلاف بين طوائف المسلمين.

قلنا في الجواب: ليس الأمر كما ذكرتم، ألا ترى أن مشركي العرب بما فيهم قريش مع ما هم عليه من زكاء الفطرة، وتوقد الذكاء- كانوا يعبدون الحجارة ويحلفون بها، ويحاربون دونها، ويخاطبونها، ثم مع ذلك ربما رموها واستبدلوا بها غيرها..إلى آخر مذاهبهم الخرافية التي تمجها الفطرة، ويأباها العقل بضرورته.

وهناك جواب آخر: هو أن الوهم قد يسيطر فيضعف لسيطرته حكم العقل الضروري، وهذا أمر وجداني، ألا ترى أن الرجل قد يكون في مكان خال أو في غرفة من بيته نهاراً فإذا جاء الظلام صور له الوهم والخيال أشباحاً وأهوالاً يقشعر منها جلده، ومع هذا فإن العقل يحكم في هذه الحال بخلو المكان عن تلك الأشباح المخيفة، فلا يلتفت الخائف إلى حكمه، وذلك لسيطرة الوهم والخيال.

وهكذا قد تسيطر المذاهب الخرافية المتصادمة مع حكم الفطرة الضروري الجازم، فمن أجل ذلك كان ينبغي أن لا يحتاج إلى نصب الأدلة في مثل ذلك، بل كان يكفي المكلف أن يرجع إلى نفسه ووجدانه في معرفة الخطأ والصواب هنا، غير أنه لا مانع من زيادة البيان فنقول:

إن الله سبحانه وتعالى ذم قوماً أهملوا النظر والتفكير بعقولهم فقال جل شأنه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف]، فذمهم الله تعالى هنا حين أهملوا أدوات الفكر وآلاته التي سوف توصلهم حتماً إلى معرفة الحق وتمييزه عن الباطل.

وآلات الفكر المذكورة هنا هي: بصر العين وسمع الأذن وتفكير القلب، والمراد ببصر العين هو بصر الاعتبار لا البصر المجرد عنه، فإنهم قد كانوا بصراء، وكذلك المراد بالسمع، فعن طرق البصر والسمع يبصر القلب ويسمع ثم يستنتج ويحكم، وبهذا العمل الفكري يتميز الإنسان عن غيره من الحيوانات.

فإذا أهمل الإنسان هذه الوظيفة فإنه عند الله تعالى وفي حكمه كالأنعام، بل أضل منها كما سمعت في الآية السابقة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل]، ففي هذه الآية يعين الله تعالى الغاية التي من أجلها جعل للإنسان السمع والبصر والفؤاد، وهذه الغاية هي الشكر لله، والشكر لله يتمثل في الإيمان، ثم العمل الصالح.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]، وأولو الألباب هم أولو العقول، فمن أهمل التفكير في آيات الله فهو في حكم الله من أشباه الأنعام بل أضل.

هذا، وقد أمر الله بالتفكر والنظر في آيات الله المبثوثة في الآفاق ليتوصلوا بذلك إلى الإيمان بالله والتصديق برسوله وكتابه، فقال جل شأنه: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، وكم في القرآن من أمثال هذه الآية.

وقال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فيؤخذ من هذه الآية وما أشبهها في القرآن أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنما يأمرهم بما تعرفه عقولهم وتأنس به، وتنجذب إليه، وأنه ينهاهم عما تنكره عقولهم، وتستوحش منه، وتنفر عنه، ولا تأنس به.

وكذلك فإنه يحل لهم ما تستطيبه أنفسهم وتنجذب إليه وتستحسنه، ويحرم عليهم ما تستخبثه أنفسهم، وتأباه عقولهم وتستقبحه.

والدليل على صحة ما ذكرنا من التفسير: هو ما تقرر في الإسلام أنه لا عبرة بميل الهوى والشهوة، ولا استحسانها أو استقباحها، ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...﴾ الآية [الجاثية:٢٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى۝٤١﴾ [النازعات]، لهذا فيكون المراد هو ما يعرفه العقل وما ينكره وما يستطيبه ويستخبثه.

توضيح أن العقل أقوى الأدلة

توضيح ذلك أن العقل هو الطريق الوحيد إلى تصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به عن الله سبحانه وتعالى من الكتاب والسنة.

وذلك أن الكفار الذين جاءهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا غير مؤمنين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا بالكتاب ولا بالسنة وغير مقتنعين بذلك، فجاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أجل ذلك بحجة أخرى هي المعجزة وهي دليل عقلي.

ومن هنا قال قائل المشركين عندما سمعوا آيات القرآن: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، والله ما هو بكلام البشر. أو كما قال.

وهكذا سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فجاء موسى عليه السلام بالعصا و...إلخ، وعيسى عليه السلام بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وجاء صالح عليه السلام بالناقة، و...إلخ.

فعن طريق المعجزة بواسطة النظر فيها يتوصل المكلف إلى الإيمان والتصديق بالأنبياء والرسل، وبما جاءوا به من عند الله.

لذلك قلنا: إن العقل أقوى الأدلة حيث كان هو الطريق إلى الإيمان بالله وبرسله وكتبه.

٢-دليل القرآن

القرآن هو أول الأدلة الشرعية وأقواها، ودليل العقل هو أول الأدلة على الإطلاق كما تقدم، والسنة هي في المنزلة الثانية بعد القرآن، ولا خلاف في الجملة بين المسلمين في هذا الترتيب بين الكتاب والسنة.

ولا شك أن القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأنه قد اشتمل على قسمين: محكم، ومتشابه، وتماماً كما قال سبحانه: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾ الآية [آل عمران:٧]، واشتمل كذلك على عام وخاص، ومجمل ومبين، وناسخ ومنسوخ، ومطلق ومقيد، ومفهوم ومنطوق، و..إلخ.

وأنه نزل بلغة العرب: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء].

من أجل ذلك فإن الزيدية لم تأخذ دينها من القرآن إلا بعد إعداد العدة:

١- من معرفة اللغة العربية معرفة مستحكمة، ويتمثل ذلك في علم النحو وعلم التصريف وعلوم البلاغة ومفردات اللغة.

٢- معرفة قواعد أصول الفقه.

٣- استصحاب دلالة العقل.

لهذا سلمت ديانة الزيدية من العقائد الخرافية، وسلمت من التناقض والاختلاف كما في بعض المذاهب الإسلامية، وميزت المحكم من المتشابه، فردت المتشابه إلى المحكم وبنت العام على الخاص والمطلق على المقيد، و..إلخ.

بيان معنى المحكم والمتشابه

المحكم:

المحكم في لغة العرب هو المتقن، والإحكام هو الإتقان، والإحكام إما في اللفظ أو في المعنى، ولا شك أن المراد هنا هو الإحكام في المعنى دون اللفظ؛ إذ لو كان المراد الإحكام في اللفظ لما صحت القسمة المذكورة في الآية حيث قسم إلى محكم ومتشابه.

وأيضاً فإن ألفاظ القرآن كلها محكمة بما فيها المتشابه المذكور في آية آل عمران قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود]، ﴿يس ۝١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس]، وغير ذلك كثير.

ومعنى إحكام المعنى هو وضوحه في دلالته بحيث لا يلتبس ولا يشتبه على العارف بلغة العرب، لهذا سمى الله تعالى الآيات المحكمات أم الكتاب.

وفائدة هذه التسمية وفحوى معناها: أن الواجب على المكلف هو أن يرد ما التبس عليه تفسيره واشتبه إلى المحكم، فيفسر المتشابه بالتفسير الذي يتطابق مع المحكم.

جاء الكلام العربي المركب على ثلاثة أساليب مختلفة هي:

١- الأسلوب الحقيقي.

٢- أسلوب الكناية.

٣- أسلوب المجاز.

وهذه الأساليب يعرفها علماء اللغة العربية، ومن هنا فلا يجوز أن يفسر القرآن إلا من عرف تلك الأساليب المختلفة مع استصحاب ما ذكرنا أولاً.

المتشابه:

المقصود بالمتشابه هو المتشابه في معناه كما قدمنا في المحكم.

والمتشابه في المعنى: هو أن يكون للفظ معنيان أو أكثر متشابهة، بمعنى: أن اللفظ المتشابه يطلق في لغة العرب على معنيين أو أكثر وذلك كلفظة «عين» فإنها تطلق ويراد بها عين الإنسان التي يبصر بها، وتطلق أيضاً ويراد بها عين الماء الخارجة من الأرض.

والدليل على ما ذكرنا من التفسير: أن لفظة «متشابه» في الآية اسم فاعل مشتق من التشابه، والتشابه لا يكون إلا بين اثنين فما فوق؛ فإذا كان للفظ القرآني عدة معانٍ مختلفة سمي متشابهاً؛ لأن اللفظ يصح إطلاقه على كل واحد منها فهي متشابهة في صحة هذا الإطلاق.

ولا يصح تفسير المتشابه بغير ما ذكرنا، وذلك لأن ما ذكرنا من التفسير متوافق مع الواقع فإن اختلاف الأمة وزيغ كثير من طوائفها مستند إلى التفسير لكثير من الآيات بأحد المعاني المحتملة في كل آية.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدثر:٣١]، فأهل الجبر يقولون في تفسير ذلك: إن الله سبحانه وتعالى يدخل من يشاء في الضلال، ويدخل من يشاء في الهدى، وجعلوا هذه الآية وما أشبهها دليلاً على ما يذهبون إليه من أن العبد لا مشيئة له ولا اختيار فيما يفعل من المعاصي والطاعات، وأن الله تعالى هو الذي يخلق العصيان أو الطاعة في العبد.

ثم فسر الآية آخرون بغير ما تقدم فقالوا: إن المراد في الآية المذكورة هو الحكم والتسمية بمعنى أن الله تعالى يحكم على من يشاء بالضلال ويسميه به، ويحكم على من يشاء بالهدى ويسميه به، واستدلوا على ذلك التفسير وصحته بأن العرب في لغتها تقول: أضلني فلان، وكفَّرني وفسَّقني تريد: أنه نسبني إلى الضلال وسماني ضالاً، ومن ذلك قول الشاعر في علي عليه السلام:

مــا زال يهــدي قومــه ويضــلنا جهــــلاً وينســــبنا إلى الفجـــار

ويمكن الاستدلال على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥]، فإنه لا يستقيم تفسير الضلال هنا إلا على ما ذكرنا من الحكم والتسمية.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة]، ففسرها طائفة برؤية البصر، وفسرتها أخرى بالانتظار، واللفظة تطلق في لغة العرب على كل من المعنيين.

نعم، يزيد ما ذكرنا وضوحاً: أن غير ما ذكرنا من التفاسير لم يتسبب في زيغ طوائف الأمة ولم يكن له أي دور في ضلال بعض الطوائف الضالة فلم نسمع عن أي من أهل الزيغ والضلال أنه استند في ضلاله وزيغه إلى الحروف المقطعة في أوائل السور (الم، الر، طسم) ونحوها.

وكذلك من يقول إن المتشابه هو نحو عدد الزبانية وحملة العرش في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر]، و﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة]، فلم يؤثر عن أي من هذه الأمة استناده في ضلاله وزيغه إلى تفسير العدد في الآيتين، وهكذا سائر ما يذكر من تفسير المتشابه سوى ما ذكرنا، وقد روي هذا عن بعض الأئمة كزيد بن علي عليه السلام إلا أن الضلال المترتب على ذلك كان للمشركين أما المسلمون فلم يتسبب ذلك في ضلال المسلمين.

معرفة معنى المتشابه

يمكن معرفة المتشابه فيعلمه الراسخون في العلم.

والدليل على ذلك: أن جميع طوائف الأمة يفسرون في كتب تفاسيرهم كل آيات القرآن الكريم من دون استثناء، اللهم إلا فيما لا يتعلق بمعرفته تكليف كالحروف المقطعة.

ولم نر أحداً من المفسرين توقف عند آية وأعرض عن تفسيرها من أجل أنها من المتشابه، ومع ذلك فلم نجد أحداً من علماء الأمة استنكر ذلك الصنيع منذ بدء عصر التدوين والتفسير إلى يومنا هذا.

فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، وقد وقف السلف والخلف هنا، وعلى هذا فالجملة بعد ذلك مستأنفة، فثبت بذلك أنه لا يعلم المتشابه إلا الله وحده دون البشر.

قلنا: الوقف لا يدل على ما ذكرتم، فإنه يجوز الوقف على المعطوف عليه، وأمثلته في القرآن لا تحصى، وللوقف هنا مرجح وهو الأدب، وذلك أن في الوقف على الجلالة زيادة تعظيم لله وإجلال لا تحصل مع عدم الوقف.

هذا، مع أن الواو ظاهرة في العطف فلا يجوز العدول عن هذا الظاهر إلا بدليل، والوقف ليس بدليل.

[اتفاق جميع المذاهب الإسلامية على القرآن]

-القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى:

وقد اختص القرآن من بين الكتب السماوية بالحفظ والسلامة من التغيير والتبديل والتحريف، و..إلخ إلى يوم القيامة.

-وجميع أهل المذاهب الإسلامية متفقون على ذلك لا يختلفون في صحة كلمة من كلماته أو في حرف من حروفه.

-ومتفقون أيضاً على أنه في المرتبة الأولى من حيث قوة الحجة والبرهان، وأن السنة في المرتبة الثانية.

-ومع هذا الاتفاق فقد كثر الاختلاف والتفرق في دين الإسلام وكثرت المذاهب، يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، ويستحل بعضهم دماء بعض.

-ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب كبير يتميز بكثرة أتباعه وكثرة المنتصرين له من العلماء، وكثرة التصانيف والمؤلفات في جميع أنواع العلوم الإسلامية وكتب اللغة، ولهم توسع في التحقيق والتدقيق فيما هنالك.

-ومذهب الزيدية مذهب ساحته صغيرة، محصور في رقعة صغيرة في جنوب جزيرة العرب، ويتميز بقوة الأدلة والبراهين على صحة عقائده.

-ومذهب الشيعة الإمامية (الجعفرية) يأتي في الدرجة الثانية بعد أهل السنة والجماعة من حيث كثرة الأتباع.

-ومذهب الإباضية، ويتمركز في سلطنة عمان ويتميز بالتشدد في الولاية والعداوة.

خلافة النبوة

اختلفت مذاهب المسلمين في هذا الباب، وأعظم الخلاف هو في منصب الخلافة:

فقال فريق: منصب الخلافة هو قريش، فلا تجوز الخلافة في غيرهم.

وقال آخر: بل كل المسلمين عربيهم وعجميهم.

وقالت الإمامية: بل منصبها اثنا عشر إماماً.

وقالت الزيدية: منصبها أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فمن صلح للخلافة واستجمع شروطها منهم فهو الخليفة.

[**النص على إمامة علي** عليه السلام]

سؤال: يقال: إن النص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام نص خفي، فما معنى ذلك؟ وما هو الفرق بين النص الجلي والخفي فيما يرجع إلى التكليف؟

الجواب والله الموفق والمعين:

معنى الخفاء في النص على إمامة أمير المؤمنين هو أن على النصوص الدالة على إمامته ثوباً رقيقاً لا يستشف ما تحته إلا بعد شيء من التمعن في النظر، وذلك نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله)).

فالحديثان قد نصا على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته، غير أن معرفة النص في هذين الحديثين يحتاج إلى شيء من النظر والاستدلال، فلا بد في الحديث الأول من أن يلحظ الناظر إلى معرفة منازل هارون من موسى المعروفة

في القرآن وهي: النبوة، والأخوة، والوزارة، والخلافة، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا۝٥٣﴾ [مريم]، ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي۝٢٩ هَارُونَ أَخِي۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي۝٣٢﴾ [طه]، ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ۝١٤٢﴾ [الأعراف].

فبعد معرفة منازل هارون من موسى يستوضح للناظر أنها ثابتة لعلي عليه السلام بالنص من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يفت علياً عليه السلام منها إلا النبوة.

وإذا وصل الناظر إلى هذه الغاية من النظر فإنه سيفهم بلا شك من النص إمامة أمير المؤمنين.

وكذلك الحديث الثاني وهو حديث الغدير فإنه يحتاج إلى شيء من النظر والاستدلال، وذلك أن لفظة «مولى» في قوله: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) تطلق في اللغة العربية على عدة معانٍ إطلاقاً حقيقياً، فقد وضعت في اللغة للمعتِق وللمعتَق ولابن العم وللناصر وللأَوْلَى بالتصرف ولغير ذلك.

ومن هنا فإن السامع لخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث سيحتاج إلى شيء من التأويل والنظر حتى يستوضح المعنى المطلوب، ومع التأمل فإن الناظر سيفهم بدون شك النص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

وذلك أنه لا يصح أن يراد بالمولى في هذا الحديث: المعتِق ولا المعتَق إذ ليس كل من أعتقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من العبيد قد أعتقه علي عليه السلام، مع أنه لا فائدة في تبليغ مثل ذلك إلى الجم الغفير في مثل ذلك الموقف الحافل في يوم الغدير.

وكذلك لا معنى لأن يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت ابن عمه فهذا علي ابن عمه، وكذلك الناصر؛ فلم يبق إلا أن يكون المراد بالمولى في الحديث هو ولي التصرف، وهكذا سائر النصوص التي وردت في أمير المؤمنين عليه السلام فإنها من هذا الباب.

الفرق بين الجلي والخفي فيما يرجع إلى التكليف في مسألة الإمامة

هذا، وأما الفرق بين النص الجلي والخفي فيما يرجع إلى التكليف – فقد أشار إليه

علماء أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رضوان الله عليهم في مؤلفاتهم في أصول الدين عند ذكر المتقدمين على علي عليه السلام فإنهم ذكروا هنالك أن المتقدمين عليه عليه السلام إن كانوا علموا استحقاقه عليه السلام للخلافة، وأنه أولى بها بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دونهم فإنهم ظلمة وعصاة، وإن كانوا نظروا وأخطأوا فلم يفهموا استحقاقه لها من دونهم فإنهم معذورون لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

فيؤخذ من هذا الكلام معرفة الفرق بين الجلي والخفي، فيكون الخفي: ما يعذر المكلف بمخالفته خطأً بعد النظر.

أما النص الجلي فمعرفة معناه لا تحتاج إلى نظر بل بمعرفة اللفظ تحصل معرفة المعنى مباشرة من دون واسطة فكر واستدلال، ومن هنا فلا يمكن ادعاء الخطأ في فهم النصوص الجلية فلا يعذر تارك العمل بها.

فإن قيل: إن الهادي عليه السلام قال في مقدمة الأحكام في ذكر إمامة أمير المؤمنين عليه السلام إنه لا يتم اسم الإيمان لمن لم يعلم إمامته عليه السلام بعد النبي عليه السلام أو كما قال.

قلنا: فعلاً لا يتم اسم الإيمان إلا بالتصديق والإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن رد شيئاً مما علم أنه جاء به كفر، ومن جملة ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام إلا أن الله تعالى يتجاوز لمن لم يستطع معرفة ذلك ككثير من الأعراب البعيدين عن المدن، وكالعجم وبعض النساء، ويكفي مثل هؤلاء الإيمان الجملي، وهكذا من لم يصل به تفكيره وعقله إلى العلم بإمامة أمير المؤمنين بعد أن نظر بعقله وتحرى إصابة الحق، ولم يكن له هوى لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، وعلى هذا فكلام الإمام الهادي عليه السلام محمول على من تحقق من إمامته ولم يذعن للتصديق بها، ومن تمكن ودعي للنظر في الأدلة ثم أعرض.

وبعد، فإن الذي يظهر لي أن الصحابة لا يعذرون في مسألة الخلافة بتقدير الخطأ والجهل في فهم النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة، وذلك أن الواقع بالفعل قد كان على خلاف ذلك، وذلك:

١- لما يلزم من اجتماع الأمة على ضلالة، وقد روي: ((لن تجتمع أمتي على ضلالة)) مع ما يلزم من عصيان علماء الصحابة الكاتمين.

٢- وهذا مع ما ظهر واشتهر عن أمير المؤمنين عليه السلام من التوجع والتشكي من المتقدمين عليه كما في نهج البلاغة وغيره.

٣- ثم ما صح واشتهر في منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة الكتاب في مرض موته، وتباطؤ الصحابة في بعث جيش أسامة، مما يدل دلالة واضحة أنهم كانوا يبيتون لأخذ الخلافة.

٤- وما حدث بالفعل من الأذى لأهل البيت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم، ولزيادة التوضيح للفرق بين الجلي والخفي نقول: دلالة كل من الجلي والخفي قطعية غير أنهما يفترقان من حيث أن دلالة الجلي ضرورية بالنظر إلى العارف باللغة، ودلالة الخفي نظرية استدلالية.

[مؤيدات تدل على أن الزيدية أهل الحق]

لأهل المذهب الزيدي ولمذهبهم مؤيدات تشهد بأنهم الأولى بالحق، فمنها:

١- أنهم لم يخالطوا خلفاء بني أمية وبني العباس، وكذا من بعدهم من السلاطين، فلم يجالسوهم، ولم يساكنوهم، ولم يلوا لهم أي عمل، ولم يتجندوا معهم.

٢- أنهم خرجوا على الظلمة يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، وقاتلوهم على ذلك، ولم يزالوا معهم في حرب على طول التأريخ.

٣- أنهم صبروا على الخوف والتشرد، وخرجوا من ديارهم وأوطانهم، وصبروا على جفاء السلطان ورعاياه، كل ذلك لئلا يدخلوا فيما يسخط الله تعالى.

٤- لا تجوز عندهم طاعة الفاسق المتغلب على الخلافة، ولا مناصرته، ولا معاونته، ولا مؤانسته، إلا ما أذن الله تعالى فيه من التقية: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران:٢٨].

٥- لا يرون أن شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كافية لدخول الجنة كما يذهب إليه أهل السنة والجماعة، بل لا بد مع ذلك من القيام بكل ما أوجبه الله تعالى، وترك كل ما نهى الله عنه، كل ذلك على قدر المستطاع، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

٦- يرون أن ما يروى عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من نحو: ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن سرق وإن زنى))، ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) يرون أن ذلك أماني كاذبة لم تصح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعدة أمور:

- لمخالفتها القرآن: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴿١٨﴾﴾ [غافر]، ﴿وَالْعَصْرِ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴿٣﴾﴾ [العصر]، والآيات في هذا الباب كثيرة.
- لما في ذلك من التشجيع والإغراء بارتكاب الكبائر والجرائم والمآثم وترك الأعمال الصالحة.
- لما في ذلك من هدم شرائع الإسلام، ونشر الفوضى والفساد.

٧- يذهبون إلى أن أهل الكبائر من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا ماتوا غير تائبين فإنهم من أهل النار خالدين فيها لا يخرجون منها، وأن ما روي من خروجهم من النار أماني كاذبة لا يجوز الركون عليها، ولا الالتفات إليها لعدة أمور:

أ- لأن اليهود قد قالوا بمثل هذه المقالة فندد الله بها، وذمهم عليها، واستنكرها أشد الاستنكار، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة]، فحسم الله تعالى أطماع الطامعين وأماني المتمنين من اليهود ومن هذه الأمة فقال: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً...﴾ إلخ، على التعميم والشمول، ولم يستثن أحداً من ذلك الحكم القرآني الحكيم.

ب- أن الله تعالى قد توعد بالخلود في النار الزاني وقاتل النفس المحرمة، والعائد إلى الربا في سورة الفرقان والنساء والبقرة، وتوعد العصاة على العموم بالخلود في النار، فقال سبحانه في سورة النساء بعد ذكره لحدود المواريث مخاطباً بذلك المسلمين فقال تعالى في أول الآية: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ..﴾ إلخ [النساء:١١]، ثم قال تعالى في آخرها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ...﴾ [النساء:١٣]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

ج- أن من طبيعة الرواية إذا صحت أن تفيد الظن، ولا يستفاد منها العلم، والمطلوب في مسائل الاعتقاد العلم واليقين، وهذه من مسائل الاعتقاد الهامة التي يترتب عليها خطر عظيم.

د- إذا فرضنا أن المذهبين متساويان في المصداقية فإن الاحتياط هو فيما نذهب إليه نحن الزيدية؛ لأنه إذا انكشف الأمر يوم القيامة بالخروج من النار لم يضرنا القول بعدم الخروج، وإن انكشف عدم الخروج كنا قد أخذنا حذرنا واحتطنا لأنفسنا.

٨- الزيدية لا يغالون في الصحابة ولا يقدسونهم، بل ينظرون إليهم نظرة عادلة، وهي أنهم وغيرهم في عدل الله سواء «من أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها»، وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة، وليست حصانة لا يضر معها ذنب، فالذي يرتكب الكبيرة من الصحابة ومن غير الصحابة سواء في حكم الله، بل قد يكون

الصحابي أشد استحقاقاً لغضب الله وسخطه؛ لكثرة نعم الله على الصحابي، ومن هنا قال تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا عصين الله ورسوله: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [النساء:٣٠].

٩- الزيدية ينزهون الله تعالى عن معاصي العباد؛ عن فعلها، وعن مشيئتها، وعن إرادتها، ويقولون: إن العصاة هم الذين اختصوا بفعلها وإرادتها ومشيئتها، وأنهم فعلوها مختارين غير مضطرين، وأن الله تعالى لم يكن منه في ذلك غير ما أعطاهم من القدرة والقوة، وجعل فيهم من الطبيعة، ومكنهم من فعل ما يريدون.

ويقولون: إنه تعالى لو شاء لأجبرهم على الطاعة واضطرهم إليها، غير أنها اقتضت حكمته أن يكونوا مختارين، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، ليستحقوا الثواب والعقاب، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى۝٣١﴾ [النجم].

١٠- العقل عند الزيدية من أقوى الأدلة؛ لذلك ينزهون الله تعالى عن الجسمية والأعضاء والحلول في مكان، وعن الرؤية؛ لأن الحلول في مكان والرؤية من خصائص الأجسام.

١١- أحاديث الصحيحين ليست كلها صحيحة، وليس كلها باطلاً، بل فيها الصحيح وغير الصحيح، ولا يجوز عند الزيدية أن يُقلَّدَ أهل الحديث في حكمهم بالصحة للصحيحين، ولا في غير الصحيحين بالتصحيح والتضعيف و..إلخ، ولهم في تمييز الصحيح من غيره طرق:

١- العقل، فعن طريقه تعرف الأحاديث الخرافية كحديث الدابة المروي في مسلم، وفي الصحيحين الكثير من ذلك.

٢- القرآن، فالحديث الذي يخالف القرآن يترك عندهم، ولا يلتفتون إليه.

٣- الأحاديث المجمع على صحتها؛ فإذا خالفها أي حديث فإنه لا يقبل.

٤- أهل البيت، فالحديث الذي يخالف ما ذهب إليه أهل البيت عليهم السلام فإنه لا يقبل؛ لما جاء فيهم من الأدلة مثل حديث الثقلين.

١٢- يرون أن علياً عليه السلام كان أحق وأولى بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان علي نفسه يرى هذا الرأي.

١٣- يرون أن خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حق لأهل بيته.

١٤- يرون أن أهل البيت عليهم السلام هم الفرقة الناجية، وأن الحق معهم وإلى جانبهم لا يفارقهم ولا يفارقونه.

١٥- يرون أنها لا تجوز خلافة الفاسق.

١٦- يذهبون إلى أن الله تعالى متعال ومتنزه عن كل صفات المخلوقات لذلك يقولون:

١- إن الله تعالى ليس بجسم.

٢- لا تحله الأعراض التي هي الحركات والسكون، والاجتماع والافتراق والألوان، والذهاب والمجيء، والصعود والنزول، والفرح والسرور، والضحك والبكاء، والهم والحزن، والإرادة والكراهة والمحبة و...إلخ.

٣- إن الله تعالى منزه عن الحلول في مكان فليس بجهة فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا فوق العرش ولا...إلخ.

٤- إنه تعالى منزه عن أن يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة.

٥- ليس له وجه ولا يدان، ولا جنب، ولا قدم، ولا...إلخ.

١٧- يذهبون إلى أنه تعالى منزه عن ظلم عباده كما نطق بذلك القرآن، وعلى ذلك قالوا:

١- إن الله تعالى لم يخلق الكفر في الكافر ولا الفسق في الفاسق، ولا العصيان في العاصي؛ إذ لو خلق الله ذلك في الكافر والفاسق والعاصي

ثم عذبه على ما خلق فيهم لكان ظالماً، وقد نزه الله تعالى نفسه عن الظلم: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠].

٢- المكلفون هم الذين يعملون المعاصي باختيارهم ومشيئتهم وإرادتهم لا دخل لمشيئة الله تعالى وإرادته في وجود ذلك؛ إذ لو كان الأمر على غير ذلك كما يقوله أهل السنة لكان تعالى ظالماً.

٣- لا يقضي الله تعالى بالكفر والفسوق والعصيان، ولا يقدِّر ذلك؛ إذ لو فعل تعالى لكان ظالماً، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

١٨- الزيدية لا يكفِّرون الصحابة، ولا يفسِّقونهم، ولا يلحقون بهم ما لا يجوز من السب والشتم، كيف وقد رفع الله قدرهم في القرآن، وأثنى عليهم بما هو ظاهر، غير أنهم يحكمون على مرتكب الكبيرة بما حكم الله تعالى به على أهل الكبائر، وسواء في ذلك الصحابي وغيره، ولا يرون لأحد من المكلفين حصانة تمنعه من عذاب الله إذا ارتكب الكبائر ومات من غير توبة.

١٩- الزيدية يذهبون إلى الحكم بخلود أهل الكبائر من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في النار إذا ماتوا مصرين على العصيان، ولا يخرج أحد من النار بعد دخولها.

٢٠- الزيدية يذهبون إلى أن اسم الإيمان اسم شريف لا يستحقه إلا المصدق بالله ورسوله وأنبيائه، وما أنزل الله عليهم واليوم الآخر، ثم استقام على السمع والطاعة فيما أمر الله ورسوله ونهى الله ورسوله.

٢١- أن الذي يرتكب الكبيرة لا يسمى عندهم مؤمناً ولا كافراً، بل هو عندهم في منزلة وسط بين منزلة الكفر والإيمان، ويطلقون على صاحب هذه المنزلة اسم الفاسق الظالم المجرم، وهذا في حين أنه يسمى عندهم مسلماً؛ لأنه لم يرتكب معصية تخرجه من الإسلام، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]، ولا تتحرج الزيدية من ذم صاحب هذه المنزلة ومقته، ولا ترى له حرمة ما دام مصراً على الفسوق والعصيان.

٢٢- ليس في المذهب الزيدي شيء من الخرافات والأوهام، ولا شيء من الغلو كما هو الحال عند أهل المذاهب الأخرى؛ فالإمامية غلت في أئمتها وقالت فيهم ما لا ينبغي أن تصدق به العقول، وأهل السنة غلوا في الصحابة، وأبدعوا في توحيد الله تعالى فقالوا: إن كل ما وجد في الكون من حركة أو سكون أو طاعة أو معصية فإن الله تعالى هو وحده الذي فعل ذلك وخلقه دون ما سواه من خلقه، وأن من قال: إن المعصية حصلت بفعل المكلف فقد جعل لله شريكاً. وفي قولهم هذا غاية الذم لله العلي الكبير سبحانه وتعالى، حيث نسبوا إليه فعل معاصي العباد.

وكثير من أهل السنة يشبهون الله تعالى بخلقه حين أثبتوا له الأعضاء والجوارح و...إلخ.

[معنى: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين]

((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين.... الحديث)):

الظهور هو الظهور بالحجة والبرهان، بحيث لا يخلو زمان من الأزمنة عن طائفة تعلن الحق وتظهر حججه وبراهينه إلى يوم القيامة، وليس المراد الظهور بالدولة والسلطان والسيطرة والغلبة، وذلك لأمرين:

١ـ أن الطائفة اسم للجماعة القليلة.

٢ـ أن أكثر الناس وأغلبهم للحق كارهون، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٧﴾ [الأنعام]، وإلى آخر ما دلت عليه الآيات الكثيرة من أن الكثرة والغلبة من الناس معرضون عن الدين والحق.

وأهل كل مذهب اليوم يدعي أنه الطائفة التي على الحق، وأن كل من سواها من الطوائف على الباطل.

ـ ولو أن أرباب المذاهب يجلسون على طاولة المناقشة، ويتجردون عن الهوى والعصبية والتقليد، ثم ينظرون ما تدلي به كل طائفة من البراهين والحجج لأبصروا

عين الحق وعرفوا أهله وطائفته؛ لأن الحق ظاهر مكشوف بحججه وبراهينه.

ولو التبس الحق بالباطل ولم يتميز، وخفي على الناس ولم يبق طريق إلى معرفته لبطلت حجج الله على عباده، ولبطل التكليف.

وقد وقع الإجماع والاتفاق على أن حجج الله تعالى وبيناته باقية لا تنقطع إلى يوم القيامة لأدلة كثيرة مثل حديث: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة))، وحديث: ((لا تجتمع أمتي على ضلالة))، وقال سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ۝١٨١﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ۝١٥٩﴾ [الأعراف]، وبحديث الثقلين، وحديث السفينة، وحديث النجوم، وغير ذلك.

طائفة الحق

ونقول: إنه بعد الاطلاع على أصول أهل المذاهب وعقائدهم تبين أن الزيدية هم الطائفة المختصة بالحجج الظاهرة، والبراهين القوية دون من عداهم من أهل المذاهب الكبرى الموجودة على الساحة.

[الزيدية طائفة الحق وإن قل عددها]

قد يقال: كيف تكون الزيدية هي طائفة الحق الناجية وهي طائفة صغيرة قليلة العدد، محصورة في زاوية صغيرة من أرض اليمن، وإذا حسبت طوائف المسلمين فلا تكاد تذكر لقلتها وعدم شهرتها، وشهرتها مقصورة على المختلطين بها والمجاورين لها من سائر الطوائف، أما عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فلا معرفة لها بالزيدية على الإطلاق؟

قد يقال في الجواب: إن الزيدية وإن كانت قلة قليلة محصورة في زاوية من زوايا اليمن فإنها معروفة على طول التاريخ بإمامها زيد بن علي، وبعقائدها ومذاهبها عند جميع علماء المسلمين.

وإذا كان علماء الطوائف يعرفون الزيدية وعقائدها ومذاهبها فقد تمت الحجة عليهم.

ولا يلزم الطائفة المحقة أن تبلغ كل فرد فرد من المسلمين الحق وحججه وبراهينه، بل يكفي أن يعرف ذلك العلماء، وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الناس معالم دينهم ثم يقول: ((ألا فليبلغ الشاهد الغائب))، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

ـ وقد استنكر الله تعالى على علماء بني إسرائيل حين كتموا الحق وسكتوا عن تبليغه الناس في آيات كثيرة من القرآن مما يدل على أن على علماء أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغوا الناس ما يعلمون من الحق، وأن حجة الله تعالى لا تسقط على الناس بسكوت العلماء عن إذاعتها ونشرها.

– من الغريب نفور أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل البيت عليهم السلام وعن مذاهبهم، وتدينهم ببغضهم والتنفير عنهم وشدة العداوة لهم، و... إلخ، وقد ظهر ذلك في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن مات نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وإلى اليوم.

ـ والمعروف أن الأمة ترى الأحاديث الصحيحة في أهل البيت عليهم السلام، وتعلم صحتها عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، وتعترف بصحتها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويدرسها العلماء والطلبة، ثم لا يصدهم علمهم بذلك عما هم عليه من الكراهة والعداوة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل إنهم مع ذلك يدينون بأن محبة آل محمد ذنب عظيم لا يغفر، ويدينون بأن عداوتهم والبغض لهم من تمام الإيمان ومن أركانه.

ـ وتراهم يحافظون على الصلوات وأداء الزكاة، والصيام، والحج، و... إلخ، ويظهر عليهم في تدينهم أنهم يرجون رحمة الله وشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخول الجنة، وأنهم سيحظون برضوان الله، ويعتقدون أنهم أهل الحق.

ـ وما أدري كيف راج عندهم ذلك مع علمهم المستحكم بما جاء به نبيهم نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم في دينه لأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم من التقدم في الفضل، ووجوب ولايتهم ومحبتهم، وأنهم أهل الحق لا يفارقهم ولا يفارقونه إلى يوم القيامة، وأنهم.. وأنهم... إلخ.

أهل البيت عليهم السلام

- أهل البيت عليهم السلام هم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم القائمون مقامه، وهم حجج الله تعالى على عباده إلى يوم القيامة. هذا ما أفادته النصوص المعلومة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- ومعرفة أهل البيت عليهم السلام واجبة، لما يترتب على معرفتهم من معرفة الحق.
- والمراد من معرفتهم معرفة أمرين:

١- أن يعرف أن أهل البيت عليهم السلام هم أهل الحق وخلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم القائمون مقامه، وأن أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنه الخليفة الشرعي والقائم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- أن يعرف أهل كل عصر علماء أهل البيت في عصرهم، ولا يلزم أهل هذا العصر مثلاً أن يعرف من مضى في العصور السالفة من أئمة أهل البيت وعلمائهم، بل يكفيه المعرفة الجملية بهم، إلا أنه لا يخفى أن معرفة ذلك لهم لا تكفي بل لا بد من الاتباع لهم في الدين.

الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

تنتمي الزيدية إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام.

ويقال اليوم: إن من يسمون أنفسهم زيدية اليوم ليسوا بزيدية، وإنما هم هدوية لا زيدية، وزيد بن علي ليس كما يظن الزيدية، وإنما هو من أهل السنة والجماعة، بدليل أنه لم يرض للروافض بالتبرؤ من الشيخين، ومذهبه كمذهب أهل السنة والجماعة.

ونقول نحن الزيدية في الجواب: للزيدية مذهب معروف عند علماء الكلام من أهل السنة في قديم الدهر وحديثه، يتناقلونه في كتبهم خلفاً عن سلف في التوحيد والعدل والإمامة والوعد والوعيد.

ونحن الزيدية لا ننكر ذلك المذهب الذي يذكره أهل السنة في كتبهم عنا، ولم ينكره سلفنا لا في قديم الدهر ولا حديثه.

هذا، وللإمام زيد عليه السلام مجموع فيه رسائل وكتب له عليه السلام تؤكد صحة المذهب الذي يتناقله أهل السنة في كتبهم، أما كتب الكلام الزيدية فهي أكثر من أن تحصر، فيها بيان مذهبهم ونصوص أئمتهم.

وعلى الجملة فمذهب الزيدية في علم الكلام معروف مشهور حتى بين أوساط علماء أهل السنة.

- وإذا أمكن التشكيك في نسبة الزيدية إلى الإمام زيد بن علي في مذهبهم في علم الكلام- فيمكن التشكيك في نسبة الأشعرية إلى أبي الحسن الأشعري في علم الكلام، وفي نسبة الحنابلة إلى أحمد بن حنبل، ونسبة الجهمية إلى جهم بن صفوان، و...إلخ، وهذه النسب هي في علم الكلام الذي هو التوحيد والعدل والنبوءات والإمامة والوعد والوعيد.
- أما دعواهم أن زيد بن علي من أهل السنة والجماعة- فيكذبها خروج الإمام زيد بن علي عليه السلام لجهاد هشام بن عبدالملك، فلو كان كما يدَّعون لما خرج لجهاده؛ لأن مذهب أهل السنة والجماعة تحريم الخروج على ولي الأمر، وقد استشهد الإمام زيد عليه السلام في خروجه هذا، ثم خرج على أثره ولده يحيى عليه السلام بوصية من أبيه، وقال يحيى بن زيد عليه السلام في شعر له:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد ... من أحب الحياة عاش ذليلا

كن كزيد فأنت مهجة زيد ... تتخذ في الجنان ظِلاً ظليلا

أما مذهب الزيدية في الفقه فهو مذهب متسع لا يُلزم بتقليد إمام معين، ولا يوجب التقيد بمذهب مجتهد، بل يتحتم عند الزيدية على المجتهد أن يعمل باجتهاده، ويحرم عليه التقليد مع تمكنه من الاجتهاد، ويجيز للمقلد أن يقلد من شاء من المجتهدين إذا استووا في نظره، وله أن ينتقل من تقليد مجتهد إلى تقليد مجتهد آخر، وله أن يقلد مجتهداً في مسألة ومجتهداً آخر في مسألة أخرى، وآخر في ثالثة، وهكذا.

وقد اشتهر في ذلك قول الإمام زيد عليه السلام: (اختلافنا لكم رحمة، فإذا

أجمعنا...إلخ)، يريد عليه السلام أن اختلاف علماء أهل البيت عليهم السلام رحمة لأتباعهم أي: سعة وتيسير فيأخذ أحدهم بمذهب من شاء منهم، أو بما فيه تيسير وترخيص.

ويذهب علماء الزيدية إلى أن مجموع الإمام زيد بن علي الحديثي أصح الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كالبخاري عند أهل السنة، ولهم مرويات أخرى حديثية إلا أنها في المنزلة الثانية، فمجتهد الزيدية يعتمد على مرويات أئمة الزيدية، وفي مقدمتها مجموع الإمام زيد.

فمذهب الهادي عليه السلام يعتمد بعد القرآن على هذه المرويات، وهكذا مذهب الإمام الناصر، ومذهب القاسم، ومذهب المؤيد بالله، ومذهب أبي طالب، ولكل إمام من أهل البيت ومن علماء الزيدية مذهب يذهب إليه في بعض مسائل الفقه، إلا أن ذلك قليل بالنسبة لما يتفقون فيه.

- ولا يعدون ذلك خلافاً، ولا نزاعاً، ولا يُخطِّئ بعضهم بعضاً في ذلك، ولا يشنعون به، بل إن الواحد منهم إذا استفتاه مستفتٍ في مسألة يدل المستفتي على المجتهد الآخر الذي في مذهبه تيسير وترخيص؛ لئلا يوقع المستفتي في حرج إذا أفتاه بمذهبه.
- وقد جمع الزيدية فقه الإمام القاسم وفقه أولاده، وفقه الهادي وولديه، وفقه الناصر، وأخذوا منه قواعد وفرّعوا، وحققوا ذلك ودققوه، وأخرجوا منه مذهباً يرجع إليه عامة الزيدية.

وأول من جمع ذلك أبو العباس الحسني والمؤيد بالله وأبو طالب في القرن الرابع...، وما زال هذا المذهب هو معتمد الزيدية في جميع بلادها يدرس في مدارسها، ويتعلمه الصغير والكبير، والذكور والإناث، وهو المعتمد في القضاء والمعاملات، وهذا المذهب نظير ما وضعته الشافعية لمذهب الإمام الشافعي، ونظير ما وضعته الحنفية لمذهب أبي حنيفة، ونظير ما وضعته المالكية لمذهب مالك، و...إلخ.

إلا أن أهل هذه المذاهب ألزموا أتباعهم بالأخذ بها، وحرموا الاجتهاد على المجتهدين وألزموهم تقليدها، في حين أنا نحن الزيدية لا نلزم ولا نحتم على المقلد الأخذ بالمذهب بل نجيز له أن يأخذ بمذهب من شاء من مجتهدي الزيدية، ونقول له: إن تقليد الحي أولى من تقليد الميت، ونحرم على المجتهد التقليد، ونوجب عليه الأخذ بمذهب نفسه.

فهذا هو حقيقة مذهب الزيدية في الأصول والفروع.

وبعد، فالمجادلة في الأسماء لا معنى لها إلا أن أعداء الزيدية يرمون الزيدية بكل ما أمكن ليلبسوا على الناس، وليشوهوا مذهب الزيدية.

- **هذا،** والسبب في اعتماد مذهب القاسم والناصر والهادي وأولاده واعتماد ذلك في الفقه لعموم الزيدية- لأن هؤلاء الأئمة أول من صنف في الفقه، وأول من وضع أبوابه، واستكمل مسائله دون من سبقهم من أئمة الزيدية.

أما من سبقهم من الأئمة فلم يصنفوا في الفقه بل اقتصروا فيما كتبوه على الرواية مثل الإمام زيد، والإمام الباقر، والصادق، وأحمد بن عيسى، ومحمد بن منصور المرادي، وعبدالله بن موسى بن عبدالله، ويحيى بن الحسين من أولاد زيد بن علي، وأحمد بن عيسى العلوي و...إلخ.

[إبطال تقسيم الزيدية إلى جارودية وبترية وصالحية]

- أما تقسيم الزيدية إلى ثلاثة مذاهب: الجارودية والبترية والصالحية- فلا نعرف هذه المذاهب ولا أهلها إلا ما نراه في كتب الفرق، والذي نعرفه هو ما عليه الزيدية اليوم، ومذهبها اليوم معروف، وكتبها القديمة والجديدة في عموم البلدان، وكتبها التراثية تزخر بها مكاتب التراث في العالم، ولا يوجد فيها من المذهب إلا ما عليه الزيدية اليوم.
- **وبعد،** فمذهبنا في العقيدة وفي الفقه معروف ومشهور لا يمكن ستره

والتغطية عليه، ولعل كتبه التراثية في الكثرة والانتشار في العالم في الصدارة، فمكاتب أوربا مشحونة بكتب التراث الزيدية.

ومع كثرة ما نهب من اليمن من كتب التراث المخطوطة فما زالت المكاتب اليمنية العامة والخاصة تزخر بالكتب التراثية.

ومذهب الزيدية اليوم في الفقه مشهور باسم مذهب الهادي عليه السلام، وكما أفدنا سابقاً فكل أئمة الزيدية يعتمدون في فقههم بعد القرآن على مرويات الإمام زيد بن علي عليه السلام أولاً، وعلى مرويات حفيده أحمد بن عيسى بن زيد ثانياً، وعلى مرويات غيرهما من رواة الآثار من أئمتنا عليهم السلام، فنحن هادوية زيدية.

فهذا هو جوابنا على المشككين في مذهبنا.

[أئمة الزيدية وأصولهم]

- أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أولهم بعد علي والحسنين زيد بن علي، وآخرهم مجدالدين بن محمد المؤيدي فخليفته حسين بن يحيى الحوثي- هم أئمة يقتدى بهم، ويهتدى بهديهم، وكل إمام منهم هو حجة الله على أهل عصره، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، يحمل كل إمام منهم أهلية أن يُقَلَّد ويُتَّبَع.

فمن اهتدى من الأتباع بمذهب واحد منهم فهو زيدي؛ لأن للمذهب الزيدي أصولاً يتفق عليها جميع الأئمة السابقين واللاحقين، فمن خالف شيئاً من تلك الأصول فليس بزيدي.

والأصول التي يتفق عليها جميع أئمة الزيدية وعلماؤهم هي:

١- القول بالتوحيد والعدل: (التوحيد ألا تتوهمه، والعدل ألا تتهمه).

٢- القول بتقديم علي عليه السلام في الفضل والخلافة.

٣- القول بإمامة أهل البيت وأحقيتهم بالخلافة والحق والهدى، فمن حمل منهم أهلية الخلافة فهو الخليفة والحجة والمنار الهادي، والمراد بذلك خلافة النبوة، فالخليفة هو القائم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان

الحق وتبليغه للناس، والدعاء إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإرشاد الناس للدين الحق، وتحذيرهم من الباطل، وتعليمهم الكتاب والحكمة، وتزكيتهم وتهذيب أخلاقهم و...إلخ.

هذا هو المقصود أولاً وبالذات ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال]، وليست السلطة السياسية وولاية الأمر العام غرضاً أصلياً ولا غاية أساسية.

[مراتب أئمة أهل البيت عليهم السلام]

أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى عهد الهادي وابنيه محمد وأحمد عليهم السلام هم كما يبدو لي أهل مرتبة، والمرتبة الثانية هي الأئمة الذين أتوا من بعد ذلك إلى عهد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام.

يلي ذلك المرتبة الثالثة وتمتد إلى عهد الإمام أحمد بن يحيى المرتضى والإمام علي بن المؤيد.

ثم يلي ذلك المرتبة الرابعة وتمتد إلى عهد الإمام القاسم بن محمد وولديه المؤيد بالله والمتوكل على الله.

ثم يلي ذلك المرتبة الخامسة وتمتد إلى وقتنا هذا، وكل أهل مرتبة يقتدون بأهل المرتبة التي فوقهم.

طبقات أئمة الزيدية

الطبقة الأولى:

أولها الإمام زيد بن علي وآخرها الإمام الهادي يحيى بن الحسين وولداه محمد وأحمد، والذين لمعوا في هذه الطبقة: الإمام زيد، والإمام جعفر الصادق، وأبوه محمد الباقر، والإمام القاسم بن إبراهيم وأولاده، والإمام أحمد بن عيسى، والإمام عبدالله بن موسى، والإمام يحيى بن الحسين، والحسين بن علي الفخي، والأئمة محمد وإبراهيم ويحيى وإدريس أبناء عبدالله بن الحسن الكامل، والإمام

الناصر الأطروش، والإمام الهادي يحيى بن الحسين وولداه محمد وأحمد.

والطبقة الثانية:

تبتدئ من حيث انتهت الطبقة الأولى، وتنتهي بالإمام الشهيد أحمد بن الحسين صاحب ذيبين.

وقد لمع في هذه الطبقة الإمام أبو العباس الحسني، والإمام المؤيد بالله، والإمام أبو طالب، والقاسم العياني وولده الحسين، وأحمد بن سليمان، وعبدالله بن حمزة، والإمام الشهيد أحمد بن الحسين صاحب ذيبين.

والطبقة الثالثة:

تبتدئ من حيث انتهت الثانية، وتنتهي بالإمام القاسم بن محمد وولداه المؤيد بالله والمتوكل على الله، وقد لمع في هذه الطبقة: الحسن والحسين ابنا بدر الدين، والمطهر بن يحيى، وولده محمد، والمؤيد بن أحمد، وعلي بن المؤيد، وعز الدين بن الحسن، وولده الحسن، وشرف الدين، والقاسم بن محمد وولداه المؤيد والمتوكل.

والطبقة الرابعة:

تبتدئ من حيث انتهت الثالثة وتنتهي بعلي بن محمد العجري ومجدالدين المؤيدي والحسين بن يحيى الحوثي.

وقد عاصرت هؤلاء الثلاثة، وعرفتهم حق المعرفة، وأخذت عنهم جميعاً، وهؤلاء الثلاثة ممن لمعوا في طبقتهم، وقد لمع قبلهم في هذه الطبقة الإمام محمد بن القاسم الحوثي، والمنصور، والمتوكل، وأحمد بن هاشم.

وقد كانت ظروف هذه الطبقة قاسية؛ لجبروت الاحتلال التركي لبلاد الزيدية، ثم قيام ثورة الجمهورية، فلم تسمح الظروف الخانقة لبروز علماء أهل البيت وظهورهم.

- وتصنيف هذه الطبقات الأربع هو حسب تصوري، ويمكن لغيري أن يصنف غير هذا التصنيف، ويرتب غير هذا الترتيب، ويعدد في كل طبقة

أكثر مما عددت وهو مصيب، وأئمة أهل البيت عليهم السلام كلهم نجوم لامعة يهدون إلى الحق القويم، وكل منهم قد نجم في عصره، واشتهر أمره ووضحت حجته، صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته، فهم أهل الفضل والفضائل، وخيرة الله وصفوته من بريته، وحملة دين الله وخلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وأنا وإن لم أعدد إلا بعضهم فليس ذلك لنقص في منازلهم، فهم عندي وعند الصالحين في أعلى المراتب البشرية بعد أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم وسلامه، وإنما لأن من ذكرتهم كانوا بارزين بأسمائهم في ذاكرتي لكثرة ورود أسمائهم عليها، وتكرر ذكرهم عندها.

فهذه الطبقات يأخذ كل منها في طريق من سبقه ويهتدي بهديه، ويستأنس بطريقته، ويسترشد برشاده، ويسير بسيرته.

- وإمام أهل هذه الطبقات جميعاً هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبه يأتمون، وبهداه يهتدون، وبدينه يدينون.
- وإنما بدأنا تصنيف طبقات الزيدية من زيد عليه السلام؛ لأن الشيعة كانوا قبل زيد عليه السلام أهل مذهب واحد لا يختلفون، فلما قام زيد عليه السلام اختلفوا فصاروا فرقتين بعد أن كانوا فرقة واحدة؛ ففرقة ناصروا زيداً وشايعوه وجاهدوا معه فسموا زيدية، وفرقة رفضت القيام مع زيد في جهاده وقعدت عنه فسموا إمامية، وسماهم زيد الرافضة؛ لآثار رواها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم.
- فمنذ ذلك الحين ولدت طبقات الزيدية وبدأ تأريخها، ولا يعني ذلك أن مذهب الزيدية مذهب مستحدث، فمذهب زيد هو مذهب سلفه الصالح الذي أخذه عن أبيه علي بن الحسين، عن جده الحسين، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- وقد ترك لنا زيد عليه السلام ذلك المنهج المأثور عن علي، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- وما تزال الزيدية إلى اليوم تستند إلى ذلك، وتعتمد عليه بعد القرآن، وتعتبره

أصح الحديث المأثور عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

يقال: إن الزيدية أخذت علم الكلام عن المعتزلة، وأن زيداً تتلمذ على واصل بن عطاء.

قلنا: هذه المقولة باطلة، فالزيدية تعلمت أصول دينها عن إمامها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإنه أول من تكلم في أصول الدين، وأول من أخرج للناس فلسفة العدل والتوحيد، وذلك كلامه في نهج البلاغة الذي لم يترك باباً من أبواب علم الكلام إلا ووضع خطوطه العريضة، وأسس قواعده الفلسفية، وفتح أبوابها.

- فعنه أخذ الزيدية أصول دينها، وعلى أسسه بنوا قواعدها، وأرسوا بنيانها.
- بل إن المعتزلة هم الذين أخذوا عن الزيدية، وتعلموا منهم أصول فكرهم الفلسفي، ومبادئ علم الكلام وقواعده، فقد روى الثقات أن واصل بن عطاء أخذ أصول علم الفلسفة عن الحسن بن محمد بن الحنفية، والحسن أخذ عن أبيه محمد بن الحنفية، ومحمد بن الحنفية أخذ عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن واصل أخذ المعتزلة فهو إمامهم الأول.
- ذكر هذا العلامة المعتزلي ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، وهذا الكلام هو الجدير بالصدق، والأقرب إلى الحق، وذلك لأمرين:

١- أن الراوي له هو أحد علماء المعتزلة.

٢- أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أول من تكلم في مباحث علم الكلام ودقق وحقق في مباحثه بأساليب منطقية، ولم يؤثر هذا العلم عن أحد غيره لا من الصحابة ولا من التابعين، فمن الجدير بالصحة أن يكون عَلَيْهِ السَّلَامُ هو إمام الناس جميعاً في هذا العلم الفلسفي الحكيم.

هذا، وقد قال قوم: إن فقه الزيدية الموجود اليوم مأخوذ من الفقه الحنفي، وهذه المقالة باطلة كسابقتها، وليس لأهل هذه المقالة مستند يستندون إليه في

ذلك، ولعل سندهم هو ما يجدونه من التشابه في بعض قواعد الفقه، وفي بعض مسائله، وذلك ليس بحجة على ما يقولون؛ لأن هناك تشابهاً أيضاً بين فقه الشافعية والمالكية وبين فقه المالكية والحنفية، وبين فقه الحنفية والشافعية في كثير من القواعد الفقهية وفي الكثير من المسائل الفقهية، ولم يقل أحد إن ذلك دليل على أن بعضهم أخذ من بعض.

وليس في أئمة الزيدية قصور في علمهم، ولا في فطنهم عن علماء الحنفية والشافعية والمالكية حتى يستبعد منهم ما أخرجوه من الفقه، وكيف يستبعد ذلك منهم، وقد أوتوا فهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلمه بنص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

وصح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعا لهم: ((اللهم اجعل العلم في زرعي وزرع زرعي)).

وقد نصبهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للأمة بعده، وجعلهم خلفاءه؛ لسد الفراغ بعد موته يتكلمون بلسانه، ويهدون بهديه، ويبينون للناس الحق عند الاختلاف بشهادة حديث الثقلين وغيره.

لذلك نقول: إنهم هم أئمة الناس يأخذ الناس عنهم، ولا يأخذون عن أحد.

- واعلم أن تينك المقالتين إنما قيلتا للخدش في فضل أئمة الزيدية، وللحط من كرامتهم، وللتقليل من شأنهم، ولتنزيل درجاتهم عن درجات غيرهم من أهل المذاهب الإسلامية في الأصول والفروع، وذلك ليرغب الناس عن معارفهم وعلومهم، ولينصرف الناس إلى غيرهم.

رموز في تأريخ المذهب الزيدي

هناك رجالات في تأريخ المذهب الزيدي كان لهم دور فعال في نعش المذهب وحياته بعد عصر علي والحسنين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والرموز كما يظهر لي هم:

١ـ زيد بن علي.

٢ـ القاسم بن إبراهيم.

٣ـ الناصر الأطروش.

٤ـ الهادي يحيى بن الحسين.

٥ـ أحمد بن الحسين وأخوه يحيى بن الحسين بن هارون.

٦ـ عبدالله بن حمزة.

٧ـ القاسم بن محمد.

٨ـ مجدالدين المؤيدي.

فهؤلاء رموز من الدرجة الأولى، ومن سواهم من الأئمة هم رموز من الدرجة الثانية.

وإنما قلنا ذلك تبعاً لما نراه من الآثار الدالة على ما ذكرنا.

ولسائر الأئمة دور فعال في حياة المذهب، ولكن آثاره دون آثار من ذكرنا، وليس ذلك نقصاً في منازلهم، فهم جميعاً عليهم السلام حجج الله على عباده، وخلفاء نبيه، وورثة كتابه، وحملة علمه، وأعلام هداه، وسفينة النجاة.

فإن قيل: كيف عرفتم ذلك؟ وكيف تم لكم الحكم لمن ذكرتم بذلك والواقع أن علماء أهل البيت كثير، فمنهم الكثير في المذهب الجعفري الاثني عشري، بل إنهم أعمدة ذلك المذهب وأركانه، ولهم علوم واسعة، وأقدام راسخة في التحقيق والتدقيق، وهكذا يوجد الكثير منهم في المذهب الشافعي والحنفي والمالكي وكلهم علماء راسخون ومحققون، فلماذا اختص من ذكرتم بتلك الأوصاف؟

وما هو الذي أنزلهم تلك المنازل عندكم دون غيرهم من علماء أهل البيت الموجودين في المذاهب الأخرى مع أنهم لا يقلون عنهم في العلم والتحقيق والتدقيق؟

الجواب ومن الله التوفيق والتسديد يكون من عدة نواحٍ:

الناحية الأولى: أنا أولاً عرفنا الحق، وبمعرفته تم لنا معرفة أهل الحق، ومعرفتنا للحق نفسه كانت بفطرة العقل، فإنا نظرنا في المذاهب الإسلامية التي هي مذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة رأينا أن مذهب الزيدية هو المذهب

الوحيد الذي سلم من الخرافات ومخالفة العقل، وسلم من الغلو والتفريط، وتوافق مع فطرة العقل والحكمة، يعرف ذلك من اطلع على المذاهب.

الناحية الثانية: أن المذهب الزيدي اعتمد في أدلته وبنى مذهبه على الأدلة التي أجمعت عليها الطوائف المختلفة بخلاف أهل المذاهب الأخرى.

فهناك أحاديث أجمعت الطوائف الشيعية والسنية على روايتها عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلى صحتها، فجعلتها الزيدية قواعد وأسساً بنت عليها مذاهبها.

أما أهل السنة والجعفرية، وغيرهما فقد بنى كل منها مذهبه على روايات اختصوا بروايتها وصححوها وحدهم دون غيرهم من أهل المذاهب، ولا شك أن ما بني من المذاهب على ما أجمعت الطوائف على صحته وروايته أولى بالحق مما بني من المذاهب على روايات غير مجمع على صحتها.

الناحية الثالثة: أن علماء أهل البيت التابعين لمذهب الشافعي أو الحنفي أو المالكي أو الحنبلي ليس لهم مذهب يدعون إليه، وإنما هم تابعون ومقلدون للإمام الشافعي أو لأبي حنيفة أو لمالك أو لأحمد بن حنبل، وإذا دعوا فإنما يدعون إلى اتباع واحد من أولئك الأئمة الأربعة.

ومن هنا فيكون وجود هؤلاء العلماء من أهل البيت في المذاهب الأخرى كالعدم، ولا يصح وصفهم بالأئمة؛ لأنهم تابعون غير متبوعين، وقد أجمع أهل المذاهب أنه لا يجوز تقليد المقلِّد ولا اتباعه في الأحكام الشرعية، وهم مقلِّدون.

الناحية الرابعة: اختصت الجعفرية بمذاهب لا برهان لهم عليها إلا روايات رووها هم وحدهم، ولم يروها غيرهم من طوائف المسلمين، لا الزيدية ولا غيرهم.

أما مذاهب الزيدية فبرهانهم عليها روايات مجمع على صحتها عند الجعفرية وأهل السنة والزيدية، فمن هنا قلنا إن أهل البيت (الزيدية) هم المرادون بما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته، وقد قال أمير المؤمنين كما في النهج: (فاعرف الحق تعرف أهله).

التَّقِيَّة

ـ التَّقِيّة هي إظهار موافقة العدو في رأيه ودينه عند الخوف على النفس من القتل أو الضرب والتعذيب موافقة باللسان دون القلب.

ـ وقد أجاز الله تعالى التَّقِيّة وأباحها في كتابه الكريم فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦]، وقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران:٢٨].

وحكى تعالى عن أصحاب الكهف قولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف].

وتأتي التَّقِيّة على صور:

١ـ أن يكره المكلف على النطق بكلمة الكفر فيباح له أن ينطق بها إذا خاف القتل أو التعذيب بالجلد أو بقطع عضو أو بنحو ذلك.

٢ـ يجوز للمكلف أن يتكتم على مذهبه ويظهر للناس أنه على مذهبهم إذا خاف القتل أو نحوه كما سبق.

ودليل الصورة الأولى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ...﴾ ودليل الصورة الثانية آية أصحاب الكهف، ويتفرع على هاتين الصورتين: أنه يجوز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا خاف المكلف على نفسه من القتل أو التعذيب.

٣ـ يجوز للمكلف ترك الصلاة والصيام إذا خاف على نفسه القتل أو التعذيب.

ـ إذا أكره المكلف على قتل مؤمن أو مسلم فلا يجوز له أن يقتله إذا خاف على نفسه القتل.

ـ إذا أكره العالم على فتوى باطلة وخاف على نفسه القتل إن لم يفتِ فتجوز له الفتوى بشروط:

١ـ أن لا تتعلق باستباحة دم مسلم أو انتهاب ماله.

٢ـ أن يأمن من التلبيس على المؤمنين في دينهم كأن يكون في المؤمنين من

يعرفهم أن الفتوى صدرت عن إكراه فلا يعتبر بها، أو أنه يمكن المفتي أن يبلغ المقتدين به أنها فتوى عن إكراه فلا يغتر بها أحد، أو أن تكون الفتوى في مسألة فرعية ظنية خلافية، كأن يكره المجتهد على الإفتاء بأن الزكاة واجبة في الخضروات والفواكه وجميع ما أخرجت الأرض.

بعض التقية تجوز لحجج الله على خلقه كالأئمة وبعضها لا تجوز، فلا يجوز له أن يعلم الناس ويبلغهم إلا الحق الصافي، ولا يجوز له أن يحرف أو يزيد أو ينقص من أجل الخوف على نفسه.

ـ ويجوز له تأخير البيان لبعض الأحكام الشرعية إلى آخر وقت؛ للخوف على نفسه، كما فعله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في تبليغ ولاية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[الفرقة الناجية ونظرتها إلى الصحابة]

جاء في الرواية: ((ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة))، قيل: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على مثل ما كنت عليه أنا وأصحابي))، وهذا الخبر يدل على صحة دين الزيدية.

وذلك أن الزيدية -كما كانت الصحابة- لا ترى لصحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما لم يروه لأنفسهم، فلم يتجاوزوا برأيهم رأي الصحابة.

إذاً فحال الزيدية كحال الصحابة فلم يقدسوا الصحابة، بل قالوا: إنهم قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذممناه، ومن أحسن منهم حمدناه.

[كلام للإمام الهادي الحقيني في إمامة أمير المؤمنين]

من وصية الإمام الهادي الحقيني عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو: علي بن جعفر بن الحسن، من ذرية الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(وأشهد أن أمير المؤمنين، إمام المسلمين بعد رسول رب العالمين، لما خصه الله تعالى بمجموع الفضائل والمناقب، ووضعه في أشرف المناصب، بمنصوص التنزيل، المعرض للتأويل، لتقابل الأشباه والأمثال، وتعارض المعاني

والأشكال، سميناه نصاً خفياً، وإن كان معناه عند الرساخ واضحاً جلياً.

وأما كبار الصحابة الذين تصدروا للإمامة ونهضوا بالخلافة فلا أغمص نفوسهم وأغراضهم، ولا أقابل بالشتم أعراضهم، بل أجد موجدة الزاري عليهم، والمستريب منهم، لتمسكهم بالمحتملات، وتعلقهم بالمتأولات، وأَكِل أمرهم إلى الله تعالى). انتهى من الحدائق الوردية.

[الاستدلال بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة]

من كلام لعلي عليه السلام قاله لابن عباس حين بعثه ليحتج على الخوارج قبل محاربتهم ما معناه: (لا تحاججهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن حاججهم بالسنة).

هكذا قال أمير المؤمنين إن القرآن ذو وجوه، والمعنى: أن الكثير من آيات القرآن يمكن أن تفسر بتفسيرين أو أكثر، فلا يتمكن ابن عباس من إقناعهم؛ لأن ابن عباس إذا قال لهم في هذه الآية كذا وكذا قالوا: لا، بل المعنى كذا؛ لذلك أرشده أمير المؤمنين عليه السلام إلى الاحتجاج بالسنة.

ولعل قائلاً يقول: ما هي الحكمة والغرض التي دعت الحكيم تعالى إلى أن يجعل آيات الكتاب الكريم ذات وجوه يمكن أن تفسر من كل وجه بتفسير يخالف تفسيرها من الوجه الآخر؟

قلنا: يمكن الجواب على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون تلك الوجوه التي تحتملها الآية محل اختبار وابتلاء للمسلمين، فالمؤمن الصادق في إيمانه يأتي إلى تفسير الآية من الوجه الصحيح إذا عرفه وتحققه.

أما المسلم الذي ليس بصادق في إيمانه فإنه إذا رأى الآية محتملة لعدة تفاسير أخذ بالتفسير الذي يوافق هواه، وترك التفسير الصحيح.

وقد قال الله تعالى: ﴿الم۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۝٢...﴾ الآيات [العنكبوت]، لذلك جعل الله تعالى احتمال الآية الواحدة لعدة تفاسير اختبارًا للمؤمنين، ولا سيما العلماء.

وتلك الآيات التي تحتمل عدة تفاسير سماها الله تعالى متشابهات؛ لأنه يشتبه على الناظر فيها المعنى المراد، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..﴾ الآية [آل عمران٧].

ومن هنا ترى علماء المذاهب الاستدلالية كلاً يفسر من آيات القرآن ما يوافق مذهبه، ولا تجد صاحب ضلالة من أهل الإسلام إلا وهو يتأول من القرآن ما يدعم ضلالته.

فإن قلت: إذا كانت آيات القرآن كذلك، فكيف يمكن للمؤمن معرفة التفسير الصحيح الذي يريده الله تعالى؟

قلنا: قد بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأمته طريق السلامة التي تؤدي بالمسلم إلى معرفة الحق، وأكد في البيان ووضح الدلالة، فجعل صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته علامة للحق وآية دالة عليه إلى يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتواتر المعلوم الذي روته طوائف المسلمين وأجمعوا على صحته، وهو في صحيح مسلم-: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)).

وبين صلى الله عليه وآله وسلم من هم أهل بيته في حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه، وأجمعت الطوائف على صحته، وأكد ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه، وأجمعت الطوائف على صحته: ((..قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...)) الحديث.

هكذا علمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف يصلون عليه، وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك شريعة باقية إلى يوم القيامة؛ فدل ذلك على أن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يفارقون في دينهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما بقي التكليف.

وتعليم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأمته كيفية الصلاة عليه ليس من تلقاء نفسه، وإنما هو من عند الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى۝﴾ [النجم] ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر].

ولو علم الله تعالى أن آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سيخالفون الحق بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو في الأزمنة المستقبلة لَمَا قرنهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولما شرع الصلاة عليهم مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما بقي التكليف.

ولكن أمة محمد تنكرت لأهل بيته من بعد موته، وأعرضت عنهم، بل حاربتهم وقتلتهم، ثم جعلت لعنهم على منابر الجمعة سنة، وقد استمرت تلك السنة الملعونة من عهد معاوية إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز فأزالها، وجعلت حب علي بن أبي طالب وأهل البيت ذنباً لا يغفر (زندقة).

وما زالت عداوة أهل البيت إلى اليوم دينًا يدان به، وما زالت محبتهم والاهتداء بهديهم ذنبًا عظيمًا وجريمة تخرج صاحبها من الإسلام تقريبًا.

وأهل هذا المذهب هم الكثرة الغالبة من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة.

وبذلك يكون أهل السنة والجماعة قد أغلقوا على أنفسهم الطريق المؤدية إلى معرفة الحق الذي عناه الله تعالى وأراده من تفسير آيات القرآن، فلا يمكنهم أبدًا معرفة ذلك ولا سبيل لهم إلى الوصول إليه.

وهكذا لا يجوز الركون إلى مذهبهم وعقائدهم؛ لأنهم أعرضوا عن الطريق الصحيحة المؤدية إلى المذاهب الحقة، وأخذوها من طريق مريبة.

الاختلاف

لا يلبث أهل المذهب الواحد فترة من الزمن إلا ويحدث فيهم الخلاف فينقسمون إلى مذهبين، ثم بعد مدة من الزمن ينقسم كل واحد من المذهبين إلى مذهبين، وهكذا. وإذا نظرت إلى مذاهب المسلمين وجدتها كذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ۝١١٨ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود]، أخبر الله تعالى أنه لا يرتفع الخلاف في الدين بين البشر إلى يوم القيامة.

تستدل المجبرة من هذه الآية أن الله تعالى يريد الاختلاف ويشاؤه، والزيدية تقول: ليست الإشارة راجعة إلى الاختلاف كما توهمته المجبرة، بل راجعة إلى الرحمة، أي: وللرحمة خلقهم؛ لأن الرحمة أقرب، وهذا هو الظاهر.

وأرى أنه يصح رجوع الإشارة إلى الاختلاف، ويكون المعنى: أن الله تعالى خلقهم لغرض أن يكونوا مختارين فيما كلفوا به من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فالله تعالى قد شاء وأراد أن يختار المكلف أي الطريقين، وإذا كان المكلفون كذلك فلا بد من حصول الاختلاف بين المكلفين؛ لاختلاف أهويتهم وأغراضهم، ولاختلافهم في الذكاء والفطنة.

فيكون معنى ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: وللتكليف الذي من شأنه حصول الاختلاف خلقهم، ويكون من المجاز المرسل، وعلاقته إطلاق اسم المسبَّب على السبب.

والقرينة الدالة على هذا المجاز قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ۝٥٦﴾ [الذاريات]، فأكد تعالى هنا بالحصر والقصر على أنه ما خلق الجن والإنس لأي غرض من الأغراض إلا لغرض هو أن يعبدوه، فنفى في هذه الآية نفيًا مؤكدًا أنه ما خلقهم للاختلاف ولا لغيره، وأنه إنما خلقهم لعبادته.

أسباب الاختلاف

الاختلاف ناشئ عن طبائع البشر، فبعض الاختلاف ينتج عن اختلاف النظر والرأي والتفكير، وبعضه ناشئ عن اختلاف ميول الأهواء.

وهذا الاختلاف عام فيما يرجع إلى أمور الدنيا وفيما يرجع إلى أمور الدين، وهناك أسباب من شأنها أن تربط الناس بعضهم ببعض وتجمعهم، وهي:

١- مصالح مشتركة.

٢- عدو مشترك.

٣- عقيدة دينية.

وأقوى الروابط وأصدقها هي العقيدة الدينية، ولا بد لاستمرار الترابط والاجتماع والوحدة من إخلاص الأفراد ووفائهم لبعضهم الآخر، والنصيحة لهم، والرحمة والشفقة والمحبة، ويفك ترابطهم الخيانة والطمع والحرص والاستئثار وما أشبه ذلك.

وقد أرشد الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى فعل الأسباب التي تقوي الروابط، ونهى عن الأسباب التي تؤدي إلى فك الروابط، واستقصاء ذلك يطول.

نهى الله تعالى عن الاختلاف والتفرق على سبيل الاستغراق والعموم، وتوعد على ذلك بالعذاب العظيم كما في سورة آل عمران، إلا أن الله تعالى عفا عن شيء من الاختلاف، وهو ما كان منه في الجزئيات العملية، وحصل عن طريق الخطأ والنسيان، فقال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب٥]، وفي الحديث المشهور: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان))، وهكذا بعض فروع مسائل علم الكلام.

تفسير القرآن الكريم

جاء التحذير الشديد من تفسير القرآن بالرأي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعن علماء الأمة الإسلامية، والمراد تفسيره بغير علم، أو تفسيره بما يطابق الهوى، أما تفسيره على حسب ما تقتضيه اللغة العربية فلا محذور فيه، أو على ما ورد به الأثر من تفسيره عن الراسخين في العلم فكذلك لا محذور فيه.

وجاء التحذير أيضًا من ضرب القرآن بعضه ببعض، وذلك بأن يقول القائل: هذه الآية تناقض تلك الآية، ومعنى آية كذا يخالف آية كذا، وهكذا، والواجب على المؤمن إذا توهم مثل ذلك أن يعتقد أنه لا تناقض ولا مخالفة في حقيقة الأمر بين آيات القرآن، وأن الوهم إنما نشأ من الجهل وسوء الفهم.

ولعل الحكمة في وقوع ما يوهم التناقض والمخالفة في الكتاب العزيز تتمثل في:

١- الابتلاء والاختبار، ويلحق هذا القسم بالمتشابه، والحكمة فيه هي الحكمة في المتشابه.

٢- جرّ أسماع المشركين الذين أعرضوا عن سماع القرآن إلى استماعه من جديد، فإن وجود ما يوهم التناقض والمخالفة جرهم إلى استماعه والتأمل فيه رجاء أن يجدوا فيه مطعنًا، ولكنهم لما تحققوا وتأملوا ما ظنوه تناقضاً في أول الأمر وجدوه سليماً من التناقض.

[بعض روايات في التوسل]

سؤال: ما قولكم فيما روي عن الأنبياء عليهم السلام من التوسل بالخمسة الذين هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وذلك كما روي في تفسير: ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ..﴾ [البقرة٣٧]، وكما روي عن إبراهيم وموسى صلى الله عليهما وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، وما رأيكم في قول الداعي المتوسل: يا علي أو يا حسيناه الغوث الغوث، أعوذ بك من كذا وكذا ومن الشيطان الرجيم؟

الجواب والله الموفق: أن ما روي من توسل الأنبياء بالخمسة صلى الله عليهم صحيح جاءت به الروايات الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا سيما توسل آدم فإن ابن تيمية على تشدده في هذا الباب قد اعترف بصحته في بعض كتبه سمعت هذا عن سيدي الحجة مجدالدين المؤيدي أيده الله تعالى.

نعم، التوسل بحق الخمسة وبسائر الأئمة من أهل البيت وسائر عباد الله الصالحين مشروع، لا كما يقوله الجاهلون من أنه بدعة شركية تُدْخِل صاحبها في حكم المشركين، وقد أجاب علماء المسلمين على أهل هذه المقالة، وأوردوا ما جاء من التوسل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والتوسل المشروع أن يقول الداعي: اللهم إني أسألك بحق محمد وآله أو بحق غيرهم من عباد الله الصالحين أو بنحو ذلك، أما نحو قولهم: أسألك يا علي

أو يا فلان أن تغيثني، أو أعوذ بك من الشيطان الرجيم، فلم يرد على هذه الصفة ونحوها، وإنما المروي هو نحو ما ذكرنا.

أما حكم ذلك فإنه لا يجوز أن نحكم على قائل ذلك بالشرك أو بالبدعة، وذلك أن الاستعاذة وطلب الغوث من غير الله تعالى جائز.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ..الآية﴾ [الأنفال٧٢]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ..﴾ [القصص١٥]، وقوله تعالى حكاية: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴿٨٠﴾﴾ [هود]، وقد استجار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم رجع من الطائف إلى مكة بمطعم بن عدي فأجاره، وهذا أمر معروف في الإسلام وقبل الإسلام، وجاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام فأقر ذلك ولم ينكره، بل إنه صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكرنا قد استجار من المشركين بمطعم بن عدي.

ويجوز عقلاً وشرعاً أن يستعيذ المرء من عدوه بالجبل أو بالحصن أو بغير ذلك، وبناءً على ذلك فلا يقال لمن طلب الغوث والجوار والعياذ من حي أو ميت- إنه مبتدع أو مشرك، بل غاية ما أتى من يطلب الغوث من ميت أنه طلب ما لا يحصل، أو من لا يقدر، وطلب ذلك من حي أو ميت لا يكون شركاً.

فإن قيل: فما هو الشرك؟

قلنا: الشرك هو عبادة غير الله تعالى، وما ذكر سابقاً ليس بعبادة، وإنما هو طلب وسؤال، ولا يجوز حمله على غير ذلك في حق المسلمين.

أصول علم الكلام ومنبعه

علم الكلام في الحقيقة من العلوم التي اشتمل عليها القرآن وتحدث عنها بكثرة، فقد تحدث القرآن عن:

١- إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وقدرته وعلمه، و..إلخ، وصرف في إثبات ذلك الآيات ونوع الدلالات، والنظر والفكر.

٢- التوحيد ونفي الشريك والصاحبة والولد وأن لا إله إلا هو، وفند شبه المشركين والنصارى وغيرهم كل ذلك بدلالات متنوعة وبكثرة كاثرة.

٣- تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات وعن صفات النقص.

٤- العدل في أحكامه وأفعاله.

٥- الجبر والاختيار والإرادة والمشيئة والرضا والكراهة والقضاء والقدر و... و...إلخ.

٦- الوعد والوعيد والبعث والحساب والجنة والنار والإيمان والكفر والنفاق والفسق والضلال والهدى، والخلود في النار، والصغائر والكبائر، والإحباط والتكفير، والوزن.

٧- فيه ذكر الأنبياء والرسل والمعجزات والآيات.

٨- وفيه ذكر الخلافة والوزارة والملك والاختيار والاصطفاء وآيات ذلك ودلالاته وآياته وعلاماته.

٩- فيه ذكر أعمال الأنبياء والرسل ومسؤولياتهم.

١٠- فيه ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشرائطه.

١١- فيه ذكر الأرزاق والآجال حتمها وخرمها.

١٢- وفيه ذكر الأديان والملل والنحل، وذكر المذاهب الخرافية والمذاهب السماوية وذكر الشبه، وفيه ذكر القال والقيل والإيرادات والردود والمجادلة، والشبه والحلول في الإلهيات والوعد والوعيد و..إلخ.

فالقرآن هو أصل علم الكلام ومنبعه المعين، كما أن القرآن الكريم قد اشتمل على فنون كثيرة من سائر العلوم منها علم أصول الفقه، ومنها علم الطب، وعلم المنطق وعلم الفلسفة، وعلوم الاجتماع، وعلوم السياسة والحرب والسلم، وعلم الاقتصاد، وعلم الفقه، وعلوم الأخلاق، وعلم التصوف والزهد والورع، و... و...، و..إلى آخر ما فيه من العلوم وقد عدها السيوطي في كتاب

الإتقان إلى مائة علم.

إذا عرفت ذلك فإنه لا يتفطن لتلك العلوم الكثيرة ولا يحيط بمعرفة كل فن منها كما ينبغي إلا أفراد من أذكياء الرجال، فشمر علماء الإسلام منذ أن ابتدأ عصر التدوين والتأليف فاستخرجوا من كتابهم الكريم: علم الكلام، وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه، وعلوم الأخلاق، و..إلى آخر علوم الإسلام.

فسهلوا بصنيعهم ذاك الطرق إلى معرفة علوم القرآن، ولولا ذلك لتعسر غاية التعسر على المرتادين الوصول إلى ما يريدون.

وحينئذ فتلك العلوم التي أخرجها علماء الإسلام للناس ليست إلا ترجمة لما اشتمل عليه القرآن من أنواع العلوم وأسرارها وخباياها وخفاياها، وكل ذلك إنما كان منهم قياماً بحق البيان الذي أخذه على العلماء ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧].

[الخلاف في الدين]

الخلاف في الدين هو سنة البشر وطبيعتهم منذ كانوا ولن يزالوا كذلك وتماماً كما قال العليم الحكيم: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ۝١١٨ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود].

وقد تفرقت بنو إسرائيل مذاهب شتى كما يشهد لذلك واقعهم التأريخي وبه جاء القرآن الكريم والسنة النبوية، وتفرق المسلمون بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واختلفوا قبل عصر التدوين والتأليف في علم الكلام وأصول الفقه و..إلخ إلى مذاهب غير محصورة.

ثم ألفوا وصنفوا العلوم إلى أصول فقه وأصول دين و..إلخ، فلم يحدث خلاف وتفرق زيادة على ما كان موجوداً من قبل، وهذا دليل تأريخي استقرائي يدل دلالة لا شك فيها على أن علم الكلام وعلم أصول الفقه لم يكونا سبباً للخلاف يوماً ما.

من يؤخذ عنه العلم

الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها، ولا حجر ولا حصر على طالب العلم أن يأخذ العلم من أينما وجده.

غير أنه يجب عليه إذا رأى اختلاف الأمة أن يعلم أن الحق هو ما يقوله أهل البيت عليهم السلام دون ما يقوله غيرهم، فطالب العلم إذا استصحب في طلبه هذا المبدأ فلا عليه أن يأخذ العلم من أي مكان.

وهكذا كان علماء الزيدية في جميع أدوار التأريخ فقد كان لهم معرفة تامة بمذاهب أهل السنة وبمذاهب سائر فرق الشيعة، ولهم اطلاع واسع على أصولهم وفروعهم وأقوال علمائهم، ومن له معرفة بعلم الأئمة عرف ذلك واستيقنه.

والإمام الهادي عليه السلام حين ذم الذي يأخذ دينه عن غير آبائه إنما أراد به الذي يدين بغير دين آبائه ويترك دينهم.

أما الذي يدين بدين آبائه عليهم السلام ويقتدي بهم فلا يزيده الاطلاع على مذاهب غيرهم إلا بصيرة وهدى.

هذا، والواجب على طالب العلم أولاً أن يتعلم معالم الإسلام عند علماء أهل البيت عليهم السلام وعند علماء الزيدية، فإذا استحكمت معرفته في علومهم فلا عليه أن يتعرف على ما عند أهل المذاهب الأخرى.

متى يجب الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام

يجب الرجوع إلى علم أهل البيت في المسائل التي اختلفت فيها الأمة دون ما لم يحصل فيه خلاف فلا يجب الرجوع إليهم، وذلك نحو: علم النحو وعلم الصرف وعلوم البلاغة وعلم المنطق وعلم تفسير مفردات اللغة وتفسير مفردات القرآن وإعرابه وبلاغته وفصاحته كتفسير الكشاف.

أما تفسير المتشابه فيجب الرجوع فيه إلى تفسير الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك يجب الرجوع إلى مذاهبهم والأخذ بها في علم الكلام وأصول الفقه وعلم الفقه.

لمن القرآن

أنزل الله تعالىٰ القرآن المجيد للناس جميعاً لم يخص به أحداً من دون أحد، وأخذ سبحانه وتعالىٰ علىٰ العلماء أن يبينوا للناس ما تضمنه القرآن من الشرائع والأحكام و..إلخ؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾، وقد كان الرسول ﷺ هو الذي يبين للناس ما نزل إليهم من القرآن.

وقد كان مما بين ﷺ وشرح لأمته أنهم إذا اختلفوا في شيء من شرائع القرآن وأحكامه وتفسيره وتأويله فإنه يجب عليهم الاحتكام إلىٰ علماء أهل بيت نبيهم ﷺ، فإن الحق معهم وفيهم لا يفارقهم ولا يفارقونه إلىٰ يوم القيامة.

[دور أهل البيت عليهم السلام في توضيح الحق]

وأهل البيت عليهم السلام قد قاموا بدورهم في هذا المجال فإنهم نظروا منذ يومهم الأول في كل ما عند علماء أمة محمد ﷺ من العلم والخلافات فيه فأصدروا القول الفاصل في الخلافات، وبينوا الحق في جميع علوم القرآن، فكتبوا في معارف التوحيد والعدل والوعد والوعيد والإمامة و..إلخ.

وكتبوا في علوم الاستنباط والاجتهاد وما يلحق بها، وكتبوا في علم الحديث والفقه والسير والتصوف والعرفان والتأريخ و...إلخ.

فبينوا في كل ذلك الحق وأيدوه بالحجج والبراهين، وفندوا أقوال كل من خالف الحق بالأدلة الواضحة، وكل ذلك قياماً منهم بحق الخلافة التي جعلها الرسول ﷺ إليهم في حديث الثقلين.

وقد كان من أبرز أعمالهم علىٰ طول التأريخ في هذا المجال أن فندوا ما جاءت به المعتزلة في علم الكلام من الأقوال الخارجة عن الحق، دون ما وافق الحق فلم يتعرضوا لإبطاله، بل أيدوه ونصروه.

وكذلك نظروا فيما جاء به أهل الحديث من الروايات عن النبي ﷺ فردوا منها ما خرج عن الحق دون ما سواه، وهكذا نظروا في أصول الفقه الذي

جاءت به المعتزلة والأشعرية فردوا باطلها، وأيدوا ما وافق الحق منها.

وألفوا في كل ذلك مؤلفات خارجة عن الحصر، يذكرون فيها مذاهب الناس على التفصيل، ويذكرون حجة كل قول، ثم يذكرون بعد ذلك الحق الذي يقوله أهل البيت عليهم السلام، ويدعمونه بالحجج الواضحة، ويردون على كل ما خالفه بالردود والحجج الواضحة.

علوم الإسلام وكتبه

القرآن هو منبع العلوم الإسلامية وهو الكتاب الأول في كتب الإسلام، وقد كانت صدور المؤمنين في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي كتبهم، فقد كانوا يعتمدون في حفظ العلم على صدورهم، ولم يجمعوا القرآن الكريم في المصحف إلا بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين رأى الصحابة حفظة القرآن يتهافتون صرعى في حروب الردة.

أما السنة فلم يكتبوها إلا في القرن الثاني، وأول كتاب كتب في السنة هو مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السلام، ثم كتب الناس في السنة، وصنفوا في التفسير والتأريخ وعلم الكلام وفي غير ذلك، وكل ذلك في القرن الثاني.

❀❀❀❀❀

قسم أصول الفقه

[أصول الفقه في القرآن الكريم]

اشتمل القرآن على ما يلي:

١ـ أوامر يراد بها الإرشاد والندب دون الوجوب مثل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الحاقة:٢٤]، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [تبارك:١٥]، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة:٢]، ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

٢ـ أوامر يراد بها الوجوب مثل: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النور:٥٦]، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة:٦]، ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة:٦].

٣ـ صيغ أوامر ويراد بها التهديد مثل: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات]، ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠].

وهكذا جاءت صيغ النهي في القرآن الكريم فمرة تأتي للإرشاد والندب مثل: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ومرة تأتي للتحريم مثل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١].

٤ـ أوامر للوجوب لا يعرف المراد منها مثل: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فإن المكلف لا يدري ولا يعرف المعنى المراد من هذا النص، فلا يدري كيف يقيم الصلاة، ولا يعرف كيف يؤدي الزكاة.

٥ـ أوامر للوجوب واضحة المعنى المراد، مبينة لا تحتاج إلى بيان مثل: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...الآية﴾ [المائدة:٦].

٦ـ أوامر تعم الرجال والنساء مثل: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ... الآية﴾، وأوامر تخص الرجال مثل: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩]، ومثل أوامر الجهاد وقتال المشركين وأهل الكتاب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧ـ أوامر للوجوب على كل مكلف من ذكر وأنثى، وأوامر إذا قام بها البعض سقط الوجوب عن الباقين، مثل القتال في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ـ قد يأتي في الآية الأمر بحكم عام مثل: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣]؛ فإن هذه الآية أباحت للمؤمن أن ينكح من النساء ما يطيب له وما يعجبه، ولم يستثن في هذه الآية أختاً ولا بنتاً ولا خالة ولا عمة ولا بنت أخ ولا بنت أخت، ولا مزوجة ولا معتدة.

وأباحت له أن يتزوج باثنتين أو بثلاث أو بأربع، ولم يستثن في هذه الآية الجمع بين الأختين.

ـ ثم يأتي في آيات أخرى أو في سور أخرى ما يدل على إخراج البعض مما ذكر في عموم الآية التي ذكرنا.

فجاء في آيات أخر النص على تحريم نكاح الأم والبنت والأخت وبنت الأخ وبنت الأخت والعمة والخالة وأم الزوجة والربيبة وزوجة الأب وزوجة الابن والمزوجة والمعتدة، وجاء النهي عن الجمع بين نكاح الأختين.

فالآية الأولى تسمى عامة، والآيات التي جاء فيها تحريم نكاح من ذكرنا تسمى آيات خاصة، والآيات الخاصة بمثابة الاستثناء من العموم.

وهذ النوع كثير في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، ولوقوع هذا النوع في الكتاب والسنة كان لا بد للعالم من معرفة الألفاظ التي تدل على عموم الحكم وشموله، وهي ألفاظ كثيرة، وتعين عليه أن يتوقف عن العمل بالحكم العام حتى يبحث في جميع القرآن هل يجد آية تستثني بعضاً من ذلك العام.

ثم كان على الناظر في ذلك أن ينظر هل يصح أن يقع الاستثناء من عموم القرآن بالحديث النبوي، أو بإجماع الصحابة أو بإجماع أهل البيت، وهل يصح الاستثناء من عموم القرآن بأنواع المفاهيم والإشارات وغيرها.

ثم اعلم أن صيغة الأمر قد تدل على حكم منطوق وحكم مفهوم، مثل: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة:٦]، فإنها دلت على وجوب التيمم بالتراب

الطيب، ودلت على أنه لا يجوز التيمم بالتراب الخبيث، فالأول منطوق والثاني مفهوم، والمنطوق أقوى من المفهوم.

ـ واعلم أن لفظة ﴿طَيِّبًا﴾ في الآية يمكن تفسيره بتفسيرين:

١ـ أن يكون بمعنى طاهر.

٢ـ أن يكون بمعنى أنه صالح للزراعة.

وإذا كان الأمر كذلك فعليه أن يبحث وينظر هل يصح أن يراد كلا المعنيين؟ أم لا يصح إلا واحد.

[أبواب أصول الفقه موجودة في القرآن]

أبواب أصول الفقه موجودة ضمناً في القرآن الكريم، وإليك البيان:

-فيه أوامر للوجوب مثل: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النور:٥٦]، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ [المائدة:٣٥].

-وأوامر للتهديد مثل: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات].

-وأوامر للإباحة مثل: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:٥٧].

-وأوامر للإرشاد والندب مثل: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

-وفيه نواهٍ للتحريم مثل: ﴿لَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ [الإسراء:٣٢]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، و...إلخ.

-وفيه أوامر مطلقة مثل: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وأوامر مقيدة مثل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة:٦].

-وفيه المطلق مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة:٣].

-وفيه المقيد مثل: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام:١٤٥].

-وفيه العام مثل: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩].

-وفيه الخاص مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ [المائدة:٣].

-وفيه المجمل مثل: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١].

-وفيه المبين مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ..﴾ الآية [المائدة:٣].

-وفيه المنسوخ مثل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة:٢٤٠].

-وفيه الناسخ مثل: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤].

-وفيه العزيمة: مثل آية الوضوء.

-وفيه الرخصة: مثل آية التيمم.

-وفيه الأداء مثل صيام شهر رمضان.

-وفيه القضاء مثل: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤].

-وفيه ا لمحكم والمتشابه كما في آية آل عمران.

-وفيه دلالات نصية، وفيه دلالة ظاهرية، وفيه دلالة لزومية، ودلالة إيماء، ودلالة إشارة، وفيه دلالة المفهوم، وأنواع المفهوم كثيرة، وتتفاوت الدلالات في القوة.

-وفيه الأحكام المعللة والأحكام غير المعللة.

وفيه العلل التي اعتبرها الشارع للترخيص، فذكر منها المرض والسفر في الصوم، وذكر في موضع آخر المطر والسفر في صلاة الخوف، وذكر الضرورة في موضع: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩].

وفي القرآن أوامر للولاة، وأوامر لأفراد المؤمنين، وأوامر مؤقتة بأوقات، وأوامر مشروطة بشروط، وأوامر مرسلة غير مشروطة.

وهناك أوامر في القرآن الكريم تجيء على صورة الخبر لأغراض يعرفها علماء اللغة، وهناك نواهٍ ترد على صورة الاستفهام.

وفيه نفي يراد به الإثبات وهكذا العكس لأغراض يعرفها الراسخون في علم لغة العرب.

-وفيه كلمات زائدة لأغراض بلاغية.

-وكلمات تحذف لنفس الغرض.

-وفيه الحقائق اللغوية والحقائق الشرعية والدينية، وفيه المجازات اللغوية والشرعية والدينية، وفيه الكنايات والرموز والتلويح، وفيه الظاهر والمؤول، وفيه...، وفيه...إلخ.

وقد كان العرب الذين نزل عليهم القرآن يعرفون ذلك كله بغير تعب، ولا يحتاجون في معرفة ذلك وفهمه إلا إلى الذكاء، وجودة الفهم وصفاء الذهن، وإمعان النظر والتأمل.

ومع طول الزمان ضاعت اللغة العربية (لغة القرآن)، فصنف العلماء الكتب الكثيرة في معرفة لغة العرب، وصنفوها إلى أصناف:

-علم النحو والإعراب والتصريف.

-علم البلاغة.

-علم مفردات اللغة.

وإنما وضعوا ذلك لأن معرفة الكتاب الكريم والسنة النبوية لا تتم كما ينبغي إلا بالمعرفة الراسخة بتلك العلوم.

-ثم أخذوا من علوم اللغة العربية الثلاثة التي ذكرناها ما تدعو إليه الحاجة الماسة لاستنباط الأحكام القرآنية والنبوية، وأفردوه بالتأليف ليسهل معرفتها على الطالب لها وسموا ذلك (أصول الفقه).

[علم أصول الفقه علم اقتضاه القرآن]

علم أصول الفقه علم اقتضاه القرآن، وذلك لأن فيه:

١- أحكام عامة مثل: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٨] فيعم ما على الأرض من حيوان ونبات.

٢- أحكام خاصة استثنائية مثل النهي عن أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل، والنهي عن شرب الخمر، و..إلخ، فهذه أحكام خاصة استثناها الله تعالىٰ مما كان أحله في قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾.

٣- أحكام مجملة مثل: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾، فإن المخاطبين لم يفهموا ما هو المراد بالصلاة، ولا الزكاة حتىٰ بين ذلك لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٤- أحكام مبينة مثل ما في آية المواريث.

٥- أحكام تستفاد من صريح اللفظ مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة:٣].

٦- أحكام تستفاد من مفهوم اللفظ لا من صريحه، وبعضها من حقيقته، وبعضها من مجازه.

٧- أحكام مطلقة، وأحكام مقيدة.

٨- أحكام واجبة، وأحكام مندوبة، وأحكام محرمة، وأحكام مكروهة، وأحكام مباحة، وأحكام عزيمة، وأحكام رخصة، و...إلخ.

٩- أحكام منسوخة، وأحكام ناسخة.

١٠- ألفاظ محكمة، وأخرىٰ متشابهة.

١١- ظواهر ومفاهيم يتوهم فيها التعارض، تحتاج إلىٰ نظر وترجيح.

١٢- يوجد في القرآن والسنة ألفاظ بعضها يطلق علىٰ معنيين في لغة العرب وقد يكونان مختلفين، ومثل هذا يسمىٰ المشترك اللفظي، وبعضها يطلق علىٰ معنىٰ واحد لا غير وهذا يسمىٰ النص، وبعضها يطلق علىٰ واحد في الأغلب وقد يطلق علىٰ غيره في حالات، وهذا يسمىٰ الظاهر.

١٣- فيه أوامر بعضها يفيد الوجوب، وبعضها الندب، وبعضها يفيد الإباحة، وبعضها للتهديد، وفيه نواهٍ بعضها للتحريم، وبعضها للكراهة، وبعضها للتهديد، وفيه استفهامات بعضها يفيد الإنكار، وإذا كان كذلك فالمستفهَم عنه محرم، وبعضها للتقرير أي طلب الإقرار، وبعضها لطلب الفهم، و....إلخ.

١٤- وهناك حوادث جديدة لا يوجد في الكتاب والسنة تحديد الحكم، وإنما يحدد فيها الحكم بالقياس على ما يشبهها، فاحتاج العلماء إلى بيان القياس الذي ترتب عليه الأحكام الشرعية.

نعم، هذا بالنظر إلى واحد من العلوم التي اشتمل عليها القرآن وهو علم الفقه، فلا يتأتى ولا يصح لمن يريد أخذ الأحكام الفقهية من القرآن والسنة إلا بعد أن يكون ذا بصيرة وقدم راسخة في معرفة كيفية الاستنباط، وهو ما نسميه بأصول الفقه.

أما الذي يحاول أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة من غير معرفته بعلم الاستنباط فإنه يحاول ما لا يتأتى ولا يمكن، وما مثله إلا كمثل الذي يحاول الكتابة بغير قلم، أو الطيران بغير جناح.

وقد تكلم أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا العلم -أعني علم الاستنباط (علم أصول الفقه)- في نهج البلاغة، وذكر فيه جميع أبوابه تقريباً، وذلك في أول خطب النهج، وفي كلام له يبين فيه طرق رواية الحديث؛ فذكر عليه السلام في هذين الكلامين أكثر أبواب أصول الفقه.

وذكر الإمام زيد بن علي عليه السلام بعض أبواب أصول الفقه في بعض رسائله التي في الكتاب الذي جمع رسائله وكتبه، وهو مطبوع.

وفي الحقيقة علم أصول الفقه هو جزء من علوم اللغة العربية، وإنما أفرده العلماء لشدة الحاجة إليه في علم الاستنباط.

وسنضرب مثالاً من القرآن يظهر فيه صحة ما ذكرنا سابقاً فنقول:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]: يستدل العلماء بهذه الآية على حل جميع ما خلقه الله تعالى في الأرض من أعيان الأشياء ومنافعها، على سبيل الاستغراق والعموم.

ونحن إذا أردنا معرفة ذلك من الآية فلا بد لنا أن نكون على علم كامل ومعرفة تامة راسخة بمفردات هذه الآية، وبمعرفة تركيبها، فالذي يعرف أساليب كلام العرب وتراكيب لغتهم يعرف من هذه الآية: أن الله تعالى ذكر الناس في هذه الآية بجليل نعمه وكثرتها وسعتها، وتمنن عليهم بذلك، وأنه هو وحده الذي أعطاهم ذلك، لا الأصنام التي يعبدونها.

هذا هو المعنى الذي يفيده هذا التركيب، ويفهمه كل من كان من أهل اللسان العربي في زمان الوحي، فاحتجنا نحن إلى أن نعرف اللغة لنفهم هذا المعنى.

والمستنبط للأحكام بعد معرفته باللغة يستنبط معنى آخر غير ما فهمه أهل اللغة بذكائه وحسن نظره، فيقول في فكره: كل ما على الأرض من منافع وأعيان حلال غير حرام؛ لأن الله تعالى امتن على عباده بخلق ذلك لهم، وهو تعالى لا يمتن بخلق الحرام. هذا هو أول نظر المستنبط.

واستفاد المستنبط استغراق ما على الأرض من لفظة «ما»، فقد ذكر أئمة اللغة العربية أنها تفيد العموم والاستغراق للعقلاء وغير العقلاء، ثم من لفظة «جميعاً» التي تؤكد الاستغراق المفهوم من لفظة «ما».

أنواع الدلالة

- دلالة النص.
- دلالة الظاهر.
- دلالة المفهوم وهي متنوعة.
- دلالة الإيماء، ودلالة الاقتضاء، ودلالة الإشارة.
- وفيه الحقيقة والمجاز والكناية بأنواعها.
- وفيه الألفاظ المترادفة، والألفاظ المشتركة.
- وفيه عمومات مخصوصة وعمومات لم تخص، وفيه العام الذي يراد به الخاص.
- وفي القرآن أيضاً:

- أحكام شرعية معلَّلَة.
- وأحكام شرعية غير معلَّلة.
- وفيه التنبيه إلى استعمال القياس واعتماده في استنباط الأحكام الشرعية.
- وفيه الدليل على أن القرآن العظيم هو أول الأدلة وأعظمها وأقواها، وأن سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القولية والفعلية دليل يجب اتباعه.
- وفيه تصنيف المؤمنين إلى صنفين:

١- العلماء.

٢- غير العلماء.

وأن وظيفة العلماء هي العمل بما علموه، ووظيفة غيرهم سؤال العلماء واستفتاؤهم.

- وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن الأدلة الدالة على الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين: قطعية وظنية، وأن الأحكام الشرعية تنقسم تبعاً لذلك إلى قسمين: قطعية وظنية.
- وأن لكل من القسمين أحكاماً تخصه.
- وفيه ما يشير إلى أن الأحكام الظنية تتفاوت في القوة والضعف.
- وفيه ما يشير أيضاً إلى أن اتباع الراجح أولى من اتباع المرجوح.
- وأن الخطأ في الأحكام الظنية بعد الاستقصاء في البحث والتحري معفو عنه.
- وقد تحدثت آيات القرآن أنه كان في أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علماء وغير علماء: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾ [المجادلة:١١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ...﴾ [آل عمران:١٨].

- والعلم ينقسم إلى فطري واكتسابي، فالعلم الفطري لا يحتاج إلى تجشم طلبه واكتسابه، والعلم الاكتسابي لا يحصل إلا بطلب وتعلم، وقد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل إلى الناس ليعلموهم هذا العلم الاكتسابي قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة].

في هذه الآية أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس لعدة أمور:

١- يتلو عليهم آياته.

٢- ويزكيهم.

٣- ويعلمهم الكتاب والحكمة.

فالأمر الأول هو تلاوة القرآن على الناس.

والأمر الثاني هو تطهيرهم من دنس الشرك والقبائح ومعاصي الله تعالى عموماً والسمو بهم بطاعة الله.

في نهج البلاغة في وصفه عليه السلام للقرآن الحكيم: (مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسِّراً -أي النبي- مجمله، ومبيناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاق علمه، وموسع على العباد في جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه، وواجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله، ومباين بين محارمه...إلخ).

من كتاب القياس من مجموع الهادي عليه السلام

«فإذا علم العالم ذلك، وأتى على معرفته، وعرف مجمله ومحكمه، وفروعه ومتشابهه.. إلى قوله: أو بقياس يصح من السنة.. إلى قوله: قد حكم به المجمل المؤصل، وبينه الفرع المفصل...

إلى قوله: فيكون العالم في علمه واستخراجه لما يحتاج إليه من حكمه من

كتاب الله وسنته على قدر ما يكون من صفاء ذهنه وجودة تمييزه واستحكام عقله وإنصاف قلبه وجودة تمكن علم الأصول في قلبه وثبات علم الكتاب والسنة في صدره...

إلى قوله: فإذا كملت معرفة العالم بأصول العلم وصحت معرفته بفهم غامض الشرائع المفهوم، فكان لعلمه به واستدراكه لغامضه وجودة دراسته وإحاطته بباطنه وظاهره قاهراً بحول الله وقدرته لما يرد عليه من متشابهه، عارفاً بما يحتاج إليه من قياس، مطلعاً بتمييز فروعه، بصيراً بتفريع أموره.

..إلى قوله: فكلما ورد عليه فرع من الفروع رده إلى أصله، وكلما ورد عليه شيء من متشابهه بينه بالرد إلى محكمه..

..إلى قوله: فمثله كمثل أهل الصناعات من الأبنية والصباغات، فإذا كان منهم صانع محكم لعمله محيط بأصل صناعته، عارف بابتدائها وانتهائها عالم بتأليفها وإحكامها...إلخ.

..إلى أن قال عليه السلام: ثم اعلم أيها السائل أن الحق لا يؤخذ إلا من أحد ثلاثة وجوه: كتاب ناطق، أو إجماع من الأمة فيما نقلته عن النبي عليه السلام من السنة التي جاء بها عن الله، وأمر بينته وصححته العقول».

وعلى الجملة فكتاب القياس للإمام الهادي عليه السلام يدل على أن هناك علماً يتوقف عليه استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة لا يتأتى الاستنباط إلا به.

وقد بين عليه السلام في هذا الكتاب الكثير من أبواب أصول الفقه؛ فذكر مصادر التشريع التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

- وذكر شروط قبول الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر فيها عرضه على كتاب الله.
- وذكر فيه شروط صحة القياس.

[من كلام للإمام زيد عليه السلام في أصول الفقه]

من كلام للإمام زيد عليه السلام في خطبة له عليه السلام في أصحابه قبل بدء القتال: (والله ما قمت فيكم حتى عرفت التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ).

ومن كلام له في صفة الإمام: (لا ينبغي لأحد منا أن يدعو إلى هذا الأمر حتى يعلم التنزيل والتأويل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وعلم الحلال والحرام، والسنة الناسخة ما كان قبلها، وما يحدث كيف يرده إلى ما قد كان لمثل ما فيه وله).

بيان:

١- التنزيل مثل: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، فتنزيل هذه الآية يفيد أن أموال المسلمين محرمة لا يحل لأحد أن يأخذ مال أحد إلا ما يؤخذ عن طريق البيع والشراء.

وسمي ذلك تنزيلاً لأنه معنى مفهوم من ظاهر الكلام لا يحتاج فهمه ومعرفة معناه إلى تفهم وعناء.

٢- التأويل: في الآية المتقدمة:

١- أنه يثبت للمشتري خيار الرؤية، فإنه إذا اشترى سلعة لم يرها فله الخيار إذا رآها، فإن رضيها بعد الرؤية وإلا ردها للبائع.

٢- خيار فقد الصفة؛ فإن كان المبيع على الصفة التي وصفت له فذاك، وإلا ثبت له الرد على المشتري.

٣- يثبت للمشتري خيار تعذر تسليم المبيع، كأن يكون المبيع غائباً فهو بالخيار إن شاء أخذه وانتظر عودته، وإن شاء رده على المشتري.

٤- ومثل ذلك خيار تعذر تسليم الثمن، وهو للبائع.

٥- وخيار الغرر، كأن يشتري الرجل شاة مصراة.

٦- وخيار الخيانة في بيع المرابحة.

٧- وللمشتري الخيار لجهله قدر الثمن أو المبيع.

٨- وخيار الشرط.

٩- وخيار العيب.

ومن تأويل هذه الآية:

- أنه لا بد من تلافظ بين البائع والمشتري؛ لأن التراضي أمر قلبي لا بد من لفظ يدل عليه من الطرفين.
- وأنه يشترط أن تكون السلعة المباعة معلومة محددة؛ لأنه لا يتصور أن يرضى المشتري أن يدفع الثمن في شيء مجهول.
- وأنه يشترط أن يكون الثمن معلوماً.
- وأنه لا يصح بيع من أكره على البيع وهكذا الشراء.

• وبما أن القرآن الكريم خطاب للعقلاء بدليل: ﴿وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ۝١٩٧﴾ [البقرة]:

- فإنه لا يصح بيع الصبي والمجنون ولا شراؤهما.
- وأن بيع المرأة وشراءها جائز.
- وأنه يبطل خيار المشتري إذا اطلع على العيب في السلعة، ثم دفع الثمن أو استعملها أو طلب الشفعة بها، أو عالج العيب وأصلحه أو نحو ذلك مما يدل عرفاً أو عادة أو عقلاً على رضاه.
- ومن تأويلها أن طلب المكاسب عن طريق التجارة شرع مشروع في الإسلام.
- ومن تأويل الآية أنه يجوز معاملة المسلمين بعضهم لبعض بالبيع والشراء ونحوهما من غير سؤال وبحث عن ملكية البائع للمبيع وملكية المشتري للثمن.
- ويتفرع على ذلك أن ثبوت اليد على الشيء دليل على الملك يستفاد ذلك من الإضافة ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾.
- ويتفرع على ذلك أن على الحاكم أن يحكم باستحقاق ذي اليد على ما تحت يده، إلا إذا عارض الثبوت دليل أقوى منه.

- وبما أن القرآن الحكيم قد علَّل التبادل بين البائع والمشتري بالتراضي بينهما فإنه يؤخذ من الآية: أنه يجوز أخذ الهبة والصدقة والهدية والعطية و...إلخ إذا طابت بذلك نفس الواهب والمهدي والمعطي.
- ومن تأويل الآية أنه يحرم أكل ما أخذ بوجه الحياء من غير طيبة نفس صاحبه.
- ومن تأويلها أنه لا يجوز للوالي أن يسعر على البائع ويمنعه من الزيادة عليه، ثم يكرهه على البيع بذلك السعر، وذلك لعدم رضاه وطيبة نفسه.
- وعلى ضوء هذه الآية تنزيلها وتأويلها فإذا أراد الوالي التسعير فليوفر للتجار والباعة السلع المطلوب تسعيرها، ويتفق هو وإياهم على أن يبيعها منهم بسعر محدد، ويبيعوها هم على المواطنين بسعر محدد.

إذا عرفت ذلك- فاعلم أن علم تأويل القرآن لا يتأتى إلا لمن رسخ قدمه في علم الأصول، وكان مع ذلك ذا ذكاءٍ وفطنة، وذا تقوى وتوفيق، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

- وأول من وضع هذا العلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ففي كتاب نهج البلاغة: (إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، وحفظاً ووهماً....) وفي آخر كلامه هذا عليه السلام بيان أقسام الناس: (وحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه...إلخ).

فمن هنا يمكننا أن نعرف أنه كان في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان ذا قدم راسخ في علم التأويل والاستنباط، إلا أن علم الاستنباط لم يدون في عصرهم ولا في عصر التابعين، وكانوا يعتمدون على الحفظ.

- وقد أدرك علماء المسلمين أهمية هذا العلم فدونوه في عصر التدوين.
- وأهمية هذا العلم ليست لذاته وإنما هو وسيلة إلى استخراج فقه القرآن وشرائع الحلال والحرام.

- ولا يختلف هذا العلم باختلاف مؤلفيه؛ إذ هو في أغلبه قواعد لغوية مثل: الأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والمنطوق والمفهوم، والنص والظاهر والمؤول، والمطلق والمقيد، والحقيقة والمجاز...إلخ.
- وخلاف علماء المسلمين في هذا العلم قليل، ومحل الخلاف فيه هو في مسائل معدودة:

١- حجية إجماع أهل البيت.
٢- حجية قول الصحابي وعدالة الصحابة.
٣- حجية قول علي عليه السلام.
٤- حجية إجماع الأمة.
٥- حجية العقل.
٦- المصالح المرسلة.
٧- القياس في الأسباب والمقادير.

وهناك خلافات قليلة في فروع هذا العلم لا يترتب عليها فساد.

- وعلماء الأصول متفقون على أن القرآن الكريم أول الأدلة، وأن السنة في المنزلة الثانية، وإن اختلفوا بعد ذلك في المأخوذ به من المرويات الآحادية.

[حكم الاختلاف في الآراء الفقهية]

إن اختلاف المجتهدين في الآراء الفقهية الاجتهادية اختلاف ثقافي يسمح به الإسلام، وينص على التخفيف في شأنه القرآن، وقد أجمع على ذلك علماء الإسلام بما فيهم أهل البيت عليهم السلام.

والدليل على ذلك هو دليل استقرائى، فهذا إمام المذهب الهدوي يحيى بن الحسين الهادي إلى الحق عليه السلام يخالف جده القاسم بن إبراهيم عليه السلام في مسائل فقهية، ويخالف إمام الزيدية زيد بن على عليه السلام في مسائل كما ذلك معروف، ويختلف أيضاً مع نفسه عليه السلام فتراه يقول في الأحكام بقول ويقول في المنتخب بقول آخر يخالف القول الذي في الأحكام.

وترى الإمام الناصر الأطروش عليه السلام يخالف الهادي في مسائل فقهية، ويخالف زيداً في مسائل أخرى، وهكذا أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يكاد يتفق اثنان منهم في كل المسائل الفقهية.

ومن أراد المزيد من معرفة اختلاف الأئمة في المسائل الفقهية فليرجع إلى كتاب البحر الزخار والجامع الكافي وغيرهما من الكتب الفقهية التى تتوسع في البحث، ومع هذا الاختلاف فإن أحداً منهم لا يضلل الآخر، ولم يجعلوا ذلك سبباً لقطع أواصر الأخوة الإيمانية والمودة الإسلامية، بل يتوفر كل منهم على القيام بكامل الحقوق التى قضى بها الإيمان وفرضها الإسلام.

وما ذلك منهم إلا أنهم فهموا نصوص القرآن الذي أرشدهم إلى ذلك الصنيع، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، فمن هنا ذهب أهل البيت عليهم السلام عامة إلى أن المجتهد إذا وفى النظر حقه في المسألة أصاب أم أخطأ فإنه لا يجوز تضليله ولا تأثيمه، وأن ذهابه إلى رأيه الفقهى لا يخرجه من عصمة الإيمان وحصانة الإسلام، وحريم التقوى، وأن ذلك غير مخل بالاعتصام بحبل الله تعالى.

من أبواب أصول الفقه

باب الاجتهاد والتقليد، ومن مسائله: «كل مجتهد مصيب».

وهذا إنما هو في المسائل الفرعية الظنية التي لم يدل عليها دليل قاطع من الكتاب والسنة، كمسألة المضمضة والاستنشاق، فمن علمائنا من يقول إنهما من واجبات الوضوء وفرائضه، ومنهم من يقول إنهما من مسنونات الوضوء.

- وقد أجمع علماء الزيدية أن مثل هذا الخلاف لا يستنكر شرعاً، ولا يوجب إثماً، بل إن علماء المسلمين عامة -إلا من لا يعتد به- يقولون مثل قول الزيدية، وقد استدلوا على هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].
- وقد أقر الله تعالى اجتهاد نبي الله داود واجتهاد نبي الله سليمان حين حكم

كل واحد منهما باجتهاده، ولم يستنكر تعالىٰ عليهما ذلك الاختلاف، وحكاه لنا تعالىٰ في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ۝٧٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء]، فأخبر تعالىٰ أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حظي بتوفيق الله في اجتهاده، ولم يستنكر علىٰ اجتهاد داود، بل أثنىٰ الله تعالىٰ عليهما معاً، ونعتهما جميعاً بالعلم والحكمة، وأنهما من المحسنين الذين استحقوا ثواب الله وكرامته بشرف الدنيا والآخرة.

- وقد حكىٰ الله تعالىٰ لنا اختلاف المسلمين في يوم بني النضير فقال بعضهم: نقطع النخيل لنغيظ أهلها، وقال آخرون: بل نبقيها لينتفع المسلمون بها؛ فقطع بعض وترك بعض، فنزل القرآن بتصويب الفريقين فقال سبحانه في ذلك: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَايِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ۝٥﴾ [الحشر].
- وقد اشتهر في السِّيَر وعند المحدثين أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمر المسلمين عند عودتهم من غزوة الخندق فقال لهم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة)) فخرج المسلمون بعد عودهم من غزوة الخندق إلىٰ غزو بني قريظة، فصلىٰ بعضهم في الطريق، وبعض آخر لم يصلوا العصر إلا بعد العشاء في بني قريظة، وقالوا: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نهانا أن نصلي العصر إلا في بني قريظة، وقال الذين صلوا في الطريق: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يرد منا تأخير صلاة العصر عن وقتها وإنما قصد منا المبادرة فوراً إلىٰ بني قريظة من غير أن نلوي علىٰ شيء.

وحين أخبروا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يستنكر علىٰ أحد من الفريقين، هذا معنىٰ القصة وهي مشهورة.

[أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة وما يلحق بهما]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، أما بعد:

فإن أخذ الحكم الشرعي من الكتاب والسنة وما يلحق بهما يتوقف على حصول عدة أمور لا بد منها:

١- المعرفة التامة بكلام العرب:

أ- مفردات اللغة، ولا سيما مفردات الكتاب والسنة، فلا بد أن يكون الناظر على علم بالأسماء والأفعال والحروف والظروف، وما تحمله كل كلمة من معنى.

ب- وأن يكون عارفاً بتراكيب كلام العرب وأسراره، وهذا باب واسع وعقبة كؤود لا يقطعها إلا نوادر الأذكياء الصابرين الذين تلحظهم العناية الربانية بالتوفيق والتسديد والإعانة، وزيادة الفهم والذكاء والحفظ، وتنوير القلب والإعانة.

[من أين أُخِذَت قواعد أصول الفقه؟]

نقول: أصول الفقه عبارة عن قواعد كلية مأخوذة من اللغة العربية ومن القرآن ومن قضايا العقول، وليس مأخوذاً من عند أهل السنة.

وسأسرد لك أيها القارئ قواعد من أصول الفقه لتعرف صحة ذلك:

١- الأمر للوجوب لا يخرج ذلك إلا بقرينة. من اللغة.

٢- النهي للتحريم إلا لقرينة. من اللغة.

٣- النهي يدل على فساد المنهي عنه في العبادات والمعاملات. هذا من الشرع.

٤- لفظ العموم يدل على تناول جميع أفراده على جهة النصوصية أو على جهة الظهور، وألفاظ العموم كثيرة. وهذا مأخوذ من اللغة.

٥- ولفظ الخاص بخلاف العام ودلالته أوضح وأقوى من دلالة العام. مأخوذ من اللغة.

٦- يعمل بالخاص فيما تناوله وبالعام فيما بقى. مأخوذ من اللغة والعقل.

٧- الأدلة منها قطعى ومنها ظنى، والقطعى أقسام: قطعى الدلالة والسند، وقطعى السند ظنى الدلالة.

٨- وأتبعوا هذه القسمة أحكاماً تتعلق بكل قسم فقالوا: يعمل بالدليل القطعى الدلالة والسند في المسائل العلمية والمسائل الظنية، ويعمل بسائر الأقسام في المسائل الظنية لا غير، وهذان القسمان مأخوذان من العقل والشرع.

٩- إذا تعارض العام والخاص قدم الخاص. من اللغة.

١٠- إذا تعارض المطلق والمقيد حمل المطلق على المقيد. من اللغة.

١١- إذا تعارض النهى والأمر رجح النهى. من العقل.

١٢- إجماع الأمة حجة ودليل. من الشرع.

١٣- إجماع أهل البيت عليهم السلام حجة ودليل. من الشرع.

١٤- القياس حجة ودليل. من الشرع والعقل.

١٥- الاستصحاب حجة ودليل. من العقل والشرع.

١٦- درء المفاسد أولى من جلب المصالح. من العقل.

١٧- الأمر المطلق لا يقتضى المرة أو التكرار، والنهى يقتضى التكرار. من اللغة.

١٨- الأمر لا يقتضى الفور لغة، والنهى يقتضى الفور لغة، والشرع ربما دل على الفور فيهما.

١٩- النص دلالته قطعية. من اللغة.

٢٠- المفاهيم دلالتها ظنية. من اللغة.

٢١- المفاهيم أدلة يجب العمل بموجبها. من اللغة.

٢٢- ينقسم الدليل القولي إلى: نص، وظاهر، ومؤول. من اللغة.

٢٣- إذا تعارض النص والظاهر فالنص هو المقدم. مأخوذ من اللغة والعقل.

٢٤- الدليل القولي ينقسم أيضاً إلى أقسام:

-بلفظ الحقيقة.

-بلفظ المجاز.

-بلفظ مشترك.

-بلفظ عرفي.

-بلفظ لغوي.

-بلفظ شرعى.

وكل قسم من هذه الأقسام الستة إما على جهة النصوصية وإما على جهة الظهور، وكل ذلك مأخوذ من علم المعاني والبيان، ولكل من هذه الأقسام حكم يتعلق به عند التعارض.

٢٥- والأمر قد يأتي بلفظ الخبر تارة، وبصيغة الاستفهام تارة أخرى، وبصيغة العرض، وبصيغة التمنى، وقد يأتي عن طريق الكناية، والكناية باب عريض منها: الكناية بالوعيد، ومنها الكناية بالذم، ومنها الكناية بالتمثيل، ومنها الكناية بالمدح، ومنها الكناية بالإنكار التوبيخى أو الإنكار الإبطالي، و...إلخ؛ وهذا مأخوذ من علم المعاني والبيان.

٢٦- وهناك أدلة معنوية تابعة للأدلة المقالية منها: معاني التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، ومعاني الصفات والغايات، والحصر والقصر، ومعاني الأولى والمساوي، والرمز والإشارة، والتعريض والكناية، واللازم والملزوم. وكل ذلك مأخوذ من علم المعاني والبيان.

٢٧- ترجيح الأدلة بعضها على بعض. مأخوذ من العقل والشرع.

٢٨- معرفة الناسخ من المنسوخ. من نقل أهل الشرع.

٢٩- شروط النسخ. من العقل والشرع.

٣٠- وجوب الاجتهاد أو التقليد. من الشرع والعقل.

٣١- وفي أصول الفقه بيان معاني: الواجب، المحرم، المندوب، المباح، المكروه، الصحيح، الباطل، الفاسد، الرخصة، العزيمة، الدليل القطعي، الدليل

الظنى، الدليل الضعيف، الراجح، المرجوح، الآحاد، المتواتر، المتلقى بالقبول، المشهور، العدالة، الجرح، المحكم، المتشابه، المجمل، المبين، النص، الظاهر، المؤول، العام، الخاص، المطلق، المقيد، المنطوق، المفهوم، و...إلخ. وكل ذلك مأخوذ من اللغة والشرع.

بهذا يتبين أن علم أصول الفقه مأخوذ من اللغة العربية في الغالب، واللغة العربية هى لغة القرآن: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨].

واللغة العربية لا تنسب لأحد دون أحد، وحينئذ فتلك المعارف اللغوية ليست من علم أهل السنة، والذي هو من علم أهل السنة على التحقيق هو: الجبر والقدر، والتشبيه، والإرجاء، والرؤية لله سبحانه وتعالى علواً كبيراً يوم القيامة، والشفاعة للعصاة الذين ماتوا غير تائبين من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والخروج من النار، وتقديم الثلاثة الخلفاء على أمير المؤمنين في الخلافة والفضل، وتولي معاوية ويزيد، ومعاداة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومعاداة شيعتهم و..إلخ؛ فهذه العلوم هى التى يقال فيها: إنها من علم أهل السنة.

وبعد، فالقرآن عربي مبين نزل بلغة العرب العرباء، وحينئذ فمعرفة أحكامه ومعانيه وأسراره وحكمه وغرائبه وبدائعه ولطائفه و..إلخ كل ذلك يتطلب بالضرورة الحتمية معرفة اللغة العربية معرفة كاملة ومعرفة رسوخ وإحاطة وشمول، ولا يكون ذلك إلا بإتقان المعرفة لعلم أصول الفقه، وعلم النحو، وعلم مفردات اللغة، أما علم المعاني والبيان فقد أحاط به علم أصول الفقه.

ومن هنا فإن من يتعاطى تفسير القرآن من دون ذلك فقد ورط نفسه في الهلكات، وضل وأضل، وتقول على الله تعالى، وهذا أمر واضح متقرر عند العقلاء.

نعم، تلك أصول الفقه التى ألفتها الزيدية، وأجمع كتاب هو كتاب (شرح الغاية للحسين بن القاسم رحمة الله عليه)، وهو كتاب يذكر فيه كل مسألة من مسائل أصول الفقه ويقول: قال أئمتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كذا، وقالت الأشعرية كذا، وقالت

المعتزلة كذا، ويقول: قال الهادي والمؤيد بالله وأبو طالب والمنصور بالله عليهم السلام كذا، وقال الجويني والغزالي كذا، وقال فلان كذا، ثم يقول: والدليل على ما ذهبنا إليه كذا، والجواب على الجويني والغزالي كذا وكذا.

وعلى هذا يذكر الأقوال، ودليل كل قول، والجواب على كل قول، ثم ينتصر لمذهب أئمتنا عليهم السلام.

وحينئذ فما كان على هذه الصفة لا يقال: إنه من علم أهل السنة والجماعة، كيف يكون من علم أهل السنة وهو يقول: قال الإمام القاسم الرسي والإمام الناصر الأطروش والهادي إلى الحق: إن الأمر للفور، وقال...إلخ.

المؤيد بالله عليه السلام ليس له هناك كتاب موضوع في علم أصول الفقه غير أنه ذكر كل قواعد أصول الفقه من أولها إلى آخرها في كتابه الفقهي الكبير (شرح التجريد)، وكذلك الهادي عليه السلام ليس له كتاب خاص في أصول الفقه غير أنه ذكر قواعد الأصول في كتاب (الأحكام) و(المنتخب)، وسائر كتبه.

وكذلك قواعد أصول الفقه موجودة بحذافيرها في كتاب (شرح الأحكام لعلي بن بلال)، وفي (شرح التحرير للإمام أبي طالب).

فعلم أصول الفقه موجود عند علماء الزيدية الذين يشتغلون بعلم الفقه من قديم الزمان، وكانوا يخلطون علم الفقه وعلم أصول الفقه؛ فجاء الشافعي وفصل علم أصول الفقه عن علم الفقه، وهو أول من ميز أحدهما عن الآخر فاحتذى الناس بعد ذلك بالإمام الشافعي، فجعلوا علم أصول الفقه في كتاب على حدة للتسهيل والتيسير.

وهذه الحقيقة حقيقة عامة يعرفها جميع علماء المسلمين المطلعين على تطور التصنيف والتأليف.

الخلاف المحرم في الإسلام

الخلاف المحرم في الإسلام الذي جاءت النصوص القرآنية على تحريمه والتحذير منه هو الخلاف في أمهات المسائل القطعية العلمية كمسألة الرؤية، ومسألة الجبر، ومسألة التشبيه والتجسيم، ومسألة الإمامة، فمثل هذه المسائل هى التى حرم الله تعالى الخلاف فيها والاختلاف.

والدليل على ذلك عدة أمور:

-أن هذه المسائل ونحوها هى التى فرقت المسلمين وصاروا فرقاً مختلفين بسببها، فمنهم: أشعرية، ومعتزلة، ومجبرة، ومرجئة، وحشوية، وزيدية، وإمامية، و...إلخ.

-أنه يضلل بعضهم بعضاً بسبب الخلاف في تلك المسائل، في حين أنه لا يضلل بعضهم بعضاً في المسائل الظنية.

[قاعدة كل مجتهد مصيب]

«كل مجتهد مصيب» هذه قاعدة كلية نقول في التعليق عليها:

علماء أمة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ متفقون بما فيهم علماء الزيدية على أن اختلاف رؤى المجتهدين في المسائل الاجتهادية ليس سبباً للضلال، وأن ذلك ليس مما يتنافى مع قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وأئمة الزيدية كغيرهم يختلفون كثيراً في المسائل الاجتهادية من غير تناكر بينهم ولا تضليل.

بل إن كثيراً من الأئمة يختلفون مع أنفسهم وأقرب مثال على ذلك اختلاف اجتهاد الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأحكام عن اجتهاده في المنتخب في كثير من المسائل الاجتهادية.

ولا خلاف بين علماء أمة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الباب فكلهم متفقون على ما ذكرنا.

إلا أنهم فريقان: فريق يقول: كل مجتهد مصيب، وفريق يقول: بل من أصاب الحق فهو المصيب، ومن أخطأه فهو معذور.

مضت على ذلك القرون وتتابعت الأجيال، سلف يعقبه خلف، الزيدية وغيرهم، ولم تر الأمة في ذلك الصنيع ما يتنافى مع قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، بل الذي رأت علماء الأمة أن قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا..﴾ الآية، يحتم على كل واحد التمسك بالقرآن والاستناد إليه في جميع أموره على قدر استطاعته: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، فتمسكوا بالقرآن، وأخذوا منه أحكام الإسلام على قدر مبالغ علمهم فاتفقوا على الكثير من الأحكام الفقهية، واختلفت آراؤهم في القليل مما خفي مأخذه وغمض استنباطه.

وكان لا بد من حصول ذلك لما طبع الله عليه البشر من الخطأ والصواب، وقد قال تعالى في مثل ذلك: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، وحينئذ فالخطأ في الاجتهاد معفو عنه بنص القرآن وإجماع أهل البيت والزيدية وإجماع الأمة.

وقد حكى الله تعالى الاجتهاد وذكره وقرره في دين غير دين الإسلام، وذلك في دين شريعة داود وسليمان عليهما السلام فإنهما صلوات الله عليهما حكما في قضية من القضايا فاختلفت أحكامهما، فلم ينكر الله تعالى عليهما ذلك الاختلاف، بل مدحهما وأثنى عليهما في كتابه الكريم ثناءً حسناً يذكران به إلى يوم القيامة فقال جل جلاله وهو يحكي هذه القصة: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝٧٩﴾ [الأنبياء]، فلم يكن ذلك خلافاً محرماً ولا ذنباً وفرقة.

أصول الفقه مأخوذ من القرآن

١- (الأمر للوجوب) قاعدة من قواعد أصول الفقه دل عليها القرآن في آيات كثيرة، وكذلك قاعدة: (النهي للتحريم).

٢- حجية القرآن وحجية أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله وتقريراته كل ذلك مأخوذ من القرآن.

٣- قبول خبر المؤمن العدل وعدم قبول أخبار الفساق دل عليها القرآن.

٤- تفسير المحكم والمتشابه، والمجمل والمبين أرشد إليه القرآن.
٥- المجمل والمبين أرشد إليه القرآن.
٦- التعميم والتخصيص والإطلاق والتقييد أرشد إليه القرآن.
٧- الناسخ والمنسوخ دل عليه القرآن.
٨- الاجتهاد والتقليد دل عليه القرآن.
٩- العفو عن المجتهد المخطئ بعد التحري دل عليه القرآن، وذلك عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].
١٠- الرخصة والعزيمة مذكورة في القرآن.
١١- قاعدة: (دفع المفاسد أولىٰ من جلب المصالح) دل عليها القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]، وفي غيرها من الآيات.
١٢- قاعدة: (عند الضرورة تباح المحظورات) دل عليها القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]، وفي آيات أخرىٰ.
١٣- جواز الاجتهاد لمن كان أهلاً للنظر، وجواز التقليد لمن لم يكن أهلاً للنظر كل ذلك في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل].

ولو استعرضنا جميع قواعد أصول الفقه لوجدنا أن كل قاعدة عليها دليل من القرآن ناطق بصحتها.

قد يقول قائل: إذا كان القرآن قد اشتمل علىٰ معالم علم الكلام وعلىٰ معارف أصول الفقه فما فائدة تدوين ذلك؟ مع أن في القرآن كفاية، وحينئذ فلا فائدة إلا تطويل الطريق علىٰ طالب العلم وشغله بها عن القرآن.

قلنا: في إخراج أصول الفقه من القرآن وتوضيحها تقريب للطالبين وتسهيل علىٰ الراغبين، فإن من المتعسر علىٰ طالب العلم أن يحيط بعلم أصول الفقه من

القرآن بل إن ذلك من المتعذر، وهذا في حين أنه لا بد من تراجمة للقرآن يترجمون ما اشتمل عليه ويفسرون ويبينون أسراره وكنوزه وعجائبه وغرائبه.

وما علم الكلام وعلم أصول الفقه وعلم الفقه وعلم التصوف والعرفان إلا فيض من بحره، وترجمة لما اطلعوا عليه من أسرار علومه.

ولا يزال العلماء إلى يوم القيامة يغترفون من بحر علومه ويخرجونها للناس ويشرحونها ويبينونها؛ لأنه الكتاب الذي لا تنتهي أسراره ولا تنقضي عجائبه.

[الأحكام الشرعية التي كلف الله بها المكلفين]

- الأحكام الشرعية التي كلف الله تعالى بها المكلفين تنقسم إلى قسمين: قطعية وظنية، وقد أجمع علماء المسلمين بما فيهم الزيدية أنه يجب قطعاً العمل بالقسمين جميعاً، وإنما فرقوا بين القسمين بأن من أنكر الحكم القطعي فإنه يصير بإنكاره له كافراً مرتداً، أما من أنكر الحكم الظني فإنه لا يحكم بكفره وردته.
- وقد أطبق علماء الزيدية وعلماء الأمة جميعاً أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود دليل في الكتاب والسنة أو إجماع الأمة، وأن جواز الاجتهاد إنما يكون عند عدم الدليل من الكتاب والسنة والإجماع، أما أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب الكريم فهو استخراج أحكام موجودة، وليس باجتهاد على الحقيقة، وإن سموه اجتهاداً فإنما هو توسع، إلا أنه لا يستطيع استخراج أحكام القرآن إلا المجتهد.
- وهناك اليوم حوادث جديدة تحتاج إلى علماء مجتهدين لتجديد أحكامها على ضوء ما فهموه وعرفوه من أحكام الله وذلك مثل التلقيح الطبي للعقيم، ومثل إعارة المرأة بطنها لوضع بويضة ملقحة فيه إلى وقت معين، ومثل أطفال الأنابيب، والاستنساخ البشري، ومثل استعمال موانع الحمل المختلفة مع ما يتبعها من النزيف، والأمراض العصبية، وكشف العورة، وتعداد مثل ذلك يطول، فيقال في مثل هذا: كل مجتهد مصيب عند بعض العلماء، وبعض آخر المصيب واحد والآخر مخطئ معذور.

[علم أصول الفقه من واجبات العلماء]

علم أصول الفقه ليس من أركان الإيمان، ولا من الأصول الخمسة فلا يضر عوام المسلمين الجهل به؛ إلا أنه من الأركان المشروطة لمعرفة الأحكام القرآنية الخفية والدقيقة التي لا تتأتى معرفتها إلا للراسخين في العلم بالآليات الأصولية؛ لذلك قالوا: إنه من واجبات العلماء دون العوام، وإنما كان من واجباتهم دون واجبات العوام لأن العلماء ورثة الأنبياء يعلمون الناس شرائع دينهم، ويبينون لهم ما أنزل الله إليهم في القرآن وعلى لسان رسولهم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هنا قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝٧﴾ [الأنبياء].

فلو ترك الناس جميعاً علم أصول الفقه- لتغلقت عليهم المعرفة بأحكام دينهم، ولقال كل في القرآن برأيه، وتأوله على ما تشتهي نفسه، وهناك تعم الأمة الضلالات، وتستولي عليهم الجهالات.

-ونحن لا ننكر أن التفكر في آيات القرآن والتدبر لمعانيها هي الطريق الهادية إلى اكتساب المعارف الإسلامية والأحكام التشريعية، إلا أنه لا يصل إلى معرفة ذلك، ولا يتمكن من الوصول إليه إلا من يمتلك الآلية المحكمة التي خضعت للتجارب من أئمة الزيدية وعلمائها ومن علماء المذاهب الإسلامية جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، ومن أئمة بعد أئمة، وعلماء بعد علماء، عبر قرون متتابعة وإلى اليوم، ولم تسمع أذن الدنيا عبر تلك القرون أي نقد لعلم أصول الفقه من علماء أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان هناك شيء من النقد من بعض علماء الأمة لبعضهم الآخر فإنما هو في مسائل محدودة معينة، وكل ما هناك من هذا النقد فهو مدون في الكتب المبسوطة في هذا الفن.

-**وبعد،** فإن كل قاعدة من قواعد أصول الفقه تنادي بصحتها، وتحمل حجتها على ظهرها.

[أبواب أصول الفقه]

أبواب أصول الفقه قليلة هي:

١ – صيغ الأمر والنهي والخبر، وما يلحق بذلك.

٢ – العام والخاص، والمطلق والمقيد.

٣– المجمل والمبين.

٤ – المنطوق والمفهوم، وأنواع الدلالات.

٥ – الناسخ والمنسوخ.

٦ – الاجتهاد والتقليد.

متى ظهر علم أصول الفقه

سؤال: متى ظهر علم أصول الفقه؟ وكذلك علم أصول الدين؟

الجواب والله الموفق: علم أصول الفقه ظاهر منذ عهد الصحابة، وكذلك علم أصول الدين؛ فقد تحدّث أمير المؤمنين عن مبادئ أصول الفقه كما في نهج البلاغة، فذكر رواة الحديث وقسمهم إلى عدة أقسام، وذكر العام والخاص، والناسخ والمنسوخ، وقال: لا يُفْتِ الناس إلا من علم الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، و...إلخ.

وقد ذكر أئمة أهل البيت قواعد أصول الفقه في كتبهم، فتحدث الهادي يحيى بن الحسين عن القياس والعلل وشروط صحة القياس في المجموعة الفاخرة، وتحدث عن السنة والمتواتر والآحاد، وتحدث عن الإجماع، وعن المسائل القطعية والظنية، وإجماع أهل البيت، وحجية أمير المؤمنين عليه السلام.

وكذلك أصول الدين، فذلك كتاب نهج البلاغة فإن أكثره أصول دين.

نعم، كانت قواعد أصول الفقه متفرقة، وحين جاء عصر التدوين دونها العلماء وجمعوها في كتاب، وأول من دونها كما يقولون هو الإمام الشافعي رحمه الله.

وبعد، فمن المستحيل على الجاهل بقواعد أصول الفقه أن يعرف شرائع الحلال والحرام، وسائر الأحكام، وكيف يستطيع الجاهل لعلم أصول الفقه وقواعده أن يعرف أن صيغة الأمر في موضعٍ مَّا للوجوب، وفي موضعٍ آخر للندب، وفي آخر للإباحة أو للتهديد، أو...إلخ؟

وصيغ النهي كذلك، فلا يستطيع أن يفرق بين صيغة وصيغة، ومن لا يعرف الخاص والعام كيف يستطيع أن يفرق بين الشرائع العامة والخاصة، و..إلخ؟ ومن لا يعرف التخصيص كيف يصنع إذا تعارض العام والخاص؟

ومن لا يعرف الترجيح وأسبابه كيف يصنع إذا تعارضت عليه الأدلة والأمارات؟ ومن لا يعرف النسخ وما يلحق به كيف يصنع إذا تعارض الناسخ والمنسوخ؟

ومن لا يعرف المواضيع اللغوية من أين له أن يهتدي إلى معاني المجازات والحقائق، والنصوص والظواهر، ودلالة الإشارة والإيماء، ومفاهيم الخطاب؟

ومن لا يعرف المجمل والمبين وما يلحق بهما كيف يهتدي إلى العمل بهما؟

ومن لا يعرف أحكام القياس كيف يهتدي إلى معرفة أحكام لا تكاد تحصى؟ ومن....، ومن.... إلخ.

وبعد، فمرجع أغلب قواعد الأصول إلى اللغة، فباب العموم والخصوص لغوي، وكذلك المطلق والمقيد، وباب المنطوق والمفهوم لغوي، والمجمل والمبين لغوي، وباب الحقيقة والمجاز لغوي، وباب الأمر والنهي لغوي.

علم المنطق

- أُدْخِل علم المنطق في علم أصول الفقه من حيث أن موضوع المنطق وأصول الفقه يتعلق بالدليل والاستدلال.
- **وبعد،** فالمنطق غير ضروري وغير لازم ويمكن استنباط الأحكام الشرعية من دونه.

وإنما أدخل في علم الأصول لأن علماء الأصول بنوا حججهم في علم الأصول على اصطلاح المناطقة، وتكلموا فيها بلغتهم، وجروا على طريقتهم، فاحتاج مؤلفو الأصول إلى ذكر مقدمة في علم المنطق ليتوصل بها الدارس لهذا العلم إلى فهم الحجج والبراهين.

- وقد أدخل علماء الرياضيات علم المنطق في علمهم؛ فمثلاً تراهم يقولون: (أ ب = ج د، و ج د = هـ و)، فهذه تسمى مقدمات في علم المنطق، وتسمى في علم الرياضيات معطيات، فيتوصلون بهذه المقدمات أو المعطيات إلى العلم بشيء آخر وهو: أن (أ ب = هـ و)؛ لأن مساوي المساوي مساوي.

والفائدة من هذا الاستدلال المنطقي هو التوصل بمثل ذلك إلى العلم بالمجهول.

[الحواس الخمس وبداية التدوين للعلوم]

يكتسب المرء العلم بواسطة الحواس الخمس، فالحواس الخمس آلات لتحصيل العلم، فبالسمع والبصر تحصل أكثر المعلومات:

- فبالعين تدرك الأجرام الأرضية والسمائية وأشكالها المختلفة، الطويل والقصير، والمربع والمستطيل، والمثلث والمدور، و...إلخ، وألوانها المختلفة، وصفاتها المختلفة المتحرك والساكن والجماد والحيوان والنبات و...إلخ.
- وبالعين والأذن تدرك المعلومات المعروضة على شاشات التلفزيون، وبالأذن تدرك المعلومات المذاعة بواسطة المذياع.
- وبالعين تدرك المعلومات المكتوبة في الكتب والمجلات والصحف، أو على شاشات التلفزيون والكمبيوتر والإنترنت.
- وبالأذن يتلقى الطالب العلم عن أستاذه.
- أما الصم البكم فيتلقون العلم اليوم بلغة الإشارة عن طريق العين.

- وللعمي اليوم كتب يقرأونها بواسطة اللمس، فيقرأون بواسطة اللمس القرآن الكريم وغيره.
- وقد كان أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين يتلقون العلم عن طريق السماع والحفظ، ولم يكونوا يكتبون العلم، وإنما بدأ الناس يكتبونه في القرن الثاني الهجري، ولعل أول من دون العلم في الكتب أبو خالد الواسطي الراوي عن الإمام زيد عليه السلام المجموع الفقهي والحديثي، ثم تتابع العلماء بعد ذلك في تدوين العلم.
- فدون العلماء ما كانوا يحفظونه من العلم.

[هل تختلف التكاليف باختلاف طباع الأشخاص]

سؤال: هل تختلف التكاليف الشرعية من شخص لآخر بسبب اختلاف الأشخاص في الطباع أو غيرها؟

الجواب: هناك أسباب تكون علة لاختلاف بعض الأحكام الشرعية من شخص لشخص منها:

١- المريض والمسافر يختلف حكمهما عن حكم الصحيح والمقيم، كالقصر في الصلاة، وجواز الإفطار في نهار رمضان، ومثلهما المرأة المرضع والمرأة الحامل إذا خافتا على الرضيع والحمل، ولكن في جواز الإفطار دون القصر في الصلاة.

٢- المرأة تختلف عن الرجل في كثير من الأحكام الشرعية، فلا تجب الجمعة على المرأة، ولا الجهاد، ولا يجوز أن تتولى المرأة عقد النكاح، ولا أي ولاية عامة، كالإمامة، والقضاء، ونحوهما، وليس على المرأة أذان ولا إقامة، وعليها أن تستر محاسنها وصوتها بخلاف الرجل... إلخ.

٣- ويختلف تكليف العالم عن الجاهل في بعض التكاليف، فالحكم بين الناس من واجبات العلماء لا الجهال، وهكذا الإفتاء، والدعوة إلى الله وتبليغ

أحكامه، وبيان الحق، ورد الشبه، وتعليم العلم والدين، وقد يعذر الجاهل في كثير من الأحكام الشرعية دون العالم.

أما الطبائع البشرية فلا تكون سبباً لاختلاف التكليف وهذا في الجملة، وإذا لم تكن الطبائع البشرية سبباً للاختلاف في التكليف الشرعي فإن اختلاف الأزمنة أيضاً لا يكون سبباً في ذلك، وهذا أيضاً في الجملة.

[الحكمة في اختلاف أدلة الأحكام التكليفية]

سؤال: ماهي الحكمة في اختلاف أدلة الأحكام التكليفية في الوضوح والخفاء، والقوة والضعف، والعلم والظن، والقرب والبعد، و...إلخ؟

الجواب والله الموفق: أن الحكمة من وراء ذلك:

١- زيادة التكليف، فإن الأجر على قدر المشقة.

٢- الابتلاء والاختبار، «المؤمنون وقافون عند الشبهات».

٣- بيان فضل العلماء، وتمييز درجاتهم.

٤- بيان أن التكليف بالعلم ببعض الأحكام عام، وأن التكليف بالعلم بالبعض الآخر خاص.

٥- الإيذان باختلاف الأهمية لبعض الأحكام دون بعض، فإن ذلك يختلف باختلاف قوة الدليل وضعفه.

[أقسام الأحكام الشرعية الفرعية]

الأحكام الشرعية الفرعية (الأحكام الفقهية) تنقسم إلى أقسام:

١- منها ما هو قطعاً بنص القرآن أو بنص السنة المتواترة أو بالإجماع.

٢- ما ثبت بظواهر القرآن، أو بنص الحديث الظني السند، أو بمفهوم القرآن، أو بمفهوم السنة، أو بالإشارة القريبة أو البعيدة.

٣- ما ثبت بالقياس.

نعم، ظواهر القرآن هي في المرتبة الثانية، ويلحق بها إشارات القرآن ومفاهيمه، وجميع دلالاته المعتبرة.

وتأتي نصوص السنة الظنية في المرتبة الثالثة، وفي المرتبة الرابعة تحل ظواهر السنة الصحيحة، ويلحق بها إشارات السنة ومفاهيمها وجميع دلالاتها المعتبرة.

والقياس أنواع: فقسم منه يلحق بالقسم الأول، وقسم يلحق بالثاني، وقسم بالثالث، وقسم بالرابع، وقسم يأتي في الدرجة الخامسة.

-وظواهر القرآن قد تتعارض، وهكذا مفهوماته.

-وقد تتعارض نصوص السنة الظنية مع مثلها، ومع ظواهر القرآن أو مفهوماته، أو إشاراته أو مع شيء من مدلولاته.

والقياسات قد تتعارض مع مثلها أو مع الظواهر من القرآن أو السنة، أو مع غيرهما.

[علم الفقه واستنباطه]

أئمة الفقه يأخذون علم الفقه ويستنبطونه من الكتاب والسنة والقياس، وكل واحد منهم يستنبط الحكم الفقهي بعلمه وفهمه وقوة ذكائه، ولا شك أن علماء الفقه تتفاوت أفهامهم وقوة ذكائهم.

والواجب على العالم أن يستفرغ جميع وسعه وطاقته في البحث والنظر في أدلة الأحكام الفقهية وأماراتها.

الأدلة الشرعية

الأدلة

الأدلة أربعة: الكتاب، السنة، والإجماع، والقياس.

الظن

الظن الراجح القوي، والمراد به: الظن المترتب على أمارات وقرائن- حكمه كحكم العلم في العمل بموجبه في أبواب كثيرة.

وما جاء من الذم للعمل بالظن في القرآن فالمراد به الظن الذي هو عبارة عن أوهام لا تستند إلى قرائن، ولا أمارات، وإنما هي خيالات وأوهام مجردة، ومما جاء في الشريعة من العمل بالظن الذي ذكرنا:

١- شهادة العدلين، ولا يستفاد منها إلا الظن.

٢- خبر العدل، وهو لا يفيد بمجرده إلا الظن.

٣- فتوى المفتي، فإن المستفتي والمقلد لا يستفيد إلا الظن، وهكذا حكم الحاكم فالواجب العمل به وإن لم يفد إلا الظن، والمجتهد كذلك فإنه يعمل بظنه.

ومن القرائن المفيدة للظن: إذا التبس على المصلي جهة القبلة فإنه يعمل بالقرائن كمحاريب المساجد، والبوصلة و...إلخ.

ومن الأدلة على العمل بالقرائن: قوله تعالى في صفات الفقراء: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٣]، وقال تعالى في صفات المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠]، وقوله تعالى في قصة يوسف: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ۝٢٦ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ۝٢٧﴾ [يوسف].

الأحكام الفقهية

تنقسم الأحكام الشرعية الفقهية من حيث المستند إلى أقسام:

١ـ ما أخذ عن طريق النص القطعي من الكتاب أو من السنة، مثل: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة:٦]، ((الولد للفراش، وللعاهر الحجر)).

٢ـ ما أخذ عن مستند ظني، كظواهر الكتاب والحديث الظني.

٣ـ ما أخذ عن طريق القياس.

٤ـ ما أخذ عن طريق الإجماع.

وعلم الفقه علم واسع مترامي الأطراف لا يصل فيه العالم الماهر إلى نهاية، ولا يقف له على غاية، ومع ذلك فإنه علم يحتاج إلى درجة عالية من الذكاء والفهم، وقد دون علماء المذاهب الفقه، كلٌّ على مذهب إمامه.

حكم مخالف ظواهر القرآن

سؤال: يقال إن دلالة الظواهر غير قطعية، وحينئذٍ فلا يحكم بفسق مخالف ظواهر القرآن والمتواتر من السنة، هذا مع العلم أن أكثر الأحكام إنما تثبت بالظواهر؛ فما هو الرأي في هذه المسألة؟

الجواب والله الموفق: أنه قد ثبت قطعاً وجوب العمل بظواهر القرآن والسنة المعلومة، فبناءً على ذلك فإنها تكون كالنصوص في أنه يحرم مخالفتها، وفي الاستناد إليها في التكفير والتفسيق والجرح والتعديل والموالاة والمعاداة، وعلى هذا مضى السلف والخلف من علماء هذه الأمة، فإنهم يستدلون على جزئيات المسائل بالآيات العامة؛ فيقطعون السارق، ويجلدون الزاني والقاذف، ويقتلون المرتد والمشرك والباغي، و...إلخ، وكل ذلك بالاستناد إلى الآيات العامة.

ويستدلون على أنه لا يجوز نكاح المعتدة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة٢٣٥]، ودلالتها على المقصود من دلالة المجاز.

فإن قيل: هناك فرق بين النص والظاهر، من حيث إن الظاهر يحتمل إرادة غيره، بخلاف النص، فيمتنع حينئذ القطع بإرادة الظاهر، فيمتنع لذلك القطع بفسق مخالفه أو تأثيمه أو عصيانه، بخلاف النص.

قلنا: الاحتمال لا يمنع القطع؛ بدليل أن النص يحتمل التأويل، ولا خلاف أن احتماله لذلك لا يمنع من القطع بمدلوله، وحينئذٍ فيستوي النص والظاهر فيما ذكرنا.

وبناءً على ذلك فلا يجوز الالتفات إلى الاحتمال القائم في الظاهر والنص، ولا التعويل عليه، اللهم إلا عند قيام الدليل المحوج إلى ذلك، وعندئذٍ فيجب تأويل النص أو الخروج من الظاهر.

فإن قيل: قولكم هذا خروج عن طبيعة الظاهر؛ إذ أن العلم والقطع من طبيعة النص لا من طبيعة الظاهر، فتسويتكم بين الأمرين هو خلاف المشهور بين العلماء.

قلنا: لا ننكر أن العلماء قد فرقوا بين الأمرين، وأن علماء الأصول قد وضعوا لكل منهما باباً يخصه، غير أن هذا التفريق والتبويب تفريق وتبويب اصطلاحي حصل من بعد الجمع بينهما فيما ذكرنا.

ونزيد في الاحتجاج هنا فنقول: إن حجة الله سبحانه وتعالى قائمة بالأمرين، وهذا مما لا خلاف فيه، ومعنى ذلك أنه لا ينفع بين يدي الله سبحانه وتعالى حجة من يحتج أو يتعلل في تركه للعمل بالظاهر، وأن حجته داحضة.

نعم، هناك أمور نادرة قد يقع الوهم عند البعض في عدم دخولها تحت العموم، وقد يكون هناك مدلولات خفية عند البعض وظاهرة شيئاً من الظهور عند البعض الآخر أو نحو ذلك، فمثل ذلك ينبغي أن يكون هو المراد بأن دلالته ظنية، وأنه لا يجوز الاستناد إليه في التكفير والتفسيق، و..إلخ.

إذ أن الأنظار تختلف في فهمها من الظواهر، والمخطئ معذور؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة٢٨٦]، وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن١٦]، ونحو ذلك.

ومما يزيد في تأييد ما قدمنا: الإجماع على أن شريعة الإسلام عامة لكل مكلف في كل زمان ومكان.

المحكم والمتشابه

- الذي لا يعرف المحكم والمتشابه ويميز بينهما يتيه في فهمه، ويضطرب فكره، ولم يدر كيف المخرج، فيضل ويضل.
- وهذا هو حال الذي يريد أن يأخذ دينه من القرآن من غير علم بقواعد الاستنباط وأصوله.
- وعلم المحكم والمتشابه هو باب من أبواب علم أصول الفقه، فإذا سكرنا باب علم أصول الفقه وشطبنا على قواعده فإننا نكون بذلك قد وضعنا دون علوم القرآن وأنواره سداً منيعاً وحجاباً مستوراً لا يمكن اختراقه، فتبقى أحكام القرآن محبوسة خلف السد المسدود والحجاب المضروب، وحينئذ تنطمس شرائع القرآن وأحكامه، فيستولي على الأمم الجهل والضلال، ويحق عليها ما حق على الأمم من قبلها.

[النهي عن اتباع متشابه القرآن]

في مسلم كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن: حديث: ((إنما أهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب)).

وحديث: ((اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا)).

قلت: يلزم الحشوية أن يتركوا الاستدلال بالآيات التي وقع الاختلاف في معناها كالآيات التي يستدلون بها على التشبيه، والتي يستدلون بها على القضاء والقدر، و...إلخ، وذلك لهذين الحديثين اللذين رواهما مسلم في الصحيح.

الحديث

الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مصدر من مصادر الأحكام الشرعية، وهو في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم، ولا خلاف في هذه الجملة.

ولا خلاف أيضاً في قبول الحديث الصحيح، والعمل بمقتضاه، وأنه حجة يلزم العمل بها، ووقع الاتفاق على قبول الأحاديث المتواترة، والأحاديث

المتلقاة بالقبول بين الأمة.

ثم وقع الخلاف في تصحيح الأحاديث الآحادية؛ فلأهل السنة أحاديث صحاح، وللزيدية أحاديث صحاح، وللإمامية أحاديث صحاح، و..إلخ.

فالحديث قد يكون صحيحاً عند أهل السنة، وغير صحيح عند الزيدية، أو عند الإمامية، وهكذا العكس، وقد يكون الحديث صحيحاً عند الإمامية، وضعيفاً عند الزيدية، و...إلخ.

ولكل من تلك الطوائف أسس وقواعد يبنى عليها صحة الحديث أو ضعفه، فحصل الخلاف في الحديث الصحيح تبعاً للاختلاف في الأسس والقواعد، والحديث عند الجميع ليس حجة ولا دليلاً إلا إذا صح.

-وإذا اختلفت الطوائف في صحة الحديث فحكمت بصحته مثلاً طائفة أهل السنة، وحكمت الزيدية أو الإمامية بضعفه، فعلى أي القولين يعتمد الناظر؟

-**يمكن أن يقال**: لا يجوز أن يعتمد الناظر على أي واحد من القولين؛ لأن كل واحد من القولين دعوى تحتاج إلى برهان تطمئن إليه النفس.

[الحديث الذي يجب قبوله]

والحق أن الحديث الصحيح الذي يجب قبوله هو:

١-الحديث الذي تجمع طوائف العلماء على صحته، فما كان كذلك فهو حديث صحيح؛ لقيام البرهان على صحته وهو الإجماع.

٢-الحديث الذي يجمع على صحته علماء أهل البيت عليهم السلام؛ لقيام الدليل على حجية إجماعهم.

وقد اتفقت الطوائف على قبول خبر المؤمن العدل بشروط، إلا أنهم اختلفوا، فمنهم من يعدل الشخص ومنهم من يجرحه، فأهل السنة يجرحون الراوي إذا كان شيعياً، ويعدلون النواصب، والزيدية والإمامية بالعكس.

والمعلوم أن الحق لا يخرج من أيدي الأمة وأنها لا تجتمع على ضلالة، ولا خلاف في ذلك، وكل طائفة تقول إنها المحقة دون غيرها، والمفروض أن الدعوى لا تقبل إلا ببرهان يدل على صحتها، وإلا تركت.

-وحينئذ فما هو الحل؟ وما هي الطريق الموصلة إلى معرفة الحق؟

الحل والطريق: هو الأخذ أولاً بما أجمعت عليه طوائف الأمة من تفسير آية من كتاب الله تعالى أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما أجمعت عليه الطوائف من صحة تفسير آية أو من صحة حديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فليأخذ به الناظر، فإنه إذا فعل ذلك وأخذ به تفتحت له الأبواب الموصلة إلى معرفة الحق، وهذا هو ما عناه الله تعالى بقوله عز من قائل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ [النساء:٥٩]، فالرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته المجمع على صحتها عند الجميع.

ولو أن المختلفين فعلوا ذلك لارتفع الخلاف، والله المستعان وإليه ترجع الأمور.

ولا يخفى أن الزيدية هي الطائفة الوحيدة التي تدعو إلى مثل هذا، وهو تحكيم الكتاب الكريم والسنة المجمع عليها.

-ولا يخفى أن حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد تلاعبت به الأهواء، ومر بظروف سياسية أخضعته لمصالحها، وتعرض لكيد المنافقين، ودسائس المفسدين، ولخطأ الرواة، وأوهامهم و..إلخ، وحينئذ فلا بد من طريق إلى تمييز الحديث الصحيح من غيره.

وقد حاول أهل السنة والجماعة ذلك، فوضعوا الأسس والقواعد والموازين، وحققوا ودققوا، وبذلوا في هذا السبيل جهوداً عظيمة، إلا أن هذه المحاولة وذلك المجهود العظيم كان منحازاً لخدمة مذهب أهل السنة والجماعة الذي هو وليد سياسة معاوية.

[تأثير دولة بني أمية على علم الحديث]

مما لا شك فيه أن المسلمين انقسموا قسمين في عهد علي ومعاوية، وجرى بين الفريقين حروب وفتن و..إلخ.

وأطلق على أصحاب علي وأنصاره ومؤيديه اسم الشيعة، وأطلق على أصحاب معاوية وأنصاره ومؤيديه اسم أهل السنة والجماعة، وكانت العداوة بين الفريقين شديدة، وما زالت العداوة إلى اليوم.

فأهل السنة حين وضعوا الأسس والقواعد لعلم الحديث كانوا متأثرين بتلك العداوة التأريخية، ومتعصبين غاية التعصب لسياسة معاوية ومذاهبه، ومعادين لسياسة علي ومذاهبه.

ومن الأمثلة على ما ذكرنا:

١- في صحيح البخاري -وهو كتابهم الأول في الصحة-: عندما ذكر البخاري زياداً قال: زياد بن أبي سفيان.

٢- اعتمد البخاري في رواية الحديث في صحيحه على رجال اشتهروا بلعن علي بن أبي طالب عليه السلام، مثل: حريز بن عثمان، ومثل عمر بن سعد قاتل الحسين بن علي عليه السلام، وحينئذ فلا يجوز الاعتماد على ما فعلوا، ولا الوثوق بما صححوا.

[شروط صحة الحديث]

والذي أراه أنه يشترط لصحة الحديث ما يلي:

١- أن لا يكون الحديث مخالفاً للمعقول.

٢- أن لا يكون مخالفاً لكتاب الله تعالى، أو لما اتفق على صحته من الحديث، أو لما هو أقوى منه.

٣- أن يكون الحديث مشهوراً متداولاً عند جميع الطوائف الإسلامية من غير نكير، وهذا أقوى مما بعده، أو أن يكون مشهوراً متداولاً عند أهل البيت عليهم السلام من غير نكير.

[علامات ضعف الحديث]

-وللحديث الضعيف علامات وقرائن تشير إلى ضعفه:

١- منها: طول الحديث المروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري وغيره، وحديث الإسراء والمعراج.

أما ما كان مثل حديث جابر في صفة حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا؛ لأن جابراً إنما يحكي أفعال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحج وقصته.

٢- أن يشتمل الحديث على أمور غير طبيعية يستنكرها العقل أو يستبعدها، مثل حديث تميم الداري وقصته التي رواها مسلم، والتي روى فيها أنه رأى الدابة، وذكر بعد ما بين عينيها و...إلخ، ومثل حديث الصحاح أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لطم ملك الموت ففقأ عينه...إلخ.

-ومثل الأحاديث التي تذكر فيها أعداد متناسبة كأن يقول: سبعين ألف ملك، لكل ملك سبعون ألف رأس، لكل رأس سبعون ألف لسان، وكل لسان يذكر الله بسبعين ألف لغة.

[تصحيح طائفة لكتب حديثها لا يلزم الأخرى]

يحكم أهل السنة والجماعة بصحة أحاديث البخاري ومسلم و...إلخ، وللزيدية أحاديث يحكمون بصحتها، وللإمامية أحاديث تحكم بصحتها.

ولا يلزم كل طائفة أن تقبل ما حكمت بصحته الطائفة الأخرى؛ لأن مجرد الحكم بصحة الحديث عند الطائفة ليس دليلاً على صحته، وليس إجماع أهل السنة مثلاً على صحة الحديث دليلاً على صحته، و...إلخ.

[الرد على مقال في إنكار التواتر]

اطلعت على مقال في الفيس بوك موضوعه: أن دعوى التواتر دعوى باطلة لا يجوز الاعتماد عليها.

فالذين يثبتون الصلوات الخمس بالتواتر لا يجوز الاعتماد على قولهم فليس لهم دليل إلا دعوى التواتر، ودعوى التواتر هي دعوى العاجز، فمن أعوزه الدليل ادعى التواتر....، واستطرد في هذا الموضوع وقرر أن الصلوات إنما هي اثنتان في اليوم والليلة صلاة في الصبح وصلاة في العشي.

وأضاف أن صلاة الجمعة ليس لها يوم معين، وأنها تصلى في أي يوم يحصل فيه الاجتماع. هذا هو خلاصة الموضوع الذي قرأته في الفيس بوك.

وعلى كل حال فليس المقصود معرفة القائل هنا، والقصد هو الرد على هذه المقالة من غير نظر لقائلها وكاتبها؛ **فنقول**:

التواتر هو طريق من طرق المعارف الضرورية التي لا تقبل الشك والتشكيك، ومثل ذلك الكلام الذي ذكرنا مضمونه لا يروج إلا عند الجهلة الذين هم كالأنعام، والتشكيك في الضروريات لا يقبله إلا ذلك الصنف المنحط.

ولنكتف من الجواب على هذا المقال بتوجيه عدد من الأسئلة فلعلها تنبهه من جهله وترده إلى صوابه فنقول:

- هل تعلم أيها المشكك أنه كان في سالف الزمان رجل اسمه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم؟ وأنه من قبيلة اسمها قريش؟ وأنه كان في مكة؟ وأنه ادعى أنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟
- لا بد أن تقول: نعم أعلم ذلك، إذاً فمن أي طريقٍ عرفت ذلك؟
- هل حصل لك العلم عن طريق المشاهدة؟ أم حصل لك عن طريق غيرها؟ فما هي الطريق؟
- من أين علمت أنه كان في التاريخ رجل اسمه علي بن أبي طالب، وله زوجة اسمها فاطمة بنت محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وله ولدان منها اسمهما الحسن والحسين؟
- وهل تعلم أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جاء بدين الإسلام وجاء بالقرآن؟ وأن القرآن اشتمل على سور كثيرة؟ وأن كل سورة من سوره تضمنت عدداً

من الآيات؟ فمن أين حصل لك هذا العلم؟

- وفي التاريخ القريب هل تعلم أنه حكم اليمن الإمام يحيى، ثم ابنه الإمام أحمد، ثم ابنه البدر أياماً، ثم حصل انقلاب وثورة نتج عنها أن تولى اليمن رجل اسمه عبدالله السلال، ثم تعقبه في الحكم عبدالرحمن الإرياني، ثم بعده إبراهيم الحمدي؟ إذا كنت تعلم ذلك فمن أين حصل لك العلم؟
- بل هل تعلم أن من دول أفريقيا دولة اسمها الصومال، ودولة اسمها موريتانيا، ودولة اسمها جنوب أفريقيا؟ إذا كنت تعلم ذلك فمن أي طريق حصل لك العلم؟

المتواتر والآحاد

سؤال: هل يصح أن يكون الحديث في العصور الأولى متواتراً معلوماً، ثم في العصور الأخيرة يصير آحادياً مظنوناً؟

الجواب والله الموفق: أن في المسألة تفصيلاً، هو: أن الحديث إن كان في مسألة فرعية فيجوز أن يكون متواتراً لأهل العصر الأول وغير متواتر لأهل العصر الثاني.

وإن كان في مسألة علمية مكلف بها وليس إلى العلم بها طريق إلا ذلك الحديث المتواتر فلا يجوز أن يصير الحديث ظنياً في العصور المتأخرة.

والذي يدل على ذلك: أن الحديث لو صار ظنياً في المسألة العلمية لبطلت حجة الله على خلقه في تلك المسألة، والمعلوم أن حجج الله تعالى قائمة على عباده؛ بدليل قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء١٦٥].

أما المسائل الفرعية فالحديث وإن صار ظنياً بعد أن كان متواتراً فإن الحجة قائمة به، والعمل به واجب.

[العمل بخبر الآحاد]

سؤال: قال علماء الأصول: إن الخبر الآحاد لا يفيد إلا الظن فلا يعمل به إلا في المسائل الفرعية، وأن نحو وجوب الصلاة ونحوها من المسائل التي يعم بها البلوى علماً وعملاً لا يقبل فيها إلا خبر يفيد العلم.

ولكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أرسل إلى اليمن الإمام علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل ليدعوَا الناس إلى الإسلام، وأمرهما أن الناس إذا أسلموا فيعلمانهم بوجوب الصلاة عليهم والزكاة ونحوهما، وعمل أهل اليمن بقولهما مع أن خبريهما ظنيان؛ فما السبب في ذلك؟

الجواب والله الموفق: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يبعث الآحاد غير أن الآحاد كانوا يقرأون على الناس القرآن، والناس عرب يفهمون الإعجاز، ومن خلاله يحصل لهم العلم بالتوحيد ونفي الشريك، والعدل والحكمة، وأسماء الله تعالى، والإيمان، والملائكة، والأنبياء، والرسل، والكتب، والبعث بعد الموت، والحساب، والجنة والنار، والعلم بوجوب الصلاة والزكاة، و... و... إلخ.

هذا، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان قد اشتهر أمره في البلدان، واشتهر دينه الذي يدعو إليه من أنه يأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة ويأمر بكذا وكذا...إلخ.

وبناءً على هذا فالعلم بجملة الدين وأصوله حاصلة للناس إما من القرآن أو من جهة الشهرة والتواتر، ولم يبق إلا التفصيل لما علم جملة، وذلك مما يقبل فيه خبر الآحاد.

هذا، بالإضافة إلى احتمال وجود قرائن وشواهد تشهد للمبعوثين من قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل تلاوتهم للقرآن المعجز، وظهور التقوى وسيماء الصلاح ونور الإسلام على وجوههم، وأن ما بعثوا به من الدين إنما يأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر، ونحو شهادة المصاحبين لهم والمرافقين..إلى غير ذلك.

أما خبر الواحد بمجرده فلا يفيد العلم واليقين. هذا ما ظهر لي والله أعلم.

[الدليل على قبول خبر العدل في التكفير والتفسيق]

ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل خبر الوليد بن عقبة عن قوم بأنهم منعوا الصدقة فتهيأ صلى الله عليه وآله وسلم لغزوهم ومعاقبتهم، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ الآية [الحجرات:٦]، فتوقف صلى الله عليه وآله وسلم وتبين حتى ظهر له خلاف خبر الوليد، فالقرآن جاء بالتحذير عن قبول خبر الفاسق فقط:

١- فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد قبل خبر الواحد في التكفير والتفسيق، وجاءه المنع من الله عن قبول خبر الفاسق فقط، مما يدلنا على أن هديه صلى الله عليه وآله وسلم هو قبول خبر الواحد العدل في التكفير والتفسيق.

٢- المفهوم من الوصف أن خبر المؤمن يقبل في التكفير والتفسيق، فهذان دليلان على قبول خبر العدل في التكفير والتفسيق، ولا يحتاج المقام إلى أكثر من هذا التدليل.

نعم، قبول خبر العدل في التكفير والتفسيق ليس من باب التقليد بل من باب الرواية أو الشهادة على خلاف بين الأصوليين، ولم يقل أحد منهم إنه من باب التقليد فيما أعلم.

فائدة في الرد على الجلال

قال الجلال في مقدمة ضوء النهار متحدثاً عن متأخري أئمتنا عليهم السلام: وتغافلهم عن تصحيح الدليل من جهة السند والمتن والدلالة، واطراحهم النظر في إمكان الجمع بين المتعارضات أو الاستحالة؛ لاغترارهم بمراسيل غير الأثبات.

تعليق: بنى الجلال هذا الكلام على غير أساس، ولا أدري هل صدر ذلك منه عن جهل أم عن تجاهل، والذي أظنه أنه يرى ويعتقد أن السنة التي تبنى عليها الأحكام هي تلك التي حشرها في شرحه، وأنها مصدر الأحكام لا غير بالنسبة إلى السنة. في حين أن أئمتنا عليهم السلام لا يرفعون لتلك السنة رأساً، ولا يرون العمل بها هدى وإن اتفق على تصحيحها الشيخان، ولعله اغتر بالأدلة التي يستدل بها المتأخرون من الزيدية كما في تخريج أحاديث البحر، فظن أنها مصدر

تلك الأحكام، وأنها بنيت على تلك الأدلة وفيها الضعيف والمرجوح، وعلى اغتراره هذا بنى شرحه ضوء النهار على الأزهار، ومال باجتهاده مع الناهض من الأدلة، وزيف بنظره ما خالفها مما رسمه الآباء والأجداد على حد زعمه.

فقد توهم الجلال أن تلك الأحكام الفقهية التي تضمنها الأزهار مبنية على تلك الأحاديث التي يستدل بها المتأخرون من دون نظر وتمييز بين الصحيح والضعيف والراجح والمرجوح؛ فقد جهل وتخبط وضل ضلالاً بعيداً.

يوضح ذلك أن لكل من المذاهب الإسلامية طريقة يسيرون عليها، فأهل السنة والجماعة لهم طريق غير طريق الجعفرية، وللزيدية طريق غير طريق هؤلاء، وكل طائفة ترى أن الحق فيما ترويه من الأحاديث والآثار في كتبها.

فأهل السنة يرون الحق فيما عندهم من الحديث والآثار، والزيدية يرون الحق فيما عندهم من الروايات والأخبار، وكذلك الإمامية.

فنقد الجلال في كتابه هذا ضائع، فالزيدية ليسوا من أهل السنة والجماعة، وليسوا عالة على صحاحهم ومسانيدهم، ولا يثقون بأخبارهم: وثّقوا أو ضعّفوا، عدّلوا أو جرحوا، وصلوا أو أرسلوا، عمدتهم على أئمتهم رواية ودراية.

فأقوال أهل السنة التي حشا بها الجلال ضوء النهار: قال فيه أحمد كذا، وقال فيه فلان كذا، ووصله فلان، وعلقه فلان، كل هذه الأقوال لا تزن عند الزيدي جناح بعوضة، ولا يجوز قبولها والركون إليها.

أوَما يرى الجلال أن الأسانيد التي قد ملأت قلبه حباً وغراماً مطعون فيها من حيث العدالة؟!! كعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وكالزهري عن فلان، وعكرمة عن...، وسمرة، والمغيرة، وأبي موسى، وكم في رجالهم من أمثال حريز بن عثمان ممن كان يبغض أمير المؤمنين ويلعنه.

وأئمة الحديث كأهل الصحاح والمسانيد في عدالتهم عند الزيدية نظر.

ولعل قائلاً يقول: إذا كان الأمر كما ذكرت فأين السنة التي يأخذ بها الزيدية ويعتمدون عليها؟

قلنا: لهم كتب معروفة ومشهورة بينهم وإن لم تكن في الكثرة مثل كتب السنة والجماعة كما يسمون أنفسهم؛ فمنها: كتاب مجموع الإمام زيد عليه السلام، وأمالي حفيده أحمد بن عيسى، وشرح التجريد، والأمالي لأبي طالب، والأمالي للمرشد بالله، وغير ذلك كثير مما هو مسند.

فإن قلت: هل للزيدية كتب في الجرح والتعديل؟

قلنا: رجال الزيدية الذين يؤخذ عنهم العلم مشهورون بين أهل العلم، لهم ذكر وتاريخ في سير الأئمة وفي كتب الإجازات، فمن ذلك: رجال سند المجموع، فرجاله مرضيون عند أئمة الزيدية وعلمائها، معروفون بالعدالة، ولا سماع لما طعن به في بعض رجال سنده؛ لأن ذلك مجرد كذب كما حقق ذلك في مقدمة الروض، مع العلم أنهم يجرحون (أي: أهل السنة والجماعة) الشيعة لكونهم شيعة، ويجرحون المعتزلة لكونهم معتزلة، ويجرحون كل من خالف مذهبهم بالكذب والوضع.

هذا، واعلم أن الزيدية يحتاطون في الحديث، فلا يكادون يعتمدون إلا على المتلقى بالقبول أو المشهور أو المتواتر أو المجمع على صحته بشرط أن لا يخالف الكتاب العزيز؛ فإذا لم يجدوا في المسألة دليلاً من الكتاب أو من السنة التي هي كما ذكرنا رجعوا إلى أقوال أئمتهم؛ عملاً بمقتضى الدليل الذي دل على ذلك، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به...)) الحديث.

وهذه هي الطريقة التي خرج عنها الجلال ومال بزعمه مع الدليل، فالواقع أنه خرج عن الدليل ومال إلى التقليد.

يوضح ذلك: أن الدليل هو إما الكتاب ولا نزاع فيه، وإما السنة: فإن كانت كما وصفنا فلا خلاف في قبولها، وإن كانت على غير ذلك كأن تختلف الرواة والعلماء في صحته بعضهم يصحح وبعضهم يضعف- فهاهنا توقفت الزيدية فيما كان كذلك ورجعت إلى كتاب الله وعترة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ عملاً بوصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي

أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

ولم تَحْتَجْ الزيدية إلى ذلك الغثاء من الأقوال التي حشا بها الجلال شرحه ضوء النهار من نحو: «ضعفه أحمد، ليّنه ابن زرعة، في سنده مجهول، مختلف في إسناده، وقال ابن أبي حاتم موضوع، رواه ابن ماجه والنسائي، ولكنه معارض بما في المتفق عليه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده»...إلى آخر حكاياته عن أولئك، يقلدهم في نقد الحديث، ويحكي أقوالهم حاسباً أن ذلك عين الاجتهاد.

وما درى المغرور أنه باجتهاده هذا مغمور بين أوحال التقليد وظلمات الضلال، وغارق في بحار الجهل.

فالواقع أن الجلال لم ينظر لنفسه حق النظر، ولو نظر حق النظر لعرف أن الحق عند الاختلاف هو عند عترة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لحديث: ((إني تارك فيكم...)).

هذا، وقد تبع الجلال في هذا النهج محمد بن إسماعيل الأمير، والشوكاني، فنددوا بتقليد الأئمة ودعوا إلى الاجتهاد، والاجتهاد -كما قلنا- عندهم هو: الاعتماد على الدارقطني وأبي زرعة وابن أبي شيبة والستة وابن حنبل، وقبول أقوالهم في الحديث، فإذا قالوا: هو صحيح، قال صحيح، وإذا قالوا: حديث ضعيف، قال: ضعيف، غاية اجتهاده أن يرجح بين أقوالهم إذا اختلفوا.

نعم، ليتني أدري ما هو الذي حمل الجلال والأمير والشوكاني ومن لف لفهم على الخروج عن مذهب الزيدية إلى طريقة الحنابلة؟!! هل قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إذا اختلفت الأمة فعليكم بسنة الحنابلة، فما حكموا بأنه مني فهو مني، وما لم يحكموا بأنه مني فليس مني؟!!

وأخيراً نقول: إن مسائل الأزهار بنيت على أدلة الكتاب وأدلة السنة المتلقاة بالقبول، ثم على كلام الأئمة عَلَيْهِم السَّلَام وعلى رأسهم الهادي عَلَيْهِ السَّلَام، وهكذا أئمة الآل، وعلى ذلك جرى الهادي عَلَيْهِ السَّلَام في كتبه التي بني عليها الأزهار، فإذا عدم الدليل من الكتاب والسنة المجمع عليها رجع إلى أقوال الأئمة.

أما الأحاديث الآحادية التي وقع فيها النزاع واعتمدها الجلال والأمير فلم يلتفت إليها الهادي عليه السلام. فهذه هي طريقة أهل البيت عليهم السلام.

والدليل على أنه لا يجوز قبولها: ما ورد في القرآن من النهي عن اتباع الظن من نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴿٢٨﴾﴾ [النجم].

أما ما يستدل به الأئمة المتأخرون على مسائل المذهب من كتب الحنابلة فذلك منهم مجاراة للخصم، وإسكات له، واستشهاد للمذهب بما يلتزمه الخصم، لا لأنه مصدر تلك الأحكام كما يتوهم الجلال ومن سار في نهجه.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

حكم التساهل في أحاديث الفضائل

سؤال: أشكل علينا قول صاحب الفصول: ويحرم التساهل في أحاديث الفضائل ونحوها من غير بيان ضعفها أو بطلانها..إلخ.

الجواب: الذي ظهر لي فيما ذكرتم من الأحاديث أن الحديث كما ذكرتم إذا كان مما رواه محدّثونا من غير نكير، ولم يكن في الحديث معارضة لقاطع، أو كانت موافقة لظاهر آية أو حديث صحيح- فلا مانع من ذكره للترغيب والترهيب، فيقال: روى فلان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير قطع.

وما كان من الحديث كما ذكر فهو أقرب إلى الصحّة منه إلى عدمها، وقد انتصر الإمام أحمد بن هاشم عليه السلام لصحّة حديث فضائل سور القرآن سورة سورة في كتاب السفينة.

وسند الحديث وإن كان ضعيفاً ورواته غير موثوق بعدالتهم فقد يكون للحديث شواهد من نفسه تباعده عن الكذب والضعف، مثل ما ذكرتم من كونه من روايات أهل البيت ومحدثيهم مثل ما في الأماليات، ومن كونه سالماً من معارضته لقاطع، و..إلخ، وحينئذ فلا وجه للقلق لعدم الباعث عليه.

الحديث المروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

-إما أن يكون صحيحاً بالتواتر أو بالتلقي بالقبول أو بثقة رواته..إلخ، ولا خلاف حول ذلك ولا شبهة.

-وإما أن يكون موضوعاً قطعاً أو ظناً، ومثل ذلك لا يجوز الاعتماد عليه في موعظة ولا غيرها؛ للحديث المشهور: ((من كذب عليّ متعمداً..)) إلخ، ولما هو معلوم من قبح الكذب، ولا سيّما الكذب على الله تعالى أو على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

-وإما أن يكون الحديث بحيث يستوي تجويز صدقه وتجويز كذبه، فلا ينبغي الاعتماد عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء٣٦].

-وإما مثل ما ذكرتم فيجوز؛ لوجود القرائن الدالة على جواز روايته.

ضعف الحديث يكون من جهتين:

-إما من جهة السند.

-وإما من جهة المتن.

- وإما من كليهما.

أما ضعفه من الجهتين كأن يكون متنه مخالفًا للدليل القطعي، أو لما هو أصحّ منه، أو لظاهر القرآن..إلخ مع ضعف سنده بأن يكون رواته غير ثقات- فلا يجوز الاعتماد على ما كان كذلك على الإطلاق لا في موعظة ولا في غيرها.

وإن كان ضعفه من جهة المتن دون السند فاللازم على راويه وذاكره أن يبيّن تأويله، وإلا فلا يجوز ذكره؛ لأن فساده أكثر من صلاحه.

وإن كان ضعفه من جهة السند دون المتن فلا يعتمد عليه في تأسيس الأحكام الشرعية، أما ذكره في باب الشواهد والاستظهار فالظاهر الاتفاق على جوازه، وقد ذكر الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ في المنتخب عدة أحاديث يستظهر بها على الجمع بين الصلاتين وهو الغاية في الحيطة والتحرز.

وإنما ذكرها الهادي ورواها لموافقتها الأدلة الصحيحة، ويكاد أئمتنا عليهم السلام يجمعون على جواز مثل ذلك من غير تنبيه لموافقتها الأدلة الصحيحة، تدل على ذلك مؤلفاتهم في فقه الحديث مثل التجريد والشفاء وأصول الأحكام.

وأحاديث الترغيب والترهيب التي حصل الإشكال حولها في السؤال في الحكم مثل ما ذكرنا إن لم تكن أولى بالجواز.

ولعلّ مراد صاحب الفصول هو الحديث الذي يستولي عليه الضعف من الجهتين؛ لأنه الذي يترتب عليه الفساد فيجب التنبه لئلا يقع السامع في اعتقاد باطل أو عمل فاسد.

أما ما ذكره السائل فلا يترتّب على رواية الحديث وذكره أيّ فساد.

رواية كتب العلم

لنسبة كتب العلم إلى مصنفيها حالتان:

١- إذا اشتهرت نسبة الكتاب إلى مصنفه فلا يحتاج إلى رواية وسماع، مثل: الأحكام، والمنتخب، وشرح التجريد، والشافي، والشفاء، ومجموع الإمام زيد، وأصول الأحكام، والاعتصام، ومثل البخاري، ومسلم، والموطأ، ومسند أحمد، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه. وذلك أن الشهرة أقوى من الرواية في اطمئنان النفس بصدق نسبة الكتاب إلى مؤلفه، والظن الحاصل من الشهرة أقوى من الظن الحاصل من الرواية.

٢- إذا لم تشتهر نسبة الكتاب إلى مؤلفه فلا بد من توثيق النسبة بتسلسل الرواية إلى المصنف، وإلا فلا تجوز نسبة الكتاب إلى أحد من غير دليل، ولا يجوز حينئذ أن نقول: قال فلان، من غير دليل لا شهرة ولا رواية.

وهذا بالنسبة إلى إضافة الكتاب إلى مؤلفه، أما بالنسبة إلى العمل بما في الكتاب فهناك حالتان:

١- أن يكون موضوع الكتاب من المنقولات كرواية التواريخ، ورواية الآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو عن العلماء، فمثل ذلك لا يجوز العمل به، ولا الاعتماد عليه إلا بعدما تثبت نسبة الكتاب لمصنفه، إما بالشهرة، وإما بتسلسل الرواية الصحيحة.

٢- أن يكون موضوع الكتاب غير نقلي كأصول الدين، وأصول الفقه، وعلوم اللغة، مثل: النحو والصرف، والمعاني والبيان، وعلم المنطق والفلسفة، وما أشبه ذلك، فإنه يجوز الاستفادة والنظر فيما هناك.

المشهور اليوم من كتب الفقه المتوسعة في التفريعات هو: شرح الأزهار لابن مفتاح، وقد اشتمل هذا الكتاب مع حواشيه على ما تقدمه من كتب فروع الفقه عند الزيدية، وهي كثيرة جداً إلا أن شرح ابن مفتاح قضى عليها، وكاد أن ينسيها.

ومن الكتب التي تقدمته: اللمع، والتذكرة، الكافي، شرح الإبانة، البرهان، الديباج، الكواكب، الحفيظ، البستان، البيان، الصعيتري، حاشية السحولي، الغيث، شرح الأثمار، اليواقيت، التقرير، اللمعة، الفتح، الهداية، الزهور، اليواقيت، شرح مرغم، راوع، المذاكرة، الكفاية، ابن معرف، النجري.

السنة

للزيدية في رواية الحديث كتب كثيرة مشهورة، ولكن لابد من النظر والبحث فيما يروى هنالك فما جمع شروط صحة الحديث عمل به، وأوثق ذلك ما اشتمل عليه مجموع الإمام زيد عليه السلام؛ لتلقي علماء أهل البيت عليهم السلام وجميع الزيدية له بالقبول مع ثقة رواته وعدالتهم وشهرتهم بذلك، وكذلك ما اشتمل عليه الأحكام وسائر كتب الهادي عليه السلام من الحديث، وذلك لما علم من تحريه وشدة شروطه في هذا الباب.

وما سوى ذلك من الحديث فيشترط عندنا للعمل به أن يكون رواته من أهل الثقة والعدالة والضبط، وأن لا يكون مخالفاً لحجج العقول، ولا لكتاب الله تعالى، ولا لما أتفق على صحته أئمة الزيدية.

أما الحديث الذي يروى في كتب أهل السنة أو في كتب غيرهم فيؤخذ من ذلك ما وافق ما عند الزيدية، أو ما تعددت طرقه عندهم وكثرت مخارجه ولم يخالف ما صح عندنا فيؤخذ به.

[كلام فيما يعمل به من الحديث]

الذي أميل إليه من الرأي في العمل بالحديث:

١- المعتمد أساساً هو ما رواه أئمة الزيدية، وثقات محدثيهم، مثل أحاديث مجموع الإمام زيد عليه السلام، وما ذكره الإمام الهادي عليه السلام من الحديث في كتبه المشهورة معتمد عليه، ومثل ما صح سنده من أمالي أحمد بن عيسى عليه السلام، ومن شرح التجريد، ومن أمالي أبي طالب، وأمالي المرشد بالله، وشرح الأحكام، وفي غير ذلك.

وقد جمع ذلك الوالد العلامة محمد بن حسن العجري في كتاب سماه الصحيح المختار لم يطبع إلى الآن، وقد اختصره الوالد العلامة محمد بن يحيى الحوثي في كتاب وهو الآن مطبوع.

٢- كتب أهل الحديث: المعتمد عليه من أحاديثها ورواياتها في رأيي هو:

أ- الحديث الذي كثرت طرقه وأسانيده، ولم يتعارض في متنه مع القرآن، ولا مع روايات الزيدية، ولم يخالف مذاهب أئمة الزيدية- فيعمل بمثل هذا الحديث؛ لشهرته لا لثقة رجال إسناده عندهم.

ب- يقبل من أحاديثهم الأحاديث التي توافق روايات الزيدية في المعنى، ولا يقبل ما خالف روايات الزيدية.

نعم، إذا قال الهادي بقول في الأحكام، أو الإمام زيد، ولم يذكرا المستند لذلك القول، ثم وجدنا في كتب المحدثين أحاديث مروية تدل على ما قال الهادي أو الإمام زيد، فهل يدل ذلك على صحة تلك الأحاديث أم لا؟

يمكننا أن نقول: لا ينبغي الجزم بصحة مثل ذلك حتى نجعله مستنداً لنا نرتب عليه الأحكام الشرعية، ويمكننا أن نستشهد به على صحة قول الهادي أو زيد عليهما السلام.

وإنما قلنا ذلك لأن الهادي وزيداً عليهما السلام قد يكون كل منهما استفاد الحكم الذي ذهب إليه من دليل قرآني أو حديث نبوي، وأمثلة ذلك كثيرة في الأحكام، مثل قوله عليه السلام في أن من طلق زوجته ثلاثاً في كلمة واحدة- إنها تحسب طلقة واحدة؛ فإنه استند في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ...﴾ الآية [البقرة:٢٢٩]، ولم يعتمد الروايات الواردة في ذلك إلا استظهاراً.

نعم، قد يجيء في الأحكام مثل صفة صلاة الخوف، وكذا في مجموع الإمام زيد مما لا مجال للفكر في استنباطها من غير ذكر المستند، ثم نجد في روايات المحدثين روايات في صلاة الخوف على تلك الصفة التي ذكر الهادي، ففي مثل ذلك يمكننا القول بصحة الحديث عند الهادي.

وصحة ذلك الحديث عند الهادي إنما كان لشهرته، لا لثقة رجال الحديث؛ لأن الهادي لا يلتفت إلى رجال المحدثين، ولا يعتمد عليها.

٣- قد نستفيد من روايات المحدثين في باب الترجيح حيث تتعارض روايات الزيدية، فيجعل المجتهد ما يوافق أحد المتعارضين من روايات المحدثين طريقاً لترجيحه من حيث السند.

٤- نستفيد من روايات المحدثين في إلزام الخصم بصحة ما نذهب إليه في المسائل الخلافية الفروعية والأصولية عند من يرى منهم الاحتجاج بالحديث الآحادي، وهم الحشوية.

الإجازة

سؤال: نسمع أن فلاناً أجازه العالم الفلاني، فماذا تعني الإجازة؟ هل هي كالشهادة في أن المجاز له أهل للفتيا أو أن لها معنى آخر؟

الجواب والله الموفق:

أن الإجازة طريق من طرق الرواية، فلا يحق لأحد أن يروي عن العالم ويحدث عنه إلا إذا سمعه، وحينئذ يجوز أن يحدث عنه ويروي عنه ما سمعه، فإذا لم يسمعه لم يجز له أن يقول: قال فلان كذا وكذا إلا إذا أذن له العالم أن يحدث عنه بها في الكتاب الفلاني والفلاني، فهذا الإذن يسمى إجازة.

نعم، هناك كتب مشهورة لا تحتاج إلى سماع أو إجازة ككتاب الأحكام والمنتخب للهادي عليه السلام، فقد بلغا من الشهرة حداً كادا به أن يكونا من المتواترات، فما كان بهذه المنزلة من الكتب فتجوز روايته عن صاحبه من غير إجازة ولا ذكر لطريق الرواية.

فائدة في أمور الأديان

من كلام موسى بن جعفر كما في تحف العقول: جميع أمور الأديان أربعة:

أمر لا اختلاف فيه، وهو إجماع الأمة على الضرورة.

وأمر يحتمل الشك والإنكار، فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها، أو سنة مجمع عليها لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله ولا يسع الشك فيه والإنكار له.

فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عليك صوابه نفيته؛ فمن أورد واحدة من هذه الثلاث[1] فهي الحجة البالغة التي بينها الله في قوله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام].

فائدة (في الإجماع)

قيل: إن ثبوت الإجماع في نفس الأمر مما لا يكاد يتهيأ؛ لانتشار العلماء وكثرتهم، فما الإجماع إلا اسم بلا مسمى، وأمر خيالي لا حقيقة له.

(١)- الثلاث هي: حجة من كتاب الله ...، أو سنة مجمع عليها..، أو قياس تعرف العقول عدله ..؛ والأُوْلَى: إجماع الأمة، فهذه هي التي قصدها بقوله: أمور الأديان أربعة. والله أعلم. (محقق).

قلنا: كتب فرق الإسلام متوفرة، وفيها حكايات مذاهب المجتهدين من الأولين والآخرين من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم، وعليه فيمكن معرفة الإجماعات من خلال هذه الكتب.

فإن قيل: يحتمل أن هناك مجتهدين لم تدون مذاهبهم؛ إما لعدم شهرتهم، أو لعدم المعرفة بمذاهبهم، أو لغير ذلك.

قلنا: يكفي في حصول الإجماع اتفاق من ظهر قوله واجتهاده من الأئمة والمجتهدين، أما من لم يعرف مذهبه لسبب أو لآخر فمذهبه لنفسه، ووجوده كعدمه، وحجة الله قائمة بالمعلنين للحق الناشرين له في الناس.

فإن قيل: يمكن أن الحق مع أولئك الذين لم تعرف مذاهبهم.

قلنا: إذاً لضاع الحق وبطلت حجة الله، وذلك لا يجوز، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين...)) الحديث.

وبعد، فإن المسلمين قد تقررت مذاهبهم واستقرت، فللشافعية مذهب مشهور لا يخالفه مجتهدوهم، وكذلك الحنفية والمالكية والحنبلية، وللشيعة الإمامية مذاهب مذكورة في كتبهم يمكن الاطلاع عليها بسهولة، وللزيدية مذهب معروف، ولأفرادهم مذاهب مسطورة يمكن معرفتها، وللظاهرية ومن حذا حذوهم مذاهب مدوّنة يمكن للمجتهد معرفتها بسهولة مع توفر الكتب.

وبناءً على ما ذكرنا فلا يجوز للمجتهد المخالفة لما ظهر من الاتفاق والإجماع، ومن هنا يذكر الأصوليون من شروط الاجتهاد معرفة مسائل الإجماع.

وبناءً على ما ذكرنا فينبغي أن يكون معنى ما ذكره الأصوليون من حقيقة الإجماع: أنه اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عصر...إلخ: هو اتفاق من عرف مذهبه وعرف اجتهاده، أما المغمور الذي لا يؤبه له أو المتكتم بمذهبه فلا عبرة به، وليسوا بشهداء على الناس كما قدمنا، ومن هنا لعن الله تعالى في كتابه الكريم كتمة العلم والهدى، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ

الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

نعم، يذكر علماء الفقه الاستدلال بالإجماع والاتفاق كثيراً في كتبهم كالإمام المهدي وغيره، وفي ظني أن مرادهم هو ما ذكرنا.

فإن قيل: دعواك هذه لم يدعها أحد من أهل العلم، ولا ذكرها الأصوليون فهي دعوى مردودة لشذوذها.

قلنا: لسان حال أئمة الفقه ونقلة المذاهب تصدق ما ذكرنا وتذهب إليه، والشاهد على ما نقول: استدلالهم بالإجماع والاتفاق كثيراً، ونكاد نقطع ونجزم بأن مرادهم اتفاق وإجماع من ذكرنا لا غير، وحاشاهم أن يريدوا إجماع من عرف مذهبه ومن لم يعرف، ومن نقل مذهبه ومن لم ينقل.

نعم، كما شككوا في ثبوت الإجماع كما قدمنا فقد شككوا في الأدلة الدالة على حجة الإجماع كما ذلك مذكور في حواشي شرح الغاية.

وهذا جواب إجمالي على تلك التشكيكات فنقول وبالله التوفيق:

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة٣]، والدين: هو حجة الله على خلقه، وهذه الحجة ما زالت في كل عصر وإلى اليوم، ولن تزال إلى ما شاء الله، وعلماء الأمة في كل عصر هم حملة هذا الدين المتكامل وتراجمته، فإذا أجمعوا على حكم معين في مسألة واتفقوا على أنه حكم الله كان ما حكموا به وأجمعوا عليه هو حكم الله حقاً، وإلا لبطلت حجة الله في تلك المسألة وضاع الحق، ولنقص ذلك الكمال الذي تحدث الله عنه.

فإن قيل: لا يلزم ما ذكرتم، فقد يجمعون على خطأ مع قيام الدليل الدال على خلاف ما أجمعوا عليه.

قلنا: هذا الدليل القائم الذي أجمعوا على خلافه إما أن يكون من الكتاب أو من السنة أو من القياس؛ فإن كان من القياس فإن لم يهتدوا للعلة الجامعة فلا حجة عليهم في ذلك، ولا يجوز أن يهتدي المجتهدون من بعدهم للعلة ثم الحكم؛ لما يلزم من ذلك من نقصان الدين فيما تقدم من الأزمنة.

وإن كان الدليل الذي أجمعوا على خلافه من السنة؛ فإما أن يكون ذلك منهم عن عمد، وإما عن جهل بها تماماً، وإما لاعتقادهم ضعفها أو كذبها، وإما لضعف أفهامهم عن استنباط الحكم منها، وإما لدليل ترجح عندهم عليها.

فتركها عمداً غير وارد، ولا أظن أحداً يفترضه ويقدره؛ لما جاء في الأمة على الجملة من نحو قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة١٤٣]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لن تجتمع أمتي على ضلالة))، وغير ذلك كثير.

وإن تركوا العمل بالسنة من أجل الجهل بها بحيث إنهم لو اطلعوا عليها لما خالفوها فهذا افتراض في غاية البعد، وعليه فيلزم ألَّا تقوم عليهم حجة الله في تلك المسألة، وإلى آخر ما قدمنا من اللوازم. ثم من أين تتم المعرفة بتلك السنة لأهل الاجتهاد في الزمن المتأخر؟

وإن كان ذلك لنقص في أفهامهم فلا يجوز ذلك من الله؛ لأنه تكليف بما لا يطاق.

وإن كان الذي خالفوه الكتاب فلا يتأتى إلا فرض أن ذلك لنقص في الفهم، وفيه ما تقدم.

وإن كان ذلك لأجل دليل ترجح عندهم فذلك هو الحجة القائمة عليهم، ولا حجة في غيره عليهم.

وقد يقال: يجوز على الأمة الخطأ في حكم أو أحكام وليست مؤاخذة على ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب٥].

قلنا: ذلك التجويز باطل؛ وذلك لما يؤدي إليه من الشك في المتواترات، فيجوز بناءً على ذلك أن تكون الأمة على خطأ في نقلها لتفصيل الصلوات والزكوات والحج وغير ذلك.

القياس

استدل في الاعتصام على وجوب العمل بالقياس بقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء٥٩]، وبحديث المجموع: فإن لم يوجد ذلك في كتاب الله، ولا في السنة، ولا فيما أجمع عليه الصالحون اجتهد الإمام في ذلك لا يألو احتياطاً واعتبر وقاس الأمور بعضها ببعض، فإذا تبين له الحق أمضاه... الحديث، وبحديث معاذ وفيه:... أجتهد رأيي لا آلو، فضرب صدره. وذكر أنه مروي في كتب أئمة الحديث.

قلت: والاستدلال على وجوب العمل بالقياس، وأنه دليل يجب العمل به لا يكفي لأن المسألة قطعية، والقياس أصل من أصول الأحكام، وإنما قلنا إنه لا يكفي لأن تلك الأدلة التي ذكرها غير واضحة في المراد سوى حديث المجموع فإنه واضح إلا أنه آحادي.

والذي يدل على اعتبار القياس دليلاً هو العقل، فإن العقل بفطرته يذهب إلى إلحاق المثل بمثله للاشتراك في العلة، ألا ترى أن الطبيب إذا قال للمريض لا تأكل العنب من أجل حلاوته فإن المريض سيتجنب الحلويات ونحوها مما فيه حلاوة، ونحو هذا.

وقد استدل الله تعالى في القرآن بالقياس كقوله تعالى: ﴿... قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس٧٩]، ﴿... كَذَلِكَ النُّشُورُ۝٩﴾ [فاطر]، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ۝٥ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۝٦﴾ [الحج].

وقد قص الله تعالى في كتابه أخبار المكذبين وكيف كان مصيرهم وأمر بالاعتبار بذلك، وفي هذا معنى القياس؛ لأن المعنى: لا تعملوا مثل أعمالهم فيلحقكم مثل ما لحقهم.

[في حجية القياس]

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب]، قد يؤخذ من هذه الآية ما يؤيد القول بحجية القياس وذلك أن الله تعالى جاء بهذه الآية في سياق إبطال التبني، فذكر تعالى أن الزوجة لا تكون أماً بقول اللسان، وكذلك لا يكون الدعي ابناً بقول اللسان.

فائدة في إثبات القياس

في حديث علي عليه السلام حين ناظر الأنصار في وجوب الاغتسال إذا التقى الختانان أنْزَل أم لم ينزل بعد قوله: (أيوجب الحد؟ أيوجب المهر؟) فقالوا في كل ذلك: نعم، قال: (فما بال ما يوجب الحد والمهر لا يوجب الماء؟!).

فإن في ذلك دليلاً على أصل القياس، وأنه دليل شرعي، وذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام قاس وجوب الغسل على أصلين.

فإن قيل: ليس هذا من باب القياس؛ فإن المعهود في القياس إثبات مثل حكم الأصل في الفرع، وهنا الحكم مختلف، فحكم الأصل وجوب الحد أو المهر، وفي الفرع وجوب الغسل.

قلنا: هذا النوع من القياس هو ما يسمى بقياس الأولى، وهو نوع من القياس؛ فيكون الحديث حينئذٍ قد دل على أصل القياس، وأنه طريق إلى إثبات الأحكام الشرعية.

فائدة للتعريف

مخالف الأصول: عبارة عن مخصص النص.

مخالف قياس الأصول: عبارة عما أخرج بعض الفروع عن الإلحاق بالأصول.

فائدة: (**التعريف بوجوب الواجب وقبح القبيح**)

في المجموع المنصوري: التعريف بوجوب الواجب وقبح القبيح هو يقين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن المكلف ليس هو الموجب ولا المقبح، فإذا عرَّف عن الله سبحانه بالواجب والقبيح ولم يقابله الإنكار كان قد أمر عن الله ونهى. انتهى.

المنطوق والمفهوم وبقية المباحث التي تتعلق بالألفاظ

مباحث في الدليل اللفظي من الكتاب والسنة

١ - النص: وهو أن يشتمل الدليل على لفظة لا تحمل إلا معنىً واحداً.

٢ - الظاهر: وهو أن يشتمل الدليل على لفظة تحتمل معنيين أحدهما راجح.

الدليل اللفظي

ينقسم إلى:

١ - منطوق.

٢ - مفهوم:

أ- مفهوم موافقة: أولى، مساوي.

ب- مفهوم مخالفة: ستة أنواع.

والمنطوق إلى:

أ- نص: ما يدل على معنى لا يحتمل غيره.

ب- ظاهر: ما يدل على معنى متبادر إلى الفهم مع احتماله لمعنى آخر غير متبادر.

والنص إلى:

- صريح، وذلك بالمطابقة أو التضمن.
- غير صريح بل بالالتزام، وذلك ثلاثة أقسام:

١ - ما دل بالاقتضاء.

٢ - ما دل بالإيماء.

٣ - ما دل بالإشارة.

- ودلالة المجاز والكناية من الظاهر.
- ودلالة العام مختلف فيها فقيل: من الظاهر، وقيل: من النص.
- والنص أقوى من الظاهر، والمنطوق أقوى من المفهوم، والصريح أقوى من غير الصريح، والمفاهيم متفاوتة في القوة، وكذلك الظواهر.

- وقد قالوا: إن دلالة الظاهر ظنية، إلا أن العمل بها واجب قطعي.
- **هذا،** والمؤول هو قسيم النص والظاهر، والتأويل، هو: حمل الكلمة على المعنى البعيد دون معناها الظاهر القريب، ولا يجوز ذلك إلا لدليل.

[لا بد للاستنباط من معرفة لغة العرب]

أنزل الله تعالى القرآن بلغة العرب، ورسول الله ﷺ من صميم العرب، وقد نشر ﷺ رسالته بلغة العرب، فإذا أراد المرء أن يتعرف على الأحكام الشرعية بنفسه من الكتاب والسنة فلا بد أن يعرف لغة العرب.

ومعرفتها اليوم لا تتحقق إلا بالدراسة والتعلم لعلوم اللغة: من النحو والتصريف، وأبواب من علوم البلاغة ومفردات اللغة.

فإذا تعرف المرء ذلك وأتقن ما هنالك فليعلم أن هناك أبواباً لغوية غير ما سبق لا بد من معرفتها لشدة تعلقها باستخراج الأحكام الشرعية، ولا يتم استخراج الأحكام الشرعية كما ينبغي إلا بتحقيق معرفتها.

معلومات عن موضوع هذا العلم:

-إذا قال قائل أهل اللغة: «أكرم زيداً»، وأنت تعرف أن زيداً هذا أحد العلماء، وإذا قال قائلهم: « أكرم العلماء »، وزيد واحد منهم، فهذان القولان يدل كل واحد منهما على طلب إكرام زيد، إلا أن المثال الأول أقوى في دلالته على إكرام زيد من المثال الثاني؛ لأنه دل بالنص والتعيين على إكرام شخص معين باسمه، أما المثال الثاني فإنه وإن دل على إكرام زيد لكن دلالته ليست بالنص والتعيين وإنما لدخوله تحت الشمول الذي أفاده لفظ العلماء، فإنه يشمل زيداً وغيره من العلماء. وبهذا تعرف أن دلالة بعض ألفاظ اللغة أقوى من بعض.

-إذا قال قائل أهل اللغة: «أكرم العلماء»، فإنه يدل على معنيين، أحدهما أقوى وأوضح من الآخر:

١ـ يدل على لزوم إكرام العلماء، وهذا المعنى يدل عليه اللفظ بصريحه.

٢ـ يدل على ترك إكرام الجهلاء، وهذا المعنى يدل عليه اللفظ بمفهومه.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة:٩٥]، يدل على معنيين:

١ـ تحريم قتل المحرم للصيد، وهذا يدل عليه اللفظ بصريحه.

٢ـ جواز قتل الصيد لغير المحرم، وهذا يدل عليه اللفظ بمفهومه.

والمعنى الأول أقوى من المعنى الثاني.

[العمل بدلالة الإشارة]

مسألة: العمل بدلالة الإشارة واجب عند العلماء، والدليل على وجوبه:

أن القرآن خطاب من الله العليم الحكيم، وهو تعالى عالم بما يفيده خطابه من المعاني الأصلية والمعاني اللازمة، وإذا كان الله عليماً حكيماً، وخطابه محكماً فلا بد أن يكون ما يفيده الخطاب من المعاني الأصلية والفرعية مراداً للحكيم، وإلا لخرج خطابه عن أن يكون محكماً.

الفور والتراخي

المذهب أن الواجبات المطلقة على الفور، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران١٣٣]، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة٤٨]، ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة٣٨].

قال أهل التراخي: أنزل الله تعالى فريضة الحج ثم لم يحج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا بعد عدة سنوات.

وأجيب بأن تأخر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان من أجل عذر، والعذر هو النسيء، فقد كانوا يحجون في غير وقت الحج.

وأيضاً فقد كان المشركون هم المسيطرين على مكة وعلى سائر المشاعر، فكانت الأصنام فوق الكعبة وداخلها وحواليها وفوق الصفا والمروة.

العام

١ـ أمثلة من القرآن لبعض الألفاظ العامة:

- كل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٥].

- «مَنْ» الشرطية: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت:٤٦].
- «ال» الجنسية: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر].
- «مَنْ» الموصولة تعم جميع العقلاء: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم].
- «ما» الموصلة تعم العقلاء وغير العقلاء: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النجم:٣١].
- «ما» الشرطية: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].
- «أينما وحيثما» تعم المكان....و.... إلخ.

والغالب أن لكل عام من الكتاب والسنة حالة استثنائية.

[الحاجة إلى من يبين آيات القرآن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ....﴾ [النحل:٤٤]، قد تدل هذه الآية علىٰ أن القرآن يحتاج إلىٰ من يبين المعاني المرادة والأحكام المقصودة، وأنه لا يتبين ما فيه من غير مبين.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبين الأحكام القرآنية، ومن مشهور حديثه صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))، ومنه حديث: ((خذوا عني مناسككم)).

-قال الله عز وجل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] ونحو هذه الآية:

المعنىٰ والله أعلم أن القرآن الكريم قد اشتمل علىٰ كل ما تحتاجه الأمة من علم التوحيد وعلم الفقه وغيرهما من العلوم الإسلامية.

فإن قيل: إن معرفة كيفيات الصلوات وأركانها وفروضها لم تعرف من القرآن، وإنما عرفت بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قلنا: ورد الأمر بالصلوات مجملاً في القرآن، وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تفصيل ذلك المجمل بقوله وفعله، إلا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أخذ ذلك التفصيل وعرفه من القرآن الكريم، وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج:٧٧]، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة]، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ [المزمل:٢٠]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء]، وقبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء].

ومثل قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى]، ومثل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الرحمن]، وقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤].

وعرف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أوقاتها من مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ...﴾ [الإسراء:٧٨]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود:١١٤]، والآيات في ذكر تفاصيل الصلاة في القرآن كثيرة.

فقد أمر الله تعالى في القرآن بالتكبير والتسبيح والتحميد، والقراءة والركوع والسجود، والقيام والقعود، والجهر والمخافتة، واستقبال القبلة، وطهارة الثياب والبدن والمكان، و... إلخ.

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران:١١٠]، تدل هذه الآية أن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المتصفة بتلك الصفات الثلاث أفضل الأمم فهي أفضل من أمة بني إسرائيل.

وإنما استحقت الفضل على غيرها من الأمم لقيامها بالأمر بالمعروف،

والنهي عن المنكر، والإيمان بالله.

ـ وقيامها بذلك دليل على قوة العقول وقوة البصر، وقوة العزيمة، و... إلخ.

ومن تخلى عن القيام بحمل الأمانة من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا حظ له في الخيرية المذكورة، ولا نصيب له منها، بل هو من شرار الخلق.

ـ الخطاب في هذه الآية لجميع المسلمين غير أن المراد والمقصود هو القائم منهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله دون من سواه.

النسخ

معرفة الناسخ والمنسوخ

سؤال: كيف يمكننا أن نعرف الناسخ من المنسوخ إذا لم ينبّه عليه في نصّ من الكتاب أو السنة أو الإجماع ولم يعرف تاريخ نزوله؟ هل بتقليد العلماء الذين قد ألفوا في الموضوع أم بماذا؟

الجواب: إذا كان الأمر كذلك فاللازم في الأدلة الظنية الرجوع إلى القرائن، ولا تخلو الأدلة المتعارضة عن قرائن في الأكثر، وذلك مثل حديث: هل في مس الذكر وضوء؟ فإن في السؤال ما يشير إشارة ما إلى أن السائل قد سمع على ألسنة الناس أنه يجب الوضوء من مس الذكر.

فإن لم يكن في أي من الأمارتين ما يشير إلى المتقدم أو المتأخر فالذي يظهر لي أنه يتعين على الناظر الأخذ بالأرجح من الأمارتين، ووجوه الترجيح كثيرة، ومنها قول العلماء: هذا ناسخ، وذاك منسوخ.

الاجتهاد

الاجتهاد والتقليد

المجال الذي تسرح فيه أنظار المجتهدين لاكتشاف حكم شرعي هو مجال محدود تحيط به أسوار منيعة لا يسمح للمجتهد تجاوزها، ومع ضيق مجال الاجتهاد فقد أجمعوا أن الاجتهاد لا يجوز إلا في حالة هي: أن يحصل في أرض

الواقع أمر جديد أو حادثة جديدة لم تذكرها آيات القرآن، ولم يُرْوَ فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا عن أمير المؤمنين، ولا عن أئمة أهل البيت؛ فإنه حينئذ يجب على علماء المسلمين أن يجتهدوا في استخراج حكم ذلك.

ومثال ذلك: ما ثبت اليوم من أن هناك مناطق سكنية في شمال الكرة الأرضية حول الدائرة القطبية الشمالية وهكذا حول الدائرة القطبية الجنوبية يكون الليل في بعض فصول السنة ثلاثاً وعشرين ساعة والنهار ساعة واحدة، وبالعكس يكون النهار ثلاثاً وعشرين ساعة والليل ساعة واحدة أو أقل من ساعة؛ ففي مثل هذه المناطق يحتاج المسلم إلى معرفة ما يجب عليه من الصلاة ومن الصيام.

-**وبعد،** فإن الله تعالى قد ذكر الاجتهاد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ۝٧٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء]، فكما ترى في هذه الآية أن داود عليه السلام حكم في ذلك بحكم، وحكم سليمان عليه السلام بحكم آخر غير ما حكم به داود؛ فأيد الله تعالى حكم سليمان عليه السلام من غير أن يخطِّئ داود عليه السلام بل أثنى عليهما جميعاً فقال: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، ولا شك ولا ريب أنهما عليهما السلام حكما في قضية لم ينزل فيها حكم من الله تعالى؛ إذ لو كان قد نزل فيها حكم من الله لما خالفاه.

أهمية علم المعاني والبيان للاجتهاد

سؤال: هل علم المعاني والبيان ضروري للاجتهاد؟ أوضحوا لنا ذلك ولو ببعض الأمثلة، أحسن الله جزاءكم.

الجواب: المحتاج إليه في الاجتهاد مذكور في أصول الفقه: مثل الأمر والنهي، والحقيقة والمجاز، والعام والخاص، و...إلخ، وأكثر أبواب الأصول لغوية، وقد وضعوا في أصول الفقه الأساسيات التي لا بد من معرفتها للمجتهد.

والذي أراه أنهم وإن وضعوا فيها كل ما يحتاجه المجتهد فإنه لا يتم معرفة ما

تضمنته كما ينبغي إلا برسوخ القدم في علوم اللغة العربية.

وذلك لأن القرآن والسنة عربيان لا تتأتى معرفة ما يراد كما ينبغي إلا من عارف باللغة، فإن لتراكيب كلام العرب أسراراً لا يهتدي إليها إلا الراسخ في علم اللغة العربية بما فيها علم المعاني والبيان.

وما أوقع الظاهرية في العمل بالظواهر إلا جهلهم بأسرار بلاغة لغة العرب.

وخلاصة القول: أن القرآن والسنة جاءا على لغة العرب، ومعرفة المقصود منهما متوقف على معرفة لغة العرب من جميع جوانبها: المفردات، النحو، البلاغة.

[جواز الخلاف في المسائل الفرعية الاجتهادية]

سؤال: ما هو الدليل على أن الخلاف في المسائل الفرعية الاجتهادية جائز؟

الجواب: الدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فإذا بحث العالم المجتهد واستقصى في النظر والتأمل فصار به نظره واجتهاده إلى حكم، والمجتهد الآخر صار به اجتهاده في نفس المسألة إلى حكم مخالف لذلك الحكم الذي صار إليه المجتهد الأول وجب على كل واحد منهما القول بما أداه إليه نظره واجتهاده.

وخطأ أحدهما في إصابة الحكم خطأ معفو عنه بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

فإن قيل: هل يسوغ لأحد أن يقول: إنه يجب على المختلفين أن يتركوا الاجتهاد في المسائل الخلافية ويعرضوا عن مذاهبهم الاجتهادية لما علم من ذم الله تعالى للخلاف والمختلفين في القرآن الكريم، ولما علم أن الله تعالى قد أكمل دينه في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، ولو أن الله تعالى كلف عباده بالأحكام التي اجتهد المجتهدون في تحصيلها ووقع خلاف فيها لبينها الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كغيرها من الأحكام الفرعية المبينة في الكتاب أو في السنة؟

يقال في الجواب ومن الله التوفيق: إنه لا يسوغ ما ذكر؛ لأنه يحدث حوادث تستدعي الاجتهاد في تحصيل أحكام لها، وذلك مثل ما حصل في آخر أيام الصحابة من حدوث مولود له فرج كفرج الذكر وفرج كفرج المرأة من غير أن يكون هناك قرينة ترجح ذكوريته أو أنثاويته، وليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بيان ما يستحقه هذا المولود من الميراث؛ فلو قلنا بترك الاجتهاد في حكم ذلك وأعرضنا عن الخوض فيه لحرمناه من الميراث، ولا يجوز حرمان ولد الميت من الميراث.

[هل يعذر الجاهل المقلد للمبطلين]

سؤال: هل يعذر الجاهل الذي يقتدي في دينه بالعلماء المبطلين من الصحابة أو من غيرهم مع حسن نيته، وطلبه بالاقتداء بهم رضوان الله ومغفرته أم لا يعذر؟

الجواب ومن الله التوفيق: أنه قد يعذر المتوغل في العامية، وعامية العجم الذين يتعذر عليهم الفهم لتفاصيل الشريعة، فمن كان كذلك فيكفيه الإيمان الجملي وتقليد من استرجح عنده كماله.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، أما العامي الذي يعرف الخلافات وعنده تمكن من معرفة الحق والمحقين فلا يعذر عند الله.

[اختلاف القضاة الذي ذمه أمير المؤمنين عليه السلام]

سؤال عن انتقاد أمير المؤمنين علي عليه السلام للولاة حيث يحكم القضاة في قضية معينة بأحكام مختلفة فيصوبهم الوالي جميعاً، وإلههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد. **فقال السائل**: أليس هذا استنكاراً لقول: إن كل مجتهد مصيب؟

وكان الجواب: أن أمير المؤمنين استنكر على القضاة أن يقضي كل واحد منهم في القضية برأيه المجرد الذي لا يستند إلى ما يدل عليه من الكتاب والسنة، واستنكر على الوالي حيث صوبهم جميعاً مع اختلاف أقضياتهم في قضية واحدة.

واستنكار علي عليه السلام هذا استنكار في محله، وواقع على أهله، فالقضاة ليسوا بأهل للقضاء لجهلهم به، والوالي ليس بأحسن منهم في هذا الباب، فهو يشاركهم في الجهل وعدم المعرفة بفصل الخطاب؛ إذ لو كان القضاة وواليهم من أهل العلم بالقضاء لتراجعوا في القضية واستعرضوا مستندات كل قاض، وراجعهم الوالي في ذلك حتى يتبين الراجح من المستندات، ويتضح للجميع الصواب، ولكن لما لم يكن الوالي والقضاة من أهل العلم بالقضاء لم يستنكر الوالي عليهم، ولم يستنكر بعضهم على بعض.

أما أهل العلم والتحقيق فإنه يستنكر بعضهم على بعض في المسائل التي يختلفون فيها في قديم الدهر وحديثه، ويتراجعون فيها، ويستعرضون المستندات من الكتاب والسنة والقياس، وما يلحق بذلك من أوجه الترجيح.

وحينئذ فاستنكار علي عليه السلام ليس فيه ما يخالف القول بأن كل مجتهد مصيب.

- ويؤيد ما ذكرنا من أن المراد بكلام الإمام علي عليه السلام هو استنكار ما عليه القضاة وواليهم من الجهل بالقضاء- ما روي في سيرة عمر بن الخطاب من الخطأ في أقضياته التي كان يصدرها عن رأيه المجرد التي لا يستند فيها إلى دليل شرعي، وكان الصحابة يراجعونه في الكثير من أقضياته، ويذكرون له الدليل فيتراجع، وكان علي عليه السلام يراجعه أيضاً، ويذكر له الدليل فيتراجع، وقد راجعته امرأة في قضية فتراجع، وقال: (كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت)، ومن أقواله المشهورة في هذا الباب: (لولا علي لهلك عمر)، ولم يكن عثمان بأحسن من عمر في العلم بالقضاء.

فإن في ذلك دليلاً على ما ذكرنا من أن استنكار علي عليه السلام لم يكن إلا لما ذكرنا من جهل الوالي والقضاة.

- أما أبوبكر فلم تطل أيام ولايته إلا أنه لم يكن أحسن من الرجلين في العلم بالقضاء، ودليل ذلك ما روي في سيرة أبي بكر من قوله في الكلالة، وفي ميراث الجد، وفي غير ذلك.

وعلى الجملة فالثلاثة لم يكونوا من أهل العلم بالقضاء، وقد كان بعضهم يقول في الاعتراف بجهله: شغلني عن اكتساب العلم الصفق بالأسواق، هذا معنى الرواية[(١)]، ويعني بذلك أن طلبه للربح في البيع والشراء في أسواق المدينة شغله عن مجالسة رسول الله ﷺ، والاستماع إلى كلامه، ففاته العلم والحكمة التي كان النبي ﷺ يلقنها جلساءه وأصحابه.

التقليد

التقليد له معنى لغوي، ومعنى شرعي، فالتقليد الشرعي نوعان:

١ـ التقليد في العقائد الشرعية «أصول الدين، وأصول الفقه».

٢ـ التقليد في الأحكام الشرعية الفرعية العملية.

والنوع الأول محرم، والنوع الثاني غير محرم.

وحقيقة التقليد: اتباع قول الغير أو عمله أو مذهبه المجرد عن البرهان.

أو تقول: التقليد هو الاعتماد على أقوال العالم المجتهد أو آرائه الدينية المجردة عن الدلائل، وإنما بناءً على حسن الظن به واعتقاد ثقته.

وإنما قلنا: إن النوع الأول من التقليد محرم، وهو التقليد في الأصول والعقائد الدينية:

ـ لأن حصول اطمئنان القلب بصحة العقائد متوقف على العلم بصحتها، والعلم لا يحصل بالتقليد؛ لأن غاية ما يحصله التقليد وينتج عنه هو الظن لا العلم.

-والمعروف أن الله تعالى طلب من عباده المكلفين العلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، ونهى عن اتباع الظن، وذم المتظننين والمقلدين، وأمر بالنظر والتفكير في آياته المبثوثة في الكون أمراً عاماً لجميع المكلفين، واستنكر تعالى على المعرضين عن النظر والتفكير: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ۝١٧﴾ [الغاشية]، ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ...﴾ الآية [يونس].

-ولأن المقلد في الأصول والعقائد على خطر عظيم، وذلك من حيث أن المقلد

---

(١)- ولفظها كما في البخاري حديث رقم (٢٠٦٢)، ورقم (٧٣٥٣): (أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ).

يُجوِّز الخطأ والصواب في تقليده، وقد رأينا الله تعالىٰ ذم الذين وقعوا في الضلال عن طريق التقليد في آيات كثيرة: ﴿... وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥].

-النوع الثاني من أنواع التقليد فهو الاعتماد علىٰ قول العالم المجتهد في الأحكام الشرعية العملية الفرعية، وهذا النوع كما ذكرنا جائز بل واجب علىٰ المكلف العامي الذي لا قدرة له علىٰ الاستنباط واستخراج الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة.

أما القادر علىٰ الاستنباط واستخراج الأحكام الشرعية من أدلة الكتاب والسنة فلا يجوز له مع ذلك التقليد، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٤٣﴾﴾ [النحل]، فأوجب الله تعالىٰ علىٰ المكلفين الذين لا يعلمون أن يسألوا أهل العلم.

ـ وقد قسم الله تعالىٰ المسلمين إلىٰ قسمين في قوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، فجعل العلماء الذين أوتوا العلم قسماً رفعه درجات، وجعل المؤمنين قسماً.

ـ **فإن قيل:** لم جاز التقليد في هذا القسم دون القسم الآخر؟

قلنا: جاز في هذا القسم دون القسم الآخر:

١ـ لأن معرفة الله تعالىٰ حق معرفته ومعرفة ما يلحق بذلك من العقائد والأصول ممكنة لكل عاقل، وكل عاقل لا يحتاج كثير عناء للوصول إلىٰ المطلوب من المعرفة والعلم، ولا يحتاج في تحصيل هذا العلم إلىٰ القراءة والكتابة، بل هو متيسر للأمي والقارئ، وللعالم والجاهل، والبدوي والحضري.

والذي يحتاج إليه في تحصيل هذا العلم هو توجه العقل والفكر للنظر والتأمل في آيات الله المبثوثة في الآفاق وفي الأنفس، وفي جميع المخلوقات.

٢ـ ولما كان تحصيل العلم الإلهي بهذه الدرجة من السهولة والتيسر لكل عاقل حرم التقليد لأنه نقص وذلة، ولا يجوز أن يدخل المكلف في ذلك إلا عند الضرورة، ولا ضرورة في تحصيل هذا العلم لتيسره وسهولته كما ذكرنا.

٣ـ الأحكام الشرعية الفرعية العملية أحكام كثيره لا تكاد تحصر ولا تعد، والوصول إلى تحصيلها لا يتيسر ولا يحصل لكل مكلف، وإنما يحصل لنوادر من المكلفين وهم الذين رسخت أقدامهم في معرفة علوم لغة العرب، وتحققت معارفهم وتمكنت في علم أصول الفقه، ثم في معرفة كتاب الله تعالى ومعرفة السنن المروية عن النبي ﷺ، والآثار المروية عن علماء الأمة من أهل البيت والصحابة والتابعين ومن بعدهم، ومع ذلك فلا بد من أن يتوفر للمكلفين ذكاء متوقد وفطنة عالية، فعند حصول ذلك وتوفره للمكلف يمكنه التعرف على الأحكام الفرعية.

٤ـ الأحكام الفرعية تستنبط من أدلة دقيقة وخفية لا يصل إليها إلا من حظي من الله بالتوفيق والتسديد والإعانة.

ـ لذلك كله دعت الضرورة في الأحكام العملية إلى أن يقلد الجاهل العالم ويأتم به في العمل بها.

ـ وعلى الجاهل أن يأتم بالذي يتوفر فيه:

١ـ التقوى والورع، فإن اختلف العلماء في ذلك فليتخذ أعظمهم رسوخاً في ذلك.

٢ـ أن يكون العالم كامل العلم في نظر الجاهل، فإن اختلف العلماء في نظر الجاهل فليختر أعلمهم في نظره.

ـ ومعرفة ذينك الأمرين سهلة ومتيسرة على الجاهل، فإنه يعرف ذلك بالشهرة بين العلماء، وبين طلبة العلم وبين سائر الناس.

ـ وإذا استوى العالمان أو الثلاثة في نظر العامي، كأن تكون شهرتهم متساوية أو متقاربة في نظره فهو بالخيار في تقليد أيهم شاء.

❁❁❁❁❁

فوائد في العبادات

[تعليق على الحديث المروي في الشفاء عن المغيرة في التواري]

حديث المغيرة الذي رواه في الشفاء هو في تواري النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبعده عن الناس، وذلك أمر متقرر في العقول، فحديث المغيرة لم يثبت حكماً شرعياً، وإنما جاء لتأكيد حكم متقرر في العقول.

التواري عند قضاء الحاجة والبعد عن الناس هو من جملة أحكام متقررة في العقول مركوزة في الفطرة، مثل ستر العورة المغلظة، ونجاسة الغائط والبول، ونحو ذلك.

[النيابة في العبادات البدنية]

من شأن العبادات البدنية أنها لا تصح فيها النيابة فلا يصح أن يصلي أحد عن أحد مطلقاً، أي لعذر أم لغير عذر، والسر في ذلك أن الله تعالى شرع الصلاة مثلاً لحكمة ومصلحة متعلقة بشخص المصلي لا تحصل إلا إذا فعلها الشخص نفسه، فمصلحة الصلاة خاصة بالمصلي، ومصلحة الصيام خاص بالصائم.

وقد استثني من ذلك الحج فهو وإن كان عبادة بدنية، إلا أن الدليل قد قام على أنه تصح النيابة فيه للعذر المأيوس كالشيخ الكبير الذي لا يستطيع الركوب على الراحلة، وقام على صحة النيابة عن الميت بوصية أو بغير وصية.

وجاء دليل في النيابة في الصيام ليس في قوة دليل النيابة في الحج، وذلك إذا مات الميت وعليه صيام فإنه يصوم عنه وليه.

وقام الدليل أيضاً على صحة النيابة في زيارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقيست زيارة الصالحين على زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في صحة النيابة.

وجاء الدليل على صحة النيابة في السلام على الأحياء.

وقام الدليل على صحة النيابة في قراءة القرآن فقد صح بلا خلاف أن النبي ﷺ كان يبعث الصحابة ليقرأوا على الناس القرآن، وفي حديث: ((فقراءة الإمام له قراءة)).

وصحت النيابة في مناسك الحج التي ليست بأركان للأعذار؛ لأن النبي ﷺ رخص لأهل الأعذار في تركها رأساً، فبالأولى والأحرى أن تصح النيابة؛ لأنها خير من الترك رأساً، والله أعلم.

[خطبة في الطهارة]

بسم الله الرحمن الرحيم

عباد الله اتقوا الله تعالى وأطيعوه فيما أمركم، وانتهوا عما نهاكم عنه، واعلموا أن الله يحب التوابين ويحب المطهرين.

وتنزهوا عباد الله عن النجاسات والأقذار، واعلموا أن عامة عذاب القبر من البول والنميمة، فتحروا عباد الله أن يصيب البول أبدانكم أو ثيابكم، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة]، لا يحل للمسلم أن يأتي امرأته إذا كانت حائضاً، وله أن يضاجعها، ويؤاكلها، فإذا طهرت من حيضها واغتسلت حلت له مداناتها.

ولا يجوز للمرأة الحائض أن تصلي ولا تصوم، ولا تقرأ القرآن ولا تدخل المسجد.

ولا يجوز للزوج أن يطلق زوجته وهي حائض، فإن الله تعالى قد حرم ذلك تحريماً مؤكداً على جميع المؤمنين.

والواجب المحتم على المسلم إذا أراد أن يطلق زوجته أن ينتظرها حتى تطهر من حيضها وتغتسل؛ فإذا طهرت واغتسلت طلقها إن شاء.

ولا يجوز للزوج أن يطلقها وهي في طهر قد جامعها فيه؛ فإن الطلاق الذي أذن الله تعالى فيه أن يطلقها في طهر لم يكن قد جامعها فيه، فإذا كانت كذلك طلقها طلقة واحدة لا غير.

هكذا حد الله تعالى الحدود للمؤمنين في الطلاق، ونهاهم أن يتجاوزوا حدوده؛ فالذي يطلق امرأته وهي حائض عاصٍ لله ولرسوله ﷺ متجاوز لحدود الله، والذي يطلق زوجته في طهر قد جامعها فيه عاصٍ لله ورسوله ﷺ متجاوز لحدود الله تعالى. والذي يطلق ثلاث تطليقات دفعة واحدة عاصٍ لله متجاوز لحدوده.

[الوضوء من منظور علم النقاط]

من مجلة الإعجاز العلمي / العدد العاشر/ جمادى الآخر / سنة ١٤٢٢هـ تحت عنوان: الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية

بقلم: د. ماجدة عامر. جامعة عين شمس القاهرة

وسنأخذ المقصود بالمعنى من أجل التوضيح للقارئ:

يوجد على سطح الجسم نقاط عديدة ذات صلة بأعضاء الجسم الداخلية، ومعظم هذه النقاط يتركز في الأطراف والوجه واليدين والأذنين والقدمين.

وتدليك هذه النقاط يعيد التوازن والنشاط لأجهزة الجسم الداخلية، ويفيد لعلاج كثير من الأمراض المزمنة كآلام الظهر والرقبة والعمود الفقري، وارتفاع الضغط الدموي والإمساك المزمن والأرق والصرع والتوتر إلى غير ذلك.

كما أنه يخفف من حدة التوتر الناشئ من ضغوط الحياة اليومية التي تسبب لكثير من الأمراض، ويعيد للإنسان الشعور بالراحة والاسترخاء وينشط الدورة الدموية، ويساعد على التخلص من المواد السامة والضارة في الجسم، ويجدد للإنسان النشاط والحيوية.

[الحكمة من عدم تفصيل أحكام الصلاة في القرآن]

سؤال: إن قيل: فصل الله تعالىٰ أحكام الصيام وحدوده، وفصل أحكام الحج وحدوده في القرآن الكريم، فما هي الحكمة في عدم تفصيل أحكام الصلاة وحدودها، وعدم تفصيل الزكاة وحدودها في القرآن؟

يقال في الجواب: لعل السر والحكمة في عدم تفصيل أحكام الصلاة والزكاة وحدودهما في القرآن الكريم هو الاكتفاء بما علم الله تعالىٰ من أن أحكام هاتين الفريضتين وتفاصيلهما ستشتهر في المسلمين وتستفيض فيهم استفاضة لا يلحقها خفاء إلىٰ انقطاع التكليف.

فإن قيل: قد حصل في الأمة الخلافات الكثيرة في تفاصيل أحكام هاتين الفريضتين، ولو ذكرت أحكامهما وتفاصيلهما في القرآن لما حصل ذلك الخلاف كما لم يحصل خلاف كثير في فريضتي الصيام والحج.

فيقال: حصول الخلافات في بعض تفاصيل أحكام تلك الفريضتين لا يضر بأصل الفريضة وبالتكليف بها.

فقد حصل الإجماع والاتفاق علىٰ تفاصيلهما الأساسية التي لا بد منها؛ أما ما حصل فيه الخلاف في هاتين الفريضتين فليس من أركانهما ولا من مقوماتهما؛ فالخلاف فيها خلاف خارج عن أصل الفريضة، فلا يضر الخلاف فيه؛ بل لا يضر الجهل به.

[السر في جعل الذبح والنحر من عبادات وشعائر الحج]

سؤال: ما هو السر في أن جعل الله تعالىٰ الذبح والنحر من عبادات الحج وشعائره؟

الجواب والله أعلم: أن السر في ذلك هو ما يترتب عليه من المصالح التي منها كما يظهر لي:

١- إظهار تعظيم الله تعالىٰ بالذبح له، ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ...﴾ [الحج:٣٧].

٢- إظهار توحيد الله تعالىٰ، وذكر اسمه، وتكبيره عند الذبح.

٣- إشباع الفقراء والمساكين، وسائر الحجاج من اللحوم؛ لأنهم ضيوف الرحمن، وللضيوف حق القِرى، ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن صيام أيام التشريق وقال: ((إنها أيام أكل وشرب وبعال)).

[من فوائد الصلاة]

-الصلاة بما اشتملت عليه من أولها إلى آخرها تنعش في نفس المصلي الإيمان بالله، وتحيي في قلبه عظمة الله وجلاله، واستحقاقه للشكر، واستشعار أنه الملك الديان يوم الدين، وأنه الحقيق بالعبادة والاستعانة، وفيها التضرع بالدعاء في طلب الهداية، وفيها البراءة ممن غضب الله عليهم، ومن الذين ضلوا عن الهدى.

وفيها ترجمة فعلية عن غاية التواضع والخضوع لله بالركوع والسجود، وفيها إظهار الطاعة لله والامتثال لأمره.

وفيها الثناء على الله تعالى والحمد له، والشهادة بوحدانيته وربوبيته، وفيها البراءة من كل معبود سوى الله، وفيها الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والشهادة له بها.

وفيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله، التي فيها الاعتراف بعظم النعمة به صلى الله عليه وآله وسلم، وبآله.

وفيها التنويه بإبراهيم وآله عليهم السلام، وبعظيم فضلهم، وعظيم نعمة الله عليهم، وفيها بيان فضل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعظيم حقهم، وأن الواجب أن يكون فضلهم حياً في نفس كل مسلم.

[أفطر الحاجم والمحجوم]

حديث: ((أفطر الحاجم والمحجوم)): المعنى -والله أعلم-: أنه روي أن الحاجم والمحجوم كانا يغتابان فقال فيهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الحديث، ولم يقل ذلك من أجل الحجامة، بل من أجل اغتيابهما.

ومراد النبي ﷺ أن اغتيابهما قد أبطل ثواب صيامهما، ولم يبق لهما من صيامهما إلا التعب، إلا أنه لا يجب عليهما القضاء؛ للاتفاق على ما يظهر أنه لا يلزم الصائمين من الفسقة القضاء للصيام.

[أفضل الأعمال في شهر رمضان]

سؤال: توجه إلي سؤال من رجل له وجاهة في النفوس وله نفوذ وتأثير- عن أحسن الأعمال المقربة إلى الله تعالى في شهر رمضان.

وَرَد سؤاله هذا والأوضاع في صعدة متأزمة، يتوقع انفجار الوضع فيها في أقرب وقت.

فكان الجواب ومن الله التوفيق:

أن أفضل الأعمال بالنسبة للسائل هو تهدئة الوضع والإصلاح بين الناس، وذلك لأن أفضل الأعمال بعد الفرائض يختلف من شخص لآخر، ومن وقت لآخر؛ فلما كان السائل ذا وجاهة ونفوذ وتأثير في الناس، وكان الوضع متأزماً توجه القول بأن الإصلاح بين الناس وتهدئة الوضع هو أفضل أعمال الخير في هذا الشهر الكريم.

- ولو كان السائل بهذا السؤال من أهل الثروة والغنى لا من أهل الوجاهة والنفوذ لتوجهت الفتوى له بأن أفضل أعمال الخير في هذا الشهر الكريم هو مواساة الفقراء والمساكين وأهل الحاجة بما يتيسر من المال.
- ولو كان السائل من أهل الفقر لتوجهت الفتوى إليه بأن أحسن أعمال البر بعد الفرائض في هذا الشهر الكريم هو تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى ونوافل الصلاة؛ فإن كان السائل لا يقرأ القرآن قلنا له: نوافل الصلاة، وذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير و..إلخ.
- فإن كان للسائل والدان عاجزان محتاجان، قلنا له: عنايتك بوالديك وقيامك بما يحتاجان إليه أفضل الأعمال بعد الفرائض.

- ولو كان للسائل زوجات وأولاد صغار محتاجون إلى النفقة قلنا له: سعيك على عائلتك وتوفير حاجاتهم وما يسد جوعتهم ويستر عوراتهم أفضل الأعمال في حقك، وهكذا ينبغي أن يفتى السائل في هذا الموضوع.

فإن قيل: فما هو أفضل أعمال الخير في شهر رمضان على الإطلاق أعني من غير نظر إلى السائل؟

فيقال له -والله أعلم-: يمكن أن تكون تلاوة القرآن في شهر رمضان في الدرجة الأولى من الفضل بعد الفرائض، ويستدل لذلك بـ:

١- أن الله تعالى أنزل القرآن في شهر رمضان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

٢- أن جبريل عليه السلام كان يدارس النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في شهر رمضان.

٣- أن تلاوة القرآن تتضمن ذكر الله تعالى بأنواع الذكر، وفيها طلب العلم، ومعرفة الكثير من الأحكام، وفيها المواعظ والعبر و...إلخ.

[من فوائد الحج]

الحج: مظهر من مظاهر الإسلام، وشعيرة من شعائره العظيمة الظاهرة على الأرض في مرأى الناس ومسمعهم، وفيها إظهار عبادة الله وطاعته، وإظهار التذلل والمسكنة والعبادة إظهاراً يرى ويسمع على مستوى كبير.

وفي عبادة الحج ابتلاء من الله واختبار للمسلمين يتميز به صادق الإيمان عن غيره؛ لأن الحج عبادة شاقة إذ فيه نفقات كبيرة، وفيه تعرض لمخاطر السفر ومتاعبه ومخاوفه التي لا يتحملها إلا من صدق إيمانه.

وفيه أكبر تجمع للمسلمين بحيث أنه لا يحصل من التجمع مثله على الإطلاق، فيمكن للمسلمين فيه أن يتشاوروا ويتبادلوا النصائح، ويحصل فيه التعارف بين المسلمين، والتطلع على أحوال بعضهم البعض وأخبارهم، وتجاربهم ومشاكلهم، ويمكن فيه أن يتعاونوا على حل المشاكل و...إلخ.

وفيه تقوية الروابط وتوثيقها بالأنبياء والرسل، ولا سيما إبراهيم ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وعلى آلهما ورحمته وبركاته.

مكة

أقسم الله تعالى بمكة في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ①..﴾ [البلد]، وأقسم بها في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ③﴾ [التين]، وفي ذلك تنبيه وإشارة إلى عظيم فضلها وشرفها عند الله تعالى، والمراد بالبلد الأمين: مكة وما حولها من الحرم بدليل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت٦٧]، وقال سبحانه: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج٢٥] سمى الله تعالى الحرم محرم في هذه الآية مسجدًا.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا...﴾ [النمل٩١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح٢٧]، لم يدخل الكعبة إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجل في عمرة القضاء، فدل ذلك أن المراد دخول مكة.

وقال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء١]، وفي السير أنه صلى الله عليه وآله وسلم أسري به من بيت أم هانئ بنت أبي طالب.

المعلوم أنه لم يكن حول الكعبة أي بناء للصلاة فيه، وإنما كانت مبنية وحدها في الوادي يطاف عليها ويصلى عندها.

وقد روي أن الحسنة في الحرم المحرم بمائة ألف حسنة.

وبما ذكرنا يتوجه القول بأن الصلاة في الحرم المحرم بمائة ألف صلاة؛ لأن الله تعالى سمى الحرم كله مسجدًا.

ويدل على أن الحرم المحرم كله مسجد أن علماء أهل البيت وأكثر علماء الأمة قالوا: إنه لا يجوز ولا يصح بيع أرض مكة ولا تأجيرها، وأنه يستوي فيها أهلها وغير أهلها، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾.

ولا شك أن الله تعالى قد عظمها وشرفها وأمر بتعظيمها وتشريفها، ونهى أشد النهي عن التعدي لحدود الله فيها، وتوعد على ذلك بالعذاب الأليم، بل إنه تعالى حرم فيها كثيرًا مما أحله في غيرها.

وخلاصة الكلام أن الله تعالى جعل الحرم المحرم شعيرة من شعائره تعبد الناس بتعظيمها.

ومما يؤكد ما ذكرنا من أن الحرم المحرم كله مسجد قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴿٣٣﴾﴾ [الحج]، وقد نحر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمون في حجة الوداع ما معهم في منى.

وقد قالوا: إن الهدايا إذا بلغت الحرم المحرم فقد بلغت محلها، إلا أنهم قالوا: إن هدايا العمرة تنحر في مكة وشعوبها، وهدايا الحج تنحر في منى، وإن نحرت في أي مكان من الحرم فلا بأس، فهذا يؤكد ما ذكرنا.

وحينئذ فيثبت للحرم المحرم ما يثبت للمسجد من الأحكام، ويستثنى من ذلك دخوله الحائض والجنب للضرورة، وكذا قضاء الحاجة فيه للضرورة أيضاً.

إلا أن الحرم المحرم يزيد شرفه على المساجد وتزيد حرمته على حرمتها لجلالة جاعله وعلوه ورفعته.

[من فوائد الصيام]

الصيام: عبادة عظيمة وشعيرة من شعائر الإسلام، اختبر الله به المسلمين يتميز به المطيع من العاصي، والمخلص من غيره، وبه تصفو النفس وتزكو، فتقبل النفس إلى الله، وترغب في التقوى، وتبتعد عن المعاصي، ومع ذلك فإن الصيام يتسبب في صحة البدن وعافيته، وبه تتجدد الصحة والعافية والنشاط والقوة.

وهو عبادة خفية بين العبد وربه لا يطلع عليها إلا الله تعالىٰ؛ لذلك جاء فيه من حديث قدسي: ((إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به)).

وفيه أنه عبادة حولية أي أنه يتكرر وجوبه علىٰ المسلمين بتكرر الأحوال فيجب في كل سنة مرة -أي شهر-.

والله تعالىٰ غني عن صيام عباده وإنما كلفهم به لما لهم فيه من المصالح والمنافع الدينية والدنيوية.

أما المصالح الدنيوية فمنها ما ذكرنا سابقاً من تجدد الصحة والعافية والنشاط والقوة، وأنه وسيلة من وسائل الصحة والعافية، ومنها...، ومنها... إلخ.

وأما المصالح الدينية فما يحصل به من الإقبال علىٰ ملازمة التقوىٰ، وتنوير القلب، وتزكية النفس، ومغفرة الله ورحمته وعفوه.

[من فوائد الزكاة]

الزكاة: عبادة مالية يتميز بها صادق الإيمان من كاذبه، وبها يستغني فقراء المسلمين ومساكينهم، وبها تقوم دولتهم، ويشتد سلطانهم، وبها تحفظ بلاد المسلمين، وبها يدفع العدو، ويقاتل الكفار، وتقام الشرائع والأحكام، وبها تأمن الطرق، وتحيا المصالح العامة للمسلمين من المدارس والمصحات والطرق والمناهل، و...إلخ، وبها...، وبها...إلخ.

وفيها زوال العداء بين الفقراء والأغنياء، وحصول المودة والرحمة بينهم، وفيها...، وفيها... إلخ.

[متى تجب الصلاة على النبي ﷺ]

سؤال عن الصلاة علىٰ النبي ﷺ هل تجب كلما ذكر ﷺ؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ واجبة كما دلت عليه آية الأحزاب، ولا خلاف في وجوب الصلاة عليه ﷺ في الجملة، وقد وردت السنة بوجوب الصلاة علىٰ النبي ﷺ في الصلاة، وتجب أيضاً في خطبة الجمعة، وهذا بيان لما جاء في آية الأحزاب.

وحديث: ((من ذكرت عنده فلم يصل عليك...)) إلخ، لم يقل أحد فيما يظهر بظاهره، فيرد معناه إلى وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة، فيكون المصلي للصلوات الخمس قد صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما في غير الصلوات وفي غير خطبة الجمعة فتندب الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق سواء ذكر صلى الله عليه وآله وسلم أم لم يذكر؛ لما جاء من الترغيب والحث عليها في السنة.

[من حديث: ((اقرأوا على موتاكم يس))]

جاء في الحديث: ((اقرأوا على موتاكم يس))، وكأن المراد قراءتها على المستقبلين للموت، وهم المحتضرون على فراش الموت، وكأن السبب في ذلك والله أعلم هو ما اشتملت عليه سورة (يس) من:

١- تنبيه المحتضر على الإيمان بالقرآن الحكيم، وبنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعظمة ما أعده الله من الكرامة بعد الموت لعباده الصالحين: ﴿قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾.

٢- تنبيه المحتضر على دلائل قدرة الله وعظمته.

٣- تنبيه المحتضر على دلائل قدرة الله على البعث للحساب: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [٣٣] ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ...﴾ إلى آخر السورة، ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾.

٤- تنبيه المحتضر على ما أعده الله تعالى من الكرامة لعباده الصالحين: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝٥٥...﴾ الآيات.

٥- وتنبيهه على ما أعد الله من الخزي والعذاب للمجرمين ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ۝٥٩...﴾ الآيات.

٦- وتنبيهه على كراهة المعرضين عن الله وآياته ورسله ، والبراءة منهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۝٤٥ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ۝٤٦ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ...﴾ الآيات.

٧- وفيها تنبيهه على بيان عاقبة المؤمنين، وعاقبة المكذبين.

٨- وفيها تنبيهه على ذكر نعمة الله عليه حيث هداه للإيمان، ولم يجعل على بصره غشاوة، ولم يسد بينه وبين الإيمان.

وفيها الكثير مما ينبغي أن يتنبه له المحتضر، ويلقى الله تعالى عليه مما ذكرنا، وما لم نذكر.

[جواز تعظيم الميت في قبره]

ولا حرج في تعظيم الميت المقبور في قبره، وقد أسرفت السلفية في حكم تعظيم قبور الأنبياء والصالحين، وغلت في ذلك، فحكمت على فاعل ذلك بالشرك.

فنقول ومن الله التوفيق: إن للمؤمن حرمة في حياته يجب مراعاتها وتعظيمها، ولا خلاف في حرمة المؤمن، ووجوب تعظيمه بين المسلمين من السلفية وغيرهم.

وإنما الخلاف في التعظيم بعد الموت، فنحن نقول: إن حرمة المؤمن وتعظيمه باقٍ بعد موته من الواجب مراعاتها، ودليل ذلك أمور:

١- الأصل بقاء وجوب الحرمة وبقاء وجوب التعظيم، وهذا هو ما يسمى بدليل الاستصحاب، ولا يسقط هذا الوجوب ولا ينتفي إلا بدليل ناقل، ولا دليل لمن ينفي ذلك.

٢- مما يدل على بقاء حرمة الميت، وبقاء وجوب تعظيمه بعد موته- ما

شرعه الله تعالى من تعظيم الميت بالغسل والتكفين بكفن حسنة والتحنيط، ثم اجتماع المسلمين للصلاة عليه والدعاء له، ثم تشييع جنازته بخروج المسلمين في إثر جنازته، ثم الوقوف على قبره حتى يقبر. ولو كانت حرمة الميت وتعظيمه يموت بموته لما شرع الله تعالى ذلك.

٣- خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المدينة إلى أُحُد فصلى على شهداء أُحُد صلاته على الجنازة بعد ثمان سنوات من يوم قتلهم. روي ذلك في صحاح أهل الحديث. ففي ذلك دليل على ما قلنا من بقاء حرمتهم، ووجوب تعظيمهم، أو على الأقل ندبيته أو جوازه.

٤- كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخرج الليل حتى يأتي مقبرة البقيع فيقف عليها، ويسلم على أهلها، ويدعو لهم. روى ذلك أهل الصحاح عن عائشة.

٥- من المتسالم عليه بين المسلمين أنه لا يجوز امتهان قبور المسلمين بدوسها بالأقدام، والجلوس عليها، وقضاء الحاجة عليها، ووضع القاذورات فوقها، و...إلخ.

وقد رأيت المقابر في أوطان السلفية تسور بأسوار، وما ذلك إلا لصيانتها عن الامتهان ودوس الأقدام، و...إلخ.

الغيبة

الغيبة من الذنوب التي يتهاون بها الناس، وقد فشت وانتشرت في مجالس الرجال ومجالس النساء، والواقع أنها ذنب يكرهه الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد أنزل الله تعالى في التحذير للمسلمين والمسلمات من الغيبة قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

والغيبة من أخبث المعاصي وأقذرها، وقد صور الله تعالى الغيبة تصويراً يكشف عن قذارتها وخبثها فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢]، فعلى المؤمن والمؤمنة أن يتباعد عن الغيبة، وينفر عنها كما ينفر عن أكل لحم المؤمن الميت.

وصورها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن ذكر ما معناه: إن الأكل من لحم حمار ميت قد انتفخ وتعفن أهون من غيبة المسلم، وقد حرم الله تعالى عرض المؤمن والمؤمنة.

[في روايات عن الشيطان وملابسته لابن آدم]

سؤال: ما معنى الروايات التي تقول: إن الشيطان يحل تحت الأظفار إذا طالت، وأنه يبيت على خيشوم النائم، وأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن الذي يظهر لي والله أعلم: أن النجاسات والأوساخ إذا لابست بدن الإنسان شوشت على فكره، وأقلقت طمأنينته، وعند ذلك يستولي على البدن الكسل والخمول ويقل النشاط، وحينئذ يجد الشيطان الطريق مفتوحاً إلى قلب الإنسان.

وهذا على العكس من أمر النظافة والطهارة فإنها تبعث على النشاط وصفاء الفكرة وحدة البصيرة وزكاء العقل، وتقضي على الخمول والكسل، وتسد المنافذ في وجه الشيطان.

فمن هنا سمى الله تعالى الجنابة رجز الشيطان في قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ⑪﴾ [الأنفال].

[في مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأوقات الصلوات]

في وفاء الوفاء للسمهودي: روى ابن زبالة ويحيى، عن جعفر: وكان جداره -(مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)- قبل أن يظلل قامة، فكان إذا فاء الفيء ذراعاً وهو قدمان يصلي الظهر، فإذا كان ضعف ذلك صلى العصر.

قلت: وقد روت الإمامية عن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أن وقت العصر على أربعة أقدام، وكذلك روت الزيدية عن جعفر بن محمد، وهذا دليل على صحة الرواية عن الإمام جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعليه فيضاف هذا الدليل إلى أدلة الجمع بين الصلاتين.

معرفة الشهور

للمذهب: إذا غمت على الصائم شهور فإن لم يحصل له غلبة ظن بأن فيها نقصاً فإنه يبني على الكمال ويعد من أقرب شهر عرف أوله. اهـ حواشي.

من قرائن معرفة أول الشهر وآخره:

١-إذا طلع الهلال قبل الفجر فهو لسابع وعشرين.

٢-بعد الفجر لثامن وعشرين.

٣-إن لم ير فهو لتاسع وعشرين.

٤-يغرب الهلال في ثالث عشر قبل الفجر.

٥-ويغرب في رابع عشر قبل طلوع الشمس.

٦-وفي خامس عشر بعد طلوع الشمس.

[**فضل شهر رمضان**]

١- فضل شهر رمضان وفضل قراءة القرآن فيه وليلة القدر- تضاعف فيه الحسنات، ويعطي فيه الله تعالى ما لا يعطي فيما سواه من الشهور.

٢- كيفية قراءة القرآن: القراءة الجماعية.

٣- الصيام ليس من الطعام والشراب، بل يجب حفظ اللسان من الغيبة وذم الناس وسبهم وتنقيصهم ومن أذى الجيران الأقارب وتنقصهم، ويتحرز من محبطات الطاعات.

[**عن ليلة القدر**]

ليلة الواحد والعشرين من ليالي شهر رمضان / ١٤٣٤هـ

وهي أول ليلة من الليالي الفضليات، ليالي القدر، التي ورد بفضلها القرآن والسنة، وأجمع المسلمون على زيادة فضلها.

وهي ليلة واحدة من الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان، وقد جاء الأثر بما معناه: ((ترقبوها في الأفراد بعد العشرين)).

هذا، وقد قالوا: إن الحكمة في إخفاء ليلة القدر في جملة العشر الأواخر من شهر رمضان هي حمل طلاب ليلة القدر على إحياء العشر الأواخر جميعاً؛ لينالوا ثواب إحياء العشر وثواب إحياء ليلة القدر، فإن من أحيا العشر الأواخر من رمضان فقد أحيا ليلة القدر، ولذا جاء في الأثر ما معناه: ((من صام نهار رمضان وقام ورداً من ليله، وصلى صلواته، وصلى جمعاته، وكف لسانه- فقد صام الشهر وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب)) هذا معنى الأثر لا لفظه.

أكتب هذه السطور وأنا كلي حسرة على تضييعي لما ينبغي في ليالي رمضان من العبادة لله وكثرة الركوع والسجود والذكر والتضرع إلى الله.

إلا أنه قد صح الأثر: أن من رضي عمل قوم أشرك في عملهم، لذلك أدعو الله وأرجوه أن يشركني في صالح دعاء عباده الصالحين، وفي صالح أعمالهم في هذا الشهر الكريم، وفي سائر الشهور، فإني أحب الصالحين وأحب أعمالهم الصالحة من الصلاة والصيام والقيام والدعاء والتضرع والابتهال والذكر وغير ذلك، وأرضى كل ذلك وأشكره، وأدعو الله لهم بالقبول والتوفيق والإعانة، وأشركهم في دعائي، وأسأل الله لهم العتق من النار؛ فمن هنا يهون علي ويخفف من أساي ما أرجوه من الله العلي العظيم ذي الفضل الكبير أنه سيشركني في أعمال عباده الصالحين وعبادتهم، وفضله سبحانه عظيم لا يخيب رجاء من رجاه، ولا يقطع أمل من أمله ودعاه.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو الله تعالى أن يعطيه مثل أجر من صام رمضان وقامه.

[بيان بعض الأشياء التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]

مسائل: هناك عدة أشياء نراها مروية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يبق لها أثر فما هو السبب، وذلك مثل:

١ -إذا أَلَمَّ أمر كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو: ((الصلاة جامعة)).

٢-إذا كان هناك مطر كان ينادي المنادي: ((صلوا في رحالكم)).

٣-صلاة النافلة على الراحلة، وهل تدل على التخفيف في صلاة النوافل وعدم بطلانها بالالتفات ونحوه؟ أم أن ذلك خاص في صلاة الراحلة؟ وما الفرق؟ مع أن في مسند الإمام زيد عليه السلام أن من انتقض وضوءه في الصلاة أنه يخرج ويتوضأ ولا يتحدث، ويبني على ما سبق.

٤-الأشهر الحرم هل ما زال حكمها قائماً؟

الجواب:

١-((الصلاة جامعة)) كان ينادى بذلك المسلمون ليحضروا المسجد للتشاور في أمر هام، أو لإبلاغهم أمراً هاماً، ومعناها: احضروا أيها المسلمون إلى المسجد فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الأمير أو الخليفة يريدكم لأمر هام.

وهذا المعنى يمكن أن يقوم غيره مقامه مما يفيد طلب الحضور إلى المسجد حيث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الخليفة أو الأمير، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل المسجد مكاناً لاجتماعه بالمسلمين وهكذا الخلفاء من بعده.

ولسنا متعبدين بتلك اللفظتين، ولم يشرعهما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنما المقصود بهما ما ذكرنا.

٢-و((صلوا في رحالكم)): أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول المؤذن للمسلمين: صلوا في رحالكم، وذلك أن المؤذن أذن في يوم مطير فقال صلى الله عليه وآله وسلم للمؤذن: ((قل لهم: صلوا في رحالكم))، وذلك من أجل أن يبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين أنه لا يلزمهم أن يحضروا للصلاة معه في جماعة لعذر المطر.

وكان ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم بياناً للرخصة، وهو صلى الله عليه وآله وسلم مأمور من الله تعالى بأن يبين للمسلمين عزائم الأحكام ورخصها؛ فإذا تمهدت الشرائع وعُرِفَت الأحكام فلا داعي للنداء.

٣-وصلاة النوافل على الراحلة تدل على التخفيف في النوافل، فيمكن الاستدلال بذلك على أنه يجوز في النوافل ما لا يجوز في الفرائض.

-حديث المجموع يمكن أن يقال فيه: إنه كان قبل تحريم الكلام في الصلاة، ومثله حديث ذي اليدين.

٤-وما زال حكم الأشهر الحرم باقياً لم ينسخ على الأرجح.

[السر في كثرة الاختلاف في العبادات المتكررة كثيراً]

سؤال: ما هو السر في أن العبادة كلما كانت أكثر تكراراً وتطبيقاً كلما زاد الاختلاف فيها، والعبادات التي لا تقع إلا قليلاً يقل الاختلاف فيها، مثل: الصلاة أكثر وقوعاً وأكثر اختلافاً، ثم الصوم أقل وقوعاً وأقل في الاختلاف، ثم الحج، ثم الزكاة، ثم المواريث والبيوع وغيرها؛ فلماذا؟

الجواب: السر وراء كثرة الخلاف في العبادات الأكثر تكرراً مثل الصلاة، وما قل تكراره يقل الخلاف فيه: هو أن التكرار في العبادة هو السبب الداعي إلى كثرة الخلاف فيها بحسب كثرة التكرار وقلته، وذلك من حيث أن كثرة التكرار يدعو إلى رواية تفاصيلها ونقل صفاتها وذكر ما سمعوا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما رأوا من فعله، ولا شك أن كثرة تكرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفعل الصلاة بين ظهراني الصحابة سبب لكثرة النَّقَلَة لصفة صلاته صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إن كثرة صلاة المصلين من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الحاجة إلى معرفتها لكل مكلف سبب لكثرة الرواية لصفتها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا مع ما يعلمه المسلمون من الأهمية الكبرى للصلاة، وأنها أكبر أعمال المسلمين بعد الإيمان وأفضلها، وأن التكليف بها عام مضيق لا رخصة فيه لأحد، لا لمسافر ولا لمريض ولا لمشغول، ولا حتى في حال المسايفة.

فلكل ما ذكرنا توفرت الدواعي إلى نقل تفاصيلها، والحرص على رواية كل ما يتعلق بها من كل صغير وكبير، فروى كل واحد من الصحابة ما رأى وما سمع، مع أن المجال مفتوح أمام الصحابة للرواية من حيث طول صحبتهم

للنبي ﷺ وكثرة ما رأوا من صلاته.

-ثم إن أهل الأهواء وجدوا لزيفهم مجالاً بين ذلك النقل المتكاثر والروايات الجمعة فغمروا زيفهم بين تيارها فراجت بين الجهلة من المسلمين.

-ولعلك بما ذكرنا من كثرة الخلاف في الصلاة مثلاً تعرف السر في كثرة الخلاف فيها وقلته فيما سواها.

[اختلاط النساء بالرجال في الحج]

سؤال حول اختلاط النساء في الحج بالرجال وخاصة في الطواف بحيث تلتصق المرأة بالرجل تماماً -بعيداً عن الشهوة أو غيرها- فهل هذا لمجرد الضرورة؟

وهل لإمام المسلمين لو تولى الحج أن يفصل مطاف النساء عن مطاف الرجال، وكذلك المسعى كما يُفعل مع ذوي العاهات -أصحاب العربيات-؟ أم أن هذا شيء مشروع وهو من عهد الرسول ﷺ بالطواف متلاصقين؟

أم أنهم كانوا قليلاً، وهذا بسبب الكثرة؟

وهل للمسلمين المطالبة بالفصل أم أنه غير مشروع؟

الجواب:

-الاختلاط الحاصل عن غير قصد وتعمد، وهكذا الزحام كالذي يحصل عند الكعبة لا يؤاخذ به المكلف؛ لأنه حصل بغير قصد منه ولا تعمد ولا اختيار.

-والواجب على ولي أمر المسلمين إذا تمكن من حل مشكلة الاختلاط عند الكعبة ومزاحمة الرجال والنساء أن يحلها، وهكذا يفعل في المسعى وفي غيره؛ لأنه مكلف بمراعاة المصالح العامة للمسلمين.

-وكان الرجال والنساء يطوفون جميعاً إلا أن الزحام لم يكن مثل اليوم، وقد كانت النساء يتحيَّنّ الفرص، ففي الحديث أن النبي ﷺ أمر أم سلمة أن تطوف بالبيت وقت صلاة الفجر حين اشتغال الناس بالصلاة.

ومع القلة في ذلك الوقت أمكن النساء أن يتجنبن الزحام.

وبالإمكان اليوم أن تتجنب النسوة الزحام، وذلك بأن يتحيَّنَّ الفرص، وبأن تقف بين أرحامها، أو بأن تتجمع عدة من النساء ويتحلَّق عليهن أرحامهن في المطاف، وكذلك نرى الكثير يفعلون.

وليس التزاحم شرعاً مشروعاً، بل إنه منهي عنه.

-وإذا أمكن الفصل بين مطاف الرجال والنساء في الطواف فالواجب الفصل، وللمسلمين أن يعرضوا ذلك على من يهمه الأمر؛ لما في ذلك من المصلحة العامة.



فوائد في المعاملات

[البناء في أفنية الدور]

يجوز البناء في أفنية الدور ما لم يحصل ضرر للجار أو المار وعليه جرى عمل المسلمين. هكذا قال في فتح الباري.

قلت: ويستثنى أيضاً ما إذا كانت الأرض مشتراة أو صارت إلى صاحبها بالقسمة فإنه لا يجوز أن يحدث المشتري أو القاسم أي حدث إلا فيما صار إليه بالشراء أو بالقسمة.

وحينئذ يتبين أن المراد بما ذكر في الفتح ما بني من الدور في الأرض البيضاء وهي التي لا ملك لأحد فيها، ولا هي حق خاص، فما بني فيها من البيوت فإنه يثبت له حق الحرم وحق فنائه وحق الطريق، ويقدر الحرم والفناء على حسب العرف، وكذلك الطريق إلى البيت فلا يحق لأحد أن يحدث أي حدث في ذلك.

[عدم جواز تعريض المسلم نفسه للمهانة]

-لا يجوز للمسلم أن يعرض نفسه للمهانة إلا إذا كان في ذلك توصل إلى دفع ضرر أعظم مما يلحقه من المهانة، ففي مثل هذه الحال لا حرج في التعرض للمهانة.

-وهاهنا قاعدة، وهي: أنه يجوز دفع الضرر الأعظم بالضرر الأخف، ودليل ذلك عقلي، وقد قالوا: بعض الشر أهون من بعض، ومن هنا لا يختلف الناس في حسن استئصال السرطان من الجسم بالقطع والبتر، وحسن العمليات الجراحية في جميع الجسم لعلاج المرض.

-إذا ظن المكلف أنه إذا سافر للحج تعرض في سفره للمهانة بالضرب والشتم والسجن فإنه لا يجب عليه أن يحج، وقد قال أهل المذهب: إن أمن الطريق شرط في وجوب الحج.

والدليل على اشتراط ذلك في الحج: ما ذكره الله تعالى من سقوط أركان الصلاة عند الخوف من العدو، وسقوط القيام والركوع والسجود عن المريض

الذي يتضرر بالقيام والركوع والسجود، وسقوط الوضوء بالماء والاغتسال من الجنابة أو الحيض بالماء عند خشية التضرر بذلك.

وسقوط وجوب تأدية الصيام عن الذي يخشى منه الضرر، وسقوط كثير من الواجبات عن المعذورين كالمبيت بمنى، وكطواف الوداع، والمبيت أكثر الليل بمزدلفة، وسقوط الجمعة عن المريض والعبد.

وسقوط الجهاد عن المريض والأعرج، وسقوط الحج عمن لا يجد راحلة، ونظير ذلك في الأحكام الشرعية كثير.

مدح الإنسان لنفسه

يصح مدح الإنسان لنفسه على وجوه:

١- أن يكون الباعث على المدح هو طلب حصول مصلحة عامة أو خاصة، أو دفع مفسدة فهو جائز ودليل ذلك ما حكاه الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام من قوله لملك مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف]، وعلى هذا فيحسن من العالم أن يمدح نفسه بالعلم والعدالة والتقوى لغرض رجوع الناس إليه في الفتوى وأخذ العلم عنه والاهتداء بهديه والاقتداء به.

ويحسن أن يمدح الإنسان نفسه بالأمانة والعدالة والورع لغرض أن يثق التاجر في مداينته، أو أن يتخذ عاملاً في متجر أو شريكاً في مضاربة، أو لغرض السماح له بالسكنى في قرية قوم ومجاورتهم، أو لنحو ذلك من المصالح العامة والخاصة.

٢- أن يكون المدح من أجل أن تقبل شهادته وروايته، وأنه يصلح لإمامة الصلاة، أو للاستئجار على الحج، أو لنحو ذلك فليس على المؤمن في هذا بأس، سواء عرف هو بنفسه أو طلب من غيره أن يعرف به.

٣- أن يكون المدح على سبيل الغرور فهذا لا يجوز؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴿٣٢﴾﴾ [النجم]، وذلك أن يعتقد الإنسان في نفسه أنه -لما هو عليه من العمل والتقوى- من عباد الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فيذكر نفسه بذلك ويمدحه بها، فهذا لا يجوز وفيه خطر عظيم.

٤- أن يكون المدح على جهة المفاخرة فإنه لا ينبغي ولا يجوز إلا إذا كان ذلك بين المحقين والمبطلين، فإنه يجوز؛ لما فيه من إعزاز جانب الحق وتوهين جانب الباطل.

٥- أن يكون المدح لغرض دفع التهمة التي ألصقت بالرجل فإنه يجوز دفعها بذكر الممادح الكريمة.

ذكر المؤمن لأعماله الصالحة

لا ينبغي للمؤمن أن يذكر أعماله الصالحة ويتحدث بها عند الناس لغير غرض مما ذكرنا سابقاً أو لغرض نحوها.

لا تزال طبيعة الإنسان وغريزته تنازعه إلى التحدث بأعماله الصالحة، فعلى المؤمن أن لا يطاوع تلك الغريزة ولا يستجيب لها لما في ذلك من الخطر على ذهاب ثواب تلك الأعمال.

فإن قيل: إذا كان المؤمن قد عمل الأعمال الصالحة بنية خالصة، ثم إنه بعد فترات من الزمان تحدث بها فمن أين يأتي ذهاب ثوابها مع أنها قد فعلت على وجه الإخلاص؟

يقال في الجواب: يكتب الله تعالى ثواب العمل الصالح الذي يعمله صاحبه سراً بينه وبين ربه يكتبه الله ثواب السر، فإذا أفشاه صاحبه كتبه الله له ثواب العلانية، وبين ثواب السر وثواب العلانية فرق كبير، فثواب السر يزيد على ثواب العلانية بسبعين ضعفاً، هكذا جاء في الآثار.

وقد مضت سنة عباد الله الصالحين من الأئمة وغيرهم بكتمان العبادة، وبالتحرز الشديد من إظهارها، وقد روي عن الهادي عليه السلام أن بعض أصحابه اطلع على بعض من عبادة الهادي عليه السلام فلما علم الهادي اطلاع الرجل على عبادته ومناجاته لربه وبكائه طيلة الليل انزعج، واستوثق الرجل على الكتمان إلى أن يموت، واستحلفه على ذلك، فلم يحدث الرجل بما رأى من عبادة الهادي عليه السلام إلا بعد موته عليه السلام.

وما ذكرنا من أنه بإفشاء العمل الصالح وإظهاره يكتب له من عمل السر إلى عمل العلانية هو أقل الاحتمالات الخطيرة، وإلا فإنه يحتمل أن يذهب عمله باطلاً بالتحدث.

وعلى هذا فالاحتياط هو في كتمان العمل، والتحرز من كشفه وإظهاره إلا لغرض صحيح من نحو ما ذكرنا سابقاً.

فإن قيل: إذا مدح الإنسان بما ليس فيه، ودخل في نفسه شيء من السرور على عادة الطبيعة البشرية، مع أنه لا يريد أن يمدح بما ليس فيه ولا يرغب في ذلك، فهل عليه في ذلك الفرح ملام؟ وهل يدخل فيمن قال الله فيهم: ﴿**وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ**﴾ [آل عمران:١٨٨]؟

يقال في الجواب: لا حرج عليه في ذلك، ولا يلحقه منه ملام ولا ذم، وذلك لأنه لا عمل له في حصول ذلك، ولا صدر منه سبب، فالمدح صدر من غيره بغير أمر منه ولا طلب ولا سبب، وحصول الفرح في نفسه ناتج عن الطبيعة البشرية، وليس في وسعه أن يتخلص من ذلك الطبع البشري، و﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦].

أما الذين نزلت في ذمهم الآية فإنهم -والله أعلم- رغبوا في المدح بما لم يفعلوا، وسعوا في حصوله وأرادوه؛ فإذا حصل ذلك فرحوا به، وإذا لم يحصل استاءوا وهم اليهود في أكثر الروايات.

فإن قيل: هل يلزم الذي يمدح بما ليس فيه أن يبين للسامعين أن ذلك المدح خلاف الواقع أم لا يلزمه؟

فيقال: لا يجب على الممدوح أن يبين كذب المدح، وذلك:

١- لعدم العلم بتعمد المادح للكذب، فلعل المادح توهم ذلك أو ظنه، أو أخبره مخبر.

٢- أنه لا يترتب على ذلك ضرر أو مفسدة على أحد.

٣- لما في بيان كذب المدح من التجريح للمادح، والظاهر من المادح أنه لا يريد بمدحه إلا خيراً، ولا يجوز مقابلة إحسانه بالإساءة إليه، وخطؤه في المدح لا يخرجه عن كونه محسناً، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ۝٦٠﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء:٨٦].

وما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله للذي بالغ في مدحه: (أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك)، فهو أنه عليه السلام كان يعلم أن مادحه منافق خبيث، فلم يتحرج عليه السلام من بيان كذبه وبيان نفاقه، وجوابه عليه السلام هذا يشتمل على الأمرين معاً:

١- بيان كذبه (أنا دون ما تقول).

٢- بيان نفاقه (وفوق ما في نفسك)، لعلمه عليه السلام بسوء عقيدة المادح في شخصيته عليه السلام.

إذا وصل المدح إلى حد الغلو المذموم فيلزم إنكاره، وذلك مثل ما روي أن شاعر الإمام الحسن بن زيد عليه السلام مدحه في يوم المهرجان فقال:

الله فـــــرد وابـــــن زيـــــد فـــــرد

فنهره عليه السلام وزجره وسجد الإمام عند ذلك لله خضوعاً وتواضعاً، وقال لشاعره قل: الله فرد وابن زيد عبد.

والذي يظهر والله أعلم أن المكلف لا يخلو عن نوازع الرياء ولا يمكنه أن يتخلص منه، ولكنه يجب عليه مدافعته ومجاهدته، ولولا هذه النوازع الطبيعية لما استحق المكلف الثواب على الإخلاص، ولما صح التكليف؛ لأن الثواب يستحق على إيثار طاعة الله على هوى النفس، وفي ذلك مشقة كبيرة على النفس، ويسمى إيثار طاعة الله على هوى النفس تكليف لما فيه من المشقة والكلفة على النفس، ولو خلت نفس المكلف المؤمن عن نوازع الرياء ومحبته تماماً حتى لا يبقى له وجود فيها لكان الإخلاص في العبادة طبيعة نفسية سهلة لا تحتاج إلى تحمل مشقة ولا كلفة.

فمن هنا قلنا: إن المكلف المؤمن لا يخلو عن نوازع الرياء، وحينئذ فلا بد للمؤمن من مجاهدته ومدافعته على الدوام، ولا يجوز له أن يغفل عنه وعن مدافعته ومجاهدته، فإنه إن غفل عن ذلك مالت به نفسه إلى الرياء قليلاً قليلاً من حيث لا يشعر، فعلى المكلف أن يكون مستيقظاً على الدوام.

وليعلم المكلف أنه وإن احترس من الرياء وداوم على مدافعته وجهاده وحرص على ذلك فإنه لا يسلم من هفوات نفسه وسقطاتها، فعليه لذلك أن يمسي تائباً ويصبح تائباً، ويكثر الاستغفار، ويسأل الله الإعانة والتوفيق والتسديد والإخلاص.

وقد يظن المكلف أنه مخلص، وفي الحقيقة أنه قد تسرب إلى قلبه شيء من الرياء وهو لا يشعر.

وقد يصر المكلف على اتهام نفسه بالرياء فلا يزال لذلك يعاتب نفسه ويمقتها، ويستغفر الله، وهو مع ذلك عند الله من المخلصين، وذلك لأنه وإن كان في الواقع قد دخل قلبه شيء من الرياء فإن اتهامه لنفسه وذمه لها واستغفاره يجعله عند الله من المخلصين.

وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الباب قوله: (لا يمسي المؤمن ولا يصبح إلا ونفسه عند ظنون).

المعنى أن المؤمن لا يزال دائماً متهماً لنفسه بالتقصير والغفلة والتفريط في طاعة الله، ومنها الإخلاص.

سؤال: هل من الرياء أن يستر الإنسان على نفسه ما صدر منه من تفريط وغفلة وتقصير، و...إلخ من غير أن يصدر منه ما يوهم عدم ذلك، والذي صدر منه هو الستر فقط؟

وجواب ذلك: أن الستر على النفس ليس من الرياء بل هو أمر مندوب إليه ولو أدى ذلك إلى اعتقاد الناس فيه الصلاح، وقد جاء في الحث على الستر الكثير من القرآن والسنة؛ فإذا عرف الساتر على نفسه اعتقاد الناس فيه الصلاح فليشكر الله تعالى وليحمده على ستره عليه، وليقلع عن تقصيره وتفريطه، فإنه إن تمادى عن شكر الله وحمده ولم يقلع عن تفريطه وتقصيره فإن الله تعالى سيكشف عنه ستره، ويظهر للناس حقيقة أمره، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم]، تضعف نوازع الرياء والميل إليه بدوام مجاهدته واستمرار مدافعته، وتقوى نوازعه بالغفلة عن مجاهدتها، فتضعف النوازع عند النبيين والمرسلين صلى الله عليهم وعند أولياء الله الصالحين بسبب قوة جهادهم لهوى أنفسهم.

سؤال: ما هو الرأي الصحيح فيما يروى من فعل الصوفية في جهاد النفس وقهر هواها من أن الرجل منهم يعرض نفسه للتهمة كأن يجلس في حانوت خمار، أو ينتهب من السوق نهبة ويهرب أمام الناس فيطردونه ويضربونه ويأخذون منه ما نهبه؟ يفعل ذلك الصوفي ليقطع هوى نفسه في ثناء الناس وينقطع طمعه في مراءاتهم؟

يقال في الجواب: ذلك لا ينبغي ولا يجوز:

١- لأن الله تعالى حرم عرض المسلم وماله ودمه، فلا يجوز للمسلم أن

يهتك حرمة نفسه ولا حرمة غيره.

٢- في الحديث المشهور الأمر باتقاء الملاعن عند قضاء الحاجة؛ لذلك فيجب على المسلم أن يتقي الأسباب التي تحمل الناس وتدعوهم إلى شتمه ولعنه.

٣- ما أحدثه الصوفية بدعة متنافية مع ما جاء في شريعة الإسلام من المحافظة على كرامة المؤمن وعزته ورفيع درجته وشرف منزلته.

٤- ومتنافية أيضاً مع ما يريده الله تعالى من اليسر في دينه والسماحة في شريعته: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

٥- جعل الله تعالى القرآن شفاءً من أدواء القلوب ورحمة للمؤمنين.

فائدة في حلق اللحية

قيل: إن حلق اللحية حرام لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أحفوا الشارب وأعفوا اللحى))، ولغير ذلك من الأخبار.

قلت: رأيت في بعض كتب الهادي في المجموعة الفاخرة كلاماً له عليه السلام وهو يذكر ويشرح أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر من ذلك: أن منها أوامر لا يراد بها تشريع الأحكام وفرضها، وإنما يراد بها التأديب، وذكر نحو ما نحن فيه.

فتأملت بعد في تقسيم الهادي عليه السلام لأوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك فاستحسنته، ورأيت أنه قد وفق للصواب توفيقاً؛ إذ أن نحو توفير اللحية وإحفاء الشارب، ولبس البياض وإكرام الشعر بالتنظيف بالغسل، وقص الأظفار ونتف الإبط، وحلق العانة، وتنظيف ساحات البيوت، ونحو ذلك كل ذلك مما كان مستحسناً عند أهل الجاهلية إلا قليلاً؛ فبعث الله النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فعلمهم شرائع الإسلام وفرائضه، فأمرهم بذلك وبغيره؛ فما كان منها مما يتعلق بمحاسن العادات وآدابها فليس يراد به الوجوب والحتم، وما كان يتعلق بعبادة الله فسبيله الحتم والوجوب إلا لقرينة.

ومما استدلوا به على تحريم حلق اللحية: قوله ﷺ: ((إن آل كسرى يجزون لحاهم ويوفرون شواربهم، وإن آل محمد يأخذون شواربهم ويعفون لحاهم))، وليس في ذلك دليل على ما قالوا؛ إذ ليس فيه زيادة على الإخبار بما تضمنه الحديث.

وآل محمد ﷺ ويراد بهم هنا المسلمون مجازاً كانوا يعفون لحاهم قبل الإسلام وبعده، فإخبار النبي ﷺ عنهم في هذا الحديث بإعفاء اللحى إنما هو إخبار عما هم عليه على مقتضى العادة.

نعم، وهناك فرق بين هذا وبين الأوامر الشرعية الأخرى، فأوامر الشارع ونواهيه مبنية على اعتبار المصالح والمفاسد، وأوامر الآداب مبنية على محاسن العادات ومساوئها المجردة عن المصالح والمفاسد، كحلق اللحية وإعفائها، وجز الرأس وإبقائه، وجز الناصية ونحو ذلك، وهذا ما لم يرد قرائن تدل على الوجوب أو التحريم كلعن الواصلة والموتصلة والواشمة والنامصة والمتفلجات.

ومن القرائن ما قد يعم كقول النبي ﷺ: ((من تشبه بقوم فهو منهم))، وقد يؤخذ من هنا المنع من حلق اللحية، لا لأن الحلق محرم بل لما فيه من التشبه بالفساق ونحوهم.

نعم، قد يؤيد ما ذكرنا أن بعضاً من أهل الأصول ذكروا أن من القرائن الدالة على أن الأمر ليس للوجوب- تقدم العلم بإباحة المأمور به، ذكروا ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة:٢]، فحملوا الأمر هنا على الإباحة، وجعلوا القرينة الدالة على ذلك هي تقدم العلم بإباحة الاصطياد.

هذا، وفي البحر: مسألة: وندب إعفاء اللحية، ثم قال في آخر المسألة: ويحرم حلق اللحية للبدعة. انتهى.

ولم يستند في تحريم الحلق إلى الأحاديث المروية في الأمر بإعفاء اللحية، فلعل ذلك لما قلنا سابقاً من أن الأوامر الواردة في مثل ذلك ليست للوجوب.

وقوله في البحر: إنه يحرم حلقها للبدعة فيه نظر، وذلك: أن ترك المندوب لا يقال فيه إنه بدعة، وإلا لحرم ترك رواتب الصلاة ونحوها.

نعم، من محاسن العادات في بعض البلدان حلق اللحية، وهذا هو الغالب على بلدان العالم الإسلامي، وفي بلادنا على عكس ذلك، فحلق اللحية عادة سيئة عندنا تدل على أن وراءها تساهلاً ونقصاً في المروءة، وقد ينافي ذلك العدالة؛ فلا تقبل شهادته كما ذكر العلماء فيمن يلبس من العلماء زي العسكر، أو من يلبس من العامة زي العلماء، فقالوا: إن ذلك يخل بالعدالة، لا لذات اللبس بل لما يدل عليه من نقص المروءة.

نص كلام الهادي عليه السلام في كتاب معاني السنة

..... فكل ما ذكرنا من ذلك من الحلال والحرام وشرائع الدين والأحكام- فهي من الله حقاً حقاً، وليس حالها كحال غيرها مما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه، واختياره مما لم يجعل الله ولا رسوله على تاركه عقاباً، مثل ما سن من الوتر، وتقليم الأظفار، وحلق الشعر، والسواك، وتعفية اللحية، وأخذ الشارب، وغير ذلك مما سن وفعل واختار لنفسه من زيادة العبادة.

ومثل ما كان يصلي ويلزم ويحث من ركعات كان يصليهن عند النازلات....إلخ ما في صفحة ٢٠٧، ٢٠٨ من المجموعة الفاخرة المخطوطة.

[في السب واللعن]

سؤال: عن السب واللعن، ثم جاء السائل بالحديث المروي: ((ليس المؤمن بسباب ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء)).

الجواب: السب واللعن الذي لا يجوز هو ما استهدف الأبرياء والصالحين والمؤمنين، وكذلك ما كان كذباً وبهتاناً وباطلاً.

أما تمييز المحق من المبطل والصادق من الكاذب والعاصي من المطيع، وتسمية كل بما يستحقه والحكم عليه بما حكم الله تبارك وتعالى في القرآن- فذلك مما توجبه فطرة العقل، وتحتمه حقيقة الإيمان.

ولأمرٍ مّا ميز الله الإنسان بالعقل وفضله على سائر الحيوانات، وقد قال الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم]، فذم الله تعالى في هذه الآية الوليد بن المغيرة المخزومي غاية الذم -إن صح أن نسمي ذلك سباً وشتماً- فإنه نهاية ما ينال وغاية ما يقال.

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا...﴾ [المائدة:٧٨] إلى آخر الآيات، وقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝١٨﴾ [هود].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝١٥٩﴾ [البقرة].

وقال تعالى وهو يذكر قوماً خالفوا أمره وعصوه: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٦١﴾ [البقرة].

وكم في القرآن من اللعن للذين عصوا رب العالمين وخالفوا أمره.

[استثقال المؤمن والتضايق منه، والحسد وغيره]

سؤال: هل يأثم الإنسان باستثقاله لبعض المؤمنين، وتضايقه من الجلوس معه، أو نحو ذلك؟ وهل يأثم الإنسان بما يجده في صدره من الحسد لأخيه، أو ما يجده من حب الدنيا؟

الجواب والله الموفق: أن الإنسان لا يأثم بما ذكر في السؤالين، وذلك أنه ليس بمقدوره أن يتخلص من ذلك، وإنما يأثم بما يصدر عنه من أقوال أو أفعال تضر بالآخر أو يستاء منها.

وحب الدنيا فطرة فطر الله الناس عليه، لا يمكن المكلف أن يتخلص منه بحيلة من الحيل، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات]، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر].

وبناءً على ذلك فالمذموم الذي توجه إليه المنع هو تناول ما حرم الله، أو منع ما أوجب الله على المكلف من الحقوق المالية، ومن هنا قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢].

[هل يبلغ الإنسان بالجار المؤذي إلى الدولة]

سؤال: إذا كان للرجل مثلاً جار يؤذيه فهل يرفع أمره إلى مدير ناحيته، مع العلم أن مدير الناحية غير عادل ولا مأمون؟

الجواب: الذي يظهر لي والله أعلم أنه يجوز رفع الأمر إلى الوالي فيما ذكر في السؤال ليخلصه من غشم جاره. هكذا قال أهل المذهب، إلا أنهم استثنوا فقالوا: إلا أن يعلم أن الوالي سيفعل به أكثر مما يستحقه فلا يجوز.

ويمكن أن يدل على ما قالوا: قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

قلت: هذا إذا كان له نية وقصد في ظلم جاره، أما إذا لم يكن له نية وقصد إلا التخلص من أذية جاره فيجوز الرفع وإن كان يعلم أن من عادة ذلك الوالي تجاوز الحدود في الأدب.

دليل ذلك: ما روي عن زيد بن علي وعبدالله بن الحسن عليهما السلام أنهما ترافعا إلى ولاة بني أمية مع علمهما أن ولاة بني أمية يتجاوزون الحدود في أحكامهم.

[وصية أمير المؤمنين عليه السلام في قتال الخوارج]

سؤال: ما هو المراد بقول أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام: (لا تقاتل بعدي الخوارج، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه)؟

الجواب: يريد أمير المؤمنين عليه السلام بوصيته هذه لابنه الحسن عليه السلام النهي لابنه عن أن يقاتل الخوارج تحت راية معاوية وفي إمارته، فإن معاوية وأصحابه وإن قاتلوا كلاب أهل النار فهم أضل وأشد ظلماً من الخوارج؛ لأن الخوارج لم

يدخلوا في الضلال تعمداً، وإنما دخلوا فيه عن طريق الخطأ في النظر فكان قصدهم الحق فأخطأوه، أما معاوية وأصحابه فقد دخلوا في الضلال عن عمد ومحبة للضلال.

وليس مراد أمير المؤمنين عليه السلام أنه لا يجوز قتال الخوارج على الإطلاق، وإنما مراده ما ذكرنا من نصرة معاوية ضد الخوارج.

وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام العلة في نهيه لابنه الحسن حين قال: (فليس من طلب الحق...إلخ) ومعنى ذلك: لأن معاوية أشد ضلالاً من الخوارج وأكثر توغلاً في الباطل منهم.

ثم بين أمير المؤمنين ذلك بأن معاوية ضل من جهتين: اختيار الباطل عن عمد وطلب وتصميم هذه جهة، والجهة الثانية: إدراكه الباطل والدخول فيه والعمل به.

أما الخوارج فإنهم إنما ضلوا من جهة واحدة حيث أنه لم يكن لهم نية في الباطل ولا طلب ولا عزم ولا تصميم، ونيتهم إنما كانت في طلب الحق غير أنهم أخطأوه ودخلوا في الباطل وعملوا به؛ فضلالهم إنما كان من هذه الجهة.

فإن قلت: فهل كانت تجوز مقاتلة معاوية مع الخوارج؟

قلت: هناك نصوص تدل على أنه لا يجوز معاونة أهل الباطل على باطلهم كقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]، والخوارج أهل ضلالة، وهم شر الخلق والخليقة، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ومن هنا فلا تجوز معاونتهم.

فإن قيل: إذا كان معاوية قد ظلمهم بالعدوان عليهم والبغي، وكان موقفهم إنما هو موقف دفاع؛ فهلا تجوز معاونتهم لدفع الظلم عنهم، كما يجوز ويجب دفع الظلم عن أهل الذمة؟

قلت: الخوارج -وإن كانوا كذلك- فلا تجوز معاونتهم؛ لأنهم قد خرجوا في ضلالهم من ولاية الله إلى عداوته، وقد خرجوا من حزب الله إلى حزب الشيطان، وقد وصف الله المؤمنين في سورة التوبة بأن بعضهم أولياء بعض، وأن المنافقين بعضهم من بعض.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام]، في هذه الآية دليل على أن ما نزل من بعض الظالمين على بعض نوع من العذاب العاجل استحقوه بما كانوا يكسبون، فلا ينبغي ولا يجوز أن يتصدى المؤمن لسخط الله وعذابه النازل على الظالمين.

والحقيق بالمؤمن والأولى به الابتعاد عن ذلك ويقول: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٨٥﴾﴾ [يونس]، و﴿لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف]، ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة].

فإن قيل: قد قال أهل المذهب بجواز إعانة الأقل ظلماً على الأكثر ظلماً.

قلنا: قد قالوا ذلك بشروط:

١- ألا تكون معاونتهم فيما يختص بالأئمة.

٢- أن يقف الظالم على الرأي، أي على مقتضى الشريعة.

٣- ألا تؤدي إعانته إلى قوة ظلمه.

أما أهل الذمة فإنما وجب الدفع عنهم لأجل ما يقتضيه عهد الذمة من حفظ دمائهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم على أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

أما الخوارج ونحوهم فبخروجهم عن الولاية انقطعت دونهم الروابط، فليس لهم من ولاية المؤمنين حظ ولا نصيب، ولم يكن لهم كأهل الذمة عهد وذمة.

فإن قيل: إذا كان العدو الباغي على الخوارج من الكافرين فهل يختلف الحكم؟

قلنا: الحكم هنا مختلف عما سبق فتجوز المعاونة للخوارج ونحوهم في دفع بغي الكافرين، وذلك أن زحف الكفار على الخوارج أو نحوهم يعتبر زحفاً على

الإسلام، ومن هنا قال تعالى فيما يشبه هذا: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ...﴾ الآية [الأنفال:٧٢]، فإذا اندحر الكافرون عن بلاد المسلمين كف المسلمون أيديهم عن معاونة الخوارج.

فإن قيل: فما هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ...﴾ الآية [الحجرات:٩].

قلنا: المراد بهذه الآية أنه إذا اقتتلت فئتان من المسلمين أو قبيلتان فالواجب على المؤمنين أن يصلحوا بينهما فإذا بغت إحداهما بعد الصلح على الأخرى وجب قتال الباغية حتى تكف عن بغيها وترجع عن عداوتها.

أما الخوارج ومعاوية فهم خارجون قطعاً عن أمر الله، وهم عند الله بغاة ظالمون، فليس أمرهم بملتبس، وكان الواجب على المؤمنين لو تهيأت لهم الأسباب أن يقاتلوا كلا الفريقين، لا أن يصلحوا بينهما، وهكذا يكون الواجب في من كان بصفتهما.

نعم، إذا تاب الخارجي وكان قد قتل جنوداً من جنود معاوية ونحوه فالذي يظهر أنه لا شيء عليه سوى إخلاص التوبة:

١- لأن الخوارج من جملة الكافرين وإن كان كفرهم كفر تأويل، والمعلوم أن الإسلام يجب ما قبله والتوبة من الكفر تجب ما قبلها.

٢- لم يتعرض أمير المؤمنين عليه السلام لأهل البصرة بعد وقعة الجمل، والمعلوم أنهم كانوا قد قتلوا جملة من أصحابه بالغدر قبل الوقعة، وقتلوا طائفة آخرين في الوقعة فلم يسأل أمير المؤمنين عن القتلة.

[نتف الشيب]

سؤال: هل يجوز نتف الشيب من اللحية أم لا؟

الجواب: الذي أرى أنه لا مانع من نتف الشيب من اللحية؛ لعدم الدليل على المنع من ذلك إلا إذا كان يحصل بذلك ضرر وألم فلا يجوز للإنسان أن يؤلم نفسه ويضرها.

فإن قيل: قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن النمص والنمص نتف الشعر؟

قيل له: قد قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: إن النمص الذي ورد النهي عنه هو نتف شعر العانة.

غير أنه لا ينبغي نتفه؛ لما فيه من العظة والاعتبار، فإن المرء إذا نظر إلى صورته ورأى الشيب قصر من أمله، وعلم أنه ليس بعد الشيب إلا الموت، فيدعوه ذلك إلى الرجوع إلى الله والتوبة وإحسان العمل.

ولما فيه أيضاً من دواعي الوقار فإن ذا الشيب إذا رأى الشيب في وجهه تكلف الوقار وإن لم يكن وقوراً، واستحيا من الدخول في كثير من الأمور المباحة.

ولما فيه أيضاً من الوجاهة عند الناس، بل جاء في الأثر: إن الله تعالى يستحي من ذي شيبة.

فإن قيل: قد روي في الانتصار: ((نتف الشيب من البدعة))، ((الشيب نور الله فالرغبة عنه رغبة عن النور)).

وفي حاشيته: روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم)). رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

إلى غير ذلك مما ورد في هذا الباب مما يدل على أن نتف الشيب محرم.

قلنا: ما جاء في هذا الباب فإنما هو آداب لا تدل على أكثر من الندب والاستحباب.

يبين ذلك: أن أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونواهيه تنقسم إلى قسمين:

١- قسم يتعلق بمحاسن الآداب كنظافة شعر الرأس ومشطه ودهنه، وتوفير اللحية، وقص الشارب، وقص الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، ونحو ذلك مما كان يفعله الناس في الجاهلية ويعرفونه من قبل أن يجيء الشرع، فما جاء من الأوامر والنواهي في ذلك فإنما يراد به الأدب والاستحباب، ومن ذلك نتف الشيب أو صبغه بالحناء أو بالسواد.

وقريب من هذا ذكره الهادي عليه السلام في المجموعة الفاخرة، وهذا الباب لا يراد بالأوامر والنواهي الواردة فيه تشريع الأحكام؛ لأنها أحكام مشروعة من قبل أن يجيء الله تعالى بالإسلام، فقد كان الناس يلبسون العمائم، ويوفرون اللحى، وربما صبغوا الشيب كما فعل عبدالمطلب وغيره، وكانوا يغسلون رؤوسهم ويدهنونها ويمشطونها، ويفرقون الشعر، وكانوا يقصون أظافرهم و...إلخ.

٢- قسم تشريعي، وهو ما سوى ذلك.

المستثنى من الغيبة

الجارح عند الحاكم، والمشير على غيره، والناصح لغيره، والمحذر لغيره، والمشتكي ممن ظلمه بقول أو فعل، والمستفتي لغيره، والمستعين بغيره على إزالة منكر، والمعرف لغيره نحو: فلان الأعور الأسود. انتهى من البيان.

[**متى يجب على الأئمة الجهاد؟**]

سؤال: متى يجب على الأئمة الجهاد؟

الجواب: يجب الجهاد بالقتل والقتال على الأئمة إذا توفرت لهم العدة والعدد التي تستدعيها الحال، وهذا بشرط توقع حصول المصلحة الراجحة.

والدليل على ما ذكرنا: قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، فإذا لم يجد ولاة المسلمين العدة والعدد اللازم للجهاد سقط عنهم التكليف به، ومن هنا قال أمير المؤمنين كما في الخطبة الشقشقية: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة

بوجود الناصر- لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها..).

وأما اشتراط توقع حصول المصلحة الراجحة- فلما علم من وجوب النظر على الأئمة فيما يصلح الإسلام والمسلمين، ويقوي جانبهم.

فإذا لم يكن للولاة طمع في النصر، ولا ظن بحصوله بل علموا أو ظنوا الخسارة فلا ينبغي الجهاد بل لا يجوز؛ لأنه ليس من المصلحة موت جيوش المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ..﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال أمير المؤمنين في الشقشقية: (فنظرت فإذا ليس معي إلا أهل بيتي فضننت بهم على الموت...إلخ).

فإن قلت: قد قام الحسين وزيد وغيرهما عليهم السلام بالجهاد من غير توفر العدة والعدد اللازم، ومن غير توقع الظفر.

قلنا: أما الحسين وزيد عليهما السلام فلم يقوما حتى حصل لهما في ظنهما العدة والعدد، وتوقعا حصول الظفر والغلبة، غير أن ما ظناه لم يحصل، فغدرتهما العدة والعدد في ساعة الصفر وحين الشدة وفي حالة الظهور؛ فاضطرا إلى الدفاع عن أنفسهما اضطراراً.

وجهاد محمد بن عبدالله والفخي عليهما السلام كان جهاد مدافعة، وكذلك نحوهما ممن كان مثلهما في القلة.

[من كلام الإمام زيد عليه السلام]

من خطبة للإمام زيد عليه السلام: (عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً يشك في ضلالها كمن قتل نفساً بغير حق). انتهى.

ومن خطبة له عليه السلام

(نحن الأوصياء والنجباء والعلماء، ونحن خُزَّان علم الله وورثة وحي الله، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشيعتنا رعاة الشمس والقمر، والله لا يقبل الله التوبة إلا منهم، ولا يخص بالرحمة أحداً سواهم).

ومن كلام لزيد عليه السلام في وصف القرآن

(وتأويل لا يعلمه إلا الله، وهو ما يكون مما لم يكن). انتهى.

قلت: هذا أحد تفاسير المتشابه وهو تفسير وجيه؛ لأن لفظ التأويل مأخوذ من المآل، والمآل هو الاستقبال، والاستقبال غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وعلى هذا التفسير يكون الوقف في الآية(١) على لفظ الجلالة ثم يُبتدأ بعدها الكلام.

ومن كلام الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

سأله معاوية بن إسحاق الأنصاري رحمه الله فقال: يا ابن رسول الله، هل عندكم علم من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرفه الناس؟

فقال: (نعم، علم جم يتوارثه الأصاغر عن الأكابر).

قال: قلت: وما هو؟

قال: (كان محمد بن علي كبيرنا يجتمع إليه ولد الحسن والحسين عليهما السلام فيقرئهم القرآن بحرف علي عليه السلام ويخرج إليهم علمه).

قال: قلت: وما علمه؟

قال: (ما تحتاج إليه هذه الأمة من حلالها وحرامها، وأنساب العرب، وما يكون من لدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى تقوم الساعة، وأنه لا صلاة لمن مسح على الخفين، وألا تخافت بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، ومن ترك الصوت فيما يجهر فيه بالقراءة فقد نقص صلاته، وألا يأكل الجري والمارماهي، ولا ما ليس عليه فلوس من السمك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على من أمكنته منا فرصة بالعلم، ومن زعم أن أحداً أولى بهذا الأمر منا فلا ذمة له ونحن منه بُرءاء. هذه والله فطرة الإسلام، ودين محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وعليها أحيا وعليها أموت ومن تابعني من المؤمنين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). انتهى.

---

(١) – وهي قوله سبحانه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾ [آل عمران:٧].

صفة زيارة زيد بن علي عليه السلام لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ثم أتى زيد عليه السلام قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى إلى جنبه، ثم انصرف من صلاته فقال: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الأنبياء وأشرف الرسل، السلام عليك يا حبيب الله، هذا آخر عهدي بمدينتك، وآخر عهدي بقبرك ومنبرك، أخرجت يا أبة كارهاً، وسرت في البلاد أسيراً، يا رسول الله وإني أسائلك الشفاعة إلى الله عز وجل، وأن يؤيدني بثقة اليقين، وعز التقوى، وأن يختم لي بشهادة تلحقني بآبائي الأكرمين، وأهلي الطاهرين). انتهى.

في هذا دلالة على مشروعية التطوع بالصلاة عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومشروعية الشكوى إليه صلى الله عليه وآله وسلم بما نزل من البلوى، ثم سؤاله الشفاعة إلى الله في إعطائه ما يرغب فيه، وهذا هو التوسل.

[حديث سددوا وقاربوا]

حديث: ((سددوا وقاربوا واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)).

المعنى: سددوا أي اجتنبوا جانبي الإفراط والتفريط. وقاربوا: أي تقربوا من الأعمال شيئاً فشيئاً لئلا تملوا.

قلت: هكذا فسره في التاج، وسددوا يعني لتكن أعمالكم في الصواب وقاربوا، يعني لا تتهوروا وسيروا الهوينى فمن يعمل على غير السنة فليس في سداد، وقليل في سنة خير من كثير في بدعة.

[في الإقدام حيث لا تجوّز السلامة]

أما الإقدام حيث لا يجوز السلامة فلا يعتبر بل لا يجوز له. اهـ من التاج.

قلت:

١- إن استوى تجويز السلامة وعدمها ففي هذه الحال إن كان هناك مصلحة في الإقدام تعود إلى الإسلام ودولته- فيجوز الإقدام وإلا فلا.

٢- إذا رجح عدم السلامة فلا يجوز الإقدام.

٣- إذا رجح جانب السلامة جاز الإقدام.

وكل هذا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، ولما تقرر في العقول من وجوب المحافظة علىٰ النفس في الجملة.

قوة المرأة دون قوة الرجل، فهي أضعف من الرجل، ومن هنا لم يكتب الله تعالىٰ عليها القتال كما كتبه علىٰ الرجال.

غير أنه لا مانع في الإسلام من قيام النساء بمساعدة الرجال في الحروب وذلك بمداواة الجرحىٰ ونقلهم، وصناعة الطعام وتقديمه للمجاهدين، وكذلك توفير الشراب وخدمة المقاتلين وتشجيعهم علىٰ القتال، فقد كن كذلك في أول الإسلام.

نعم، قد تخبط أهل الحضارة في حقوق المرأة، وحاولوا مساواتها بالرجل فوظفوها في وظائف الرجال و...إلخ، ونحن إذا نظرنا إلىٰ مكان المرأة التي وضعها فيه الإسلام عرفنا أنه قد وضعها في مكانها اللائق بها والمتناسب مع طبيعتها، فمن يحاول أن يضع المرأة في غير المكان الذي وضعها فيه الإسلام فإنما يحاول أن يظلمها.

وعملها الذي وظفها فيه الإسلام هو:

١- القيام علىٰ تربية الأولاد بكل ما تشتمل عليه التربية من التعليم والتأديب والنظافة و...إلخ.

٢- إدارة الأعمال المنزلية، وربة الأسرة هي المسؤول الأول عن إصلاح وجبات الغذاء وإعدادها للرجل وللأولاد ومن يتصل بهم، وعن نظافة المنزل ونظافة المطبخ والحمامات، ثم نظافة ملابس الأسرة، ونظافة الفراش.

٣- المساعدة المعنوية للرجل؛ فالزوجة الصالحة تخفف علىٰ زوجها من همومه ومتاعبه، وكما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...﴾ [الروم:٢١].

[طهارة سمون وأدهان وآنية دار الحرب عند استيلائنا عليها]

- إذا استولى المسلمون على دار الحرب فإنه يطهر ويحل ما وجدوه مذبوحاً، وكذلك تطهر بالاستيلاء سمونهم وأدهانهم وآنيتهم التي يباشرونها برطوباتهم.
- ما أخذه المسلم من دار الحرب بقرض أو وديعة فإنه يجوز له أخذه. اهـ من التاج

[دار الحرب ودار الكفر]

دار الحرب: هي دار الكفار الذين بينهم وبين المسلمين حرب.

دار الكفر: هي دار الكفار غير المحاربين.

فدار الحرب تجب الهجرة منها بالإجماع، وأما دار الكفر فوجوب الهجرة منها ظني لوقوع الخلاف في وجوب الهجرة عنها. أفاد هذا في التاج المذهب.

[جواز دخول دار الحرب لقضاء الحوائج]

في مآثر الأبرار نقلاً عن الإمام يحيى بن المحسن عليه السلام: ولأنه يجوز دخول دار الحرب لقضاء الحوائج، ذكره أئمتنا. اهـ

قلت: يمكن الاستدلال لذلك بما جاء في غضون كتب السير من أن بعض المسلمين كانوا يسافرون إلى مكة وهي يومئذ دار حرب للعمرة أو للحج أو للتجارة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[الواجب على المؤمن في زمن الفتنة]

سؤال: ما هو الواجب على المؤمن في زمن الفتنة؟ ولا بد له من ممارسة أسباب المعيشة فما يأتي من ذلك وما يذر؟

الجواب: قد روي عن أمير المؤمنين الجواب عن ذلك السؤال فقال: (كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهراً فيركب، ولا ضرعاً فيحلب).

والمعنى: احرص جهدك على أن تكون بعيداً عن مساعدة المبطلين ومعاونتهم بحيث لا يستفيدون منك بأي فائدة، وكل هذا مع مخالقة ظاهرة وتماماً كما قيل: «كن وسطاً وامش جانباً»، ويكفيه الإنكار بقلبه، ولا يجوز له حضور المجالس التي تفعل فيها المنكرات.

هذا، وأسباب المعيشة متنوعة، وليأت منها ما كان معه أقرب إلى سلامة دينه.

[حديث من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة]

حديث: ((من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ومات، فميتته ميتة جاهلية)) أخرجه مسلم. قد يؤخذ من الحديث: أنه لا تنبغي مقاتلة من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة بل يترك وشأنه.

يؤيد ذلك: أن أمير المؤمنين عليه السلام ترك الخوارج ولم يتعرض لهم، بل إنه لم يمنعهم نصيبهم من الفيء، ولم يقاتلهم أمير المؤمنين إلا حين سفكوا الدم الحرام، وقطعوا الطريق، وشهروا السلاح ضد المسلمين.

[حديث: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة]

حديث: ((لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)) يؤخذ من هذا الحديث: أنه لا يجوز أن تتولى المرأة شيئاً من الولايات العامة.

وبعد، فإنه يجب عقلاً على من يريد إصلاح البلاد والعباد أن يوظف للوظائف العامة الأبلغ في الكفاءة والقوة، والمرأة بطبيعتها أضعف من الرجل في الجملة.

والدليل على ذلك: أن المرأة إذا تعرضت لأزمة أو مشكلة أو مضايقة فشلت وخارت قواها وذهبت سدى، وفي هذه الحالة تلجأ إلى البكاء فالبكاء هو منهجها السياسي، والحل الأخير.

[من حقوق المسلم]

إجابة دعوة المسلم، وعيادة المريض، وتشييع الجنازة، ونصيحة المسلم، وتشميت العاطس، والسلام عليه إذا لقيه. هذه حقوق المسلم على المسلم جاء بها الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي كلها مندوبة على الأرجح.

وقد قيل: إن إجابة دعوة المسلم واجبة لورود الأمر بها، وأن من لم يجب فقد عصى كما في بعض الروايات.

ونقول: إن إجابة دعوة المسلم مندوبة على الجملة، وقد تكون واجبة إذا كان في ترك إجابته ما يؤلمه ويؤذيه أو يظن بالتارك الترفع والكبر.

ونصيحة المسلم قد تكون واجبة كالذي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴿٣﴾﴾ [العصر].

[أحاديث في الحلال والنية وترك ما يعنيه وحب المؤمن لأخيه والزهد]

١- حديث: ((إن الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)).

٢- ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى امرأة ينكحها أو دنيا يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه)).

٣- ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)).

٤- ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها)).

٥- ((ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)).

هذه الأحاديث تدور عليها كثير من أعمال الإسلام، وتبتني عليها أحكام كثيرة.

قلت: وينبغي أن يزاد عليها حديث: ((لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)) فإنه مدار لأحكام كثيرة لا تكاد تنحصر.

نعم:

- الحديث الأول يرشد المسلم إلى ما يأتي ويذر من الأعمال.
- والحديث الثاني يرشد إلى ما به قبول الأعمال عند الله.
- والحديث الثالث يرشد إلى ما تزكو به الأعمال، وهو ترك ما لا يعني المسلم.

- والحديث الرابع يرشد إلى حقوق المؤمن على المؤمن.
- والحديث الخامس يرشد إلى الطريق إلى محبة الله ومحبة الناس.
- والحديث السادس فيه إرشاد إلى أن على المسلم أن يكف جوارحه عن كل ما يضر بالمسلم، وأن على المسلمين ألا يضر أحدهما صاحبه، وأن ذلك لا ينبغي أن يكون في الإسلام.

[تعظيم الرجل لأجل مصلحة]

سؤال: إذا كان في تعظيم الرجل مصلحة كالسلامة من أذاه للمؤمنين، أو استمالته إلى الصالحين، أو نحو ذلك فهل يجوز تعظيمه؟

الجواب: أن ذلك جائز بل إنه الراجح الذي لا ينبغي تركه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله؛ فروي أنه كان يفرش للكافر ثوبه ويجلسه عليه، وروي أن الهادي عليه السلام كان يذكر الدعام في خطبة الجمعة.

وفي مثل ذلك قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [آل عمران:١٥٩]، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يعظم ضعاف الإيمان الذين تصدر منهم لغفلتهم الكثير من المعاصي بأن يقربهم إليه، ويشاورهم في أموره، ولا يؤاخذهم بما يصدر منهم من المعاصي، ويدعو الله لهم بالمغفرة.

- وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفَّن عبدالله بن أبي في ثوبه، وعبدالله رأس المنافقين، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استصلاحاً لقومه، واستمالة لهم إلى الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.
- إلا أنه لا يجوز التعظيم لمن ذكرنا بما لا يجوز كالكذب، وكالدعاء له بالرحمة والمغفرة إذا كان فاسقاً أو كافراً أو منافقاً.
- والتعظيم الجائز مثل أن تقوم له من مجلسك وتجلسه فيه، أو تفسح له فيه، أو أن تقصده بالزيارة إلى بيته، أو أن تقبِّل رأسه إذا كان كبير السن أو من

أهل العلم، أو أن تكنيه بكنيته، فتقول: يا أبا فلان، وقبل ذلك الهدية ودعوته للضيافة، واستشارته.

ومن هذا الباب ما روي أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: ((ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)).

[الفرق بين القوانين الوضعية وقوانين الإسلام]

تختلف أحوال البشر وأوضاعهم بمرور الزمن من حال إلى حال حتى وصلوا اليوم إلى ما نراه من التطور والحضارة، وهكذا تختلف أحوالهم وأوضاعهم من بلد إلى بلد بسبب اختلاف المناخ والتضاريس، وبسبب الغنى والفقر و...إلخ.

وما زال البشر الذين لا يدينون بدين الله يشرعون القوانين، ويضعون في كل زمن وفي كل بلد الأحكام التشريعية، ويزيدون فيها وينقصون من زمن لزمن، ومن بلد لبلد، ولا يزالون يستفيد بعضهم من قوانين بعض و...إلخ.

ومع طول تجاربهم وطول اختبارهم واستقرائهم للقوانين الوضعية ونظرهم في مدى نجاح القانون وفشله، وفي مستوى فعاليته- فإنهم لم يصلوا إلى ما يأملونه من الحياة الكريمة لعامة الناس وخاصتهم.

هذا، في حين أن قوانين دين الإسلام وأحكامه التشريعية تتناسب مع جميع أحوال البشر في كل زمان ومكان.

[في المعالجة لمنع الحمل]

سؤال: من المعروف أن علاجات منع الحمل تؤدي إلى أمراض متعددة، ونرى أن أعداء الإسلام هم الداعمون لتحديد النسل وتقليله، بينما نرى الأحاديث تُرغِّب في الإنجاب والتزاوج؛ فهل في هذا التضاد ما يرجح تحريم منع الحمل لغير ضرر، وإنما لأجل بقاء شباب المرأة أو ليتمتع الزوجان بالحياة الهادئة، وبقلة الأولاد ليسهل عليه رزقهم، أو غير ذلك؟ وهل الحث على الإنجاب هو الصحيح؟ أم الحد منه؟

الجواب: لا شك ولا شبهة أن الشارع الحكيم حث على الزواج ورغّب في كثرة النسل.

ولا خلاف بين المسلمين أنه لا يجب الزواج للنسل، وأنه لا يجب على المسلم أن يتسبب في حصول النسل.

ولا خلاف أنه لا يجب على المسلم أن يتزوج إلا إذا خشي على نفسه الوقوع في المحذور.

والترغيب في التزاوج وكثرة النسل لا يدل على تحريم استعمال علاج منع الحمل، وإنما يدل على أولوية عدم استعماله التي هي الكراهة.

والذي يدل على جواز استعمال العلاج لمنع الحمل أمور:

١- الأصل جواز استعماله، والدليل هو على مدعي التحريم.

٢- أن الرواية قد صحت أن الصحابة كانوا يعزلون على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أما العزل عن الإماء فبالاتفاق والإجماع، وأما في الزوجات الحرائر فالصحيح جواز العزل لصحة الرواية عن الصحابة في أنهم كانوا يعزلون على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي كان عليه مذهب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ رد على من قال من الصحابة إن العزل هو الموؤدة الصغرى فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ ما معناه: (لا تكون الموؤدة حتى تمر عليها السبع التارات)، والسبع التارات هي المذكورة في سورة المؤمنين.

❁❁❁❁❁

في الأدعية

الثلاثون الآية

الثلاثون الآية هي: الفاتحة، وأول سورة البقرة إلى: مفلحون، وآية الكرسي إلى: خالدون، وفي الأعراف: إن ربكم الله..إلى: قريب من المحسنين، وفي سبحان[1]: قل ادعوا الله..إلى آخر السورة، وأول الصافات إلى: طين لازب، وفي الرحمن: يا معشر الجن والإنس..إلى قوله: فلا تنتصران، ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل..إلى آخرها، ومن أول سورة الجن..إلى قوله تعالى: شططاً، وقل هو الله أحد. تمت من حواشي شرح الأزهار.

[في دعاء زين العابدين]

في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: (واجعل أوسع رزقك علي إذا كبرت، وأقوى قوتك فيَّ إذا نصبت...):

- يدل ذلك على أن سنة الله تعالى جرت بأن يوسع رزقه على عبده المؤمن إذا كبر سنه، وقد رأيت أنا تصديق ذلك في نفسي وفي غيري.
- وأن الله تعالى يمد عبده المؤمن بالقوة في وقت تعبه، فإذا تعب المؤمن في نفسه وبدنه أمده الله تعالى بقوة نفسية وعزيمة قوية على مراضي الله تعالى وعباداته، وكل ذلك من حسن صنيع الله تعالى بالمؤمن ولطفه به، وذلك من حيث أن المؤمن إذا كبر سنه وضعف بدنه يكون أحوج ما يكون إلى المال وزيادة الرزق، لضعف بدنه عن التكسب ولكثرة عياله، ويكون أحوج ما يكون إلى الإمداد بالقوة في حال تعبه.

إجابة الدعاء

قد وعد الله عباده المؤمنين بأن يستجيب لهم دعاءهم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ الآية [البقرة:١٨٦].

---

(١) – وهي الإسراء.

ولا يخفى أن الله عليم حكيم، ومن مقتضيات الحكمة والعلم أن يراعي في إجابة الدعوة مصلحة المكلف؛ فلو عجل الله تعالى إجابة دعوة الداعي له وأراه إياها عقيب دعوته لربما أعجب بنفسه، وظن أن لها منزلة عند الله عظيمة، وبذلك يقع في الهلاك والخسارة والفتنة، والله تعالى عليم حكيم لا يضل أولياءه المؤمنين، ولا يوقعهم في أسباب الفتن والهلاك: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

فإن قيل: فما وجه ما أوقعه الله تعالى من أسباب الفتنة والوقوع في الهلاك لأصحاب السبت؟

قلنا: هيأ الله تعالى لأصحاب السبت أسباب الفتنة جزاءً لهم على تمردهم على الله، وفسقهم عن دينهم، وتعديهم لحدود الله بدليل ما ذكر الله تعالى في آخر قصتهم وهو قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف]، وفي مثل ذلك قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

وبذلك يتبين أن الله تعالى لا يفعل لأوليائه المؤمنين المطيعين له ما يتسبب لوقوعهم في الفتنة والضلال، وأنه لا يفعل ذلك إلا للعصاة والفاسقين، جزاءً لهم على عصيانهم وفسقهم، وفي مثل ذلك قال سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴿١٠﴾﴾ [الروم]، فأخبر تعالى أن جزاء المسيئين وعاقبتهم هي العاقبة السوأى، وهي التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها.

أما المؤمنون المطيعون فقد قال تعالى فيهم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

إذا عرفت ذلك فإجابة الله تعالى لدعوة وليه المؤمن، تأتي في الوقت الذي يعلم الله تعالى أن إعطاءه لما دعا الله به تكون مصلحة خالصة في دينه ودنياه.

وقد تكون المصلحة في علم الله أن لا يعطى تلك الدعوة أصلاً، لا في عاجل الدنيا ولا في آجلها، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الله يعطيه عوضها إما في الدنيا وإما في الآخرة على حسب ما تقتضيه حكمته، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾﴾ [العلق].

[**كيف يستجيب الله للمشركين؟**]

سؤال: ذكر الله تعالى أنه يستجيب للمشركين دعوتهم حين يكونون على ظهر الفلك في وسط البحر، حين يهيج بهم البحر؛ فإنهم إذا دعوه في تلك الحال استجاب لهم دعوتهم ونجاهم، فكيف يستجيب لهم دعوتهم وهم مشركون؟

قد يقال في الجواب: إن المشركين في وسط البحر حين تعصف بهم الرياح، ويهيج بهم البحر- يتوجهون بقلوبهم ودعائهم إلى الله وحده؛ لعلمهم أنه لا يقدر على إنقاذهم سواه، وينسون أصنامهم في تلك الحال، لاستيقان أنفسهم في تلك الحال أنها لا تقدر على نفعهم وإنقاذهم.

وحينئذ فدعاؤهم لله وقع في تلك الحال من قلوب مؤمنة بالله وحده، موقنة بأن القدرة والقوة له وحده، ليس للأصنام في قلوبهم مكان.

وهكذا أخبر الله تعالى عنهم أنهم يدعون الله تعالى في تلك الحال مخلصين له الدين، وأنهم في تلك الحال ينسون ما يشركون، وقد دعوا الله تعالى مخلصين، دعاء المضطرين، فأجابهم ونجاهم.

فالدعاء في تلك الحال وقع من أهله، وكانت الإجابة في محلها، وقد دعوا الله تعالى دعاء المضطرين وقد قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢].

وبعد، ففي الاستجابة لدعائهم حجة عليهم، وآية بينة لهم تصدهم عن الشرك، وتردهم إلى الله وحده، وزيادة لطف بهم.

ويظهر لي أن إجابة الدعوة بالنسبة إلى الداعين تنقسم إلى قسمين:

١- إجابة دعوة المضطر، وهو الذي أحاطت به أسباب الهلاك، ونظر هنا وهناك لعله يجد ما ينقذه فلم يجد شيئاً، وانقطع رجاؤه من كل شيء على وجه الدنيا وفي نواحي السماء، فتوجه بقلبه إلى الله، ومد رجاءه إليه ودعاه؛ لاستيقانه أنه لا يقدر على إنقاذه سواه، فمثل هذا الداعي يستجيب الله تعالى له، ولا يشترط لقبول الدعوة أن يكون من عباد الله المؤمنين من قبل الدعاء، ولا أن يستقيم على الإيمان والطاعة بعد الخروج من المأزق.

ودليل ذلك: ما سبق من ذكر إجابة الله لدعاء المشركين في البحر الهائج، وقد قال تعالى مخاطباً للمشركين في سورة النمل، على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٥٩﴾﴾ [النمل]، إلى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...﴾ [النمل:٦٢].

٢- إجابة دعوة غير المضطر، وهي مشروطة بالإضافة إلى ما ذكر من الإخلاص في الدعاء في دعوة المضطر بأن يكون الداعي مستجيباً لله، وملازماً للتقوى، وتائباً إلى الله، وذلك لقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، فجعل سبحانه وتعالى الاستجابة لله بامتثال أوامره وترك مناهيه مع الالتزام بالإيمان- جعل ذلك علة وسبباً لاستجابة دعائهم الذي فيه رشادهم وفلاحهم، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

الدعاء عبادة مستقلة

الدعاء عبادة يحبها الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، فسماه الله تعالى هنا عبادة، وذلك لما فيه من إظهار الفقر والحاجة إلى الله، ولما فيه من التذلل بالمسألة بين يدي الله تعالى الذي بيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير.

ولما فيه من الاعتراف لله تعالى بأن أزِمّة الأمور كلها بيده، ومصادرها عن الله وحده هو الهادي والمعين والموفق والرازق والحافظ، و...إلخ.

وهذا هو معنى الإيمان الحي في المكلف، وهو الذكر الأكبر الذي قاله الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]، هكذا قال الهادي عليه السلام.

ولوجود ذلك الشعور لدى المؤمن، وامتلاء نفسه به يطفح اللسان بذكر الله والدعاء من غير كلفة، ولا عزم ولا إرادة.

التضرع في الدعاء

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ۝٥٥﴾ [الأعراف]:

أوجب الله تعالى في الدعاء أن يكون:

١-بالتضرع.

٢-وأن يكون بالخفية.

والتضرع هو التذلل عند الدعاء، وهو أن تكون هيئة الداعي في صوته وفي أركان جسمه على صورة تستدعي العطف عليه والرحمة له.

وتماماً كما ترى بعض الذين يسألون الناس كيف يتمظهرون عند السؤال بمظهر الذلة والحاجة والفقر، كي يرثى لهم الناس، ويتعطفوا عليهم.

والله تعالى يريد من عباده أن يظهروا في دعائهم له بمظاهر الذلة والمسكنة والفقر والحاجة، ومع التضرع يحب الله تعالى أن يكون ذلك الدعاء والتضرع في السر والخفية؛ لأن الدعاء في السر والخفية أبلغ في صدق الدعاء، وأسلم للداعي من الرياء وحب الثناء من الناس، وبإخفاء الدعاء وإسراره والابتعاد به عن أعين الناس تنسد منافذ الشيطان ومداخله، التي ربما أفسد من خلالها الدعاء، وأدخل الداعي في حبائل الرياء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ معناه: إنه تعالى لا يحب الذين يتجاوزون حدود ربهم التي حدها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل صغير وكبير،

ومن تلك الحدود ما حدها لهم في الدعاء في هذه الآية، وهو أن يكون الدعاء بتضرع واستكانة وتذلل، وأن يكون في السر بعيداً عن أسماع الناس وأبصارهم.

ومن الاعتداء في الدعاء أيضاً الدعاء بما لا يجوز في حكم الله، وبما لا ينبغي أن يفعله الله تعالى.

وليس من الاعتداء الإكثار من الدعاء كما قاله بعضهم؛ لأن الدعاء من ذكر الله ومن عبادته وقد قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب]، ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يكثر الدعاء، وروي ذلك عنه يوم بدر.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أدعية طويلة، وأكثر أدعية الصحيفة السجادية مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج.

[في الجهر بالدعاء]

الجهر بالدعاء ورفع الصوت به مكروه إلا في مواضع:

- في الاستسقاء، وفي عشر ذي الحجة، والدعاء في الحج، ودعاء المظلوم. انتهى من حواشي شرح الأزهار.
- **قلت:** وهذا لأدلة خاصة وردت في ذلك، وإلا فالأصل أن الدعاء يكون سراً؛ لقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥]، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف].

دليل رفع الدعاء في الحج: ما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قوله في الحج: ((هو العج والثج)) أو كما قال، والعج: هو رفع الأصوات.

وفي المظلوم: قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨]، فقد رخص الله تعالى للمظلوم أن يجهر بسوء القول في ظالمه؛ فبالأولى أن الله تعالى يحب رفع القول والجهر به بالدعاء على الظالم الذي لا شك في حسنه.

ولعل الدليل على رفع الدعاء **في العشر**: ﴿...كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠]، وقد كان المشركون في أيام الحج يعلنون بمفاخر آبائهم، ويجهرون بها في جماعات الحجيج، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يذكروه في الحج كذكرهم لآبائهم حين كانوا مشركين، أو أشد ذكراً.

وفي الاستسقاء وردت الروايات عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه جهر بذكر الله تعالى والثناء عليه والدعاء.

نعم، قد جاء الجهر بالدعاء في غير تلك المواضع الأربعة المتقدمة:

١- في الصلاة الجهرية، وذلك أن الفاتحة تشتمل على الذكر لله تعالى والدعاء.

٢- في القنوت في صلاة الفجر؛ فإنه مجهور به وهو دعاء وذكر.

٣- في خطبة الجمعة؛ فإن المشروع فيها الجهر بذكر الله تعالى والدعاء.

٤- في الدعاء لمؤدي الزكاة؛ فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يجهر به لمن يؤدي زكاة ماله، ومن ذلك: ((اللهم صل على آل أبي رافع)).

٥- في وقت نشوب الحرب كما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر.

٦- الدعاء لقوم أو الدعاء عليهم لحدوث سبب كما روي من الدعاء للمحلقين ثلاثاً، ثم للمقصرين مرة واحدة، وكالدعاء لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ في مناسبات كثيرة، وكما روي من الدعاء باللعن على أبي سفيان ومعاوية والحكم بن أبي العاص وغيرهم.

فمن هنا ينبغي لنا أن نقول: إن المشروع في الدعاء هو الإخفاء والسر إلا إذا دعت الحاجة والمصلحة إلى إظهاره؛ فإن لم يكن ثَمَّ حاجة ولا مصلحة فلا ينبغي إظهاره، وإسراره أزكى عند الله وأقرب للإجابة؛ لما فيه من الإخلاص، والانقطاع إلى الله.

والذي يظهر من جهر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالدعاء يوم بدر أنه من أجل الإعلام أن النصر ليس بيده ولا بيد جيوشه، وإنما هو من عند الله، وأنه في تلك الساعة أشد حاجة إلى الله، وأفقر ما يكون إليه؛ لهذا رفع يديه في الدعاء، وابتهل إلى الله حتى سقط رداؤه.

وجهر بالدعاء للمحلقين وكرره، وللمقصرين - للحث والترغيب في الحلق.

وجهر بالدعاء على أبي سفيان ومعاوية والحَكَم ونحوهم- ليتحذرهم المؤمنون على دينهم ودنياهم.

وجهر بالدعاء لقوم ليلفت أبصار المسلمين إلى تعظيمهم وموالاتهم.

وجهر بالدعاء لمؤدي الزكاة لتسكين نفسه وتطمينها مع ما في ذلك من الترغيب في تأدية الزكاة، وهكذا سائر المواضع التي ورد الجهر فيها بالدعاء؛ فإن للجهر فيها دواعي دعت إليها الحكمة والمصلحة.

وبناءً على هذا فيمكننا أن نقول: إذا عرضت مصلحة للجهر بالدعاء فينبغي الجهر، وذلك نحو أن يكون في الجهر موعظة، أو للتعليم، أو ما أشبه ذلك.

[التعرض لنفحات الله]

روى ابن عساكر بسنده عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ((اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات ربكم فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم)). انتهى من تفسير ابن كثير لسورة يونس.

[بعض الوسائل لنيل المطالب الدينية والدنيوية]

ـ قراءة القرآن وسيلة لنيل المطالب الدينية والدنيوية، وذلك لأن قراءته عبادة وطاعة تقرب إلى الله تعالى، وهكذا الصدقة، والصلاة، وصلة الرحم و...إلخ

[حكم الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات]

سؤال: هل يجب الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات؟

الجواب: الاستغفار واجب:

١- للنفس فعلى المكلف أن يستغفر لنفسه.

٢- للوالدين لما لهما من الحق على الولد: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا۝٢٤﴾ [الإسراء].

٣- الاستغفار للميت المسلم حين يصلى على جنازته.

أما الاستغفار لمن سوى من ذكرنا فهو مندوب إليه ومشروع، ولا دليل على وجوبه، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:١٩]، فهو خطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمره الله تعالى بالاستغفار؛ لأن شفاعته عند الله مقبولة؛ لما له من الكرامة العظيمة والمنزلة الرفيعة، فأمر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأجل هذه الخصوصية، ولا توجد هذه الخصوصية في غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [الحشر:١٠]، حكاية حكاها الله تعالى عن أولئك، ولا تدل على الوجوب، وهكذا حكاية الله تعالى لاستغفار إبراهيم ونوح عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فليس فيهما ما يدل على الوجوب، وهكذا حكاية الله تعالى لاستغفار الملائكة للمؤمنين، فكل ذلك لا يدل على الوجوب.

[دعاء للخروج في طاعة الله]

من خرج في طاعة الله فقال: (اللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، ولكني خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك، فأسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقني من الخير أكثر مما أرجو، وتصرف عني من الشر أكثر مما أخاف). انتهى.

[أذكار وأدعية عظيمة]

(اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، وأعوذ بك أن أقول زوراً، أو أغشى فجوراً، أو أكون بك مغروراً، وأعوذ بك من شماتة الأعداء، وعضال الداء، وخيبة الرجاء، وزوال النعمة، وفجاءة النقمة).

(اللهم اجعل العافية لي شعاراً ودثاراً وجُنَّة دون كل بلاء).

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أمرني خليلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بسبع: أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من

هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: « لاحول ولا قوة إلا بالله » فإنهن كنز من تحت العرش.

وروى أيضاً بسنده عن شداد بن أوس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب)).

وروى أيضاً بسنده عن عبدالله بن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً، ثم قال: ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون))، ثم يقول: ((اللهم أني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر، واطْوِ لنا البعيد، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا)).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا رجع إلى أهله قال: ((آيبون تائبون إن شاء الله، عابدون لربنا حامدون))، وهكذا رواه مسلم وأبو داوود والنسائي. انتهى من تفسير ابن كثير.

السلام على أهل المقابر

((سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية))، مما علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[دعاء لأهل المقابر]

«آنس الله وحشتكم، ورحم غربتكم، وتجاوز عن مسيئكم، وقبل حسناتكم».

دعاء الأرق

روى الطبراني عن زيد بن ثابت قال: أصابني أرق من الليل فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ((قل: اللهم غارت النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم، يا حي يا قيوم أنم عيني، وأهدئ ليلي)) فقلتها فذهب عني. انتهى من تفسير ابن كثير سورة الروم.

[اسم الله الذي إذا دعي به أجاب]

روى النسائي أن رجلاً قال في دعائه: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك»، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ((تدرون بم دعا؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى))، انتهى مختصراً.

[فائدة: اسم الله الأعظم]

في حديث ذكره الإمام أحمد بن هاشم رحمه الله في السفينة عن أمالي المرشد بالله رحمه الله: ((اسم الله الأعظم في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة]، وفي فواتح سورة آل عمران: ﴿الم﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴿٢﴾﴾)) أو كما قال.

قلت: المذكور من أسماء الله الحسنى في هاتين الآيتين خمسة أسماء هي: الله، الرحمن، الرحيم، الحي، القيوم.

فالأسماء الأوَل التي هي: الله، الرحمن، الرحيم- قد يستدل على عظم شأنها وشريف منزلتها عند الله تعالى بمجيئها في أول كل سورة في القرآن غير سورة براءة.

ويمكن أن يستدل بما جاء بكثرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل آية الكرسي على عظم شأن الاسمين الأخيرين.

وفي أمالي أحمد بن عيسى عن علي عليه السلام قال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أقرب من اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها).

نعم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠]، فأسماء الله تعالى كلها حسنى، وهو تعالى يحب أن يدعى بها، ويثنى عليه بها، والذي يظهر لي أن السر في قبول الدعاء يعود إلى الداعي نفسه، لا إلى خصوصية الأسماء، وإن كان لها فضل عند الله ومزية.

وفي القرآن الكريم ما يرشد إلى ما قلنا من ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]، وقوله تعالى حكاية عن ركاب البحر عند هيجان الأمواج: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وقوله تعالى بعد ذكر دعاء أولي الألباب في آخر سورة آل عمران: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ...﴾ [آل عمران:١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [المؤمنون:١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف]، ونحو ذلك في القرآن كثير، فذلك ونحوه يؤخذ منه:

أن الإسلام والإيمان والتوبة والاضطرار إلى الله، وذلك بأن ينقطع رجاء الداعي فيما سوى الله، وإظهار الضراعة والفقر والحاجة والإخلاص في الدعاء، وإخفائه وإسراره.

يؤخذ مما قدمنا أن ذلك من أسباب قبول الدعاء.

ثم من بعد استحضار ما ذكر ينبغي أن يقدم الداعي بين يدي دعائه الاعتراف بالذنب كما في دعاء آدم عليه السلام، أو تقديم الثناء على الله تعالى كما في دعاء يونس، وكما في سورة الفاتحة، وكما في دعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا...﴾ إلخ [غافر:٧]، وكما في دعاء أولي الألباب: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

أو تقديم الشكوى كما في دعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو التوسل بالإيمان كما في نحو قوله: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا...﴾ إلخ [المؤمنون:١٠٩]، وكذلك الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما في كثير من الأحاديث، وختم الدعاء بالحمد والصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

دعاء نبوي دعا به لأبي سلمة

((اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الفائزين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه)). مسلم.

[أفضل الدعاء وأفضل الذكر بعد القرآن]

سؤال: ما هو أفضل الدعاء وأفضل الذكر بعد القرآن؟

الجواب والله الموفق: الذي يظهر لي أن أفضل الدعاء هو ما ذكره الله تعالى في القرآن، وأكثر الدعاء المذكور في القرآن عن الأنبياء والصالحين هو طلب المغفرة، وفيه الحث على الاستغفار كثيراً، وبعد الاستغفار في الكثرة طلب الرحمة، وكثيراً ما يقترن في القرآن ذكر المغفرة والرحمة.

وفي القرآن الكثير من الدعاء، غير أنه لم يكن في الكثرة مثل طلب المغفرة والرحمة، فمن ذلك طلب التوبة، ومنها طلب الوقاية من النار ومن الخزي، وطلب الجنة، ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝٨٥﴾ [الشعراء]، وطلب العلم والحكمة، والدعاء بصلاح الذرية والزوجة، وطلب الموت على الإسلام، والدعاء باللحاق بالصالحين، وطلب الصبر والاستقامة، والنصر على القوم الكافرين، وطلب السلامة من فتنة القوم الظالمين والكافرين، وطلب النجاة منهم، وطلب الاستقامة على الهدى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران:٨]، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ [الفاتحة:٦].

وفيه ذكر طلب الرفعة في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ [الفرقان]، وفي قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء].

وفيه ذكر طلب الرزق، وطلب الموالي والمناصر في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [النساء]، ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ

﴿أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ [طه].

وفيه طلب الإعاذة للداعي وذريته من الشيطان الرجيم، و﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ و﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ...﴾ السورة.

وفيه ذكر الدعاء على الظالمين، ودعاء السلامة من مصاحبتهم ومن سلوك سبيلهم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾ [الفاتحة:٧].

وفيه ذكر طلب خير الدنيا والآخرة في قوله: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا...﴾ [البقرة:٢٠١].

وفيه الأمر بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه...، وفيه....إلخ.

أما الذكر الذي ذكره الله تعالى في القرآن فهو التسبيح والتحميد والتكبير، وقد جاء الأمر بمطلق الذكر.

وأفضل الذكر هو ما ذكر الله تعالى به نفسه، وذلك كآية الكرسي والفاتحة والإخلاص وخواتم سورة الحشر، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ...﴾ إلخ [آل عمران:٢٦]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾ [الإسراء:١١١]، وما حكاه تعالى عن أنبيائه عليهم السلام كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ...﴾ [إبراهيم:٣٨]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء].

ونحو ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران:١٩١]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

نعم، يمكن أن يكون أفضل الدعاء والذكر هو ما شرعه الله تعالى في الصلاة، وذلك التكبير وقراءة الفاتحة والتسميع والتحميد للمؤتم، وتسبيح الركوع والسجود، والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر في الركعتين الأخيرتين.

[الكلمات التامات]

سؤال: ما هو تفسير الكلمات في الدعاء المأثور: ((أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق))؟

الجواب والله الموفق والمعين: يمكن أن تفسر الكلمات هنا بقدرة الله تعالى، وجاءت بصيغة الجمع اعتباراً بنفوذها في كل شيء، وفي كل مكان وزمان، وفي كل الأحوال.

ومما يؤيد هذا التفسير ما جاء في حديث آخر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((ضع يدك على موضع الوجع سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد))، أو كما قال.

وقد يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف:١٣٧]؛ إذ معنى ذلك: أن الله تعالى حقق لبني إسرائيل وفعل لهم بقدرته ما سبق به الوعد من الله لهم من الاستخلاف في الأرض والعاقبة الحسنى، فسمى الله تعالى فعل ذلك كلمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ۝٨٢﴾ [يس]، فعبر الله سبحانه وتعالى عن قدرته وسرعة نفوذها بكلمة «كن».

ووصفت الكلمات بالتمام في قوله: ((التامات)) من أجل إيضاح نفوذ قدرة الله تعالى، وأنه لا يعجزها شيء، ولا يحول دونها حائل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ۝٢٤﴾ [الشورى].

ومن هذا المجاز: قوله تعالى في عيسى: ﴿... رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء:١٧١].

هذا، وقد يراد بـ«الكلمات» القرآن، وجاز التعوذ به لما له من الاختصاص والارتباط الواضح بالله تعالى، فالتعوذ به تعوذ بالله، ومن هنا لم يجز للحائض والجنب قراءته ولا مسه.

وقد يراد بالكلمات العلم فقد يعبر بالكلمات ويراد بها العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧].

وهذا المعنىٰ قريب ومناسب للمقام، وذلك أن علم الله تعالىٰ قد أحاط بكل شيء؛ فناسب أن يستعيذ الإنسان من شر كل شيء أحاط به علم الله تعالىٰ.

ومن هذا المجاز أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

الحزب المبارك

من طبقات الزيدية عن الكينعي رضي الله عنه: يقرأ الفاتحة عشراً ثم يقول:

«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فضلاً من الله ونعمة، شكراً من الله ورحمة، الحمد لله علىٰ التوفيق، ونستغفره في كل تقصير، غفرانك ربنا وإليك المصير، سبحان الله العلي الأعلىٰ الوهاب، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، سبحانك ما قدرناك حق قدرك، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو علىٰ كل شيءٍ قدير (ثلاث مرات) وإليه المصير، لا إله إلا الله الملك الحق المبين (مرتين) لا إله إلا الله أرحم الراحمين، لا إله إلا الله أكرم الأكرمين، لا إله إلا الله حبيب التوابين، لا إله إلا الله غياث المستغيثين، لا إله إلا الله الملك الجبار، لا إله إلا الله الواحد القهار، لا إله إلا الله الحكيم الحليم الستار، لا إله إلا الله العزيز الغفار، لا إله إلا الله أبداً حقاً حقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، لا إله إلا الله تلطفاً ورفقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله قبل كل شيء، لا إله إلا الله بعد كل شيء، لا إله إلا الله يبقىٰ ربنا ويفنىٰ كل شيء، لا إله إلا الله المعبود بكل مكان، لا إله إلا الله المذكور بكل لسان، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ولا شيء بعده، لا إله إلا الله له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو

بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير». ثم كرر «لا إله إلا الله» مائة مرة أو مائتين أو ألفاً.

رقية للنظرة (العين)

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله، حبس حابس، وحجر يابس، وشهاب قابس، رددت عين كل عاين من الجن والإنس ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وصلى الله على محمد وآله، ومحوت أثرها وأزلته بعزة الله وقدرة الله، وبـ ﴿كهيعص﴾ و﴿حمعسق﴾ و ﴿طه ۝١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى ۝٢﴾ و﴿يس ۝١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ و﴿ص وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ۝١﴾ و﴿ق وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۝١﴾ و﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٢٤﴾ ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

[رقية للمسحور]

في تفسير ابن كثير، قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحارث، حدثنا عبدالرحمن -يعني الدشتكي- أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن ليث -وهو ابن أبي سليم- قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى:

تقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور- الآية من سورة يونس: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۝٨١ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝٨٢﴾ [يونس].

والآية الأخرى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۝١١٩ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝١٢٠ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۝١٢٢﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۝٦٩﴾ [طه].

[للأمان من الغرق والسحر والهدم والحريق..إلخ]

مما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

للأمان من الغرق:

((بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر]، ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٤١﴾﴾ [هود].

للأمان من السحر:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴿١١١﴾﴾ [الإسراء].

للأمان من الهدم:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴿٤١﴾﴾ [فاطر].

للأمان من الهدم:

((لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إليه)).

للأمان من الحريق:

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

من خاف السباع فليقرأ:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

من استصعبت عليه دابته فليقرأ في أذنها اليمنى:

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران].

من كان في بطنه ماء أصفر:

فليكتب على بطنه آية الكرسي، وليشربه فإنه يبرأ بإذن الله عز وجل.

من خاف ساحراً أو شيطاناً:

فليقرأ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس].

[وجه الدعاء بقوله تعالى: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا... الآية]

سؤال: ما هو الوجه في الدعاء بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا....... رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقد علم أن الله تعالى لا يؤاخذ بالخطأ والنسيان، ولا يكلف ما لا يطاق؟

الجواب: من الجائز عقلاً المؤاخذة على الخطأ والنسيان، وإذا كان جائزاً توجه الدعاء إلى الله بعدم المؤاخذة عليه.

بيان ذلك: أن المكلف يمكنه عدم الوقوع في الخطأ والنسيان، وذلك بأن يتجنب الأسباب المؤدية إلى الوقوع في ذلك؛ لذلك عاقب الله تعالى آدم بخطيئته، وقد كانت وقعت منه على جهة النسيان بدليل قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه]، وعاتب الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في إذنه للمتخلفين فقال سبحانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ...﴾ [التوبة:٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ يمكن أن يقال: إنه كناية عن التكاليف الشاقة، أي: لا تحملنا التكاليف الشاقة.

[أفضل الأعمال في شهر رمضان]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، وبه نستعين

الليلة هي الليلة الأولى من ليالي شهر رمضان الكريم من شهور سنة ١٤٣٤ هجرية، نسأل الله الكريم أن يوفقنا فيه لما يرضيه عنا بحوله وطوله إنه رؤوف رحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين، **أما بعد**:

فإن أفضل الأعمال في شهر رمضان هو ذكر الله تعالى الشامل للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والثناء على الله بما هو أهله.

- والذكر الأكبر الذي يثقل الله به ميزان الأعمال هو ذكر القلب، وذكر القلب هو أن يمتلئ بالإيمان بالله والتصديق بعظمته وجلالته وكبريائه وإحاطة علمه وقدرته، والتصديق بوعده ووعيده، والشعور بسبوغ نعمته وكثرة مننه التي لا تحصى ولا تستقصى، والامتلاء من هيبته وعظمة سلطانه، وأنه المتفضل على عباده بجلائل النعم ودقائقها وظاهرها وخفيها وأولها وآخرها، لا منعم سواه.
- فإذا طفح القلب بهذا الذكر اندفع اللسان في ترجمة ما في القلب ونشط في ذكر عظمة الله وجلاله وذكر سلطانه وكبريائه، وتعداد نعمه وإحسانه، وعظيم فضله وامتنانه، ونشطت الجوارح في تعظيم باريها بالفرائض المفروضة، وبالنوافل المسنونة والمندوبة.
- فبمعرفة ما ذكرنا يتبين أن لذكر الله تعالى مفهومين يترتب أحدهما على الآخر؛ فذكر اللسان والجوارح مترتب على ذكر القلب وناتج عنه.

[صحة فعل النوافل عن الحي والميت]

في رسالة الثبات للإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام: وما أمكنهن وإخوتهن وسائر المسلمين أن يفعلوه عني في حال حياتي وبعد وفاتي، أو يوصوا به من يقبل الوصية من صدقة عني أو بر أو قتل مطرفي أو مرتد من فرق الضلالة أو إحسان أو صلاة أو صيام أو ذكر... الخ.

قلت: يؤخذ من ذلك أن نوافل الصلاة والصيام و..الخ يصح فعلها عن الحي والميت، بمعنى أنه يلحقه ثوابها.

قلت: وأنا -**محمد عبدالله عوض**- أطلب من أبنائي وبناتي ومن سائر أقاربي وإخواني المؤمنين أن يبروني في حال حياتي وبعد موتي ما أمكنهم من صدقة عني، أو بر، أو إحسان، أو تسبيح وتحميد وذكر ودعاء، أو صلاة وصيام وحج وعمرة، أو ما تيسر من أنواع الطاعات.

[في كون أفضل الدعاء الاستغفار]

ـ أفضل الدعاء الاستغفار، وذلك لما يترتب عليه من الرغائب والمصالح الدينية والدنيوية، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا۝١٢﴾ [نوح]، فانظر ما ترتب عليه الاستغفار وذلك:

١- مغفرة الذنب: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۝١٠﴾.

٢- كثرة الأمطار وغزارتها: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا۝١١﴾.

٣- كثرة الأموال من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحبوب والثمار: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾.

٤- كثرة الأولاد الذكور وصلاحهم: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾.

٥- كثرة البساتين الكثيفة الأشجار: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾.

٦- كثرة الأنهار وغزارتها: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا۝١٢﴾.

- وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ۝٣٣﴾ [الأنفال]:

٧- وفي هذه الآية أنه يترتب على الاستغفار الأمن من المصائب والكوارث والنوازل، وطمأنينة النفس والسلامة العامة في الأهل والمال والولد إلا ما لا بد منه مما هو ناتج عن طبيعة الحياة الدنيا التي

طبعها الله عليها.

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ...﴾ الآية [آل عمران]:

٨- المغفرة والجنة.

فكل هذه الرغائب العظيمة التي آخرها المغفرة والجنة مترتبة على الاستغفار، وهي غاية ما يرغب فيه الراغبون، ومنتهى ما يطلبه الطالبون ويسعى لتحصيله الساعون، وعلى الجملة فإنه يترتب على الاستغفار خير الدنيا ونعيمها وخير الآخرة ونعيمها.

[أحسن الدعاء وأحسن الذكر وأحسن أوقات الإجابة]

سؤال: ما هو أحسن الدعاء؟ وما هو أحسن الذكر؟ وما هو أحسن الأوقات لإجابة الدعاء؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن أحسن الدعاء هو الاستغفار بدليل ما حكاه الله تبارك وتعالى من إيمان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين في آخر سورة البقرة، فكان أول دعائهم بعد ذكر الإيمان هو قولهم: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة]، وحكى الله تعالى دعاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح]، ودعاء موسى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ [الأعراف١٥١]، ومدح الله أولي الألباب فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

وأمر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد١٩]، ﴿...فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر٣]، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي

يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المؤمنون]، وذكر الله تعالى دعاء الملائكة فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا...﴾ [غافر٧]، وذكر الله تعالى دعاء المؤمنين لإخوانهم السابقين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾ [الحشر١٠] إلى غير ذلك مما حكاه الله تعالى في كتابه الكريم من الدعاء، فإنك تجد أكثره وغالبيته هو الدعاء بالاستغفار مما يشير إلى أفضليته على غيره من الدعاء.

هذا، ويؤيد ما قلنا من جهة النظر: أن الاستغفار إذا كان كما ينبغي يكون عبارة عن عدة أمور في كل أمر منها تعظيم لله وتوقير: فالاستغفار الذي هو الاستغفار يكون وراءه الإحساس والشعور بالتقصير في طاعة الله والتفريط في ذكره وشكره، وبالتقصير في ذكر نعمه وفي نسيان الذنوب، وفي القيام بما أمر الله من فرائضه حق القيام لكثرة الوسوسة في الصلاة ونحوها، وأن نعم الله تعالى كثيرة فكم من نعمة لله عليه لم يذكرها ولم يشكرها، وكم من نعمة مر عليها وهو غافل، وأنه مهما بلغ من التقوى لله، فإنه مع ذلك مقصر في حق الله محتاج إلى مغفرته ورحمته.

فاستحضار مثل هذه الأمور التي ذكرناها عباده لله تعالى كبيرة، ولعلها وما شابهها ذكر الله الأكبر المذكور في قوله تعالى: ﴿... وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ...﴾ [العنكبوت٤٥].

ويؤيد ما ذكرنا: أن الاستغفار يجمع خير الدنيا والآخرة بدليل قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴿١٢﴾﴾ [نوح] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات]، وفي هذه الآية دليل على أن أفضل أوقات الاستغفار هو الأسحار.

هذا، وأما أفضل الذكر فهو كما يروى: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله،

والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، و«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير».

هذا، وقد يكون أفضل الذكر هو ما شرعه الله تعالى في الصلاة، والدليل على ذلك: هو أن الصلاة أفضل الأعمال، والذكر هو جزء منها، وبناءً على هذا فيكون أفضل الذكر هو: قراءة الفاتحة، والتكبير، وتسبيح الركوع والسجود، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والشهادتان، والصلاة على النبي وآله ﷺ.

دعاء رسول الله ﷺ يوم الطائف

((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني، أم إلى صديقٍ قريب ملَّكْته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)).

أوقات الاستغفار

١- وقت السحر: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات].

٢- بعد الصلوات المكتوبات.

٣- عند ذكر الذنب.

٤- عند الشعور بالتفريط والتقصير.

٥- ليلة الجمعة، ونهارها.

٦- بين الأذان والإقامة.

٧- عند النظر والتفكر في خلق السماوات والأرض.

٨- وهناك أوقات أخرى، وأسباب أخرى للاستغفار كليالي رمضان، وعند الفطر، و...إلخ.

الاستغفار المقصود

الاستغفار المقصود الذي تترتب عليه تلك الرغائب التي أسلفنا ذكرها- هو ما جمع الأوصاف الآتية:

١- أن يكون المستغفر مقلعاً عن الذنب تاركاً له.

٢- أن يكون عند المستغفر إحساس وشعور بسوء ما أتى من الذنب، وقبح معصية الله.

٣- أن يكون عنده إحساس وشعور بأنه مقصر في طاعة الله، ومضيع لها ومفرط.

٤- أن يكون عنده شعور بعظمة ذنبه وقبحه.

٥- إذا كان الذنب متعلقاً بالمخلوقين فبالإضافة إلى ما سبق يلزمه أن يسترضيهم عما أتى إليهم.

٦- أن يكون عنده تصميم وعزم على الالتزام بتقوى الله تعالى بترك نواهيه وامتثال أوامره.

ألفاظ الاستغفار في القرآن:

١- ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة].

٢- ﴿اعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

٣- ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران].

٤- ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون].

٥- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا...﴾ [آل عمران:١٤٧].

٦- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠].

٧- ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف].

٨- ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف].

٩- ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران].

١٠- ﴿وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم].
١١- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح:٢٨].
١٢- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم].
١٣- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء].

- ومما يدل على مكانة الاستغفار، وأنه أفضل الدعاء: أن ما حكاه الله تعالى من دعاء الأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين في القرآن هو الاستغفار تقريباً.

[في وجوب الاستغفار]

سؤال: هل الاستغفار واجب، أم غير واجب؟ وإذا كان واجباً فهل له حد محدود؟

الجواب: في الجواب تفصيل:

١- مرتكب الكبيرة مثل الشرك بالله والزنا و...إلخ، فهذا النوع يجب عليه الاستغفار والتوبة إلى الله.

٢- المفرط في ترك الواجبات والمقصر فيها والمضيع لشيء منها- تجب عليه التوبة والاستغفار.

٣- المؤمن التارك للمعاصي القائم بالواجبات لا يخلو من تقصير وغفلة؛ لذلك فيجب عليه الاستغفار.

فوجوب الاستغفار على النوع الأول آكد، ثم النوع الثاني، ثم النوع الثالث.

أما وقت وجوب الاستغفار فهو عند حصول سببه، وسببه هو ارتكاب المعصية أو ترك الواجب؛ فمتى حصل شيء من ذلك وجب الاستغفار.

أما النوع الثالث فوقت وجوب الاستغفار عليه هو وقت إحساسه وشعوره بالتقصير في طاعة الله وشكره وذكره.

ولا يخفى أن من شأن المؤمن الشعور بذلك ولو بلغ المدى في طاعة الله وشكره وذكره، فالمؤمن لا يزال متهماً لنفسه بالتقصير في طاعة الله وشكره وذكره، ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لا يمسي المؤمن ولا يصبح إلا ونفسه عنده ظنون)، أي: متهمة.

وبعد، فالاستغفار من متممات الإيمان وتوابعه، ألا ترى كيف وصف الله تعالى إيمان الرسول والمؤمنين في آخر سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾...إلى قوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

وأخيراً نقول: إن الاستغفار ليس له حد محدود، ولكن يظهر لي أنه يجب عند الشعور بالذنب والتقصير وجوباً مضيقاً.

[معنى التسبيح والتكبير والتهليل]

- ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)): هؤلاء أربع كلمات لكل كلمة منهن معنى وهو:

((سبحان الله)) تفيد: تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، وعن كل نقص، وعن كل قبيح، وعن كل ما يتنافى مع عظمة الله وجلاله.

((الحمد لله)) كلمة تفيد: أن الله تعالى هو الحقيق بالحمد والشكر؛ لأنه هو الذي أنعم على عباده بما لا يحصى من النعم.

((لا إله إلا الله)) كلمة تفيد: البراءة من كل ما يعبد من دون الله وإثبات الإلهية لله وحده، ونفيها عمن سواه.

((الله أكبر)) كلمة تفيد إثبات صفات الكمال والعظمة والجلال لله تعالى.

فتكون هذه الكلمات الأربع قد اشتملت على المطلوب من الإيمان بالله تعالى جملة.

- ((ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)): وهذه الكلمة تعتبر مكملة لمعاني الكلمات السابقة، وهي تفيد الاعتراف بالبراءة من حول النفس وقوتها، وإثبات الحول والقوة لله تعالى، ويعني ذلك الاعتراف بالعبودية لله تعالى، وبالضعف والعجز، والاعتراف بالفقر والحاجة إلى الله.

❁❁❁❁❁

حكم ومواعظ

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام

(لا خير في قراءة إلا بتدبر، ولا في عبادة إلا بتفكر، ولا في حلم إلا بعلم، ألا أنبئكم بالعالم كل العالم من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمنهم مكره، ولم يؤيسهم من روحه...إلخ).

حديث

((ما أسر امرؤ سريرة إلا ألبسه الله رداءها إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ)).

[الطريق إلى السلامة من الفتنة، وما هي أسبابها]

سؤال: ما هي الطريق إلى السلامة من الفتنة؛ فإنا نرى الكثير منا يتتابعون في الدخول في الفتنة فنخاف على أنفسنا؟

الجواب: الطريق إلى السلامة من الافتتان هو الحذر من فعل معاصي الله، ما صغر منها وما كبر، والحرص على تأدية ما أمر الله به عباده، ثم التضرع إلى الله تعالى بالدعاء في العصمة والتوفيق والسداد، ومداومة الاستغفار.

وذلك أن الفتن جزاء من الله تعالى للعصاة على معاصيهم بدليل قوله تعالى في أصحاب السبت: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ۝١٦٣﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ۝١٠﴾ [الروم].

سؤال: رأينا الكثير دخلوا في الفتنة، وكنا نعرفهم معرفة مستحكمة بطول المصاحبة والمجالسة والزمالة في الحضر والسفر، ولم نر منهم إلا الالتزام بالتقوى والتواضع والحياء، ونفع الإخوان، والرحمة العامة والخاصة، وحسن الأخلاق مع القريب والبعيد، و...إلخ؛ فما هو السبب مع ما نعرف عنهم من حسن بصائرهم في الدين، وإلى آخر ما ذكرنا؟

الجواب: للفتنة عن الدين أسباب:

١- معصية الله تعالى؛ فإنها سبب للدخول في الفتنة، قال تعالى في أصحاب السبت: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴿١٠﴾﴾ [الروم].

٢- أن يكون في القلب أَنَفَةٌ أو حمية أو عصبية أو كبر لم يظهر لها أثر على سلوك صاحبها ومعاملاته، ولم يتعرض صاحبها لما يثير ذلك ويخرجه من قلبه، فإذا ابتلاه الله تعالى بما يثير ذلك ويظهره افتتن، وذلك مثل فتنة إبليس لعنه الله تعالى.

الكرامات

-هي حوادث يحدثها الله تعالى لأوليائه الصالحين، تدل على رضاه عنهم، وكرامتهم عليه، وأنهم أهل الحق.

من ذلك: ما نجده من الروائح الكريمة على قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذه الكرامة واضحة يجدها زوار قبورهم.

-وهذه الروائح الزكية لا توجد على قبور غيرهم، وفي ذلك دلالة على أن لهم عند الله منزلة ليست لغيرهم، وأنهم أهل الحق.

-**وقد سمعت** عن بعضهم أن الله تعالى قد يعطي الكرامات بعض أهل الضلال ليكون ذلك فتنة واختباراً.

وأقول: إن هذا القول غير صحيح، وكبير ظني أن الذي أحوجه إلى هذا القول أنه وجد الكرامات تحدث لأهل البيت عليهم السلام فلم يدر كيف يفسر ذلك إلا بأن يقول هذا القول.

والصحيح المتقرر عند المسلمين أن الكرامات لا تكون إلا للصالحين، ولا يجوز أن يجريها الله تعالى لأهل الضلال، وذلك لأنها جارية مجرى معجزات الأنبياء، ولا فرق بينها وبين المعجزات إلا أن المعجزة تأتي عقيب دعوى النبوة، بخلاف الكرامة فلا يتقدمها دعوى.

ولو جوزنا أن الله تعالىٰ يعطي ذلك أهل الضلال- لم يعرف النبي من غيره؛ لجواز أن يجري الله تعالىٰ المعجزة علىٰ الضال ليجعل ذلك فتنة واختباراً، فتستد الطريق إلىٰ معرفة الأنبياء وتمييزهم عن غيرهم ممن يدعي النبوة.

[العظة من الزلازل]

وقع زلزال كبير في دولة (هايتي) -وهي دولة صغيرة من دول أمريكا الجنوبية معروفة بالفقر- في شهر يناير ٢٠١٠م وما زالت فرق الإنقاذ تستخرج جثث القتلىٰ من بين الأنقاض، وقد أعلن عن دفن أكثر من سبعين ألف جثة، ومن المتوقع حسب ما يقال في الإعلام أن يبلغ القتلىٰ أكثر من مائتي ألف، وتوقع بعضهم أن يكون القتلىٰ نصف مليون.

وفي هذا الحدث العظيم آية وعبرة للبشر، توقظهم من غفلتهم، وتنبههم من رقدتهم؛ فكأنها تقول لهم: انتبهوا أو تيقظوا، وإن كنتم في جهل أو نسيان فاعلموا أن وراء هذا الحدث العظيم الذي دك تلك المدينة ودمدمها في ثوان قوة الله التي لا يعجزها شيء؛ فاتقوا أن يحل بكم مثل ما حل بهذه المدينة، وانظروا ما هي الأسباب التي تسببت في تلك الكارثة فتجنبوها حتىٰ لا تقعوا في مثل ذلك.

يبدو لي أن هذه العبرة العظيمة ستمر من غير أي تأثير في سكان العالم، وهكذا جرت عادة أهل الكفر قديماً لا ينتفعون بعبرة ولا تلين قلوبهم لآية.

وقبل هذه العبرة حدث أن طغىٰ الماء علىٰ ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية ودمرها وأغرق أهلها.

وقبل ذلك ما حدث من الزلزال العظيم في المحيط الهندي مما أدىٰ إلىٰ تدفق مياهه علىٰ سواحله الشمالية فغرقت بذلك عدة مدن ساحلية ودمرت بذلك تماماً وغرق أهلها؛ فهذه الحوادث الثلاثة وقعت في فترات متقاربة، والحكمة من ورائها:

١- ما فيها من العبرة والتذكير.

٢- عذاب وعقوبة للمتمردين علىٰ الله بالكفر والفسوق والعصيان.

أحاديث صحيحة

- روى أبو طالب: ((بادروا بالصدقة فإن البلاء لا ينحط إليها)).
- من صحيفة علي بن موسى: ((رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر)).
- في أمالي أبي طالب: ((النظر إلى البيت الحرام عبادة، والنظر في كتاب الله عبادة، والنظر في وجه العالم الطالب بعلمه وجه الله جل ذكره عبادة، والجلوس في المسجد اعتكاف)).
- من المجموع: ((أقربكم مني غداً، وأوجبكم علي شفاعة- أصدقكم لساناً، وأداكم لأمانته، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس)).
- من الأحكام: ((اضمنوا لي ستاً أضمن لكم على الله الجنة: أوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واصدقوا إذا حدثتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وصلوا أرحامكم)).
- ومن الأحكام: ((الأمانة تجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر)).
- من الصحيفة: ((من كنوز البر إخفاء العمل والصبر على الرزايا وكتمان المصائب)).
- ومنها أيضاً: ((ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره)).
- في المجموع: عن علي عليه السلام: ((من سبح الله تعالى في كل يوم مائة مرة، وحمده مائة مرة، وكبره مائة مره، وهلله مائة مرة، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة- رفع الله عنه من البلاء سبعين نوعاً أدناها القتل، وكتب له من الحسنات عدد ما سبح سبعين ضعفاً، ومحا عنه من السيئات سبعين ضعفاً)).

لمحاسبة النفس

الجوارح والحواس الظاهرة والباطنة نعم عظيمة تفضل الله تعالى بها على الإنسان وأنعم بها عليه، وكل نعمة من تلك النعم لا تقدر لعظمها بثمن، فلو

أعطي الإنسان خراج الدنيا ثمناً لِسَلْبِ العقل لما رضي بذلك ثمناً لعقله أو ثمناً لبصره أو ثمناً للسانه أو ليديه أو رجليه أو..إلخ، فليورد العاقل على نفسه هذه التساؤلات لِيُطَمْئِنَ من طيشها، ويقلل من غفلتها.

-هل ترضى بسلب عقلك وأن لك مثل عائدات بترول العرب؟

-كم من السنين وأنت تتقلب في تلك النعم العظيمة التي هي نعم الحواس والجوارح؟

-من الذي أعطاك تلك النعم؟

-من هو الذي يحفظ بقاء تلك النعم في بدنك؟

-وهل تخاف من زوالها؟

-ولو كان بقاؤها فيك يحتاج إلى دفع ضريبة مالية هل كنت تدفعها كما تدفع ضريبة الماء والكهرباء؟ أم لا؟

-وهل تعلم أن معطي تلك النعم وواهبها لك قد طلب منك مقابل كل نعمة منها ضريبة؟

-فإن كنت تعلم أنه قد طلب ذلك؛ فهل أديت إليه ما طلب، وشكرته على ما وهب، أم لا؟

-وإن كنت لا تعلم أنه قد طلب؛ فهل سألت العارفين عن ذلك؟

[أثر: من كانت الآخرة همه]

((من كانت الآخرة همه كفاه الله همه من الدنيا، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس)).

[أثر: في الإنفاق]

عن الصادق: (أنفق وأيقن بالخلف، واعلم أنه من لم ينفق في طاعة الله ابتلي بأن ينفق في معصية الله عز وجل، ومن لم يمش في حاجة ولي الله عز وجل ابتلي بأن يمشي في حاجة عدو الله عز وجل).

[من كلام أمير المؤمنين عليه السلام]

عن أمير المؤمنين: (جُمِع الخير في ثلاث خصال: النظر والسكوت والكلام؛ فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة، فطوبى لمن كان نظره عبراً، وسكوته فكراً، وكلامه ذكراً، وبكى على خطيئته، وأمن الناس شره). انتهى.

روي عن علي عليه السلام:

(ما من آية قرآنية إلا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع؛ فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد به فقهاً عن الله عز وجل). انتهى من كتاب جعفر الصادق.

قلت: المعنى أن الآية القرآنية لها أربعة وجوه:

١- التلاوة المجردة عن تفهم المعنى وفهمه، وهي عبادة تعبد الله بها عباده.

٢- فهم المعنى المقصود على الجملة، وهذا فضيلة زائدة يثاب عليها المكلف.

٣- استنباط الأحكام الشرعية، وهذا لا يدركه إلا أهل الرسوخ في العلم.

وهذا قد تضمن الوجهين الأخيرين.

[حكم من كتاب الاعتبار]

حكي أن في التوراة:

- إن الغنى في القناعة.
- وإن السلامة في العزلة.
- وإن الحرية في رفض الشهوات.
- وإن المحبة في ترك الرغبة. انتهى من الاعتبار.

الورع

الورع على أربع مراتب:

١- مجانبة ما يوجب الفسق من فعل أو ترك، وهذا ورع المسلمين.

٢- الخروج من كل شبهة، وهذا ورع المؤمنين.

٣- ترك ما لا بأس به حذراً مما به البأس، وهذا ورع الصالحين.

٤- ترك المباحات، وهذا ورع الصديقين.

محاسبة النفس

١- أعلاها أن يحاسب نفسه على كل شيء أراد أن يفعله.

٢- أدناها أن يحاسب نفسه كل يوم مرة.

من تحف العقول

من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((علامة رضا الله عن خلقه رخص أسعارهم، وعدل سلطانهم، وعلامة غضب الله على خلقه جور سلطانهم وغلاء أسعارهم)).

الجمال في اللسان.

من كلام زين العابدين: كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن الستر عليه، وكم من مستدرج بالإحسان إليه.

من كلام الصادق:

- الاستقصاء فرقة، الانتقاد عداوة، قلة الصبر فضيحة، إفشاء السر سقوط، السخاء فطنة.
- إذا أضيف البلاء إلى البلاء كان من البلاء عافية.
- لم يظفر بخير من ظفر بالظلم.
- الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم المحتسب، والمعافى الشاكر له مثل أجر المبتلى الصابر.
- كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار جهلاً.
- مجاملة الناس ثلث العقل.
- من أنعم الله عليه نعمة فعرفها بقلبه، وعلم أن المنعم عليه الله- فقد أدى شكرها وإن لم يحرك لسانه، ومن علم أن المعاتب على الذنوب

الله فقد استغفر وإن لم يحرك به لسانه، وقرأ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ...﴾ الآية [البقرة:٢٨٤].

- المعروف زكاة النعم، والشفاعة زكاة الحياة، والعلل زكاة الأبدان، والعفو زكاة الظفر، وما أديت زكاته فهو مأمون السلب.

[الترويح عن القلوب]

- حديث: ((روحوا القلوب ساعة بعد ساعة؛ فإن القلوب إذا كلّت عميت)).
- عن علي عليه السلام: (أجموا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان).

[من كلام الحكماء]

في كتاب «كشف الريبة في أحكام الغيبة»: روي أن رجلاً تبع حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما قدم عليه قال: إني جئتك للذي آتاك تعالى من العلم، أخبرني عن السماء وما أثقل منها؟ وعن الأرض وما أوسع منها؟ وعن الحجارة وما أقسى منها؟ وعن النار وما أحر منها؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه؟ وعن البحر وما أغنى منه؟ وعن اليتيم وما أذل منه؟

فقال الحكيم:

البهتان على البريء أثقل من السماوات.

والحق أوسع من الأرضين.

والقلب القانع أغنى من البحر.

والحرص والحسد أحر من النار.

والحاجة إلى القريب إذا لم ينجح أبرد من الزمهرير.

وقلب الكافر أقسى من الحجارة.

والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم.

وفي الكتاب المذكور: روي عن علي عليه السلام أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل، فقال عليه السلام: (يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك) قال الرجل: أقلني يا أمير المؤمنين. انتهى.

[حكم وفوائد متفرقة]

من العقد الفريد:

قال إفلاطون: عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم، وظاهرة في حسن اختيارهم.

يقال: لا تستشر معلماً ولا حائكاً، ولا راعي غنم، ولا كثير القعود مع النساء.

- علي عليه السلام: (رأي الشيخ أحسن من مشهد الغلام).
- اختصم رجل وامرأته عند الشعبي وهي من أجمل النساء فقال الزوج:

فتن الشعبي لَمَّا ... رفع الطرف إليها

فتنته بدلالٍ ... وبخَطَّي حاجبيها

قال للجلواز قرِّبـ ... ـها وأحضر شاهديها

فقضى جوراً على الخصـ ... ـم ولم يقضِ عليها

- الأحنف بن قيس: إن رأيت الشر يتركك إن تركته- فاتركه.
- وقال آخرون: علم الملوك النسب والخبر، وعلم أصحاب الحروب درس كتب الأيام والسير، وعلم التجار الكتاب والحساب. انتهى.

قلت: وعلم المساحة (الهندسة) والحساب يحتاجه القسَّام الذي يمسح الأراضي ثم يقسمها، وعلم الفرائض والحساب يحتاجه قسَّام التركات، وعلم المعاملات يحتاجه الحاكم الذي يفصل الخصومات، وعلم المعاملات هو شطر من علم الفقه، وعلم الفقه يحتاجه المفتي.

فائدة: إذا قيل: علماء الأمصار فهم: سفيان وابن أبي ليلى في الكوفة، والشافعي وابن جريج بمكة، ومالك وابن الماجشون المالكي وعثمان البتي وأبو سوار في البصرة، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعيد بمصر. تمت من الحواشي.

- المراد إذا قيل ذلك في كتب الفقه عند الزيدية.

من العقد الفريد:

- أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل، والخامس نشره.
- كان عطاء بن أبي رباح أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي، وأمه سوداء تسمى بركة.
- وكان الأحنف بن قيس أعور أعرج.
- ومنه: فمن حَضُوْر شعيب بن ذي مهزم النبي الذي قتله قومه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم فلم يبق منهم أحد ويقال فيهم نزلت: ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ**⑫...﴾ إلى آخر الآيات [الأنبياء]، فيقال: إن قبر شعيب هذا النبي عليه السلام في جبل باليمن في حضور يقال له ضين ليس باليمن جبل فيه ملح غيره، وفيه فاكهة الشام، ولا تمر به هامة من الهام. انتهى.

[حكم مأثورة]

من الحكم المأثورة: «تعلموا قبل أن تسودوا». اهـ وذلك أن الرجل إذا ساد اشتغل بحوائج الناس، والنظر في أمورهم، وإصلاح شأنهم، وحل مشاكلهم.

حكمة: إذا رأيت إنساناً قد أخطأ فلا تعلمه فإنه يتعلم منك ويغضب عليك.

[من أقوال الإمام الشافعي]

قال الإمام الشافعي: ما أفلح سمين إلا أن يكون محمد بن الحسن.

قيل: ولم؟ قال: لأن العاقل لا يخلو من إحدى خلتين: إما أن يغتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين

صار في حد البهائم فيعقد الشحم.

وقال: أيما أهل بيت لم يخرج نساؤهم إلىٰ رجال غيرهم ورجالهم إلىٰ نساء غيرهم إلا وكان في أولادهم حمق. اهـ يريد بذلك أنه ينبغي للرجل أن يتزوج من النساء البعيدات، وأن تزوج النساء من الرجال الأباعد.

وقال: أرفع الناس قدراً من لا يرىٰ قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرىٰ فضله.

وقال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه؛ لأنه إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه. اهـ

وقال: أركان المروءة أربعة: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك. اهـ

[باب من الحكمة: في تقسيم النفوس]

باب من الحكمة: النفوس ثلاث:

١- نفس غضبية، وطبيعتها منافسة الأكفاء، ومغالبة الأقران، ومكاثرة العشيرة.

٢- نفس ملكية، وهمتها اليقين في العلوم، وإدراك الحقائق، والنظر في العواقب.

٣- نفس بهيمية، وميولها إلىٰ الراحة والانهماك علىٰ الشهوة من الطعام والشراب والنكاح.

وإليك أمثلة علىٰ هذه الطبائع الثلاث:

قيل لضرار بن عمرو: ما السرور؟ قال: إقامة الحجة، وإدحاض الشبهة.

وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: إحياء السنة، وإماتة البدعة.

ووجه السؤال نفسه إلىٰ الحصين بن المنذر فقيل له: ما السرور؟ فقال: لواء منشور، والجلوس علىٰ السرير، والسلام عليك: «أيها الأمير».

وقيل لأبي مسلم صاحب الدعوة: ما السرور؟ فقال: ركوب الهماجة (الدواب الحسنة السير)، وقتل الجبابرة.

ثم وجه السؤال نفسه إلىٰ امرئ القيس فقيل له: ما السرور؟ فقال: بيضاء رعبوبة، بالطيب مشبوبة، باللحم مكروبة. وكان مفتوناً بالنساء.

وقيل لأعشى بكر: ما السرور؟ فقال: صهباء صالحية، تمزجها ساقية من صوب غادية. وكان مغرماً بالشراب.

وقيل لطَرَفَة: ما السرور؟ فقال: مطعم هني، ومشرب روي، وملبس دفي، ومركب وطي.

وقيل ليزيد بن مزيد: ما السرور؟ فقال: قبلة على غفلة.

وقيل لأبي نواس: ما السرور؟ فقال: مجالسة الفتيان في بيوت القيان، ومنادمة الإخوان.

وقيل لآخر: ما أطيب العيش: قال: هتك الحياء، واتباع الهوى.

وقيل لأعرابي: ما السرور: فقال: لبس البالي في الصيف، والجديد في الشتاء.

وقيل لآخر: ما النعيم؟ فقال: الماء الحار في الشتاء، والبارد في الصيف.

[فضل الحكمة]

حديث شريف: ((ما أهدى المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من كلمة حكمة يسمعها فانطوى عليها ثم علمه إياها، يزيده الله بها هدى، أو يرده عن ردى، وإنها لتعدل إحياء نفس، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)). اهـ

[عظة وعبرة]

روي عن عماد الأصفهاني: ما كتب إنسان في يومه كتاباً إلا قال في غده: لو غَيْرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أجل العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

قلت: الأمر هو كما قال، وقد وجدت تصديق ذلك من نفسي، ولا يعرف حقيقة ذلك الأمر إلا الذي يشتغل في فن الكتابة والإنشاء.

[ذكر بعض النعم وأهميتها]

عن الحسن بن علي عليهما السلام: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله الذي من علينا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، والحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، ثم نقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ۝١٣ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا

﴿لَمُنْقَلِبُونَ ١٤﴾ [الزخرف]. اهـ من هامش المصابيح في التفسير.

قلت: في ذلك التنبيه على عظيم هذه النعم الثلاث التي هي:

١ـ نعمة الهداية للإسلام.

٢ـ عظيم رحمة الله بنا حيث أرسل لنا نبينا محمداً ﷺ.

٣ـ عظيم نعمة الله علينا حيث جعلنا من أمة محمد ﷺ التي هي خير أمة أخرجت للناس.

وفي ذلك التنبيه على أن هذه النعم الثلاث من أول النعم، وأولاها بالذكر لها والشكر؛ لأنها أساس نعم الدنيا والآخرة، وعليها يترتب شرف الدنيا والآخرة وسعادة الدنيا والآخرة، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

❁❁❁❁❁

مناقشة لأحاديث من كتب أهل السنة

[في مناقشة أهل المذاهب الأخرى]

- الذي يذهب إلى مذهب ينبغي أن يناقش بالحسنى والرفق، وتصريف الحجج والبراهين، ولا ينبغي أن يُجَابَهَ بالطعن عليه، وإغلاظ القول وبذيء الكلام، فإن ذلك لا يرده عن فكره، ولا يبعده عن الغي، ولا يقربه إلى الهدى إلا الرفق والإحسان والحجج والبراهين.
- وعلى الجملة فهذا الباب هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالواجب مراعاة مراتبه، ومن الله التوفيق.

في القنوت

في البخاري: «وسأل رجل أنساً عن القنوت، أبعد الركوع أو عند فراغ من القراءة؟ قال: لا بل عند الفراغ من القراءة»، وفيه أيضاً عن أنس: «قنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهراً بعد الركوع يدعو على أحياء من العرب».

وفيه عن عاصم الأحول قال: سألت أنس بن مالك عن القنوت في الصلاة، فقال: نعم، فقلت: كان قبل الركوع أو بعده؟ قال: قبله، قلت: فإن فلاناً أخبرني عنك أنك قلت بعده، قال: كذب، إنما قنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الركوع شهراً أنه كان بعث ناساً يقال لهم القراء، وهم سبعون رجلاً إلى ناس من المشركين، وبينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد قبلهم... الحديث.

قلت: في هذا دلالة على ما استقر عليه أمير المؤمنين من القنوت قبل الركوع.

[التكفير للمعاصي بالطاعات]

في حديث رواه أحمد وغيره: ((كل العمل كفارة إلا الصوم، والصوم لي وأنا أجزي به)).

ولفظ البخاري: ((لكل عمل كفارة، والصوم لي وأنا أجزي به)).

قلت: ومعنى الأول: أن كل أعمال الطاعات كفارات للمعاصي.

ومعنى رواية البخاري: أن لكل عمل من المعاصي كفارة من الطاعات.

وبعد، فمعنى الحديثين صحيح؛ فيشهد للأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤]، وقد جاء في الرواية أن الصلاة إلى الصلاة والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان والحج تكفر الذنوب، وجاء في غير ذلك، والتوبة عمل يكفر الكبائر والصغائر.

[لا يعذب الأطفال بذنوب آبائهم]

في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه... الحديث)).

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((يقول الله تعالى: ((إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحَرَّمَت عليهم ما أحللْتُ لهم، وأَمَرَتْهُم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)).

انتهى من تفسير ابن كثير.

الحديث الأول: يدل على خلاف ما يزعمه أهل السنة والجماعة، فإنهم زعموا أنه لا يولد مولود إلا وقد كتب الله عليه الهدى أو الضلال وقضى ذلك وحتمه وقدره، كما جاء ذلك في الصحيحين ((ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد)).

الحديث الثاني: كذلك فقد نص الحديث على أن الله تعالى خلق عباده حنفاء، وأن الشياطين هي السبب في ضلالهم.

رويت أحاديث كثيرة في أطفال المشركين ذكرها ابن كثير في التفسير فبعضها: ((هم مع آبائهم في النار)) وبعضها دل على أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار.

وقال ابن كثير ما لفظه: وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبوبكر البيهقي في كتاب الاعتقاد، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ. انتهى.

وبعض الأحاديث دل على أنهم خدم الجنة.

قلت: الصحيح أن أطفال المشركين الذين ماتوا قبل التكليف من أهل الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر:١٨]، فلا يعذبون بذنوب آبائهم، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رفع القلم عن ثلاثة...)).

وأما أنهم يمتحنون في العرصات فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، فقد ارتفع التكليف هناك.

[فتح أبواب السماء في رمضان]

في البخاري: ((إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين))(١).

قلت: هذا الحديث مشهور.

وقوله: ((فتحت أبواب السماء)) كناية عن قبول الطاعات وإجابة الدعاء، وزيادة الألطاف، وتضعيف الحسنات، ونشر الرحمة، و..إلى آخر ما يعطيه الله تعالى عباده المؤمنين في شهر رمضان من خير الدنيا والآخرة.

وقوله: ((وغلقت أبواب جهنم)) كناية عما يحصل في شهر رمضان من احتراز المؤمنين عن فعل المعاصي، وتنزههم عن مقاربة القبائح، مع توفرهم على العبادة، وإقبالهم على الذكر، وكل ذلك سبب لنجاتهم من النار.

وقوله: ((وسلسلت الشياطين)) كناية أيضاً، والمراد -والله أعلم- أن

---

(١) - ليست أحاديث البخاري ومسلم كلها صحيحة كما يقوله أهل السنة، وليست كلها غير صحيحة، بل فيها ما هو صحيح وفيها ما هو غير صحيح. [من المؤلف].

الشياطين لا يتمكنون من فتنة المؤمنين في شهر رمضان لاشتغالهم بالصيام والقيام والذكر.

في صيام يوم الشك

في فتح الباري: قال أحمد: حدثنا...إلى قوله: فكان ابن عمر إذا مضى من شعبان تسع وعشرون يبعث من ينظر فإن رأى فذاك، وإن لم ير -الهلال- ولم يحُل دون منظره سحاب ولا قتر أصبح مفطراً، وإن حال أصبح صائماً.

وأفاد في فتح الباري أن لأحمد في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يجب صومه على أنه من رمضان بشرط أن يحول دون الرؤية شيء من سحاب أو نحوه، واستدل بما ذكرنا عن ابن عمر.

وأفاد في فتح الباري، وقال إنه المشهور عن أحمد: أن ما وجب صومه لا يسمى يوم شك، وأنه خص يوم الشك بما إذا تقاعد الناس عن رؤية الهلال أو شهد برؤيته من لا يقبل الحاكم شهادته.

قلت: نحن نقول -مذهب الهادوية- إنه يستحب صوم الشك، ونفسر يوم الشك بيوم الثلاثين، ولا نرى استحباب صيامه إلا إذا كان هناك مانع من رؤية الهلال من سحاب أو قترة أو نحو ذلك، أما إذا لم يكن هناك أي مانع من الرؤية فلم ير الهلال فاليوم ليس يوم شك، وإنما هو مكمل الثلاثين.

وإنما لم نقل بالوجوب كما قال أحمد وغيره؛ لأن الأصل بقاء الشهر وتمامه.

نعم، ما ذهبنا إليه وإن سميناه يوم الشك فليس هو اليوم الذي روي فيه أن من صامه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم.

والذي يظهر لي أن المراد به صيام يوم الثلاثين من شعبان في حال أنه لم يكن ما يمنع من رؤية الهلال، وهذا على فرض صحة الحديث.

وأحسن ما يتوجه به لتلك الرواية: أن الهلال إذا لم يُر ليلة الثلاثين بعد التحري في رؤيته، ولم يكن ثَمّ ما يمنع منها- فاليوم تمام الشهر شرعاً، وحينئذ

فالاحتياط بصيامه احتياط في غير محله، ولا يبعد أن يكون من الغلو في الدين الذي جاءت الشرائع بذمه.

فإن احتسبه صائمه من رمضان، وبنى عدته عليه فقد اكتسب ذنباً إلى ذنب.

فإن قيل: قد جاء في الحديث المشهور: ((صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين)) أو كما قال؛ فلا وجه حينئذ لصيام يوم الشك.

قلنا: لم نقل بوجوب صيامه كما قال أحمد وغيره، وإنما قلنا باستحبابه فلم نخالف ما دل عليه هذا الحديث، وذلك أن هذا الحديث لم يرد به وجوب عد الثلاثين؛ لأنه جاء بلفظ آخر في روايات صحيحة: ((فإن غم عليكم فاقدروا له))، ومعنى ذلك أن نعمل على حساب منازل القمر.

في الصيام

في فتح الباري: وقال الأوزاعي: إذا أطاق –الصبي– صوم ثلاثة أيام تباعاً لا يضعف فيهن حمل على الصوم.

وقال ابن الماجشون من المالكية: إذا أطاق الصبيان الصيام ألزموه فإن أفطروا لغير عذر فعليهم القضاء. اهـ

قلت: وقد قال الإمام الهادي بمثل قول الأوزاعي، وحينئذ فالإمام الهادي لم ينفرد بالقول في ذلك، وقد تأول أصحابنا قول الإمام الهادي بأن ذلك على سبيل التعليم الذي سبيله الاستحباب، لا على سبيل الوجوب.

وهكذا ينبغي تفسير كلام الأوزاعي وابن الماجشون، فيكون إلزامهم بالصوم والقضاء من باب التعليم والتعويد والتمرن، لا من باب أن ذلك واجب عليهم إذ لا يخفى على عالم أن القلم مرفوع عن الصبي حتى يحتلم.

[من البخاري في صوم عاشوراء]

في البخاري في صوم عاشوراء: حديث: لما قدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المدينة وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((نحن أحق بصومه)) فأمر بصومه. اهـ

قلت: قد يؤخذ من الحديث أنه يشرع تعظيم الأيام التي حدث فيها نعمة عظيمة، مثل يوم مولد الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويوم مبعثه ونحو ذلك، وذلك أن الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أقر اليهود على تعظيمهم ليوم عاشوراء؛ لما وقع فيه من ظفر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبني إسرائيل على فرعون، بل إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صامه لذلك وأمر المسلمين بصيامه.

نعم، بعض أهل السنة يحاربون مثل ذلك ويقولون إنه بدعة ويشددون في استنكار ذلك.

[إلحاق الصيام بالحج في منع المباشرة للزوجة]

في فتح الباري: وألزم ابن حزم أهل القياس أن يلحقوا الصيام بالحج في منع المباشرة، ومقدمات النكاح. اهـ

قلت: لا يلزم ما ذكر؛ لأن من شروط صحة القياس أن لا يصادم نصاً، وهو هاهنا كذلك، فقد صح وثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقبل ويباشر وهو صائم.

وبعد، فالعلة الباعثة على تحريم مقدمات النكاح في الحج غير معلومة، ولا يصح القياس إلا بعد معرفة العلة.

[النهي عن الوصال في الصوم]

في البخاري: نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الوصال في الصوم، فقال رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: ((وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني)) فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال، فقال: ((لو تأخر لزدتكم)) كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا. اهـ

قلت: يؤخذ منه أن الصحابة فهموا أن النهي ليس على التحريم وإنما هو للكراهة، أو أنهم فهموا أن ذلك صدر على سبيل الشفقة عليهم والرحمة بهم.

وقد كان الصحابة كثيراً ما يتأبون عن امتثال ما كان كذلك، نحو خروجهم في يوم أحد عن المدينة، وقد كان رأي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في البقاء فيها.

ونحو ما روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمر الصحابة أن يرجعوا من حصار الطائف فأبوا، فأمرهم بمباكرة العدو القتال من الغد فأصابتهم جراح وشدة وأحبوا الرجوع، فأصبح راجعاً بهم؛ فأعجبهم ذلك.

وقد أرشد الله سبحانه وتعالى أصحاب نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى ترك مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ...﴾ الآية [الحجرات:٧].

نعم، معاندتهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومراجعتهم له إنما هي فيما كان سبيله الرأي والمشورة أو الرحمة والشفقة بهم أو نحو ذلك، لا فيما شرعه الله تعالى من أحكام الحلال والحرام في كتابه أو على لسان نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن ذلك: اعتراضهم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في تأميره أسامة بن زيد، ومن قبله تأميره لزيد بن حارثة.

ومن ذلك اعتراض عمر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في صلح الحديبية، واعتراضه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في صلاته على عبدالله بن أُبيّ، واعتراضه على قبول الفدية من أسارى بدر.

ومن ذلك مراجعة عبدالله بن عمرو بن العاص للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصوم.

صيام رجب

في فتح الباري: أخرج النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة عن أسامة بن زيد، قال: قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: ((ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين؛ فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)). اهـ

قلت: يؤخذ من ذلك مشروعية صيام شهر رجب وفضله، وأن المسلمين من الصحابة كان لهم عناية بالصيام والعبادة في شهر رجب.

[من البخاري في أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمر بضرب من شرب الخمر، وكان ممن شهد بدراً]

في البخاري: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمر بضرب نعيمان وكان شارباً.

وفي الفتح: أن نعيمان ممن شهد بدراً، وكان مزَّاحاً.

[اعتكاف النبي للعشر الأواخر من رمضان]

في البخاري: عن عائشة: كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباءً فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباءً فأذنت لها فضربت خباءً فلما رأته زينب بنت جحش ضربت خباءً آخر فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبية فقال: ((ما هذا؟)) فأُخبِر، فقال: ((آلبِرَّ، تُرون بهن؟!!))...الحديث.

قال في فتح الباري: ووقع في رواية الأوزاعي: ((آلبر أردن بهذا؟)).

وفي رواية ابن عيينة: ((آلبر تقولون يردن بهذا؟)).

وفي رواية ابن فضيل: ((ما حملهن على هذا؟ آلبر، انزعوها فلا أراها)).

قلت: في ذلك ما يدل أن الصحابة بما فيهم أزواج النبي ﷺ قد تتغلب عليهم الطبيعة فتخرجهم عن سنن الصواب، شأن غيرهم من الناس، فمن جاوز بهم هذه الطبيعة فقد غلا وتجاوز الصواب.

نعم، قولنا هذا ليس بذم للصحابة، ولا لأزواج النبي ﷺ، فقد طبع الله تعالى البشر على طبيعة لا يزال الإنسان في صراع معها وجهاد مستمر، فتارة يتغلب عليها وتارة تتغلب عليه ((وكل بني آدم خطاؤون، وخير الخطائين التوابون))، وقد قص الله تعالى عن آدم عليه السلام وخطيئته، والصحابة ليسوا جنساً آخر أرقى من جنس البشر، وليسوا في العصمة فوق الأنبياء.

[إنفاق المرأة من بيت زوجها]

في البخاري حديث: ((إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً)).

وفيه أيضاً حديث: ((إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها عن غير أمره فلها نصف أجره)).

قلت: قد قالوا في تفسير ذلك أقاويل كما في فتح الباري.

والذي أراه في تفسير ذلك: أن للزوجة أن تتصدق من مال زوجها بما جرى العرف بالتصدق به من مثلها، وإن لم يجر من الزوج إذن لها بذلك؛ لأن جري العرف بذلك يتنزل منزلة الإذن.

ومن الأمثلة التي جرى بها العرف في بلادنا: الصدقة برغيف خبز أو بشيء من اللبن، أو بعنقود من العنب، أو ما يساويه من الفواكه أو نحو ذلك، ولا ينبغي لها ولا يجوز أن تتجاوز ما جرى به العرف.

وهذا أولى ما يفسر به الحديث عندي، والله أعلم.

بيع الشيء قبل قبضه

أفاد في فتح الباري بما يلي:

- اتفقوا على منع بيع الطعام قبل قبضه.
- واختلفوا فيما عدا الطعام على مذاهب:

١ - أحدها: لا يجوز بيع شيء قبل قبضه مطلقاً. وهو قول الشافعي ومحمد بن الحسن.

٢ - ثانيها: يجوز مطلقاً إلا الدور والأرض. وهو قول أبي حنيفة وأبي يوسف.

٣ - ثالثها: يجوز مطلقاً إلا المكيل والموزون. وهو قول الأوزاعي وأحمد وإسحاق.

٤ - رابعها: يجوز مطلقاً إلا المأكول والمشروب. وهو قول مالك وأبي ثور.

[كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه]

في البخاري حديث: ((كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه)).

قلت: ظهر لي وجه في تفسير هذا الحديث زائد على ما ذكره في فتح الباري في تفسير ذلك، وذلك: أن الله تعالى ذم المسرفين في النفقة والمقترين فيها، وأثنى على المتوسطين بين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧﴾ [الفرقان]، ولا يتم كما ينبغي تجنب الإسراف والتقتير إلا بالكيل؛ فإذا لم يكل الطعام فقد يكثر أو يقل، وبالكيل لا يزيد ولا ينقص.

والمراد ببركة الطعام مع الكيل أنه سيسلم من الإسراف الذي هو تضييع له في غير حاجة، وهذه بركة حسية معلومة.

وبامتثال تعاليم الله تعالى سيحصل بركة أخرى معنوية كالبركة التي تحصل بذكر الله وذكر اسمه.

[الاحتكار]

الاحتكار: إمساك الطعام عن البيع، وانتظار الغلاء مع الاستغناء عنه، وحاجة الناس إليه. اهـ من فتح الباري.

الشرط في البيع

- حديث: ((من باع نخلاً قد أبرت فثمرها للبائع إلا أن يشترط المبتاع)).
- وباع جابر جملاً من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واشترط ظهره إلى المدينة.
- نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن بيع وشرط.
- ((المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً)) أو كما قال.
- وجاء النهي عن شرطين في بيع.
- وفي حديث بَرِيْرَة: ((إن أحب أهلك أن أصُبَّ لهم ثمنك صبَّةً واحدة وأعتقك- فعلت))، فيؤخذ منه: صحة البيع مع اشتراط العتق.
- وكذلك يؤخذ منه: أن بيع الأمة أو العبد واشتراط ولائه للبائع يصح البيع ويلغو الشرط.
- وجاء من حديث جابر: النهي عن بيع الثنيا إلا أن يعلم.

[بيع المدبر]

في البخاري حديث: باع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المدبر.

وفي مسلم وغيره كما في فتح الباري: أعتق رجل من بني عذرة عبداً له عن دبر، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: ((ألك مال غيره)) فقال: لا..إلخ.

وفيه: فدفعها إليه ثم قال: ((ابدأ بنفسك فتصدق عليها)).

وفي رواية: ((إذا كان أحدكم فقيراً فليبدأ بنفسه فإن كان فضل فعلى عياله)) اهـ من فتح الباري.

قلت: يؤخذ من ذلك أن صدقة الفقير المحتاج مردودة.

والمراد بالفقير المحتاج الذي لا يملك إلا ما يحتاجه لنفسه أو يحتاجه لنفسه وعياله.

وقد يؤخذ من الحديث: رد صدقة من يتصدق بجميع ماله ولو كان كثيراً.

[مخاصمة الزبير وأنصاري ممن شهد بدراً]

في البخاري في ذكر قصة مخاصمة الزبير والأنصاري: أن رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً...إلى قوله: فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك؛ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...إلخ، وفي آخر الحديث: فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥].

قلت: في هذا ما يدل على أنه لا يمتنع من أهل بدر صدور النفاق وكبائر العصيان.

وفي هذا الحديث أيضاً ما يفت من عضد صحة حديث: ((لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم...)).

[مخالفة حديث: (لا تخيروني على موسى..) للقرآن]

- رقم الحديث ٢٤١٢/ في البخاري حديث: ((لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة...)) الحديث.
- ٢٤١٣/ وفيه: ((لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون....)) الحديث.

قلت: ذلك مخالف لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ الآية [البقرة:٢٥٣]، ولا كان ينبغي تصدير مثل ذلك والاشتغال به إلا على سبيل التحذير منه والتنبيه عليه، وقد رد المحدثون الحديث الذي خالف رواية سائر الحفاظ، فمن الأولى والأجدر بهم أن يردوا الحديث الذي يخالف رواية القرآن الكريم.

[حديث القنطرة مع الآيات القرآنية]

في البخاري حديث: ((إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة؛ فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا)). اهـ

هذا الحديث مشبوه لا يجوز الركون إليه لوجوه:

الأول: أن الله تعالى نعى على اليهود حين قالوا مثل هذه المقالة، وقص الله تعالى في كتابه علينا ذلك لئلا نقول بمثل مقالتهم فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ۝٨٠ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۝٨١﴾ [البقرة].

الثاني: أن القرآن قد حكم على أن أهل النار مخلدون فيها، وأهل الجنة مخلدون فيها، ولم يذكر الخروج من النار.

الثالث: أن الله تعالى بعد أن ذكر المواريث وحدودها في سورة النساء التي هي مدنية مخاطباً للمؤمنين بتلك الآيات التي أولها: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ..﴾ [النساء:١١]..إلى أن قال تعالى في آخر الآيات: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝١٣ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ۝١٤﴾ [النساء].

الرابع: أن الله تعالى يقول عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ..﴾ الآية [التحريم:٨]، ومن يدخله الله النار فقد أخزاه.

الخامس: قد ورد الوعيد بالخلود في النار لقاتل المؤمن عمداً في سورة النساء، وللقاتل والزاني في سورة الفرقان، وللعائد في الربا في سورة البقرة.

فإن قيل: الخروج من النار من خصائص هذه الأمة، كرامة من الله وفضل أعطاه إياهم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٥٤].

قلنا: كرامة الله تعالى وفضله على من يشاء من عباده ليست حصانة تمنع العقاب وسوء الحساب، فقد أكرم الله تعالى بني إسرائيل وفضلهم على العالمين، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وقد قص الله تعالى في كتابه الكريم كثيراً من ذلك، فلم يمنعهم ذلك من العقاب والخلود في النار، بل إن عقاب الله تعالى لأهل كرامته وفضله إذا عصوه أعظم وأشد من عقابه لمن سواهم؛ بدليل ما ذكر تعالى في سورة المائدة عمن أكرمه وفضله في قوله: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة]، وما جاء في سورة الأحزاب عن أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أنه تعالى سوف يؤتي القانتة أجرها مرتين، وأنه تعالى سيضاعف للعاصية العذاب ضعفين.

وبعد، فإنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه هوادة، فأحكامه في الأولين والآخرين مستوية، ناشئة عن رحمة عامة، وحكمة بالغة، وعلم واسع، وقد قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴿١٤٧﴾﴾ [النساء]، فالله سبحانه وتعالى يريد لجميع عباده الخير، ولا يريد لهم الشر بدليل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

[حديث: ...لأحببت أن أموت وأنا مملوك]

في البخاري حديث أبي هريرة: للعبد المملوك أجران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك. اهـ

قلت: ظاهر ذلك أنه من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا ينبغي نسبة ذلك إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وذلك أن في الرق والعبودية مذلة وامتهان وسخرية، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يتمنى ذلك ولا يحبه، وكذلك سائر العقلاء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، والطبيعة البشرية السليمة ميالة إلى العز والشرف والكرامة، كثيرة النفور عن المذلة والدناءة والخسة.

نعم، قد قيل: إن آخر الحديث من كلام أبي هريرة، وليس هو من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما كان ينبغي أن يقول ذلك؛ لأن العاقل لا يتمنى ولا يحب زوال ما هو فيه من النعمة، ولأن الرق والعبودية عقاب وجزاء حكم الله به على الكافرين.

[حديث: فإن الله خلق آدم على صورته]

في فتح الباري شرح البخاري: وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد وأحمد عن أبي هريرة مرفوعاً: ((لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته)).

وفي مسلم: ((فإن الله خلق آدم على صورته)).

وفي البخاري في باب الاستئذان: ((خلق الله آدم على صورته)).

وذكر في فتح الباري مصادر كثيرة لهذه الرواية عن ابن عمر وأبي هريرة.

قلت: ينبغي تأويل هذه الرواية إن أمكن، وإلا وجب ردها وطرحها، وذلك:

١ – لما ثبت بالاتفاق من وجوب نفي التشبيه عن الله تعالى.

٢ – ولقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].

٣ – وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل:١٧].

٤ – وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

٥ – وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

[قصة مناشدة نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له العدل في عائشة]

في البخاري عن عائشة: كان الناس يتحرون بهداياهم يومي، وقالت أم سلمة: إن صواحبي اجتمعن فذكرت له فأعرض عنها.

ثم روى البخاري الحديث بصورة مفصلة عن عائشة، وفيه: أن نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أرسلن إليه أم سلمة مرتين، فلم يقل لها شيئاً، ثم أرسلن فاطمة فقالت: إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر؛ فقال لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((لا تؤذيني في عائشة))، ثم أرسلن زينب بنت جحش فقالت: إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي قحافة ..إلخ.

قلت: من البعيد أن يصدر مثل ذلك عن أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأمور:

١- أنه لم يصدر من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أي فعل فيما شكون منه؛ لأن الهدية من الأنصار، وحينئذ فاللوم -إن كان لومٌ- هو على الأنصار، ولا شك أنه لا لوم عليهم في أن يضعوا هداياهم حيث أحبوا، ولا يجب عليهم العدل في ذلك.

٢- لا يمكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يفعل ما طُلِب منه؛ لأنه لا يليق بذوي الشرف والرفعة ولا سيما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسأل الأنصار أن يهدوا لجميع زوجاته، ولا أن يقول لمن يهدي إلى بيت عائشة: إذا أهديت مرة أخرى فاهد إلى بيت فلانة؛ لأن ذلك سؤال فيه منقصة، وقد نهى عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يليق رد الهدية؛ لما في ردها من إيلام المهدي.

٣- لا ينبغي إلحاق التهمة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحيف والميل وترك العدل، ولا يخفى مثل ذلك على أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لذلك فإنه لا يصدر منهن سؤال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والإلحاح عليه في العدل.

٤- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((لا تؤذيني في عائشة)) جواباً على فاطمة حين سألته العدل في بنت أبي بكر وسكوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين سألته أم سلمة العدل وحين سألته زينب أيضاً- كل ذلك مما يقرر صحة التهمة وإلصاقها بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فجوابه على فاطمة هو جواب المريب، والسكوت أيضاً كذلك.

٥- **نعم**، لعل الرواية إنما سيقت لبيان فضل عائشة على أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يميل إليها ميلاً شديداً إلى حد أنه كان لا يسمع فيها قول قائل بل إن ذلك يؤذيه؛ غير أنهم حين أرادوا بمساق هذه الرواية تفضيل عائشة ألحقوا الذم والنقص برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[هبة المرأة لزوجها]

في فتح الباري: روى عبدالرزاق عن معمر عن الزهري، قال: رأيت القضاة يقيلون المرأة فيما وهبت لزوجها، ولا يقيلون الزوج فيما وهب لامرأته.

وفي البخاري عن الزهري: «يَرُدُّ إِلَيْهَا إِنْ كَانَ خَلَبَهَا، وَإِنْ كَانَتْ أَعْطَتْهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ خَدِيعَةٌ، جَازَ» قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء].

قال في الفتح: وإلى عدم الرجوع من الجانبين ذهب الجمهور. اهـ

قلت: التفصيل المروي عن الزهري هو الأقرب إلى الصواب.

[هدايا الأمراء غلول]

روي أن النبي ﷺ أخذ هدية الأمير الذي قال: هذا لكم، وهذا أهدي إلي..إلخ. وروي: ((هدايا الأمراء غلول)).

يؤخذ من ذلك:

١ - أنه يجب التصدق بما ملك من وجه محظور.

٢ - وأنه لا يلزم رد ذلك إلى معطيه، فلا يلزم بائع الخمر والزانية ونحوهما إذا تابوا وأرادوا أن يتخلصوا أن يردوا ما أخذوا في ذلك إلى معطيهم.

٣- أن ما أعطاه الراشي والزاني ومشتري الخمر ونحوهم قد خرج من ملكهم.

٤ - أن ما أعطاه هؤلاء إلى آخذه صار مالاً لا مالك له.

٥ - أن آخذه لا يصح له تملكه ولا يجوز.

٦ - أن ما كان كذلك فلا يجوز قبوله ولا قبضه.

٧- ويؤخذ من ذلك قاعدة عامة هي أنه يحرم أخذ العوض على فعل محرم أو فعل واجب.

٨- وسواء أكان أظهر الشرط أم أضمر إذ لم يفصل الدليل المتقدم.

[شهادة امرأة أنها أرضعت الزوجين]

في البخاري تحت باب شهادة المرضعة: عن عقبة بن الحارث قال: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:

((وَكَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟ دَعْهَا عَنْكَ)) أَوْ نَحْوَهُ.اهـ

وفي الفتح: وقد أخرج أبو عبيد من طريق عمر والمغيرة بن شعبة وعلي بن أبي طالب وابن عباس أنهم امتنعوا من التفرقة بين الزوجين بذلك، ولو فتح هذا الباب لم تشأ امرأة أن تفرق بين الزوجين إلا فعلت، وقد تأولوا قوله في الحديث: (دعها عنك، فنهاه عنها) على الإرشاد والتنزيه.

وقد ذهب الجمهور إلى أنه لا يكفي في ذلك شهادة المرضعة؛ لأنها شهادة على فعل نفسها. اهـ باختصار.

قلت: الذي يظهر لي هو التفصيل: فإن حصل للزوج ظن صدق التي تدعي أنها أرضعته لزمه الفراق، وحصول الظن يكون بحصول قرائن وأمارات.

وإن حصل ظن كذبها لم يلزم الفراق ولم يستحب، وحصول ذلك بالقرائن.

وإن استوى الاحتمالان استحب الفراق ولم يلزم، وإنما استحب الفراق لما فيه من الاحتياط.

وإنما قلنا ذلك لأن الظن معمول به في المسائل الظنية، فالمجتهد إذا تعارضت عليه الأمارات وترجح عنده بعضها- وجب عليه المصير إلى ما ترجح في ظنه، وكذلك يجب عليه في الأمارة الواحدة، فإن ترجح عنده صحتها بسبب قرائن وجب عليه المصير إليها، وإن ترجح عنده كذبها بسبب قرائن وجب عليه تركها، وإن استوى عنده الأمران: فإن كان الاحتياط في الترك استحب الترك، وإن كان الاحتياط في الفعل استحب الفعل.

وهذا التفصيل يقضي به العقل، وحينئذ فالمسؤول عن ذلك هو الزوج، وتكليفه بذلك فيما بينه وبين ربه العليم بذات الصدور.

أما بالنسبة إلى كيفية الحكم؛ فلا يجوز الحكم بالفراق؛ لأن الحكم لا يكون بذلك إلا إذا أقر الزوج بالرضاع أو قامت بينة عادلة بحصوله.

فإن قيل: كيف ساغ لكم مخالفة الحديث وهو حديث صحيح رواه الهادي عليه السلام وغيره؟

قلنا: الحديث صحيح، غير أنا رأينا أن من اللازم حمل الأمر فيه على الإرشاد والاستحباب دون الوجوب، وذلك لما ثبت وصح بما لا مجال للشك فيه أن الدعاوى لا تُقبل إلا بالبينات والبراهين ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل]، وفي السنة: ((على المدعي البينة، وعلى المنكر اليمين)).

ومع هذا فالأجدر بالمؤمن هو الاحتياط لدينه، والاحتياط هو ما جاء في الحديث، ومثل هذا الحديث: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))، ((المؤمنون وقّافون عند الشبهات)).

في الصلح

الصلح أقسام: صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح بين الفئة الباغية والعادلة، والصلح بين المتغاضبين، والصلح في الجراح كالعفو على مال، والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المزاحمة في الأملاك أو في المشتركات كالشوارع، وهذا الأخير هو الذي يتكلم فيه أهل الفقه.

[حديث: من أحدث من أمرنا ما ليس فيه فهو رد]

في البخاري وغيره حديث: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)).

وروي: ((من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد))، وهو حديث مشهور عند المحدثين.

وروى أئمتنا عليهم السلام حديث: ((لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة)).

فقوله: ((ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة)) معناه: نفس معنى حديث البخاري.

قالوا: إن هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده.

وقالوا: هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع.

[من صلح الحديبية]

في البخاري وغيره في كتابة صلح الحديبية: ثم قال ﷺ لعلي: ((امح: رسول الله)) قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً؛ فمحاه رسول الله ﷺ بيده...إلخ.

قلت: يؤخذ من ذلك أن صيغة الأمر قد ترد على لسان الشارع لغير الوجوب كما في هذا الحديث المشهور، وفي ذلك رد على الظاهرية ومن حذا حذوهم؛ فإنهم يحملون ما ورد على لسان الشارع من صيغ الأوامر على الوجوب على الإطلاق ولا يلتفتون إلى القرائن الصارفة عن الوجوب.

فإن قالوا: الصيغة الواردة في هذا الحديث للوجوب، وليس في ذلك دليل على ما ذكرتم.

قلنا: لم يدع أحد من الأمة أن علياً عصى رسول الله ﷺ في هذا المقام مع شدة الحرص على ذكر مساوئه، ولو كان ذلك معصية لشهروه بها، ولملأوا بها مسامع الدنيا.

[إنكار عائشة للوصية من النبي ﷺ]

في البخاري: ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً فقالت: متى أوصى إليه؟ وقد كنت مسندته إلى صدري –أو قالت: حجري– فدعا بالطست، فلقد انخنث في حجري فما شعرت أنه قد مات؛ فمتى أوصى إليه؟

قلت: هذه الرواية عن عائشة مردودة لأمور:

١- أن العادة ولا سيما في عظماء الرجال أن القرابة من الرجال هم الذين يحضرون موتهم ويمرضونهم، ويباشرونهم حال الاحتضار، ولا يسمح للنساء بذلك؛ لما جبلن عليه من رقة القلوب والعي والضعف.

٢- أن عائشة كانت تعادي علياً فلا يقبل قولها فيه.

٣- أنه قد تواتر واشتهر حديث الثقلين، وقد أوصى فيه النبي ﷺ بكتاب الله وبعترته أهل بيته، وحث على التمسك بهما، وحديث الثقلين صحيح بإجماع

المحدثين من أهل السنة، والشيعة لا تدعي من الوصية أكثر مما تضمنه حديث الثقلين، وعلي بن أبي طالب هو رأس العترة وسيد أهل البيت.

غير أن أهل السنة والجماعة حين نفوا الوصية لعلي عليه السلام لم ينفوها إلا تمشياً مع الواقع الذي فرضه الخلفاء في الدولتين الأموية والعباسية ومن قبلهم، فتعصبوا لذلك الأمر الواقع المفروض، ولم يلتفتوا إلى غيره، ولم يعولوا على سواه، وعلى ذلك بني مذهب أهل السنة والجماعة.

والدليل على ما ذكرنا أمور:

١- أنهم في أصول حديثهم يعدِّلون النواصب الذين كانوا يبغضون أهل البيت ويلعنون علياً عليه السلام، ويجرحون شيعة أهل البيت ومحبيهم، وينسبون إليهم شتى التهم. ذكر معنى ذلك ابن حجر في مقدمة فتح الباري شرح البخاري.

٢- أنهم لا يلتفتون إلى النصوص الصحيحة التي تخالف مذهبهم التقليدي الموروث عن بني أمية، ومن أمثلة ذلك حديث: ((لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق))، فقد رووا هذا الحديث وصححوه وهو في مسلم، غير أنهم خالفوا ذلك النص ففسَّقوا محب علي عليه السلام، وعدَّلوا مبغضه.

٣- حكموا لجميع الصحابة بالعدالة والإيمان والثقة و..إلخ، والنصوص التي صححوها ورواها البخاري ومسلم وسائر المحدثين تكذبهم وترد عليهم فلم يلتفتوا إليها؛ من ذلك: ((فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى)) أو كما قال.

[حديث يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً]

في البخاري حديث: ((....يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)). اهـ

قلت: يؤخذ من هذا الحديث أن الصحبة أو القرابة غير مانعة من عذاب الله وعقابه، فمرتكب الكبيرة محكوم عليه بالعذاب الأليم إن لم يتب، ولا يعني هذا أن نلغي فضل الصحبة والقرابة، فالصحبة والقرابة فضيلتان عظيمتان، غير أنهما لا يمنعان من عذاب الله.

وحينئذ فيتمثل فضلهما في:

١- الشرف والرفعة في الدنيا.

٢- الشرف والرفعة في الآخرة.

٣- مضاعفة الثواب بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد:١٠]، وقوله تعالى في أزواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين جمعوا بين الصحابة والقرابة، أي: قرابة الصهر: ﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب:٣١]، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة].

[الإمام يتجر في رعيته]

في المجموع وأمالي أحمد بن عيسى حديث: ((إني لعنت الإمام يتجر في رعيته...)) إلخ.

قلت: في البخاري من حديث: ((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد...)).

[ليلني منكم أولو الأحلام والنهى]

في سنن الترمذي حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهيشات الأسواق)).

وفيها: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يعجبه أن يليه المهاجرون والأنصار ليحفظوا عنه. اهـ

[إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة]

في الترمذي حديث: ((إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء)) فقيل: وما هن يا رسول الله؟

قال: ((إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرِم الرجل مخافة شره، وشُربت الخمور، ولُبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً)) اهـ.

قلت: كل ذلك قد وقع إلا لعن آخر هذه الأمة أولها فلم يظهر بشكل عام.

وارتفاع الأصوات في المساجد هو باستعمال مكبر الصوت.

[كلام للنسائي ينتقد فضائل معاوية]

في ترجمة النسائي المكتوبة في صدر سننه ما لفظه: خرج الإمام النسائي من مصر سنة ٣٠٢هـ إلى دمشق فسأله أصحاب معاوية من أهل الشام تفضيله على علي كرم الله وجهه، فقال: ألا يرضى معاوية رأساً برأس حتى يفضل علياً!!

وسألوه أيضاً عما يرويه لمعاوية من فضائل؛ فقال: ما أعرف له فضيلة إلا ((لا أشبع الله بطنه))!! فما زال به أهل الشام يضربونه في خصيتيه بأرجلهم حتى أخرجوه من المسجد، ثم حمل إلى الرملة فمات بها. اهـ

قلت: الغالب على أئمة الحديث التشيع الغالي في معاوية، والمبالغة في فضله وتفضيله، ويظهر من كلام النسائي في معاوية أنه غير موافق لهم في معاوية.

[الجيش الذي يغزو الكعبة]

في البخاري: ((يغزو جيش الكعبة فيخسف بهم)).

وفيه: ((كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً)).

وفيه: ((يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة)). اهـ

قلت: في ظني أن هذه الروايات الثانية والثالثة غير صحيحة عن النبي ﷺ، وذلك:

١- لأن الله تعالى منع الكعبة من أصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فجعلهم كعصف مأكول، وحينئذ ففي الروايات المذكورة شيء من التنافي مع القرآن.

٢- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

أما الحديث الأول فلا بُعد في صحته.

[حديث من اقتطع شبراً]

في مسلم حديث: ((من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين))، وفي رواية: ((طُوِّقه في سبع أرضين يوم القيامة)).

قلت: كأن المعنى والله أعلم مثل المعنى في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ....﴾ [الإسراء:١٣]، والمعنى أن السيئة التي يعملها المكلف تلزم صاحبها وتلتصق به ولا تنفك عنه، وتكون فيه كالطوق على العنق.

فمن اغتصب شبراً من الأرض التصقت به جريمة هذا الاغتصاب ولزمته وصارت فيه كالطوق على العنق، لا تنفك عنه لا في الدنيا ولا يوم الحساب حتى يلقى جزاء ذلك في جهنم.

فإن قيل: ما معنى: «من سبع أرضين، أو: في سبع أرضين»؟

قلت: المعنى -والله أعلم- أن الذي يغتصب شبراً من الأرض اغتصب ما تحت الشبر من الأرض من تخوم الأرض وهي كما يقال سبع أرضين، بعضها فوق بعض، فهو مغتصب لكل ذلك، فيلحقه جزاء اغتصاب الشبر من كل أرض وهي سبع.

[مناقشة حديث البخاري في مس الشيطان للمولود]

في البخاري حديث أبي هريرة: ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها... الخ.

قلت: الشيطان مسلط على إغواء بني آدم وصدهم عن الدين وإيقاعهم في المآثم والجرائم، والأطفال ليسوا من أهل الغواية، ولا سلطان له على إيلام الصغار ولا الكبار بالضرب والوخز ونحو ذلك.

وبعد، فلا مزية لمريم وابنها عَلَيْهِمَا السَّلَامُ على غيرهما من الصالحين، وقد قال تعالى في يحيى بن زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم]؛ فإن الآية تفيد أن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ محوط بالسلام والسلامة يوم ولادته، وذلك يقتضي انه محفوظ من الشيطان الرجيم.

وبعد، فلا تأثير لمس الشيطان للمولود ساعة ولادته في الغواية وإلا لكان جميع بني آدم غاوين الأنبياء وغيرهم.

[مناقشة حديث: إن يؤخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة]

في مسلم عن أنس قال: مر غلام للمغيرة بن شعبة -وكان من أقراني- فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إن يؤخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة))، وقد أورده مسلم بعدة طرق عن أنس.

قلت: لا ينبغي أن يكون الحديث صحيحاً، وإن رواه مسلم في الصحيح؛ لذلك:

١- فلا ينبغي الجمود على تقليد أئمة الحديث في التصحيح والتضعيف.

٢- أنهم -أي أئمة الحديث- ليسوا أهلاً للتقليد في كل ما قالوه لوضوح خطئهم في كثير مما صححوه.

٣- من هنا يتبين غلو أهل السنة والجماعة في قولهم في الصحيحين: إنهما أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، ويظهر أن قولهم هذا صادر إما عن عصبية حمقاء أو عن جهل كبير.

٤- يتبين من هنا فساد الدعاية والترويج لأئمة الحديث أنهم قد بلغوا الغاية والنهاية في التحقيق والتدقيق والبحث والتفتيش والدراسة في علوم الحديث وتمييز أنواعه ومراتبه و...إلخ، بل إن عملهم ذلك يعد -لو كانوا يفقهون- بداية تحتاج إلى مواصلة وتعقيب وتطوير وتنقيح

وتهذيب، ونظر بعد نظر إلى أن تصل الأنظار إلى النهاية والغاية التي لا يمكن الأنظار أن تتجاوزها.

غير أن علماء السنة والجماعة ورجال حديثهم جمدوا على تقليد جماعة من أهل القرن الثالث، ووقفوا حيث أوقفوهم، وبدلاً عن مواصلة البحث والنظر وضعوا حواجز تمنع من مواصلة النظر وتقطع الطريق دون ذلك، مثل:

١- لا يقبل أي جرح في أحد من رجال الصحيحين؛ لأن من كان من رجال الصحيحين فقد جاوز القنطرة، وخرج من مجال وساحة الجرح.

٢- أصح كتاب بعد كتاب الله الصحيحان.

٣- لا يحق لأحد جاء بعد عصر أئمة الحديث أن يحكم بغير ما حكموا به في الحديث، وأن على من جاء بعدهم أن يلتزم بما حكموا به في الحديث، فبذلك أغلقوا الباب في وجوه الناظرين والباحثين.

[مناقشة أحاديث في مسلم]

في مسلم: باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة، وذكر تحت ذلك حديث: ((تبلغ المساكن إهاب –أو: يهاب[1]–)) قيل لسهيل: فكم ذلك من المدينة؟ قال: كذا وكذا ميلاً. اهـ

قلت: في هذا الوقت سنة ١٤٢٨هـ قد تمددت المساكن كثيراً حتى تجاوزت ذا الحليفة بكثير، وامتلأ ما بين الجبال، وتجاوزت ذلك بكثير.

في مسلم: عن ابن عباس: قال لي معاوية: أعلمت أني قصرت من رأس رسول الله ﷺ عند المروة بمشقص؟ فقلت له: لا أعلم هذا إلا حجة عليك. اهـ

قلت: لم يقصر النبي ﷺ رأسه عند المروة؛ لأنه كان قارناً في حجة الوداع وإنما حلق رأسه حين رمى الجمرة الكبرى ونحر هديه.

---

(١) – هو موضع بالقرب من المدينة المنورة.

فإن قيل: لعل ذلك كان في واحدة من عُمَرِه الثلاث التي اعتمرها؟

قلنا: أما واحدة فهي التي قرنت بحجه صلى الله عليه وآله وسلم، والثانية صده المشركون عن الوصول إلى البيت فحل وحلق رأسه في الحديبية، وبعدها عمرة القضاء، وكان معاوية يومئذ مشركاً، والثالثة عمرة الجِعِرَّانة وكانت عند رجوعه من غزوة الطائف بعد فتح مكة، وكان معاوية في ذلك الحين من الذين تألفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمائة من الإبل لضعف إسلامه، فلم يكن محل الثقة بحيث يقف بمشقصه على أوداج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لذلك نقول: إن كلام معاوية غير صحيح وغير مقبول.

في الخوارج

في الحديث الذي جاء في الخوارج عند مسلم عن علي: (لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

ولمسلم في أخرى عن علي عليه السلام: (لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم لاتكلوا عن العمل). اهـ

قلت: قد يؤخذ من هذا الحديث أن قتال المحدثين الخارجين عن الطاعة أفضل من قتال الكفار، ويؤيد ذلك أمور:

١ - أن الصحابة في عهد أبي بكر أجمعوا على قتال مانعي الزكاة وهم مسلمون يؤذنون ويصلون، ولم يصدر منهم ما يوجب ردتهم إلا منعهم للزكاة، وذلك لا يخرجهم من الإسلام، فقاتلهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتركوا قتال المشركين.

٢ - أن الخارجين عن الطاعة يكون خطرهم أعظم وفسادهم أكبر، وقد قال تعالى فيمن كان كذلك من المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون].

٣ - أنه لا يتم كما ينبغي قتال المشركين والكافرين إلا بعد الإصلاح الداخلي، وإخماد الفساد المتغلغل في جماعة المسلمين.

٤- أن الجهاد فرضه الله تعالىٰ لإعزاز الدين وإعلاء كلمة الله، وحينئذ فالواجب جهاد من يحاول العدوان علىٰ عزة الإسلام، أو يحاول الوقوف في طريق إعلاء كلمة الله، وسواء أكان المعتدي من داخل الصف أم من خارجه، واللازم علىٰ جماعة المسلمين تقديم الأهم فالأهم، ولا شك أن العدو القريب الدار أشد خطراً من بعيد الدار.

[طواف سليمان بن داود عليه السلام علىٰ نسائه]

في مسلم من حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه أو الملك: قل إن شاء الله؛ فلم يقل ونسي؛ فأطاف بهن، فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان...)) إلخ.

وفي رواية أخرىٰ عند مسلم أيضاً: ((لأطوفن الليلة علىٰ تسعين امرأة...إلخ)).

قلت: عندي شك في صحة هذه الرواية؛ لأمور:

١ – أن طبيعة الإنسان وإن بلغ من القوة البشرية منتهاها غير قادرة علىٰ جماع تسعين امرأة أو سبعين امرأة في ليلة واحدة.

٢ – من البعيد أن يحلف نبي من أنبياء الله –وهم أهل المعرفة بالله وبسننه– أن تسعين امرأة أو سبعين سيحملن في ليلة واحدة، وتأتي كل واحدة منهن بغلام يجاهد في سبيل الله.

٣– من المستبعد أن يُذَكَّر نبي من أنبياء الله مشيئة الله فلا يلتفت إلىٰ ذلك، ولا يذكر، بل يعرض وينسىٰ، بل من المستبعد أن يحلف علىٰ أمر مجهول مستقبل مما استأثر الله تعالىٰ بعلمه لم يعرف ما يقضي الله فيه.

٤ – في الحديث: نسبة الجهل العظيم إلىٰ نبي من أنبياء الله، كيف يصدر ذلك من نبي عظيم؟ هل جهل سليمان أن نفسه وقوة بدنه بيد الله، وأن الله

قادر أن يخترم أجله، أو أن يسلبه قوته قبل وصوله إلى ما حلف عليه؟
وهل جهل سليمان سنة الله في بني آدم وبنات حواء؟ ألم يعلم أن الرجل إذا جامع المرأة قد تحمل وقد لا تحمل؟
ألم يعلم أنها إذا علقت فقد تأتي بذكر، وقد تأتي بأنثى؟ وقد يملص حملها قبل تمامه؟
ألم يعلم أن الولد قد يصلح فيجاهد؟ وقد يفسد فلا يجاهد؟
وأن الولد قد يعيش وقد تخترمه المنايا قبل إدراكه؟ وقد يكون سليماً، وقد يكون معوقاً؛ فلا يجاهد؟ و...إلخ.

[تضييع كل شيء بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى الصلاة]

في الترمذي وقال: حديث حسن، عن أبي عمران الجويني، عن أنس بن مالك، قال: ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فقلت: أين الصلاة؟ قال: أوَلم تصنعوا في صلاتكم ما قد علمتم؟ اهـ

قلت: في ذلك دلالة على أن الصلاة في عهد الصحابة تغيرت عما كانت عليه على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد صحت الرواية عن عمران بن الحصين، وأبي هريرة أنهما صليا خلف علي بالكوفة فقال أحدهما: ذكرني هذا بصلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. اهـ

والذي صنعوه فيما يظهر لي –والله أعلم– أمور:

١- ترك البسملة في الفاتحة، وفي السورة بعدها، وترك تكبير النقل.

٢- ترك الأذان بحي على خير العمل، والأذان الثالث يوم الجمعة.

٣- إفراد الإقامة.

٤- وضع الكف على الكف على الصدر في القيام.

٥- التأمين خلف الإمام، الرفع في كل خفض ورفع.

٦- إتمام الصلاة في منى في زمن عثمان.

٧- ترك القنوت في صلاة الفجر.

٨- صلاة التراويح في ليالي رمضان.

٩- التثويب في أذان الفجر.

١٠- أذان الفجر قبل طلوع الفجر.

١١- لعن علي عليه السلام في خطبة الجمعة.

١٢- وقد روي الأذان لصلاة العيد والخطبة قبل الصلاة.

دليل ما ذكرنا:

١- روى النسائي في سننه عن نعيم المجمر قال: صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال: الله أكبر، وإذا سلم قال: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ

٢- وفي النسائي أيضاً عن علقمة بن عبدالله أنه قال: ألا أصلي بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فصلى فلم يرفع يديه إلا مرة واحدة. اهـ

[لا يجوز على الله البداء]

في أنوار التمام: أخرج البخاري وأبو داوود والترمذي عن أبي هريرة قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن وجدتم فلاناً وفلاناً فحرقوهما بالنار، فلما أردنا الخروج، قال: كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما. اهـ

قلت: الأمر بالتحريق يحتمل أنه صار عن اجتهاد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنبهه الله تعالى أن ذلك لا ينبغي، فتراجع صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، ولا يصح ولا يجوز أنه قال ذلك عن أمر ربه؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالشيء ثم يتراجع عنه؛ لما فيه من صفة النقص التي لا تجوز على الله تعالى، ويسمى ما كان كذلك بالبداء.

والبداء أن يتراجع الآمر مثلا عما أمر به؛ لأنه انكشف له أن المصلحة في غيره كما في الحديث، ومثل ذلك لا يجوز على الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا تخفى عليه

خافية ولا يجوز عليه الجهل.

نعم، إذا صح الحديث فهو دليل على أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يجتهد في أمور الحرب.

في أهل اليمن

أحمد والترمذي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((رحم الله حمير أفواههم سلام، وأيديهم طعام، وهم أهل أمن وإيمان)).

روى المفسرون في تفسير: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، أشار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى أبي موسى فقال: قوم هذا.

وذكر المفسرون في تفسير سورة النصر: لما نزلت هذه السورة قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((الله أكبر جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية))، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((أجد نَفَس ربكم من قبل اليمن)).

وذكر ابن حجر في فتح الباري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض)).

وفي صحيح مسلم ((إني لبعقر الحوض أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم)).

وروى جمع من المحدثين منهم أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد: ((خيار الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان يمان وأنا يمان)).

حينما أسلمت همدان على يد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كتب علي بذلك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فخر ساجداً وقال: ((السلام على همدان، السلام على همدان -مرتين أو ثلاثاً-)).

وقال كما في الجامع الكبير: ((نعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد)).

[فائدة من البخاري تدل على أن الغسل شيء غير إمساس البشرة الماء]

في البخاري: (...ثم أخذ غرفة من ماء فرش على رجله اليمنى حتى غسلها)، يؤخذ من الحديث: أن الغسل شيء آخر غير إمساس البشرة الماء.

[مناقشة لحديث البخاري حول عمر أبي بكر]

في البخاري: «أقبل نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعْرَف، ونبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شابٌ لا يُعْرَف... إلخ».

قلنا: قد حصل الاتفاق تقريباً أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مات وعمره ثلاث وستون سنة، وكذلك مات أبو بكر وعمره ثلاث وستون سنة، وحينئذ فقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكبر في السن من أبي بكر بأكثر من سنتين؛ لذلك فلا يصح أن يكون أبو بكر يوم الهجرة شيخاً والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شاباً؛ لصغر سن أبي بكر في ذلك الوقت عن سن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أما أن أبا بكر كان يعرف والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يعرف- فمما يستبعد في العادة، وذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان محط الأنظار، وإليه يشار بالبنان قبل النبوة، ثم زاد شأنه وعلا صيته بعد النبوة، وكانت الأبصار إلى معرفته شاخصة، والدواعي إلى رؤيته متوفرة، أضف إلى تلك الشهرة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج وغيرها عاماً بعد عام، مما يزيد في معرفة شخصه، وهذا بالإضافة إلى ما ألبسه الله من الهيبة والجلالة والجمال حتى قال واصفه: لم أر قبله ولا بعده مثله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وليس هناك شيء من أسباب الشهرة لأبي بكر، فليس من مشائخ قريش، ولا من أشرافهم، ولا من ذوي العزة فيهم، وليس له فيهم شأن ولا ذكر.

فإن قيل: إن أبا بكر كان ذا تجارة كبيرة أكسبته الشهرة والمعرفة في قبائل العرب.

قلنا: لم يكن أبو بكر كذلك؛ بدليل ما رواه البخاري أن أبا بكر استأجر أو اشترى راحلتين للهجرة: راحلة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وراحلة لأبي بكر، فأخذ النبي

إحداهما من أبي بكر بالثمن، وأخذ أبو بكر الأخرى، ولو كان أبو بكر تاجراً لاحتاج إلى عدة رواحل لنقل تجارته، ولما أحتاج إلى شراء راحلتين أو استئجارهما، ولكان له عدة أفراس أو على الأقل فرس واحد؛ لأن ذوي اليسار كانوا لا يتركون اقتناءها، ولكان له أيضاً قطيع من الإبل؛ لأن الإبل كانت أحب الأموال إلى أهل تلك الفترات، وكانوا لا يفرطون في اقتنائها لما فيها من المنافع والجَمَال، بل كانت عندهم أكبر مصادر الغذاء، فكان أكثر طعامهم الحليب، فلما لم يكن شيء من ذلك عرفنا أن أبا بكر لم يكن غنياً ولا تاجراً.

وبعد، فقد وصف الله المهاجرين بالفقر في آيات من القرآن، وذلك يدل على عموم فقرهم، كقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ...﴾ [الحشر:٨].

وقد مدح الله الأنصار بإيثارهم المهاجرين، واشتهر أن الأنصار أعطوا المهاجرين نخيلهم يقومون على إصلاحها ولهم الشطر.

واشتهر أيضاً أن أبا بكر حين تولى الخلافة فرض له نفقة من بيت المال.

في الصحابة

في البخاري: بلغ عمر أن فلاناً باع خمراً فقال: قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: ((قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها)) قال أبو عبدالله البخاري: قاتلهم الله: لعنهم.

وفي مسلم وابن ماجه: أن سمرة باع خمراً فقال: قاتل الله سمرة...إلخ. من فتح الباري.

قلت: يؤخذ من ذلك أن الصحابة كغيرهم، فإذا فعل أحدهم ما يوجب اللعن فإنه يُلْعَن.

وكان سمرة بن جندب من الصحابة، وكان والياً على البصرة لزياد بن أبيه، ثم لعبيدالله بن زياد.

وقد روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لسمرة ولأبي هريرة ولرجل ثالث: ((آخركم موتاً في النار)).

[حديث أبي هريرة والجني الذي يسرق عليه الزكاة]

في البخاري حديث أبي هريرة: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة؛ فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: ((ما فعل أسيرك البارحة؟)) قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله، قال ﷺ: ((أما إنه قد كذبك وسيعود...إلخ)).

وفيه: أنه عاد مرة ثانية فخلاه أبو هريرة، ثم عاد مرة ثالثة فخلاه أبو هريرة، وفي آخره: فقال النبي ﷺ: ((أما إنه قد صدقك وهو كذوب؛ تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟)) قال: لا، قال: ((ذاك شيطان)) اهـ.

قلت: يظهر لي أن هذه القصة مصنوعة؛ لأمور:

١- أن العاقل وإن خُدِع مرة فلا يخدع مرة ثانية وثالثة، ولا سيما بعد تحذير النبي ﷺ.

٢- أن الجن والشياطين لا يأكلون طعام البشر، ولا حاجة لهم إلى سرقه وانتهابه؛ وذلك أنه ليس لهم أجسام ترابية كما في البشر وسائر الحيوانات، وإنما هم أرواح وأجسامهم لطيفة لا تُرى؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧].

٣- لو كانوا في حاجة للطعام المعروف والثمار لأمكنهم أن يأكلوا من رؤوس الأشجار ومن البراري والقفار، ولما احتاجوا إلى تكلف الدخول إلى مخزن أبي هريرة، والاعتذار عنده!! ودعوى الحاجة و..إلخ.

٤- المعروف أن ظهور الشيطان والجن للإنسان والمحادثة معهم والمجادلة

والمخاطبة من الأحاديث الخرافية، أو من أحاديث الموسوسين.

٥- من شأن طبيعة الجن التي خلقهم الله تعالى عليها أن لا يروا بالأبصار.

[تفنيد صحة ما يروى في معاوية من الفضائل]

يروي بعض محدثي أهل السنة حديثاً في فضل معاوية: (اللهم اجعله هادياً مهدياً)، وهذا المروي لا يصح؛ لأن معاوية لم يكن هادياً مهدياً، بدليل:

١- أن معاوية حارب الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وقد أجمعت السنة والشيعة أن معاوية لم يكن في محاربته تلك هادياً مهدياً بل معتدياً باغياً.

٢- وأن البخاري كتب في باب فضل معاوية أثراً عن ابن عباس هو: (إنه فقيه) أي: معاوية، ولم يدر ما يكتب سوى ذلك، ولو كان يروى في فضل معاوية حديث صحيح لكتبه في صحيحه لحرصه على ذكر فضل معاوية.

[في ذم رئاسة البخيل، وسبب نزول (هذان خصمان ..)]

قال في تفسير ابن كثير في تفسير سورة التوبة: وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لهم -أي: لبني سلمة-: ((من سيدكم يا بني سلمة؟)) قالوا: الجد بن قيس على أنا نُبَخِّلُه، فقال رسول الله ﷺ: ((وأي داءٍ أدوأ من البخل، ولكن سيدكم الفتى الجعد الأبيض بشر بن البراء بن معرور)). انتهى.

وفيه أيضاً: ثم قال البخاري: حدثنا حجاج بن المنهال... الخ، عن علي بن أبي طالب أنه قال: (أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة)، قال قيس -وهو الراوي عن علي في هذا الحديث-: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩]، قال: وهم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، وشيبة وعتبة والوليد.

[رواية البخاري لمحاجة موسى لآدم]

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((حاجّ موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم. قال آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله عليَّ

قبل أن يخلقني -أو قدره الله علي قبل أن يخلقني- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فَحج آدم موسى)). قال ابن كثير في التفسير: وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد.

ينظر في صحة هذه المحاجة وإن كانت في الصحيحين، فإن الله سبحانه وتعالى قد لام في القرآن آدم على معصيته وأخرجه بسببها من الجنة، فحين عاتب الله آدم ولامه على المعصية وعلى طاعة الشيطان لم يعتذر بالقدر بل قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]، والمشهور بين علماء المسلمين أن مَنْ ليم على فعل المعاصي ثم احتج بالقدر واعتذر به أن حجته داحضة واعتذاره مردود، وأن ذلك لا يدفع عنه شيئاً من اللوم.

[أي العمل أحب إلى الله]

في تفسير ابن كثير: عن ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: ((الصلاة على وقتها))، قلت: ثم أي؟ قال: ((بر الوالدين))، قلت: ثم أي، قال: ((الجهاد في سبيل الله)). أخرجاه في الصحيحين، انتهى من تفسير سورة «المؤمنون».

[الإسلام والإيمان والتقوى والصدقة]

روى أحمد بسنده عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((الإسلام علانية، والإيمان في القلب))، قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات، ثم يقول: ((التقوى هاهنا، التقوى هاهنا)). انتهى من تفسير ابن كثير.

روى أحمد بسنده عن المنذر بن جرير عن أبيه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال: ((﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴿١﴾ [النساء]، وقرأ الآية التي في الحشر: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٩]، تصدق رجل من ديناره من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة))، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)) انفرد بإخراجه مسلم.

انتهى من تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨].

[فائدة في السنا]

في الترمذي حديث: ((لو أن شيئاً كان فيه شفاء من الموت لكان في السنا)).

[توثيق أهل الحديث لمبغضي أهل البيت]

من تهذيب التهذيب:

- لمازة بن زياد الأزدي: مدحوه ووثقوه، وكان يشتم علي بن أبي طالب. اهـ تهذيب التهذيب.
- محمد بن زياد الألهاني: ثقة مأمون، اشتهر عنه النصب كحريز بن عثمان.
- ميمون بن مهران الجزري الفقيه: مدحوه كثيراً ووثقوه، وكان يحمل على علي بن أبي طالب. اهـ تهذيب التهذيب.
- نعيم بن أبي هند الأشجعي: وثقوه، وكان يتناول علياً رضي الله عنه. اهـ تهذيب التهذيب.
- الهيثم بن الأسود النخعي: وثقوه، وكان عثمانياً، منحرفاً عن علي، وهو أحد من شهد على حجر بن عدي. من تهذيب التهذيب.

- عمر بن سعد بن أبي وقاص: روى عنه الناس، تابعي ثقة، وهو الذي قتل الحسين. اهـ
- زهير بن معاوية بن خديج: أطراه وأثنى عليه خيراً ووثقه في تهذيب التهذيب، وعاب عليه بعضهم أنه كان من حرس خشبة زيد بن علي.
- عنبسة بن سعيد بن العاص: وثقه ابن معين وأبو داود والنسائي وغيرهم، قال الدارقطني: كان جليس الحجاج، وقال الزبير: كان انقطاعه إلى الحجاج.
- قبيصة بن ذؤيب الخزاعي: كان على خاتم عبدالملك، وكان آثر الناس عنده، وكان البريد إليه، وكان ثقة مأموناً كثير الحديث. اهـ من تهذيب التهذيب.
- كثير بن الصلت بن معد يكرب الكندي: كان كاتباً لعبدالملك بن مروان على الرسائل، وثقه ومدحه. اهـ من تهذيب التهذيب.
- إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني الدمشقي: كان يتحامل على علي بن أبي طالب، وكان حروري المذهب، وكان صلباً في السنة، وكان حريزي المذهب، مدحه في تهذيب التهذيب، قال ابن حبان: في الثقات. اهـ من تهذيب التهذيب.

قوله: وكان صلباً في السنة، يعني: أنه كان يلعن علياً عليه السلام.

- إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي: ثقة، وكان يحمل على علي تحاملاً شديداً، وقال: لا أحب علياً. اهـ تهذيب التهذيب.
- خالد بن سلمة بن العاص بن هشام المخزومي: ثقة، كان رأساً في المرجئة، وكان يبغض علياً، وكان ينشد بني مروان الأشعار التي هجي بها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ تهذيب التهذيب.
- خالد بن عبدالله القسري الأمير الدمشقي: ثقة وكان يقع في علي، وذكر ابن جرير أنه كان يلعن علياً. اهـ من تهذيب التهذيب.
- داود بن الحصين المدني الأموي، مولاهم: وثقوه، يرى رأي الخوارج.

اهـ من تهذيب التهذيب.

- زياد بن جبير الثقفي: وثقوه ومدحوه، كان يقع في الحسن والحسين. اهـ من تهذيب التهذيب.
- زياد بن علاقة الثعلبي: مدحوه ووثقوه، وكان سيئ المذهب منحرفاً عن أهل البيت.
- السائب بن فروج المكي: روى له البخاري ومسلم وغيرهما، كان هجاءً خبيثاً، مبغضاً لآل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. اهـ تهذيب التهذيب.
- عبدالله بن شفيق العقيلي: من الثقات، وكان عثمانياً يبغض علياً، وكان يحمل على علي. اهـ من تهذيب التهذيب.
- عمران بن حطان الخارجي: وثقوه، ورووا عنه. اهـ تهذيب التهذيب.
- قيس بن أبي حاتم البجلي: احتج به الجماعة، وبالغوا فيه، فقالوا: أوثق من الزهري، وكان يحمل على علي بن أبي طالب. اهـ تهذيب التهذيب.

[نظرة المتكلمين إلى أهل الحديث]

المتكلمون يسمون أهل الحديث بالحشوية، ويصفونهم بأنهم أجهل الناس بما يحملون، وأبخس الناس حظاً فيما يطلبون، وفي ذلك يقول شاعرهم:

زوامل للأسفار لا علم عندهم ... بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا ... بأحماله أو راح ما في الغرائر

قد قنعوا من العلم برسمه، ورضوا بأن يقال: فلان عارف بالطرق ورواية الحديث، وزهدوا في أن يقال: فلان عالم بما كتب، أو عامل بما علم.

وهناك كلام كثير في قول بعضهم في بعض، ويراجع في ذلك الجزء الثاني من كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر.

❁❁❁❁❁

في ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وما يتعلق بهم

[حديث من زار قبري وجبت له شفاعتي]

حديث: ((من زار قبري وجبت له شفاعتي)): حديث مشهور، ولا بد لاستحقاق الشفاعة من أن يكون الزائر ملتزماً بالتقوى لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ۝٢٧﴾ [المائدة].

[حادثة الإسراء]

سؤال: هل وقع فعلاً الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى السماء؟

الجواب والله الموفق: أن ذلك ثابت وقد ذكر الله تعالى في سورة النجم ما يفيد أن ذلك واقع وذلك في أول السورة من قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى۝١﴾..إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى۝١٨﴾.

ويدل على ذلك أيضاً: ما رواه الإمام زيد بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في المجموع، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب بسندهما عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت على أمتك؟ قال: قلت أنت أعلم يا رب، قال: يا محمد إني انتخبتك لرسالتي، واصطفيتك لنفسي، فأنت نبيي وخيرتي من خلقي، ثم الصديق الأكبر الطاهر المطهر، الذي خلقته من طينتك، وجعلته وزيرك وأبا سبطيك، السيدين الشهيدين، الطاهرين المطهرين، سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خير نساء العالمين، أنت شجرة، وعلي أغصانها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلا حباً، قلت: يا رب ومَن الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن أبي طالب)). قال: (بشرني بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وابناي الحسن والحسين منها وذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال).

وفي صحيفة علي بن موسى الرضى عَلَيْهِ السَّلَامُ حديث آخر يدل على ثبوت الإسراء.

وعند أهل السنة حديث كبير يذكر فيه قصة الإسراء.

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

سؤال: كيف تفسرون رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحديث الذي روي في ذلك؟

الجواب: أنه قد روي أن من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقد رآه حقاً، والمعنى في ذلك أن رؤياه صلى الله عليه وآله وسلم في المنام رؤيا حق، وليس المعنى أن ما رؤي في المنام هو شخص النبي وعين ذاته، بدليل: أنه صلى الله عليه وآله وسلم يرى في المنام على صور مختلفة، هي عبارة عن معان فإن رؤي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة الفرح والسرور كان التأويل أن دينه في علو وزيادة ونصر ورفعة، وإن رؤي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة ضجر ونحوه كان التأويل على خلاف ما ذكر.

وبعد، فلا ينبغي العمل بما يأمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام إلا إذا وافق الأدلة المعتبرة، أما إذا خالفها فلا يعمل بها، وذلك لأن الأوامر في المنام قد يكون لها تأويلات على غير ظاهرها.

[الكلمات التي أتمهن إبراهيم]

سؤال: ما هي الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها إبراهيم فأتمهن في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤]؟

الجواب والله الموفق: أن الكلمات التي أتمهن إبراهيم عليه السلام هي التكاليف الشاقة مثل ابتلائه بذبح ولده إسماعيل، وبمثل ابتلائه برمي قومه إياه في النار، وبمثل ابتلائه بمحاججة قومه، وبغير ذلك من التكاليف العظيمة والشاقة، فأتم ذلك إبراهيم عليه السلام، وفعل ما يريده الله تعالى ويرضاه.

وقد قيل: إن ذلك خمس في الرأس، وخمس في سائر الجسد: حف الشارب، وإعفاء اللحية، والمضمضمة والاستنشاق، وقص الأظافر، وحلق العانة، ونتف الإبط، و..إلخ.

وعندي أن ذلك غير صحيح؛ لأن ما ذكروه ليس بشاق، ولا تعظم به البلوى، ويبعد أن يكون ذلك سبباً لاصطفائه للإمامة و..إلخ.

نبي الله يوسف عليه السلام

علمه الله تعالى علم تعبير الرؤيا، وعلم الشرائع والأحكام، وعلم الاقتصاد.

سؤال: بم كانت قصة يوسف أحسن القصص: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف٣]؟

الجواب ومن الله التوفيق: يمكن معرفة ذلك والعلم به إذا عرفت عدة أمور وهي كما يبدو لي:

١- أن قصة يوسف التي قصها الله تعالى في القرآن قصة حقيقية صادقة قطعاً بجميع تفاصيلها؛ لأن الله تعالى هو الذي قصها.

٢- أن فيها مواعظ وعبراً للمؤمنين والمحسنين وجميع عباد الله الصالحين.

٣- أن فيها آية دالة على صدق النبي ﷺ.

[من كتاب قصص الأنبياء في ذكر هود عليه السلام]

في كتاب قصص الأنبياء لعبدالوهاب النجار:

ويقول أهل حضرموت: إن هوداً عليه الصلاة والسلام سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد إلى أن مات، ودفن في شرقي بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة تريم، قرب وادي برهوت، وقد أثر عن علي كرم الله وجهه أنه مدفون في كثب أحمر، وعند رأسه سموه في حضرموت. انتهى.

من الكتاب المذكور:

والعلماء يقررون: أن حضانة العلم خمس عشرة سنة، فإذا ابتدأت أمة تتعلم فإنها تجني ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة، وأما حضانة الأخلاق فمدتها أربعون سنة فإذا أخذت الأمة تستمسك بالأخلاق فإنها لا تجني الثمرة إلا بعد أربعين سنة. انتهى.

[آيات نبي الله موسى عليه السلام التسع]

سؤال: جاء في القرآن أن الله تعالى أرسل موسى في تسع آيات إلى فرعون وقومه فما هذه الآيات؟

الجواب والله الموفق: الآيات هي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل،

والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الثمرات.

أما بقية ما جرى من الآيات على يد موسى عليه السلام فهي آيات خاصة ببني إسرائيل، كفلق البحر، وتظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى، والحجر التي انبجس منها الماء حين ضربها موسى بعصاته، و...الخ.

[حكم الصلاة والسلام على غير الأنبياء]

لا مانع من الصلاة على غير الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهكذا السلام، فيجوز أن يقال: قال فلان عليه السلام، أو قال فلان صلى الله عليه.

ودليل ذلك: قوله تعالى في الصلاة: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب:٤٣]، والحديث المأثور: ((اللهم صل على آل أبي أوفى)).

ودليل السلام: ما شرعه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من التحية للمسلمين وهي: السلام عليكم، وعليكم السلام، وما شرع من السلام على الموتى فيقال: السلام عليكم دار قوم...إلخ، والتحية للأحياء والأموات هي دعاء.

ففي ذلك دليل على جواز الدعاء بهذا الدعاء للمؤمنين، فتأمل.

قد يقال: الصلاة أو السلام على غير الأنبياء- وإن كان جائزاً من حيث الدليل- لا يجوز من حيث أن فيه الغض من منازل الأنبياء والرسل عليهم السلام، فإننا إذا قلنا: قال فلان صلى الله عليه، أو عليه السلام لم يكن للنبي ميزة على غيره من المؤمنين؛ فمن هذه الحيثية لا تجوز الصلاة أو السلام على غير النبي لتبقى الصلاة والسلام ميزة يتميز بها النبي من غيره.

قلنا: لا دليل على وجوب تخصيص الأنبياء بذلك وتمييزهم به من دون غيرهم، وكيف يكون ذلك والواقع أن الله تعالى لم يخصهم ولم يميزهم به، بل صلى على المؤمنين في القرآن.

ـ قالوا: إن علماء السلف والخلف لا يطلقون الصلاة والسلام إلا على الأنبياء والرسل عليهم السلام، ويخصونهم بذلك دون غيرهم.

قلنا: ذلك عرف تعارف عليه أهل السنة والجماعة، وتعارفهم ليس بدليل، كما لا يخفى.

[**فضل الأنبياء** عليهم السلام **وفضل علي** عليه السلام]

سؤال: بعض الناس يفضل علياً عليه السلام على كثير من الأنبياء كموسى وعيسى و.. الخ صلوات الله عليهم، فما هو الحق والصواب في فضله عليه السلام؟

الجواب والله الموفق: أن رسل الله كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وعلى نبينا وآله- أفضل البشر على الإطلاق؛ لما وصفهم الله تعالى به في كتابه وأثنى عليهم كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ**﴾ [الأحزاب:٣٩]، وكقوله تعالى بعد ذكره لعدد من الأنبياء: ﴿**وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٨٦﴾**﴾ [الأنعام]، ﴿**وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴿٨٧﴾**﴾ [الأنعام]، ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ...**﴾ [الأنعام:٨٩]، ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ...**﴾ الآية [الأنعام:١٢٤]، ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...**﴾ الآية [البقرة:٢٥٣] إلى غير ذلك من الثناء عليهم صلوات الله عليهم وسلامه، وملخص ذلك:

١- تبليغ رسالات الله والإنذار والتبشير.

٢- الشفقة والرحمة للناس عامة يدل على ذلك: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴿٦﴾**﴾ [الكهف]، ﴿**فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴿٩٣﴾**﴾ [الأعراف]، وما ذكره الله تعالى في قصة نوح.

٣- الغاية من الصبر: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف:٣٥].

٤- ﴿**وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ**﴾ [الأحزاب:٣٩].

٥- آتاهم الله الكتاب والحكمة.

٦- اصطفاهم الله واختارهم وفضلهم على العالمين، إلى غير ذلك من الصفات والثناء الجميل في القرآن العظيم.

٧- ذكرهم الله بأسمائهم في كتابه الكريم ذكر تشريف وتعظيم.

وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإن كان لا يقل عن مثل تلك الصفات إلا أن رسل الله وأنبياءه اختصوا بفضيلة النبوة والرسالة.

هذا في الظاهر، أما إذا أريد بالأفضل هو الأكثر ثواباً فلا سبيل إلى تحديده؛ لأن صحائف الأعمال عند الله تعالى.



في ذكر أهل البيت والصحابة والشخصيات وما يتعلق بذلك

[في ذكر عبدالمطلب]

في المصابيح لأبي العباس بسنده إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((يبعث عبدالمطلب يوم القيامة أمة وحدة)) قال: وكان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام ويقول: أنا على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إن عبدالمطلب سن خمساً من السنن أجراها الله عز وجل في الإسلام:

- حرم نساء الآباء على الأبناء.
- وسن الدية في القتل مائة من الإبل.
- وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط ثم يقف على باب الكعبة ويحمد الله عز وجل ويثني عليه، وكانت قريش تطوف كما شاءت قل أم كثر.
- ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به.
- وسمى زمزم سقاية الحاج.

انتهى باختصار من المصابيح.

[من تاريخ اليعقوبي في أن عبدالمطلب كان موحداً]

في تاريخ اليعقوبي: أن عبدالمطلب رفض عبادة الأصنام، ووحد الله عز وجل.

[شرح حديث ((يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله))]

في الحديث الصحيح الذي رواه الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)).

يأتي الفساد في الدين وتغيير أحكامه من ثلاث جهات كما في الحديث:

١- تحريف الغالين، والغالون هم المتشددون فيحملهم تشددهم على تجاوز الحق إلى الباطل، فيتخذونه ديناً.

٢- انتحال المبطلين، وهو أن أهل الباطل يختلقون من عند أنفسهم أحكاماً ويروجون لها الدعايات، ويحملون أتباعهم على التدين بها، ويحلونها

محل الأحكام التي لا تتمشى مع سياستهم.

٣- تأويل الجاهلين، وهو أن الجاهلين يغلطون في تفسير النصوص الشرعية وتأويلها فيؤدي بهم غلطهم وجهلهم إلى التدين بما لم يأذن به الله.

-وأفاد الخبر النبوي هذا أن الله تعالى يقيض في كل عصر وجيل من يعلن الحق ويوضحه، ويزيف ما طرأ على دين الإسلام من التحريف والانتحال والتأويل الفاسد.

وأفاد أيضاً أنه لا ينقطع العلماء المحقون العدول في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على طول الزمان.

-وهذا الحديث يقارب معناه معنى حديث: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين...)).

فإن قيل: كيف لنا بمعرفة العلماء المحقين العدول حتى يتسنى لنا الرجوع إليهم والأخذ بقولهم مع كثرة العلماء في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكثرة المذاهب، وكثرة الفرق والطوائف؟

قلنا: قد دل عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم في حديث الثقلين المتواتر المشهور المتفق على صحته عند جميع الطوائف وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

-ونفي العدول للباطل هو ببيان بطلانه بالحجة والدليل، وكشف ذلك وتوضيحه في الأمة، وليس المراد نفيه تماماً بحيث لا يبقى في الأمة من يعمل به؛ لأن مهمة المبلغين عن الله هي تبليغ الحق وتزييف الباطل بالحجة والبرهان، هذا هو كل ما عليهم في هذا المجال، قال الله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].

[ذكر استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام]

بسم الله وبالله، الليلة الثامنة والعشرون من ليالي رمضان / ١٤٣٤هـ.

استشهد في شهر رمضان عام ٤٠ للهجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وقصة استشهاده مشهورة.

ويجدر بنا هنا أن نبين مكانته في الإسلام، وتبينت مكانته عليه السلام في الإسلام من طريقين اثنتين:

الطريق الأولى: أعماله في الإسلام، وهي:

١- السبق إلى الإسلام فهو أول ذكر أسلم واستجاب لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسبقه إلى الإسلام إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة بنت خويلد زوجة نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة]، وقد أجمعت الأمة أن السابق إلى الإسلام أفضل من المسبوق؛ لذلك لجأ المقدمون لأبي بكر في الفضل على علي عليه السلام إلى دعوى أن أبا بكر أول من أسلم، وهي دعوى باطلة، فقد صح أنه لم يسلم إلا بعد ستة أو سبعة سبقوه إلى الإسلام.

٢- جهاده في الإسلام: أطبقت السير أنه لم يكن لأحد من المسلمين لا من المهاجرين ولا من الأنصار مثل ما لعلي عليه السلام في الجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولسيفه الأثر البالغ في المشركين في يوم بدر، فالذي يقرأ السيرة يجد أن ما يقارب نصف قتلى المشركين في يوم بدر قد قتلوا بسيف علي، وفي يوم أحد هو عليه السلام الذي قتل أصحاب الراية، وفي يوم الخندق قتل عمرو بن عبد ود العامري، وكان يعد لألف، وفي يوم خيبر قتل مرحباً وفتح الحصن، وفي حنين فر المسلمون وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقاتل بين يديه، وفعل في المشركين يومئذ الأفاعيل و...إلخ؛ لذلك كان له ثقله في الإسلام، وهابه المشركون وأرعبوا بسيفه وفتكه واستعظموا سطوته، وخافوا مكانه.

فأخزى الله الشرك والمشركين والكافرين بسيفه وهزمهم بفتكه، وأعز الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ودولة الإسلام بهيبته وعظيم شخصيته، وكبر مقامه ومكانته.

وما كان عليه السلام يفارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في الأوقات الخاصة، وكان عليه السلام

يتصدر ويبادر إلى تنفيذ المهام حباً في الله وفي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يتراجع عن ذلك إلا أن يأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقعود.

٣- ومع ذلك لم يصدر منه ما يكدر صفو جهاده من فرار، أو هزيمة، أو تراجع، أو أن يضع السيف في غير موضعه، أو أي مخالفة لأوامر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتعليماته، لا يزيد ولا ينقص عما وكل إليه من عمل أو مهمة، ولا صدر منه مراجعة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولا مجادلة، ولا نقد، ولا مخالفة، ولا اعتراض؛ بل يتقبل ما صدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكل رضا، وكل همة ونشاط وفرح وسرور، وبكل قبول وارتياح. يعظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غاية التعظيم، ويحبه أشد الحب، ويتفانى في ذلك. ولشديد حبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم روي أنه لم يكن يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا واغرورقت عيناه بالدموع إلى أن قتل عليه السلام.

٤- العلم: لقد حمل علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو شرائع الإسلام وفرائضه، وأصوله وفروعه، وجميع ما تحتاجه الأمة من ذلك إلى يوم القيامة، مع ما اختصه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علم الحوادث المستقبلة، وهو ما يسمى بعلم الجفر، وهو عليه السلام الذي وضع الخطوط الأولى لعلم الكلام، وعلم أصول الفقه، وعلم النحو، وعلم الفرائض و...إلخ.

٥- العبادة: لم يؤثر عن أحد من الصحابة مثل ما أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام من العبادة لله والانقطاع إليه، والخشية منه، لا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا بعد عهده.

ومن أراد المزيد من الاطلاع على شخصية أمير المؤمنين عليه السلام فليرجع إلى شرح نهج البلاغة للعلامة المعتزلي ابن أبي الحديد في الجزء الأول من شرحه.

الطريقة الثانية هي: تبينت مكانته عليه السلام من جهة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فقد نوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكانة علي عليه السلام كررها وقررها وأكدها بأقوال له صلى الله عليه وآله وسلم مشهورة مذكورة، وفي كتب أئمة الإسلام مسطورة مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يحبك يا علي إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)) رواه مسلم وغيره.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في يوم خيبر حين رجع المهزومون براية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، يفتح الله على يديه))؛ فأعطاها لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ففتح خيبر وقتل مرحباً. رواه البخاري وغيره.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) رواه البخاري وغيره.

ونحو ذلك كثير لا يسعنا ذكرها، ومن أراد الاطلاع على صحيح ما ورد فيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فليرجع إلى كتاب لوامع الأنوار لشيخنا الإمام العلم العلامة مجدالدين المؤيدي رحمة الله عليه وبركاته.

الليلة التاسعة والعشرون من ليالي شهر رمضان ١٤٣٤هـ:

شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ شخصية عظيمة وقوية لها ثقلها الكبير وآثارها العظيمة، ضاق بها ذرعاً أعداؤه يوم بويع له بالخلافة، وضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، وحشروا لمواجهتها أعداء الإسلام التأريخيين من قريش وبقية الأحزاب والمنافقين، وأوقدوا له نار الحرب في كل مكان فواجه ذلك بقوة شخصيته.

فهزم اللفيف الأول وعلى رأسهم طلحة والزبير وعائشة ومروان في البصرة، واستولى عليهم ثم عفا عنهم وأطلقهم، ولم يؤاخذهم. وقُتِل في هذه المعركة طلحة والزبير، والكثير من عفاريت قريش ذوي العداوة المستحكمة فيهم لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكاد أن يسحق اللفيف الثاني الذي يقوده معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص في أهل الشام لولا مكيدة عمرو بن العاص وحيلته برفع المصاحف.

ثم سحق اللفيف الثالث الذين هم الخوارج وقتلهم في يوم النهروان.

ثم بعد ذلك عاقه عَلَيْهِ السَّلَامُ عائق الحمام بضربة الشقي الخارجي عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان عام ٤٠ للهجرة، ولم يلبث

بعد الضربة إلا ثلاثة أيام ثم لحق بربه الكريم رحمة الله عليه وبركاته وسلامه.

ومما يؤكد قوة شخصيته: قوة سلطانه في مدة خلافته مع كثرة أعدائه داخل العراق وخارجه، فأحكم السيطرة في خلافته على العراق وما وراءها من بلاد فارس، وعلى مكة والمدينة واليمن وسائر جزيرة العرب، وعلى مصر وما إليها من بلاد السودان وغيرها، ولم يكن بيد معاوية إلا الشام.

ولو واجه غيره عليه السلام مثل ما واجه في ولايته لانهارت ولايته، وتهاوت عروش مملكته ما بين عشية وضحاها.

ومن استقرأ تأريخ خلافته والظروف الملابسة لها حق الاستقراء عرف صحة ما ذكرنا.

ويؤيد ما ذكرنا: الإمام الحسن بن علي عليهما السلام لما بويع له بالخلافة بعد أبيه لم يستقم له الأمر، ولا قامت له الولاية، وتفلتت عليه البلدان، وتناثرت أنصاره، وتشتت عليه أمره، وكاد معاوية بن أبي سفيان أن يقبضه هو وأصحابه قبض اليد؛ فتلافى ذلك عليه السلام بصلح عقده مع معاوية.

فإن ذلك يدل على ثقل شخصية علي عليه السلام وقوتها وحنكتها السياسية وأثرها الكبير وعظمتها المهيبة.

ولم نقل ذلك إزراءً على سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول هذه الأمة صلى الله عليه وآله وسلم، وخامس أصحاب الكساء، وابن فاطمة الزهراء، وسليل سيد الوصيين، وفرع محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب فهو وأخوه الحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا رسول هذه الأمة والثقل الأصغر، وإلى آخر ما لهما من الفضائل على لسان جدهما المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مزية أبيهما عليهما، فلم نقل ذلك من تلقاء أنفسنا، وذلك في حديث: ((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما)).

[في العلم الذي اختص به أمير المؤمنين عليه السلام]

روي عن علي عليه السلام كما في نهج البلاغة ما معناه: (لو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومولجه و..الخ)، خاطب عليه السلام بهذا أهل الكوفة.

جرت في هذا مذاكرة مع بعض الطلبة، وكأنه استبعد أن تحيط حافظة علي عليه السلام بأسماء رجال أهل الكوفة بأحوالهم وتقلباتهم وعاقبة أمرهم رجلاً رجلاً، مع ما روي عنه عليه السلام من أنه كان على علم بحوادث الدهر وفتنه إلى يوم القيامة، ومع ما كان عليه السلام يحمله من العلم بأحكام الإسلام وشرائعه وبكل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من العلم.

ثم قال ذلك الطالب: من الممكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عَلَّم علياً عليه السلام قواعد، تحت كل قاعدة كمٌ كبير من المعلومات الغيبية، واستدل لذلك بما روي عن علي عليه السلام أنه قال ما معناه: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمني ألف باب، كل باب يفتح ألف باب).

فقلت: لا استبعاد في ذلك مع ما حظي به علي عليه السلام من عناية الله تعالى به وعناية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد صح في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢﴾ [الحاقة] أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي)).

وقد روي أن علياً عليه السلام كان لا ينام حتى يعلم ما نزل في ذلك اليوم.

وروي أنه كان عليه السلام يكثر من السؤال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا سكت فاتحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر مناجاته عليه السلام.

وقال علي عليه السلام: (إن ربي وهب لي لساناً سؤولاً، وقلباً عقولاً...)، وكان يقول: (آهٍ آهٍ إن هاهنا لعلماً جماً لو وجدت له حملة...)، وقد لازم علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ بعثه الله إلى أن توفاه الله وذلك ثلاث وعشرون سنة، وقد كان علي عليه السلام لا يكاد يفارق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا ليلاً ولا نهاراً، إلا في أوقات الخلوة.

[حديث البخاري عن علي عليه السلام أنه أول من يجثو يوم القيامة للخصومة]

في البخاري، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد وفيهم أُنزلت: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ...﴾ [الحج:١٩] قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبه.

وروى أيضاً مثل ذلك عن أبي ذر من ثلاث طرق.

قلت: كان ينبغي للبخاري أن يذكر مثل هذه الآثار في باب فضل علي وفضل حمزة وفضل عبيدة بن الحارث؛ لأن الله تعالى بين في تلك الآية ما أعد لكلٍ من الخصمين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ۝٢٠ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ۝٢١﴾ [الحشر]، ثم أخبر تعالى ما أعد للخصم الثاني من دخول الجنة والأنهار واللؤلؤ والحرير، وأنهم هدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد.

فقد تضمنت هذه الآثار أن أولئك الثلاثة أول من يجثو للحساب يوم القيامة، وذلك يدل على زيادة فضلهم، وأنهم دون سائر الصحابة مخصوصون بالوعد بالجنة وأنهارها وحريرها ولؤلؤها و...الخ، وذلك دليل فضلهم وتميزهم على سائر الصحابة، وقد وعد الله أصحاب نبيه بالوعد الجميل ولكن ذلك على سبيل العموم، وفرق بين التخصيص والتعميم وذلك معلوم.

نعم، قول علي عليه السلام: (أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة) لعل السبب في ذلك كثرة ما وقع بينه وبين خصومه من الدماء، من ذلك: ما وقع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بدر وأُحُد والخندق وخيبر والطائف وغير ذلك فقتلاه عليه السلام في تلك المواطن كثيرة لا تكاد تحصى.

ومن ذلك ما وقع من القتلى يوم الجمل.

ومن ذلك ما وقع من القتلى بصفين.

ومن ذلك ما وقع من القتلى بينه وبين الخوارج.

وقد يقال: قد وقع الوعد بالجنة لأهل بدر جميعاً فيما رواه البخاري وغيره: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم».

قلنا: في الحديث نظر من وجوه:

١- أن «لعل» للترجي ولا تفيد القطع بذلك.

٢- أن قوله: ((اعملوا ما شئتم)) أمر لأهل بدر بعمل ما شاءوا من المعاصي، وذلك يقتضي إباحتها لهم؛ لأن أقل معاني الصيغة هنا الإباحة، وإن كان النقاش مع الظاهرية فالأمر للوجوب وحينئذ فتكون المعاصي مباحة لأهل بدر أو واجبة عليهم، ولا يقول بذلك مسلم.

٣- أن الصحابة لم تعمل بمضمون هذا الحديث طيلة حياتهم فجلد عمر قتادة بن مظعون لما شرب الخمر، ومن قبل ذلك جلد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حساناً ومسطحاً و...إلخ، ومسطح ممن شهد بدراً كما في البخاري.

٤- في الحديث إغراء لأهل بدر بالمعاصي، ودعوتهم إلى فعلها، وذلك متنافٍ مع دين الإسلام الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث.

٥- قد اشتهر عند أهل السنة أن المبشرين بالجنة عشرة وخصّوهم بهذه الفضيلة دون غيرهم، مما يدل على أنه لا صحة لعموم البشرى بالجنة لأهل بدر مع زيادة فضيلة وهي التفويض لهم بعمل ما شاءوا من غير حساب عليهم في ذلك.

٦- في البخاري: وقال كعب بن مالك: «ذكروا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي رجلين صالحين قد شهدا بدراً» والمشهور أنهما تخلفا في غزوة تبوك، فأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمقاطعتهما وهجرهما حتى ضاقت

عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، وكان ذلك أياماً طويلة ثم تاب الله عليهما؛ فلو صح الحديث في أهل بدر لما ضيق الله عليهما ورسوله ذلك التضييق، ولما شدد عليهما في التوبة.

المهدي عليه السلام

الإمام المهدي وعد من الله موعود يأتي في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وقد اشتهر وتواتر هذا الوعد عند علماء المسلمين وعامتهم، وأنه من أهل البيت عليهم السلام من ذرية فاطمة عليها السلام، ولا خلاف في ذلك عند جميع طوائف الشيعة وطوائف أهل السنة والجماعة.

[سلطان المهدي عليه السلام]

في أحاديث المهدي: ((يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً))، أو كما قال.

الذي يظهر لي وأميل إليه أن سلطان الإمام المهدي عليه السلام سيبلغ حيث بلغ الإسلام، والمعلوم أن سلطان الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتجاوز جزيرة العرب، ولكنه بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم تمدد وانتشر شرقاً وغرباً وشمالاً، والمعروف أن الإسلام في تمدده وانتشاره لم يشمل الأرض كلها، بل لم يحتل منها إلا أقل من خمس مساحتها.

وقد جاء في أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه يملأ الأرض عدلاً، وعلى هذا فيمكن أن يكون المعنى أن دولة المهدي وسلطانه سيحيي العدل والإنصاف ويقضي على الظلم والجور في ولايته وسلطان دولته، ثم يشتهر ذلك وينتشر ذكره في الدنيا ويتحدث الناس به في مشارق الأرض ومغاربها، وبذلك الاشتهار والانتشار عند الناس جميعاً تتلقى السياسة الجائرة النقد المخزي من رعاياها مصحوباً بالثناء والتعظيم لسياسة دولة المهدي، وذلك هو نصيب الدولة الكافرة من عدل المهدي، ويشهد لما ذكرنا أمور:

١- أن رسل الله وأنبياءه عليهم السلام لم يطبق سلطان واحد منهم جميع ساحة الأرض، وقد كان آخرهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم تتجاوز دولته وسلطانه جزيرة العرب وإن

امتد سلطانه بعد وفاته فهو امتداد محدود، وسليمان عليه السلام وإن كان له سلطان عظيم فإنه لم يصل إلى الأمريكتين ولا إلى أستراليا، ولا إلى أكثر أوربا، وإلى كثير من دول أفريقيا، وآسيا؛ إذ لو كان له عليه السلام هنالك ولاية وحكم وسلطان لبقي إلى اليوم شيء من بقايا الديانة اليهودية، إلا أنه لا يوجد لها أي أثر لا قوي ولا ضعيف في البلدان التي ذكرنا.

٢- أن المقصود من بعثة الرسل عليهم السلام ومن إقامة حجج الله كالأوصياء والأئمة هو إظهار الحق وتبليغه، وإقامة الحجج والبراهين على صحته؛ لئلا يكون للناس على الله حجة، فهكذا يكون سبيل الإمام المهدي، أما السلطان والولاية والملك السياسي فلا قيمة له ولا وزن عند الله تعالى ولا عند أوليائه، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يحلف بالله لأصحابه أن إمرته عليهم لا تساوي عنده شسع نعله.

٣- أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان٣١]، وعلى هذا فلا بد لسلطان المهدي عليه السلام من عدو؛ لأن دعوته عليه السلام امتداد لدعوة جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تتحقق العداوة وتظهر إلا إذا كان هناك توازن في القوة والسلطان بين الطرفين المتعاديين، أو على الأقل أن يكون للعدو من الشوكة والقوة ما يستطيع بها أن يظهر عداوته، ويعترض بها في طريق عدوه، وبسببها يحصل الخوف منه والقلق على دولة الإسلام وعلى رعاياها وعلى البلدان.

[حتمية ظهور المهدي عند اليهود والنصارى]

بسم الله، قال بعض الدارسين:

ومن خلال اطلاعي على الكثير من دراسات وأبحاث الغربيين التي تتناول النبوءات التوراتية والإنجيلية الخاصة بأحداث النهاية تبين لي بأن اليهود والنصارى أكثر إيماناً ويقيناً من عامة المسلمين بحتمية ظهور المهدي وانتصاره في كافة حروبه، واتخاذه للقدس عاصمة لملكه، وامتداده لمساحات شاسعة من الأرض.

ولأنهم يعلمون بأن النهاية قد اقتربت ويعتقدون بأنه سيقود تحالفاً عسكرياً ضد الغرب ينجم عنه دمار الحضارة الغربية برمتها فهم يتوقعون ظهوره في أي

لحظة، ويخشون أن يظهر، وأن تقوى شوكته وهم في غفلة من أمرهم، فلذلك تجدهم يحاولون تجنيد العالم بأسره ضد ما يسمونه الإرهاب الإسلامي خوفاً من ذلك المصير المشؤوم الذي ينتظرهم عند ظهور أمره.

[كيف سيتعامل الإمام المهدي عليه السلام مع أهل المذاهب الإسلامية]

جاء في الأخبار الوعد بقيام دولة وسلطان للإمام المهدي في آخر الزمان، فكيف يكون تعامله مع أهل المذاهب الإسلامية إذا سيطر بقوته وسياسته عليهم؟

الجواب: من المتوقع أن يكون تعامله معهم كتعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل الأديان والمذاهب في ذلك العصر.

ففي أول مرحلة من مراحل تعامله معهم يبالغ في دعوته لهم إلى الحق وإرشادهم إليه، وبيان الحجج والبراهين الدالة على صحة ما دعا إليه، وفساد ما هم عليه من المذاهب الباطلة.

وفي المرحلة الثانية ينشر دعوة الحق على المستوى العام في المدن والقرى والنواحي، ومن اعترض ذلك بين له الحجة والبرهان على صحة دعوته إن كان جاهلاً، ثم نهاه وحذره من الاعتراض وعرقلة الدعوة وكل ذلك بالقول الحسن، فإن لم يترك بعد ذلك الاعتراض في سبيل الدعوة بل أصر على الوقوف في وجهها فيهدد ويغلظ له في القول، فإن لم يفد ذلك أدب بالضرب والحبس، فإن لم يفد ذلك فبالقتل والقتال، وهكذا يفعل مع من وقف في وجه دعوته، ويقاتل من قاتله.

[المهدي عليه السلام وكيف سيكون انتشار أمره]

-في حديث الإمام المهدي عليه السلام ما معناه: ((إنه ينتشر أمره في ليلة واحدة))، وفي ذلك إشارة إلى وسائل الإعلام المختلفة كالراديو والتلفزيون والإنترنت.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

-لا يمكن ولا يتأتى قيام المهدي عليه السلام وقيام دولته والوضع في العالم ودوله

على حسب ما هي عليه اليوم، وهذا مع علمنا واعتقادنا أن الله على كل شيء قدير، وذلك لأن الله تعالى بنى أمور الدنيا ورتبها على الأسباب لذلك أقول: في كبير ظني أن الله تعالى سيمهد لدولة المهدي قبل قيامها، وذلك بأن يسلط الجبابرة بعضهم على بعض إلى أن تدمر أسلحتهم الفتاكة، وتضعف قواهم العسكرية والمادية، ويبالغ فيهم القتل والفناء، وتتهاوى عروشهم.

ينزل الله تعالى بهم ذلك جزاءً على كفرانهم لنعم الله، وتمردهم عليه، وطغيانهم في الأرض، وكثرة فسادهم فيها، ومحاربتهم لدين الله وأوليائه.

وأرى أن أوائل هذا التسليط قد بدأ في العراق، وأتوقع أنه يستمر وينتشر حتى يتفانى الجبابرة والأشرار وتتهاوى عروشهم.

وأعظم جبار على وجه الأرض منغمس إلى أذنيه في حرب العراق وهو أمريكا فقد دخلت أمريكا الحرب منذ عدة سنوات ولم تنجح فيها، ولم تستطع السيطرة على الوضع العام هناك بل إنها مع ذلك تريد التخلص من الحرب فلم تستطع ذلك، وأرى أنها لن تستطيع الخروج من أوحال حرب العراق حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

-في حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر فيه أن القتل سيكثر في آخر الزمان.

وفي حديث آخر يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه يذكر فيه أن الأمم في آخر الزمان ستتداعى عليكم.

وفعلاً فقد وقع مصداق ذلك في العراق وأفغانستان، وقد بدأ كثرة القتل في العراق منذ خمس سنوات تقريباً حيث بلغ عدد القتلى في هذه المدة أكثر من مليون قتيل.

-في حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((بعثت بين جاهليتين أخراهما شر من أولاهما)) هذا لفظ الحديث أو معناه، ونحن الآن نعاصر ونشاهد الجاهلية الأخرى التي وصفت في الحديث بأنها شر من الجاهلية الأولى.

وفعلاً فإنها شر منها، فإنها جاهلية واسعة عريضة مترامية الأطراف، مكونة من دول كثيرة يتحكم فيها تنظيم واحد هو أمريكا، وتتميز هذه الجاهلية بالتنظيم والتخطيط والسياسة، والأسلحة المطورة الفتاكة، والأسلحة النووية، والأسلحة الغازية، والأسلحة الجرثومية، وأنواع أخرى من الأسلحة الفتاكة.

-وفي حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في صفة آخر الزمان: ((إن القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر))، هذا معنى الحديث.

وفعلاً فقد وقع ذلك في الكثير من بلدان العالم الإسلامي وغيره....

[على أي مذهب سيكون المهدي عليه السلام]

سؤال: هل سيكون الإمام المهدي على مذهب من مذاهب الشيعة، أم على مذهب أهل السنة والجماعة؟

الجواب: الإمام المهدي عليه السلام من أهل البيت، من ذرية الحسن أو الحسين عليهما السلام، ولا خلاف في هذا.

- وكل أهل مذهب يتوقعون أن يكون من أهل مذهبهم؛ فأهل السنة يتوقعون أن يكون منهم، والجعفرية كذلك، والإسماعيلية كذلك، والزيدية كذلك، و...إلخ.

- وتسميته بالمهدي تسمية جاءت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدل ذلك على أن الله تعالى هداه لما اختلف فيه أهل المذاهب الإسلامية من الحق.

- وما جاء في الحديث من أنه يملأ الأرض عدلاً يدل على أن المذاهب الباطلة ستندحر وتنتهي، ويحل محلها العدل والحق.

- وعلى ما تقدم فالمهدي عليه السلام سيحيي الدين الحق الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويميت المذاهب الباطلة، ولا خلاف بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا تزال طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الحق، وعلى ذلك فيكون المهدي عليه السلام على مذهب تلك الطائفة المحقة دون غيرها.

[ذكر المجددين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين:

في الحديث: ((إن الله سيبعث في كل مائة سنة لأمتي من يجدد لها دينها)) هذا معنى الحديث، وهو حديث متسالم على صحته بين الزيدية وبين أهل السنة:

- فالزيدية يعدون المجددين واحداً واحداً في كل مائة سنة، وأهل السنة كذلك.
- وعلى كل حال فما زال مذهب الزيدية إلى اليوم جديداً على هيئته في عهد علي بن أبي طالب، وما زال مذهب أهل السنة والجماعة جديداً كهيئته على عهد معاوية بن أبي سفيان.
- الباطل يتجدد بنفسه، ولا يحتاج إلى من يبعث لتجديده؛ وذلك لميل النفوس إليه ورغبتها فيه، هذه هي طبيعة الباطل.
- والحق بخلاف الباطل فإنه يحتاج إلى من يجدده ويحييه وإلا ذهب واضمحل؛ وذلك لنفرة النفوس بطبعها عنه، وكراهتها له، وهذه هي طبيعة الحق.
- حظي مذهب أهل السنة والجماعة منذ يومه الأول بدعم ملوك بني أمية، ثم بدعم ملوك بني العباس، ثم بدعم الدول المتعاقبة على طول التأريخ إلى اليوم، وهو المذهب الرسمي لسلاطين البلاد الإسلامية في جميع الأحقاب التاريخية.
- أما مذهب أهل البيت (الزيدية) فإنه منذ قتل علي بن أبي طالب عليه السلام ضعف حتى لم يبق له وجود على الساحة تقريباً، وغلب على الساحة كلها مذهب أهل السنة والجماعة، ومضت على ذلك السنون والبلاد الإسلامية لا تعرف إلا مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان يرعاه معاوية أشد الرعاية، ويمهد له في البلاد بما قدر عليه من القتل والبطش والفتك، ثم رعاه بعده يزيد بن معاوية، ثم مروان بن الحكم، ثم عبدالملك بن مروان، ثم الوليد بن عبدالملك، ثم سليمان بن عبدالملك، ثم هشام بن عبدالملك.

وفي عهد هشام هذا انبعث لتجديد مذهب علي ومذهب أهل البيت زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فدعا الناس إلى إحياء الحق الذي أماته جبابرة بني أمية وإماتة الباطل الذي أحيوه، وإقامة الحق والقرآن، فأيقظ زيد الناس بدعوته هذه، ولفت بأبصارهم إلى الحق الذي تركوه، وجالد بسيفه في سبيل هذه الدعوة حتى قتل شهيداً رحمة الله عليه، وواصل ابنه يحيي السير في ذلك السبيل الذي سلكه والده حتى قتل شهيداً رحمة الله عليه.

- وقد كانت ملوك بني أمية وأتباعها من أهل السنة والجماعة يظنون أنهم قد قضوا على مذهب علي بن أبي طالب وأهل البيت، فأحيا زيد وابنه عليهما السلام المذهب الحق الذي كان عليه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام.
- وبعد مقتلهما رضوان الله عليهما، شمرت أمية وأنصارها من أهل السنة والجماعة لاستئصال ذلك المذهب إلى أن انتهت خلافتهم في عهد آخر ملوكهم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.
- ثم جاءت خلافة بني العباس فكانوا أظلم من بني أمية وأطغى، وسمي خليفتهم الأول بالسفاح لكثرة ما سفح من الدماء، وفي أيام خليفتهم الثاني انبعث لتجديد المذهب محمد بن عبدالله النفس الزكية حتى قتل شهيداً في المعركة، وواصل أخوه إبراهيم الدعوة حتى قتل في سبيلها شهيداً، وهكذا كان دعاة أهل البيت في كل فترة، وما زالوا كذلك إلى فترة قريبة.

[في ذكر المجددين في عصرنا]

في الحديث ما معناه: ((إن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة في هذه الأمة من يجدد لها دينها....)) وهو حديث متلقىً بالقبول عند الزيدية وأهل السنة(١).

(١) – قال الإمام الحجة مجدالدين المؤيدي عليه السلام في التحف شرح الزلف: قال صاحب الشريعة صلوات الله عليه وآله وسلامه: ((يبعث الله لهذه الأمة على كل مائة سنة من يجدد لها دينها))، بهذا اللفظ رواه الأمير الحسين عليه السلام وغيره. وفي بعض الروايات: ((إن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم)) وهذا الحديث مما نقلته الأمة واحتجت به، وأخرجه بمعناه أبو داود، والطبراني بسند صحيح، والحاكم في المستدرك.

- والذي شهدته وعاصرته أن الله تعالى في رأس هذا القرن -وهو القرن الخامس عشر الهجري- نعش مذهب الزيدية الذي هو مذهب أهل البيت؛ فمنذ بداية هذا القرن وإلى اليوم ما زال المذهب ينتشر وتتوسع معارفه وتتكاثر حملة العلم به من الرجال والنساء، وكل ذلك بمساعي عالم الزيدية وشيخها وحامل علومها مجدالدين المؤيدي رحمة الله عليه، ثم بمساعي أتباعه وأوليائه وعلى رأسهم العالم الزاهد الصابر المجاهد الحسين بن يحيى الحوثي حفظه الله، وما زال إلى اليوم ينشر المرشدين والمدرسين في نواحي البلاد الزيدية، وقد كان العلم والعلماء قد انقرضا من جميع بلاد الزيدية تقريباً، ولم يبق لعلم الزيدية هناك ذكر ولا أثر.

[**بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة**...]

«بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً»:

هكذا قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وخليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى: أن حكمة الله قضت بأن لا يؤاخذ الناس بذنب ارتكبوه، ولا يعذبهم عليه حتى يبين لهم ما يتقون من معاصيه، وأنه سيعذب عليها، ويخلد المصرين عليها في نار جهنم، ويثيب أهل التقوى في جنات النعيم، و...إلخ.

وبيان الله تعالى يكون إما ببعث الرسل وإنزال الكتب، وإما أن يكون البيان على ألسنة العلماء الربانيين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

وفعلاً فالواقع الملموس على طول التأريخ الإسلامي من أول أيامه وإلى اليوم لم يغب في أي عصر من عصوره داعي الله من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ففي كل فترة من فترات التأريخ إلى اليوم إمام يعلن بدعوته، ويجاهر بها، ويقاتل عليها، وإذا لم يكن إمام كذلك فيخلفه من أهل العلم من يبين الحق ويعلنه، ويحتج عليه ويوضحه وينشره بطريقة سلمية، ويهيئ الله له أتباع ينصرونه على ذلك، ويحملون عنه العلم.

وهذا النوع قد يكون واحداً، وقد يكون جماعة يتعاونون على إظهار الحق ونشره، والدعوة إليه وبيان حجته.

ولو أن الأرض خلت عن دعاة الحق وهداة الخلق، وغابوا عنها لقضي الأمر؛ لأن حجة الله تعالى حينئذ غير قائمة على المكلفين، ولن يؤاخذ الله تعالى يوم القيامة أحداً من المكلفين إلا إذا كان ممن بلغته في الدنيا حجة الله وبيناته، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

- وقد أخبر الله تعالى أن الناس يوم القيامة فريقان: شقي وسعيد، فقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود].
- وقد علم أن الله تعالى لا يعذب أحداً إلا بعد الإعذار والإنذار في الدنيا، فإذا لم يحصل الإعذار والإنذار في الدنيا؛ فلا يحصل يوم القيامة الجزاء والعقاب للكافرين والفاسقين.
- وبغياب الدعاة إلى الله عن وجه البسيطة تغيب الحكمة التي من أجلها جعل الله الحياة الدنيا، والحكمة هي ما أخبرنا الله تعالى بها في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

وما حكاه الله تعالى من الحكمة في خلقه المكلفين في هذه الحياة الدنيا بقوله جل جلاله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم].

فإذا غابت حجج الله وبيناته، وغابت الحكمة من خلق الأرض ومن عليها- فستنتهي الحياة على الأرض وتقوم القيامة؛ لأن الحياة على الأرض تكون حينئذ خالية عن الحكمة، وقد علم أن الله تعالى حكيم لا يفعل ما لا حكمة فيه.

[كيف تتم حجة الله على عباده بالخائف المغمور]

سؤال: قال علي عليه السلام: (لا بد لله تعالى من حجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً) هذا معنى قوله عليه السلام، فكيف تتم حجة الله تعالى على عباده بالخائف المغمور؟

الجواب والله الموفق: أن الله سبحانه وتعالى قد بين في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم موضع حجته ومكانها بياناً واضحاً لا لبس فيه، وذلك المكان والموضع هو أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا كان حجة الله خائفاً مغموراً لا يعرفه المكلفون، فإنهم سيجدون ما يطلبون عند علماء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن حجة الله لا تعدوهم.

[ظهور دين الحق للمكلفين]

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله الطاهرين، وبعد:

فإن دين الحق وحملته وأهله الداعين إليه والدالين عليه واضح مكشوف منذ اليوم الأول، إلا أن الأهواء والميل إلى الدنيا خلقت مذاهب، وشرعت للناس طرقاً أخرى غير طريق الهدى، وروجتها للناس، وساعد على نجاح ذلك تدخل السلطات السياسية بثقلها الكبير حيث حملت الجماهير على التمذهب بالمذاهب المحدثة، وتسبب ذلك في ضعف أهل الحق ودعاته.

[من حديث: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله..]

((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله: ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين))، في هذا الحديث:

١- أن دين الحق لا ينقطع إلى يوم القيامة.

٢- أنه لا تزال طائفة من أهل الحق في كل زمان إلى يوم القيامة.

٣- وأنه لا ينقطع العلم والعلماء إلى ارتفاع التكليف.

٤- وأن علماء أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا أجمعوا في أي عصر فإن إجماعهم حق يجب اتباعه.

٥- وأن الضلال يأتي من ثلاث طرق هي:

١- تحريف الغالين.

٢- انتحال المبطلين.

٣- تأويل الجاهلين.

- وتحريف الغالين هو نحو: أن ينقل النص من معناه المقصود إلى معنى آخر لا يريده الله، ويحصل ذلك إما بتغيير في النص أو بزيادة أو بنقصان.
- وانتحال المبطلين هو أن يضع المبطل من تلقاء نفسه نصاً وينسبه زوراً إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.
- تأويل الجاهلين هو أن يفسر الجاهلون نصوص الشارع بغير تفسيرها الذي يريده الشارع الحكيم.
- وفي الحديث:
  - أنه سيقع في كل خلف من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى يوم القيامة دعاة فتنة في الدين يضللون الناس بفتنهم عن الدين الحق.
  - وأن تلك الفتن خفية لا يدركها إلا العلماء الذين شهد الله تعالى لهم بالعدالة.
  - وأنه يجب علينا نحن -أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أن نتعرف على العلماء العدول من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنتعرف من عندهم على الدين الحق السالم من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.
- **نعم،** قد جاء في حديث صحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعيين العدول الذين أبهمهم في هذا الحديث، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إن عند كل بدعة يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي.... الحديث))، بل قد جاء البيان فيما لا يحصى من الأحاديث الصحيحة، ولو لم يكن إلا حديث الثقلين الذي رواه مسلم في صحيحه.

نعم، لا يمكن لأي طائفة من غير أهل البيت أن يبرهنوا على أنهم العدول المرادون في الحديث.

- **علامات يتعرف** بواسطتها على حملة العلم العدول المرادين في الحديث:

١- من علاماتهم ابتعادهم عن الأمراء والسلاطين، فلا يأتونهم، ولا يكادون يعرفونهم.

٢- لا يشاركون السلطان في ولاية ولا عمل، ولا يحضرون مؤتمراته، ولا..إلخ.

٣- الزهد عن الدنيا، والإقبال على أعمال الآخرة.

٤- لا يأخذون أجراً ولا رواتب، ولا مكافآت على الدعوة إلى الله والإرشاد وتعليم الناس الخير لا من سلطانهم، ولا من جهات داخلية أو خارجية.

- واعلم أن العمالة قد كثرت في رجال الدين ذوي النفوس الضعيفة، فإنه يدخل الكثير منهم في وظائف سرية مع أعداء الدين، وتكون مهمته في هذه الوظيفة هدم الدين الحق، والتفريق بين أهل الحق، واستغواء الأتباع والأشياع، وإثارة العداوات، والتنفير من علماء الحق، واختلاق المساوئ والمعائب لدعاة الحق، وكل ذلك يكون بطرق خفية ووسائل ماكرة لا يتفطن لها إلا القليل من الديانين، وقد نجح أعداء الإسلام في هذا المجال نجاحاً كبيراً.

[إجماع العترة في حكم فدك وحكم مخالفهم]

سؤال: من المعلوم أن إجماع أهل البيت عليهم السلام حجة قاطعة، فهل وقع إجماع من قدماء العترة على حكم أبي بكر في فدك بأنه حكم مخالف لما أنزل الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟

وإذا كان قد وقع إجماع على ذلك فهل يكون الإمام يحيى بن حمزة والإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليهما السلام مخالفين لإجماع العترة عليهم السلام؛ لأنهما صوبا أبا بكر في حكمه وقالا إنه حكم باجتهاده؟

الجواب والله الموفق: أن الأدلة قد دلت على أن حكم أبي بكر في فدك باطل، ولو لم يكن إلا تظلم فاطمة عليها السلام وغضبها على الشيخين، والظاهر أن أهل البيت عليهم السلام مجمعون على بطلانه.

والأقرب إلى الرشد أن نقول: إنهما أخطآ والخطأ معفو عنه ولو خالف الدليل القاطع، وذلك مثل تزويج المرأة في حال عدتها خطأً وجهلاً.

وليس هذا الخطأ مثل خطأ من يقول: إن الله تعالى يرى أو إنه يفعل القبيح؛ لأن هذا جهل بالله تعالى، والجهل بالله كفر، ونسبة القبيح إليه تعالى جهل به أيضاً مع ما في ذلك من حطه من صفة القداسة والحكمة والعدل والرحمة.

[حكم أهل المذاهب المختلفة في دولة الحق]

سؤال: إذا قامت للحق دولة وفي البلاد سلفية وأشعرية وإمامية ومعتزلة فكيف يكون الموقف منهم؟

الجواب: إذا أذعن الجميع بالطاعة في الظاهر فعلى سلطان الحق أن يبين الحق وحججه، ويكثف ذلك، ويكرره بين تلك الطوائف، ولا ينبغي له أن يلحق بأي من تلك الطوائف أذى ما داموا في الطاعة، وهكذا تعامل أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج.

[شيء مما أجمع عليه أهل البيت عليهم السلام]

في لوامع الأنوار نقلاً عن الإمام المنصور بالله عليه السلام: في ذكر شيء مما أجمع عليه أهل البيت عليهم السلام من الفروع ما لفظه: فمن ذلك ما يتعلق بالفروع: إجماعهم على نفي صلاة الجمعة خلف أئمة الجور، وعلى تحريم التلبس بهم، وعلى ترك المسح على الخفين، وعلى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وعلى القنوت في الصلاة بالقرآن، وعلى تكبير خمس على الجنائز، وعلى جهاد المحدثين، وعلى تحريم المسكر وأنواع الملاهي.

[عدم صحة ما روي عن علي عليه السلام من تفسيره لنزع الغل]

روي عن علي عليه السلام أنه قال: (إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذي قال فيهم الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣]). اهـ من كتاب تنبيه الغافلين وحواشيه.

قلت: لا ينبغي أن تكون هذه الرواية صحيحة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وأرى أنها من وضع الذين يقولون: إنه يحرم ذكر الصحابة إلا بخير؛ إذ لو كان أمير المؤمنين عليه السلام يرى أن طلحة والزبير من أهل تلك الآية لما قاتلهم واستباح دماءهم؛ لأن دماء المؤمنين محرمة في الإسلام.

من كلام أمير المؤمنين في شأن عثمان

(ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله- فهو مردود في بيت المال، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، والله لو تُزُوِّج به النساء، وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق).

[وجه الرجاء لعفو الله من الصحابة المصرين على المعاصي الكبيرة]

سؤال: ما هو الوجه فيما يروى عن الكثير من الصحابة من الرجاء في عفو الله والطمع في مغفرته مع إصرارهم على المعاصي، وذلك مثل من كان يعادي علياً عليه السلام، ويتمرد عن طاعته؟

الجواب وبالله التوفيق: أنه لا وجه لطمعهم في المغفرة ورجائهم للعفو مع إصرارهم على الذنب، وتمردهم عن التوبة والرجوع إلى الله، وما طمعهم إلا أماني وغرور.

هذا إذا كانوا طامعين وراجين في نفوسهم ومعتقدين لذلك على الحقيقة، وقد يكون ما ظهر من طمعهم ورجائهم إيهاماً منهم للناس أنهم على الحق، وإلا فإنهم لا يطمعون في الواقع والحقيقة؛ لعلمهم بما هم عليه من مخالفة الحق.

[المعاصي على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله: تبارك ربنا الرحمن الذي أفاض الخير لعباده، وأسبغ عليهم النعم، وأحاط عليهم بلطفه وأظلهم برحمته، فله الحمد كثيراً بكرة وأصيلاً، وصلى الله وسلم على عبدالله ورسوله محمد وعلى آله الطاهرين، أما بعد: فهذه فوائد متفرقة:

- على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت معاصي المسلمين تنقسم إلى قسمين:

١- ردة إلى الشرك والكفر.

٢- عصيان الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويسمى نفاقاً.

ثم حدث التعارف فيما بعد على تخصيص اسم النفاق بمن أسر الكفر وأظهر الإسلام، واسم الفسق على الذي يرتكب معصية كبيرة غير الكفر.

الكذب أنواع:

١- كذب على الله أو على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك معصية كبيرة بل من أكبر المعاصي.

٢- كذب ضار بالمؤمنين، وذلك معصية كبيرة.

٣- كذب غير ضار، وهو معصية محتملة.

٤- قد يعرض عارض لا يجوز معه الصدق، وذلك نحو أن يسألك الظالم عن مؤمن وهو يريد أن يقتله فإنه لا يجوز لك أن تخبره بمكانه، ويكون الواجب عليك إن استطعت أن تصرفه عنه بالمعاريض فإن لم تتهيأ لك المعاريض فاصرفه بالكذب، ويكون الكذب في هذه الحال حسن، ولكن حسنه ليس لذاته بل لما عرض له من النفع حيث كان فيه نجاة مؤمن، وهكذا حيث يكون في الكذب حفظ مالك أو نفسك أو مال أخيك المؤمن أو حفظ عرضه.

-وقد يكون من ذلك إذا سألك أحد والديك عن أمر فإن أجبته بالصدق تألم

وتأثر في نفسه وانفعل، وتوقع أن يؤثر ذلك الانفعال على صحته، ويحدث مثل ذلك عند مرضى القلب، وقد يحدث عند مرضى السكر والضغط؛ فإنه لا ينبغي ولا يجوز أن يجيب الولد أحد والديه بالصدق لما فيه من إلحاق الضرر بوالده، ووجب عليه أن يعرض له في الجواب إن تمكن، وإلا كان ذلك رخصة له في الكذب.

ودليل ما ذكرنا عقلي، فإن العقل يحكم بحسن الكذب الذي فيه سلامة المؤمن من القتل ونحوه، ويحكم بقبح الصدق إذا تسبب في قتل مؤمن أو نحوه.

[في ذكر غزوة أحد من كتب أهل السنة]

في فتح الباري في ذكر غزوة أحد: ووقع عند الطبري من طريق السدي: وقال بعض من فرَّ إلى الجبل: ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أُبَيّ يستأمن لنا من أبي سفيان. اهـ

قلت: الستر على فاعل ذلك يشير إلى أن القائل ممن ينبغي الستر عليه عند أهل السنة، وأنه من أعيان الصحابة.

ويؤخذ من ذلك: الرد على أهل السنة في غلوهم في الصحابة وتشددهم في تنزيههم وتقديسهم، وقد ظهر من قصة أحد عدة مسائل كلها ترد على أهل السنة في مذهبهم في الصحابة، منها:

أنه كان في الصحابة منافقون، ظهر ذلك حين رجع عبدالله بن أبي بثلث الخارجين إلى أحد.

ومن قوله تعالى: ﴿يَغْشَى طَابِفَةً مِنْكُمْ وَطَابِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾ الآية [آل عمران:١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية

-ضخم أهل السنة عظمة هذه الشخصيات، وروجوا لها ترويجاً عريضاً وألبسوها من حلل الفضل أغلاها وأعلاها، وبنوا لها سوراً عظيماً من الفضل والفضائل، وحرسوه حراسة مشددة فلا يرمي أحد تلك الشخصيات بكلمة إلا

قطعوا لسانه، ولا يمد أحد يده إلى ذلك السور إلا قطعوها، ولا يمشي بقدم إلا بتروها، ولا ينظر أحد إليه نظر شزر إلا قلعوا عينه.

ولا يظهر من أحد سوء رأي في تلك الشخصيات إلا أزهقوا روحه، ومن قدَّم على تلك الشخصيات غيرها في الفضل كفروه وحكموا بزندقته، واستحلوا دمه، وأخرجوه من دائرة الإسلام الوسيعة.

وقد أراد أهل السنة بهذا الصنيع أن يدحضوا فضائل علي بن أبي طالب وأهل البيت التي جاء بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وملأ بها المسامع، وضاقت بها الأرجاء.

-وبقوة دولة بني أمية وعظيم سلطانها حُمِل المسلمون على التدين بذلك الفضل المروَّج، وأدخل في صلب عقيدة الإسلام عند أهل السنة والجماعة.

فضيلة لعبدالله بن رواحة

روي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لما قُتِل عبدالله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((كان أولنا فصولاً وآخرنا قفولاً، وكان يصلي الصلاة لوقتها)). اهـ من كتاب السير الكبير للشيباني.

معنى الحديث: أن عبدالله بن رواحة كان أول من يخرج من الصف لقتال المشركين، وآخر من يرجع من ساحة القتال، ومع ذلك فإنه كان يحافظ على أوقات الصلاة فيصلي الصلاة في وقتها لا يمنعه القتال من ذلك.

من العقد الفريد: [**في شأن عثمان**]

- سعد بن أبي وقاص في شأن عثمان: قتله سيف سلته عائشة، وشحذه طلحة، وسمه علي.

  قال السائل: فما حال الزبير؟

  قال: أشار بيده، وصمت بلسانه. انتهى.

قلت: بل قتله سوء سيرته حيث أسند أمر الخلافة إلى قرابته، وكانوا غير مرضيين؛ فأكلوا أموال الله وظلموا عباد الله.

- عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم.

من العقد الفريد: [**في ذكر علي** عليه السلام]

انتقص ابن لحمزة بن عبدالله بن الزبير علياً؛ فقال له أبوه: يا بني إنه والله ما بنت الدنيا شيئاً إلا هدمه الدين، وما بنى الدين شيئاً فهدمته الدنيا، أما ترى علياً وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكأنما والله يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء، وما ترى بني مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكأنما يكشفون عن الجيف. انتهى.

[**تعريف الصحابي عند البخاري وابن المديني**]

تعريف الصحابي كما قال البخاري في كتابه: من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو رآه من المسلمين فهو صحابي.

وقال علي بن المديني: من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو رآه ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي.

[**توثيق جليس الحجاج**]

عنبسة بن سعيد بن العاص بن أمية -جليس الحجاج بن يوسف- قال فيه يحيى بن معين: ثقة. وكذا قال النسائي وأبو داود والدارقطني، وروى له البخاري ومسلم. انتهى من العلم الشامخ.

الشخصيات الإسلامية

لعبت السياسة منذ موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما بعد في تشويه الصورة الحقيقية لرجالات الإسلام التاريخيين، فرفعت رجالاً، ووضعت رجالاً، وعظمت رجالاً، وصغرت رجالاً.

واشتهرت بسبب السياسة رجال، وخمل بسببها آخرون، بل إن السياسة تجعل من الرجل الراسخ في العلم والإيمان والتقوى زنديقاً يحل دمه وعرضه، ولا تقبل شهادته ولا روايته، فيجيء الكاتب والمؤلف والمؤرخ وغيرهم فيسطر في كتابه عن الشخصية ما ظهر واشتهر على الساحة من عظمتها أو حقارتها أو... إلخ، من غير نظر منه ولا التفات لما صنعته السياسة، ثم يجيء الباحث من بعد فيأخذ ما يجد في ذلك الكتاب ويعتمد عليه في تقييم الشخصيات الإسلامية.

نعم، الذي يعتمد في ذلك على ما كتب في هذا المجال من غير نظر إلى ما ذكرنا هو واحد من اثنين:

١ـ إما رجل جاهل قاده جهله إلى التقليد لمن تقدمه، والثقة بما كتبوا.

٢ـ وإما رجل ذو هوى وميول إلى ما صنعته السياسة مع علمه بحقائق الأحوال.

طبيعة الكتب التاريخية

الأغلب من كتب التأريخ والتراجم وتقييم الشخصيات إن لم نقل كلها قد كتبت أول ما كتبت «عصر التدوين» بأقلام صنعتها بنو أمية وعصر التدوين كان في أول العصر العباسي، وكان علماء ذلك العصر هم صنائع بني أمية.

ودليل ما ذكرنا وشرحنا: هو أن نلقي نظرة على أوثق الكتب والمؤلفات التي كتبت وألفت في أواخر تلك الفترات وهو كتاب صحيح البخاري فإن فيه تصديق ما ذكرنا، وهو أن البخاري حين ذكر زياد ابن أبيه الذي استلحقه معاوية سماه: زياد بن أبي سفيان.

[مناقشة حول شخصية عبدالله بن سبأ]

ينسب الكثير من أهل السنة والجماعة ما جرى من الفتن والقتل والقتال والعداوات بين الصحابة إلى عبدالله بن سبأ فقالوا: إنه بدهائه ومكره هو الذي دبَّر قتل عمر، وألَّب أهل الأمصار على قتل عثمان، وأنه الذي أشعل بفتنته معركة الجمل، ومعارك صفين، ومقتل علي بن أبي طالب، ومقتل عمار بن ياسر، ومقتل الكثير من الصحابة السابقين من أهل بدر وغيرهم، ومن سائر الصحابة، وأنه هو الذي أسس مذهب الشيعة، وأثار الطعن على عثمان ومعاوية ومروان، والوليد بن عقبة وغيرهم و..إلخ.

وقالوا: إن عبدالله بن سبأ من اليمن، وأن أصله يهودي دخل في الإسلام ليكيد أهله ويصدهم عن دينهم، وأنه كان يتنقل بين الأمصار ليبعث أهلها على الفتنة، وأنه أسلم في زمان عمر بن الخطاب.

- ولا شك أن ما ذكروه عن عبدالله بن سبأ يثير عدة تساؤلات واستفسارات على رواة ذلك وهي:
- هل من الممكن في العادة أن يصنع عبدالله بن سبأ ما صنع في أكثر عهد عمر ثم في عهد عثمان ثم في عهد علي بن أبي طالب من غير أن يتنبه له أولئك الخلفاء، أو يتنبه له أمراؤهم وقوادهم، ومن غير أن يتنبه له الصحابة السابقون واللاحقون، ولا يتنبه له التابعون؟
- متى اكتشف المسلمون شخصية ابن سبأ؟ ومتى اكتشفوا أنه المتسبب والمسؤول عن تلك الفتن؟
- هل اكتشفوا ذلك في عهد الصحابة؟
- فإن كان اكتشاف ذلك في عهد عثمان فلماذا حصلت معركة الجمل التي ذهبت ببقية أهل بدر، وبآلاف من غيرهم من الصحابة والتابعين؟
- وإن كان اكتشافه في عهد علي؛ فلماذا وقعت معارك صفين؟ ومن هو المسؤول عنها؟
- وهل من الممكن أن يعرف كبار الصحابة وصغارهم والتابعون لهم بإحسان سياسة عبدالله بن سبأ اليهودي وفتنته ثم يدخلون فيها بكل جد؟
- وإذا كانوا دخلوا فيها بعد العلم بها، فهل أحسنوا أم أساءوا؟
- فإن كان الصحابة جميعاً لم يعرفوا سياسة ابن سبأ، ولا اطلعوا على مكائده ومكره وفتنته على الإطلاق حتى ماتوا جميعاً؛ فمن هو الذي روى لنا تفاصيل فتنة ابن سبأ وتفاصيل حيله ومكره في الأمصار وبين الصحابة والخلفاء وغيرهم؟
- هل هو عبدالله بن سبأ الذي قص ذلك ونقل إلينا خبره؟
- وإذا كان هو الذي أخبر بذلك فهل يريد بخبره تحذير المسلمين من فتنته وإخراجهم منها؟

- وإذا كان الصحابة قد عرفوا أعمال عبدالله بن سبأ ومكائده للإسلام فلماذا لم يسعوا في قتله والتخلص منه؟
- ولماذا لم ينبه الصحابة أبا ذر الغفاري حين كان يطعن على عثمان وعلى عماله، ويحذروه من ابن سبأ، ومن الانصياع لمكائده؟
- وإذا كان عبدالله بن سبأ هو الذي أسس مذهب التشيع، فلماذا روى أهل الصحاح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحاديث كثيرة في فضل علي بن أبي طالب خصوصاً، وفي فضل أهل البيت عموماً مثل حديث المنزلة، وحديث لأعطين الراية؟ وحديث الثقلين وغير ذلك مما يطول ذكره؟
- هل ابن سبأ هو الذي اختلق تلك الأحاديث وروَّج لها حتى قبلها المسلمون، وصححها أئمة الحديث؟
- ولماذا لم يتنبه أهل الصحاح لمكائد ابن سبأ حتى رووا وصححوا أحاديث في فضل علي وأهل البيت؟
- وإذا كان عبدالله بن سبأ يحدث الناس بأحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المتعلقة بفضل علي وفاطمة والحسن والحسين وأهل البيت التي رواها أهل الصحاح فأي استنكار في ذلك؟
- ومن سيكون المجرم؟ الذي يحدث بفضل علي وأهل البيت بالأحاديث الصحيحة؟ أم الذي يلعن علياً وأهل البيت ويقبحهم إلى الناس وينفرهم عنهم؟
- وهل كان الصحابة قد نسوا جميعاً أحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التي قالها في أهل بيته حتى جاء عبدالله بن سبأ فأحياها؟
- وهل إحياؤها بعد نسيانها جريمة منكرة؟
- وكيف عرف عبدالله بن سبأ أن إحياء الأحاديث النبوية المنسية سيكون طريقاً إلى هدم الإسلام؟

- أليس العكس هو الصحيح؟
- إذا أصر الخصم على أن مذهب التشيع مذهب منسوب إلى ابن سبأ، وأنه مذهب مرفوض على الإطلاق، وأنه باطل فكيف نصنع بالأحاديث الصحيحة المروية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصحاح وفي غيرها؟
- هل نرفضها وإن صحت؟
- وهل رفضها إيمان؟!!
- ومن هو الذي يستحق أن يسمى رافضياً؛ الذي يرفضها ويرفض العمل بها والتدين بمقتضاها؟ أم الذي يعمل بها ويدين بها؟
- وإذا كانت أحاديث التشيع في علي وأهل البيت ثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فما هو دور عبدالله بن سبأ؟
- وهل من الممكن أن يكون عبدالله بن سبأ زين للصحابة حتى حملهم على اختلاق الأحاديث في فضل علي وأهل البيت، ثم زين لهم قبول تلك الأحاديث والتصديق بها؟
- وهل من الممكن أن تنطلي تلك المكيدة على المسلمين قرناً بعد قرن حتى يرويها أهل الصحاح؟
- وهل يعتبر أهل الصحاح وأئمة الحديث سبئية لروايتهم لفضل علي وأهل البيت؟
- وإذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد قال تلك الأحاديث فهل يكون بقوله سبئياً؟
- أم أن السبئية لا تطلق إلا على العامل بتلك الأحاديث والمصدق بها دون القائل؟

[ذكر الإمام زيد في كتب الإمامية]

في عيون أخبار الرضى للصدوق وفي «كتابة الأثر» من الإمامية: قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للحسين السبط: ((يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس، يدخلون الجنة بغير حساب)).

وفي عيون أخبار الرضى أيضاً: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيه: ((إنه يخرج ويقتل بالكوفة ويصلب بالكناسة، يخرج من قبره نبشاً، وتفتح لروحه أبواب السماء، وتبتهج به أهل السماوات والأرض)).

وفي كتاب الملاحم لابن طاووس من الإمامية: قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد وقف على موضع صلبه بالكوفة؛ فبكى وبكى أصحابه، فقالوا له: ما الذي أبكاك؟ قال: (إن رجلاً من ولدي يصلب في هذا الموضع، من رضي أن ينظر إلى عورته أكبه الله على وجهه في النار). انتهى من الغدير ج٣/ ص٦٩.

[من كلام الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن]

من كلام الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو على المنبر يخطب: (أيها الناس إني وجدت جميع ما يطلب العباد من جسيم الخير عند الله في ثلاث: في المنطق والنظر والسكوت؛ فكل منطق ليس فيه ذكر فهو لغو، وكل سكوت ليس فيه فكر فهو سهو، وكل نظر ليس فيه اعتبار فهو غفلة، فطوبى لمن كان منطقه ذكراً، ونظره اعتباراً، وسكوته تفكراً، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وسلم المسلمون منه...)، فعجب الناس من كلامه.

[بقاء بيت القاسم بن إبراهيم الدهر]

في مطلع البدور ج٤ ص ١٣١: وقد اشتهر عن الناصر أنه كان يقول: بيتان كبيران معموران بيتي وبيت القاسم بن إبراهيم، فأما بيتي فيخرب على قرب، وأما بيت القاسم فيبقى الدهر. أو كما قال. اهـ

قلت: قد صَدَّق الْخُبْرُ الْخَبَرَ، فبيت الناصر عَلَيْهِ السَّلَامُ خرب بموته، فلم يجر لأحد من ذريته تقريباً ذكر فيما يرجع إلى إحياء الدين والعلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا نادراً كأبي الفضل الناصر وهو من أولاد الناصر، أما بيت القاسم فما زالوا إلى اليوم نجوم هداية ودعاة إلى دين الله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وما زالوا في إحياء الدين والعلم و.. الخ.

من كلام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام

١- أصل الخشية لله العلم، وفرع الخشية لله الورع، وفرع الورع الدين، ونظام الدين محاسبة نفسه.

٢- وآفة الورع تجويز المرء لنفسه الصغيرة من فعله.

٣- وأصل التدبير فهو التمييز، وأصل التمييز فهو الفكر، ومن لم يجد تفكيره لم يجد تمييزه، ومن لم يجد تمييزه لم يستحكم تدبيره.

٤- والعقل كمال الإنسان.

٥- والتجربة لقاح العقل.

٦- ومن لم ينتفع بتجربته لم ينتفع بما ركب فيه من عقله.

٧- وشكر المنة زيادة في النعمة.

٨- والنعمة لا تتم لمن رُزِقَها إلا بشكر موليها.

٩- ومن أغفل شكر الإحسان فقد استدعى لنفسه الحرمان.

١٠- ومن أراد ألا تفارقه نعم الله فلا يفارق شكر الله.

١١- وحصن الرأي التأني، وآفته العجلة إلا عند بيان الفرصة.

١٢- ومن علم ما لله عنده لم يكد يهلك.

١٣- ومن أراد أن ينظر ما له عند الله فلينظر ما لله عنده، ثم ليعلم أن له عند الله مثل ما لله عنده.

١٤- وجودة اللسان زين الإنسان.

١٥- وحياة القلب أصل البيان.

١٦- ومن فكر في عواقب فعله نجا من موبقات عمله.

١٧- وصاحب الدين مرهوب، وصاحب السخا محبوب، وصاحب العلم مرغوب إليه، وذو النصفة مثنى عليه.

١٨- ومن كفى الناس مؤمنة نفسه كفاه الله مؤنة غيره.

١٩- ومن خضع وتذلل لله فقد لبس ثوب الإيمان، ومن لبس ثوب الإيمان

فقد تتوج بتاج العزة من الرحمن.

٢٠- ومن رزقه الله نزاهة النفس فقد أعطي عوضاً من العبادة.

٢١- ومن وفق للصبر عند البلاء فقد خفت عليه المحنة العظمى.

٢٢- ومن أراد من الله التوفيق والتسديد فيعمل لله بالإخلاص والتحقيق.

٢٣- والعلم والحكمة لا ينموان مع المعصية.

٢٤- والجهل والحيرة لا يقيمان مع الطاعة.

٢٥- ومن وفق أمن من الزلل، ومن خذل لم يتم له عمل، ولم يبلغ غاية من الأمل.

٢٦- ومن قوي ناظر قلبه لم يضره ضعف بصره.

٢٧- ومن نظر إلى نفسه بغير ما هو فيه فقد أمكن الناس من الطعن عليه.

٢٨- ودواء العي قلة الكلام، ودواء الجهل التعلم، ودواء الخوف من عذاب الله العمل بطاعة الله والترك لمعاصيه وحسن الأوبة إليه.

٢٩- ومن رغب في الله اتصل به وانقطع على الحقيقة إليه.

٣٠- ومن لم يهتد إلى أفضل العبادة وأسناها فليقصد لمخالفة النفس في هواها.

٣١- والعلم مصباح في صدور العلماء زيته الورع، وذبالته الزهد في الدنيا.

٣٢- والورع والمكالبة على الدنيا لا يجتمعان أبداً كما لا يجتمع في إناء واحد النار والماء.

٣٣- ومن اشتدت رغبته في الدنيا طلب لنفسه التأويلات، وتقحم بلا شك في المهلكات، وكان عند الله من أهل الخطيئات.

٣٤- وصاحب الدنيا الراغب فيها كالحسود لا يستريح قلبه من الغم أبداً، ولا يخلو فكره من الهم أصلاً، ولو أعطي منها كل العطاء.

٣٥- والحلم مع الصبر، ولا حلم لمن لا صبر له.

٣٦- وعروق الحكمة التي تضرب في الصدور هي طاعة الله، ولا تثبت الحكمة إلا مع الطاعة، ومن عدم الحكمة عدم النعمة.

٣٧- والحكمة كالشجرة عروقها الطاعة وثمرها البلاغة.

٣٨- وأصل البر اللطف، وفروعه النصفة.

٣٩- وأصل العقوق قلة النصفة، وفرعه الجفاء.

٤٠- وأصل الحمق قلة العقل، وفرعه العجب في النفس.

انتهى من الحدائق الوردية.

[علي بن العباس]

علي بن العباس: هو من فقهاء الهادي عليه السلام، وقيل: من أهل البيت عليهم السلام، وقيل: إنه أحرز علم اثني عشر إماماً، وكان يضرب به المثل في الزهد والورع، وقبره في حوث مشهور مزور. انتهى من حاشية شرح الأزهار.

[من هامش كتاب الإمام جعفر الصادق]

في هامش كتاب (الإمام جعفر الصادق): في سنة ٤١٢هـ صدر مرسوم في بغداد كفَّر به الخليفة القادر بالله المعتزلة وأمر باستتابتهم.

[من كلام الإمام القاسم العياني في التأويل وغيره]

من كلام الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام: (أصل التأويل أول الخبال، والاختلاف في الأئمة أول الضلال، والاعتماد على غير الذرية أول الوبال).

(الراغب في عدونا كالزاهد فينا، المحسن إلى عدونا كالمسيء بنا، الشاكر لعدونا كالذام لنا). انتهى من الحدائق الوردية.

(أصل العلم مع السؤال، وأصل الجهل مع الجدال، العالم في غير علمنا كالجاهل بحقنا).

(الخاذل لنا كالمعين علينا، المتخلف عن داعينا كالمجيب لعدونا).

(معارضنا في الحكم كالحاكم بغير الحق علينا، المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيين، هنا أصل الفتنة يا جماعة الشيعة). انتهى من الحدائق.

[الفترة بين ابني الهادي عليه السلام وبين الإمام أحمد بن سليمان]

الليلة الثامنة من ليالي شهر رمضان ١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على أمور الدنيا والدين.

يظهر أن الفترة الواقعة بين ابني الهادي محمد وأحمد وبين الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام كانت فترة ركود لم نر للمحابر والأقلام فيها أثراً، ولم يظهر السبب في ذلك، وهذا بالنسبة لزيدية اليمن.

وقد كانت وفاة الإمام الناصر بن الهادي سنة ٣٢٢ هـ، وكان ظهور دعوة الإمام أحمد بن سليمان في سنة ٥٣٢هـ.

ولم يظهر في تلك الفترة إلا الإمام القاسم العياني، جاء به أهل اليمن من بلاد خثعم، إلا أن أيامه كانت قصيرة مع ما لاقاه من الخلاف والصراع من بعض أعوانه وخلفه بعد وفاته ولده الإمام الحسين بن القاسم إلا أنه لم يكن لولايته استقرار فأيامه كانت أيام حرب لا يسمع فيها إلا صهيل الخيول وصلصلة السيوف وجيوش الحتوف، وأخيراً قتل شهيداً على أبواب ريدة.

وبسبب ذلك الركود الفكري الطويل لدى أتباع المذهب الزيدي الذي نام أكثر من مائتي عام ولدت المطرفية، وشب مذهبها وانتشر، وولدت فرقة الحسينية وانتشر مذهبها، وازدهر مذهب الإسماعيلية وكثر أتباعه، وصار له دولة وصولة، وكل ذلك بسبب الركود الذي حصل للمذهب الزيدي خلال مائتي عام تقريباً حيث غاب في تلك الفترة العلماء الأئمة والمؤلفون ودرسة العلم ومدارسه من الساحة في بلاد الزيدية.

ولم تقم للفكر قائمة إلا في عهد الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام وبعده، فإنه انتعش المذهب الزيدي، وقامت قائمته بعلم الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام وبسيفه، فبين بعلمه الشوائب التي دخلت في المذهب، وسل سيفه ضد أعداء المذهب، وجاء القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام الأبناوي وكتب في المذهب وأعلنه ودعا إليه، وحارب بقلمه الدخلاء في المذهب.

وتخرج على يديه علماء كبار نعش الله بهم الدين، وأحيا بهم ما مات، واسترجع بهم ما فات، وكان من أعيانهم شمس الدين وبدر الدين أحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى وحمزة بن سليمان، والد الإمام عبدالله بن حمزة، والشيخ الحسن الرصاص، ومن آل أبي النجم والقرشي وغيرهم كثير لا تحضرني أسماؤهم غطوا بلاد الزيدية بعلمهم، ونعشوها بجدهم واجتهادهم، ووقفوا في وجه المطرفية وفي وجوه الإسماعيلية ووجوه الحسينية ووجوه المجسمة والمجبرة، وكان لهم الأثر الواضح، وأنجح الله مساعيهم، وبارك في جهودهم.

وجاء على أثرهم الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام فجرف بعلمه وسيفه ما بقي من آثارهم، واستأصل ما بقي من عروقهم، ولم يبق لهم أثر في بلاد الزيدية وكثر العلماء وكثر نتاجهم الفكري، وامتلأت بهم الساحات في بلاد الزيدية ولم يبق لأهل تلك المذاهب الباطلة أي وجود على الساحة، ومن بقي منهم على مطرفيته أو إسماعيليته أو... فدينه حبيس صدره لا يجسر على إظهاره.

ومنذ ذلك الحين إلى قيام ثورة سبتمبر ما زال المذهب حياً في بلاد الزيدية مستولياً على جميع ساحاتها.

وحين قامت الثورة ١٩٦٢م ١٣٨٢هجرية ابتلي المذهب وحملته بحرب قاسية قتل فيها الكثير من حملة العلم، وهدمت مدارس العلم، وأقصي من بقي من العلماء وحوصروا، ووجهت إليهم ضغوط تمنعهم من نشر العلم وتعليمه.

ووجهت للمذهب حروب معنوية، منها فتح الساحة للمذهب المخالف، وتشجيع الناس للدخول فيه، وفتح مدارس لهم، وطبع كتبهم ونشرها، ومنع طبع كتب الزيدية ومنع نشرها، وإغراء أتباع الزيدية وأبناء العلماء بالدخول في المدارس والجامعات، ومواصلة الدراسة العليا في الخارج، وتهميش من يحمل علم الزيدية وإقصائه، وحرمانه من أي وظيفة أو عمل يدر عليه رزقه، وعرقلته في أي عمل يتوجه إليه، وربما سرقت بضاعته إذا كان له تجارة، أو نسف محل

تجارته بعبوة ناسفة في الليل، وكل ذلك بسبب تمسكه بدينه واعتصامه بمذهبه، وربما اختلقوا له التهم، ولفقوا له أسباب الإدانة.

الإمام الحسين بن القاسم العياني عليه السلام:

إمام عظيم واسع العلم، له كتاب تفسير القرآن يدل على سعة علمه بلغة العرب، فهو يستشهد كثيراً بشواهد على تفسيره من أشعار العرب، ويظهر من تفسيره أنه ذو قدم راسخ في المعرفة بعلوم الهادي وأولاده عليهم السلام، ويظهر أنه شديد التمسك بمذاهبهم وأقوالهم، وتفسيره ممتع.

[من كلام أبي هاشم النفس الزكية]

من كلام الإمام أبي هاشم النفس الزكية الحسن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين عليه السلام يمدح فيه همدان: «وهذا الحي من همدان، أهل المجد والبأس والنجدة والمراس، وسراة الناس، من رضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم طاعتهم وموالاتهم، ومشايعتهم ومصافاتهم، ومحاماتهم دوننا أهل البيت ومدافعتهم، وإنصابهم في شيعتنا، ومظاهرتهم وموازرتهم للقائم منا، ومصاحبتهم ومكاتفتهم لمحقنا، ومعاضدتهم ومواساتهم لمقلنا، ومخاشنتهم لمبغضنا، ومحاماتهم علينا.

فقد شملت فواضلهم وعمت نوافلهم، فهم بطانتنا وخاصتنا وأولياء دعوتنا، وأعضاد دولتنا، وحماة حوزتنا، ومفزع رأينا ومشورتنا، فجزى الله أحياءهم عنا خيراً وبراً، وحمداً ومناً وشكراً، وأوسع أمواتهم ثواباً وأجراً وعفواً وغفراً، فكم من عظيمة دوننا تولوها، وكم من كريهة جلوها، وكم من شهيد تحت لواء الحق معفراً، وقتيل أمام إمامه مجدل، وصريع في قلب مصافه مزمل...إلخ».

الإمام علي بن المؤيد بن جبريل عليه السلام

ليس للإمام علي بن المؤيد عليه السلام مؤلفات كغيره من الأئمة كالإمام أحمد بن يحيى المرتضى، والإمام يحيى بن حمزة، والإمام عز الدين بن الحسن...إلخ، إلا أني قرأت له رسالتين صغيرتين كشفتا لي عن سعة علم الإمام علي بن المؤيد عليه السلام في كل مجال، وعن كمال علمه في كل فن.

فأول ما يرى قارئ رسائله آثار تمكنه في علوم اللغة العربية من النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع، ومفردات اللغة، والقدرة على صناعة الكلام البليغ، وتزيينه بأنواع البديع؛ فسلام الله عليه ورحمته وبركاته.

ومن أمارات كرامة الله للإمام علي بن المؤيد عليه السلام ورفيع منزلته لديه- ما جعل الله سبحانه وتعالى من البركة في ذريته إلى اليوم فما زال العلم والعلماء في ذريته، بل إن أكابر علماء الزيدية من ذريته في كل عصر.

وكما كشفت الرسالتان عن سعة علمه وكماله في كل فن فقد كشفتا عن تواضعه وزهده وإخلاصه ونصيحته، وحسن معاملته وسياسته، وقوة شخصيته.

[علماء أهل البيت المجتهدين في هذا العصر]

سؤال: من هم علماء أهل البيت المجتهدون في هذا العصر سنة ١٤٣٠هـ؟

الجواب: كان في الزمن القريب اثنان من علماء أهل البيت هما العلامة الكبير علي بن محمد العجري، والعلامة الكبير مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي رحمة الله عليهما، وكانا من أئمة العلم والاجتهاد، ولا أعلم في زمننا هذا من يماثلهما ولا من يقاربهما، ولكن هناك بقية من علماء أهل البيت وعلماء الشيعة أراهم فيما بين درجتي الاجتهاد والتقليد بهم تتم حجة الله على العباد.

[خير العرب قريش وخير العجم فارس]

((لله خيرتان من الناس فخيرته من العرب قريش، وخيرته من العجم فارس)).

((والذي نفسي بيده لو كان الدين منوطاً بالثريا لنالته رجال من فارس، وأسعدهم به فارس)).

- مصداق الحديث الأول في قريش ظاهر، فإن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ثم أهل بيته من بعده إلى يوم الناس هذا رفعوا راية الحق، وأعلنوا دين الله، وأقاموا حجة الله على خلقه، وصبروا وصابروا، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم، ولم يخشوا طغيان متكبر ظالم، فنشروا دين الله على وجهه، وأقاموا حجة الله على خلقه، مراغمين للظالمين والمبطلين.
- وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديثين ما قال في فارس قبل أن يدخل أهل فارس في الإسلام.

وقد ظهرت مصداقية الخبر النبوي على صاحبه وآله أفضل الصلاة والسلام بعد القرن الثاني الهجري عدة قرون رفعت فيها راية الدين الحق، وظهرت حجة الله، وانتشر العلم، و...إلخ، ثم ضعف الحق هناك وذهب تماماً، وقام على أنقاضه المذهب الجعفري الإمامي، وما زال قائماً إلى اليوم.

- ولعل لفارس كرَّةً أخرى لنصر الدين فيما يستقبل من الزمان؛ لما روي عن الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام من الأثر: إن لأهل تلك البلاد خرجتين مع أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- وقد مضت خرجة وهي ما ذكرنا، وبقي خرجة لم تأت بعد، وهي لا بد واقعة إن شاء الله تعالى؛ لأثر الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام، ويعضده الخبران اللذان ذكرناهما أولاً.
- وفي كبير ظني أن خرجتهم الأخيرة مع أهل البيت عليهم السلام ستكون مع الإمام المهدي عليه السلام، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ما معناه: (إنهم – الفرس- سيقاتلونكم على الدين في آخر الزمان كما قاتلتموهم عليه في أوله)، وفي كتب الملاحم ما يشهد لما قلنا.
- قوله: ((وأسعدهم به فارس)) يراد به والله أعلم: أن أهل فارس سيكونون أكثر أمة مناصحة للمهدي ومناصرة له ومتبعة لهداه، بخلاف غيرها من الأمم والشعوب والقبائل.

- وفي الخبر الأول:

- أن قريشاً لا يزال فيها من يرفع راية الحق إلى يوم القيامة، وأن أمة من فارس لا تزال مناصرة للحق إلى يوم القيامة.

[القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام]

سؤال: هل كان القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام يقول إن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب بلا فصل، ويحكم بتخطئة المتقدمين عليه أم لا؟

الجواب والله الموفق: أن المشهور والظاهر بين علماء الزيدية أن القاضي جعفراً من مشاهير علماء الزيدية وأعيان رجالها ومشائخها.

والمعروف أن من لم يقل بأن الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو علي بن أبي طالب فليس بزيدي، وكذلك المعروف أن من لم يحكم بتخطئة المتقدمين عليه فليس بزيدي.

وكان الأولى أن تذكر الباعث على هذا السؤال حتى يكون الكلام حوله، وأما ما في الخلاصة من الترضية فلعلها من الناسخ أو الطابع ولعلها.. ولعلها...، ولعله -أي: القاضي- يذهب إلى أن خطأ المشائخ لم يصل بهم إلى الحد الذي لا يجوز معه الدعاء لهم.

ابن مفتاح

ابن مفتاح هو مؤلف شرح الأزهار، وشرح الأزهار هو عمدة فقه الزيدية في اليمن، وعليه اعتماد الزيدية، وهو مصدر فقههم، وقد نال هذا المؤلف شهرة، وصار له رواج عند جميع الزيدية حتى كادت أن تنسى ما سواه من كتب الفقه الزيدية على كثرتها وسعتها.

وقد قبر ابن مفتاح في مقبرة كبيرة جنوب باب اليمن بصنعاء، وقبره معروف مشهور مزور.

وقد جُرِفَت القبور التي حوله في تلك المقبرة لتسوية شارع تعز وزفلتته، إلا أن عناية الله تعالى حالت دون جرف قبر ابن مفتاح؛ فلم تستطع آلات الجرف

الحديثة جرفه ولا هدمه، وعجب الناس لذلك، وانبهر عمال الشركة لذلك القبر وكانوا أجانب وقالوا: «ها هنا رهبان!!» واشتهرت هذه الحادثة الكريمة في صنعاء، ولم تزل هذه الحادثة مشهورة في صنعاء إلى اليوم، وقد سألتُ -أنا- صاحبَ محل في شارع تعز من أهل المحافظات الشافعية فأخبرني بهذه القصة، ويُعَجِّبني في خبره، وهو لا يعرف ابن مفتاح ولا أحواله، بل يسميه «صاحب القبر الأبيض».

وما زال القبر اليوم في شارع تعز، عليه شبك وباب على جانب الشارع الغربي، وعنده محلات تجارية.

وفي هذه الأعجوبة الخارقة آية بينة على أن مذهب الزيدية هو مذهب الحق.

فسلام الله تعالى على صاحب ذلك القبر الأبيض، ورحمته وبركاته، وزاد الله تعالى مؤلفه الكريم شرح الأزهار شهرة ورواجاً، وعم بنفعه المسلمين، والحمد لله الذي زادنا في الحق ثقة وبصيرة، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

ولعلماء الزيدية وأئمتهم كرامات كثيرة تتكرر في كل زمان، بل لكثير من مؤمنيهم المخلصين كرامات، وهكذا يؤيد الله تعالى أهل دينه المحقين وينصرهم على غيرهم ويبين فضلهم ورضاه عما هم عليه من الدين.

وهذه ميزة يتميز بها أهل هذا المذهب ويختصون بها، كرامة أكرمهم الله بها، وخصهم بها، أما من سواهم من أهل المذاهب فليس لهم من ذلك حظ ولا نصيب.

وللزيدية ميزة يتميزون بها وهي: بعدهم عن السلاطين، وعن التوظف معهم وعدم مقاربتهم ومخالطتهم، وهم مع ذلك أهل فقر شديد، فيصبرون على الفقر ويرونه أفضل من مقاربة السلاطين ومخالطتهم، وقد يموت عالمهم ولم ير أرباب الدولة ولم يروه، بل إن أحدهم يتورع عن الأكل من طعام الموظف عند الأمراء.

[في ذكر الرازي وميله عن الحق]

بسم الله وبالله، والحمد لله، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين:

إني لأتعجب من الرازي صاحب التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» من حيث سعة علمه، وتوقد ذكائه، وقوة فطنته، مع ميله إلى مذهب الجبر، وانتصاره له، ومبالغته في تقويم حججه، في حين أن مذهب الجبر مذهب مكشوف السوأة، وظاهر العورة، تمجه فطر العقول السليمة، ويأباه العدل والحكمة.

وما أظن أن الذي دعاه إلى ذلك إلا العصبية والهوى، نسأل الله من فضله العصمة والسلامة، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران].

والدليل على أن ذلك ناشئٌ عن العصبية والهوى أن الرازي انتصر لمذهب أبي الحسن الأشعري، وسار في طريقه، وذهب مذهبه، مع ما هو عليه من سعة العلم والذكاء والفطنة المتوقدة، وربما أن الرازي أوسع علماً من أبي الحسن وأذكى وأفطن.

وكان من المفروض أن يكون له أنظارٌ وآراء ومذاهب ناتجة عن علمه واطلاعه، وقوة ذكائه وفطنته توازي أنظار أبي الحسن وآراءه ومذاهبه، ولكن لم يكن له شيء من ذلك، وكانت كل قواه العلمية وقدراته الفكرية متوجهة للانتصار لمذهب الأشعري، وفي ذلك ما يشير إلى شدة تعصبه لمذهب الأشعري وقوة هواه فيه.

وهكذا كان وما زال محققو الأشاعرة ومفكروهم؛ فإنهم وجهوا قدراتهم الفكرية إلى الانتصار للأشعري لا غير، ولم يسمح لهم التعصب والهوى أن يحيدوا عنه قيد أنملة.

[فائدة تاريخية في ذكر أهواء المؤرخين]

ممن تولى في اليمن واستقامت له الأمور رجل يقال له: علي بن مهدي، حميري الأصل من قرية يقال لها: العنبرة غربي زبيد، كان يتنسك ويتعبد ويحج كل سنة، وكان حنفي المذهب، وقد أضاف في عقيدته الأصولية التكفير بالمعاصي والقتل عليها، وقتل من خالف عقيدته من أهل القبلة، ثم السبي لنساء أهل القبلة ووطئهم بالملك، واسترقاق ذراريهم، وجعل ديارهم ديار حرب يحكم فيها بما يحكم في أهل دار الحرب.

ومن سيرته قتل المنهزم في الحرب ولا سبيل إلى حياته، وقتل شارب المسكر، ومن سمع الغناء، وقتل الزاني، وقتل من تأخر عن صلاة الجماعة، أو عن مجلس وعظه، أو من تأخر عن زيارة قبر أبيه في يوم الخميس والاثنين ..إلى أشياء عددها صاحب كتاب «بهجة الزمن في تاريخ اليمن». انتهى من التاريخ المذكور، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وهذا الوالي في عصر الإمام عبدالله بن حمزه عليه السلام، وقد زال ملكه على يد طغتكين الأيوبي أخ صلاح الدين الأيوبي، وفي هذا العصر دعا الإمام عبدالله بن حمزه عليه السلام، وكانت له وقعات وملاحم مع طغتكين.

هذا، والمراد بذكر هذه الحكاية أن كثيراً من الكتاب المعاصرين يتكلفون المعائب للإمام المنصور بالله عليه السلام بذكر شيء من سيرته مع المطرفية، ويتظلمون لهم، وكل هذا من أجل أنه حكم فيهم بحكم الله تعالى لم يتجاوزه، وهذا في حين أنهم لم يتعرضوا لسيرة علي بن مهدي الحميري، ولا لسيرة خلفه طغتكين التركماني، مع أن الجميع في عصر واحد، مع سوء سيرة هذين الأخيرين، وبعدها عن نواميس الإسلام، ولكن لله القائل:

هوى النفوس سريرةٌ لا تُعْلَمُ ... كم حار فيها عالمٌ متكلمُ

كوكب الأرض اليوم

ازدهر كوكب الأرض اليوم ازدهاراً عظيماً، وتكاثرت فيه الذراري البشرية، وتزاحمت في مدنه وقراه إلى حد أخاف ساسة الدول العظمى مما جعلهم يتخذون قرارات سياسية لتحديد النسل، وفعلاً طبقوا القرارات بذلك، وما زالت سارية المفعول إلى اليوم.

- وهذا الازدهار العظيم الذي لبسه كوكبنا الأرضي هو ازدهار مادي بحت.
- وإذا كان ازدهار هذا الكوكب قد بلغ الغاية والنهاية في جميع المجالات فإن الإيمان بالله وبدينه قد غاب تماماً من وجه الكرة الأرضية، ولم يبق له وجود إطلاقاً إلا في زوايا ضيقة من الأرض لا يؤبه لها.
- وهناك وجود ديني على مساحات في البلدان الإسلامية وغيرها، إلا أنه وجود غير معتبر؛ لتبعيته للمخابرات الأمريكية وعملائها، أو لخروجه عن جادة الصواب.
- وهناك أيضاً غياب الأخلاق الكريمة، وغياب العدل، وعموم القهر والظلم للشعوب.
- وأيضاً شيوع فواحش البغاء، والشذوذ الجنسي، والخمر، وأنواع المخدرات والمسكرات، وعموم التعامل بالربا، والنصب والاحتيال، وعلى الجملة فعموم الفواحش ظاهر موجود؛ بالإضافة إلى أن أمريكا وحلفاءها من دول الغرب وعملاءها من الدول العربية والإسلامية وغيرهم قد أعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين حيثما كانوا: الحرب العسكرية، والفكرية، والاقتصادية، والسياسية، و..إلخ.

التفرق والضلال في هذه الأمة

-يختلف تفرق هذه الأمة المحمدية وضلالها عن تفرق الأمم السابقة وضلالها فقد كان عنوان ضلال الأمم السابقة هو الشرك بالله تعالى، أما ضلال هذه

الأمة المحمدية فإنه لم يبلغ الشرك، وإنما هو فيما دون الشرك؛ فإن المسلمين جميعاً مؤمنون بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبأن الصلوات خمس، وبصيام شهر رمضان، وبحج البيت، وبأن القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وبأن ما اشتمل عليه حق يلزم الاهتداء به، وبالسمع والطاعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تعالى.

[تعليق على كلام لحسن فرحان المالكي]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين:

تعليق على موضوع كتبه الأستاذ/ حسن بن فرحان المالكي تحت عنوان: «قراءة في التحولات السنية للشيعة».

فأقول أولاً: الموضوع في غاية من الإنصاف، وأرى أن وراءه قلباً بريئاً من الأهواء والعصبيات، وعند قراءتي ذكرت قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥]، بل إن وراءه قلباً ناصحاً شفيقاً أضناه الحزن.

وهنا خطر ببالي قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا۝٦﴾ [الكهف].

وبعد، فلي ملاحظات أو رأي: دعوتك إلى الالتفاف حول الأصول العامة، وهذا أمر حسن؛ غير أن هناك تفاصيل وجزئيات لا يمكن التغاضي عنها، ولا يجدي السعي في إماتتها، وذلك كأفعال العباد مثلاً، وهناك أهواء وعصبيات وضغائن تأريخية موروثة، تزول الرواسي ولا تزول، لا يزداد أهل هذه الأمراض بالتلطف لهم في الإرشاد والنصيحة وبيان الحق والحقيقة إلا تمادياً، وليس ذلك من قلة معرفتهم بالحق، بل داؤهم هو ما ذكرنا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠]، ومثل هؤلاء اسمهم الشرعي «منافقون»، وليس لهم في اسم الإسلام حظ ولا نصيب، وتماماً هم كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ۝٨﴾ [البقرة].

ومثل هذا الصنف أو هذه الأصناف لا يرضى عنك، ولا يمكنك التصالح معه إلا إذا تبعته في مذاهبه وديانته.

إذاً فدعوتك هذه لا تجدي إلا طلاب الحق الذين شغلهم طلبه والبحث عنه، أو من كان بريئاً من أدواء القلوب.

نعم، إذا اجتمع عقلاء الفريقين كما أردت -وقليل مّا هم- فإن النتيجة تكون حتماً هي: الذم والشتم، والتكفير والتفسيق من السواد الأعظم والرأي العام عند الفريقين.

هذا، ولن يعدو الناس أن يكونوا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف]، وصدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: ((الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة)). ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر:٨]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨]؛ إذاً فمسؤولية المصلحين هو البلاغ وبيان الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

نعم، هناك حل أحب أن ألفت انتباهك إليه وهو الحل الشرعي: قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ الآية [النساء:٥٩]، فالرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته المجمع على صحتها عند المختلفين، فما كان كذلك فهو المرجع الذي يجب الرجوع إليه.

ومن المعلوم أن لكل طائفة من الطوائف المشهورة كتباً حديثية ترويها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وترجع إليها وتعتمد عليها.

فما كان من الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتب الطوائف المختلفة فهو الحجة التي يجب الرجوع إليها عند الاختلاف.

وهذا التفسير للآية هو الذي ينبغي أن تفسر به، ومن هنا فلا يكون ما عند أئمة أهل السنة من الحديث حجة على الزيدية أو على الإمامية، وكذلك العكس، ولا تقتنع كل طائفة بما عند الأخرى، ولا ترى نفسها ملزمة بذلك صح أم لم يصح، والله

سبحانه وتعالىٰ لا يأمر عباده بالتحاكم إلا إلىٰ ما هو صحيح عند الجميع.

هذا، والرجوع والتحاكم إلىٰ غير ما ذكرنا من السنة لا يرفع الخلاف كما ذكرنا، وإنما يضاعفه حتماً، وذلك أن النزاع والخلاف سوف ينتقل من المسألة إلىٰ صاحب الرواية، و...إلخ.

نعم، هذه الآية توحي بأن ما لم يحصل فيه خلاف بين المسلمين أنه حق، وأنه لا يجب الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة إلا عند الاختلاف والنزاع.

نعم، قد يقول الذي تحول إلىٰ مذهب الشيعة في تقديم علي وتفضيله بأن السبب هو غير ما ذكرتم، وذلك:

١ - أنه ثبت أن علياً عليه السلام هو أول من آمن من الرجال علىٰ الإطلاق، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة].

٢- أنه لم يدانه أحد من الصحابة في الجهاد والنكاية في المشركين، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥﴾ [النساء].

٣- بالإضافة إلىٰ القرابة القريبة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورسوخ قدمه في العلم.

٤ - وأنه لم يجيء لأحد من الصحابة من الثناء مثل ما جاء لعلي عليه السلام.

وهذه الفضائل لا يشاركه فيها أحد من الصحابة في الجملة والتفصيل.

وإذا كانت الخلافة تستحق بالفضل كما هو الرأي الذي استقر عليه رأي جماهير الصحابة ومن بعدهم من السلف والخلف فلا حاجة بعد ذلك إلىٰ تأويل خبر: ((وهو وليكم بعدي))، وخبر الغدير ونحو ذلك مما يستظهر به الشيعة إذ ما ذكرناه من الفضل لعلي هو الفضل المبين.

والذي أراه أن الواجب هو العمل بظاهر النص إلا إذا عارضته ضرورة العقل أو صادم الدليل القطعي.

[**التوجيه السليم لبعض أسماء الفرق الإسلامية**]

الرافضي هو: من يرفض سنة الرسول ﷺ وشريعته أو شيئاً من ذلك قليلاً أم كثيراً، سواءً كان من الشيعة أم من أهل السنة.

السني: من اتبع شرائع الإسلام وسنة الرسول ﷺ، وسواءً أكان من أهل السنة أم من الشيعة.

الشيعي: هو من أحب الرسول وأحباء الرسول، وسار في طريقهم، وحرص على اقتفاء آثارهم مع الالتزام بالكتاب والسنة.

قولك: كيف نهدر كل هذا السبق من إسلام وإنفاق وهجرة وجهاد و...إلخ؟ ومن السابقين أبو عبيدة...إلخ.

نقول تعليقاً على ذلك:

قد تقيد الآية بآية الفتح وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ [الفتح:١٠].

وبما علم من أن رضوان الله تعالى ومغفرته مرهونة بحسن الخاتمة وحسن الاستقامة، وكم في القرآن من الوعد الجميل، والتبشير بالجنة للمؤمنين على العموم، وكل ذلك مقيد بالاستقامة وملازمة التقوى.

فإعداد الجنات لا يكون إلا لمن استقام على التقوى الإيمان والعمل الصالح بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴿٢﴾﴾ [الحجرات]، وقد نزلت هذه الآية في بعض من ذكرتم كما في تفسير ابن كثير.

وبدليل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود].

إذاً فالاستقامة والالتزام بالتقوى والعمل الصالح مقيدة لوعده تعالى للسابقين

الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم، وإن لم يذكر ذلك في الآية، والتقييد بالدليل المنفصل والتخصيص به كالتقييد والتخصيص بالمتصل سواء.

فإن قيل: إن فضائل الصحابة الأولين من السبق و...إلخ- فضائل كبيرة يغتفر بجنبها ما وقع منهم.

قلنا: بل الأمر هو على العكس تماماً فإن من عظمت نعمة الله عليه، فإن المعصية إذا صدرت منه ولو كانت صغيرة نسبياً تكون كبيرة على قدر كبر نعم الله تعالى عنده، ولهذا قال تعالى في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب:٣٠].

فالحق أن الصحابة وغيرهم سواء في هذا الباب، بل إن معاصي الصحابة أدخل في الفحش، وأقرب إلى مقت الله تعالى كما في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأرى أن ثوب الحصانة السابغ الذي جللت به الصحابة كالحصانة التي أسبغت على رجال الصحيحين، فكل ذلك اصطلاحات عرفية تعارف عليها فئام من الناس، وحظيت بدعم الدول الإسلامية الأولى في العصرين، ثم إلى عصرنا هذا والله المستعان.

والذي يؤيد ما ذكرنا: أن الصحابة حين وقعت الفتنة في آخر عهد عثمان وما بعده لم يكونوا يتحاشون من ذكر بعضهم بعضاً بسوء العمل.

ومن ذلك ما جرى بين عثمان وأبي ذر، وعثمان وعائشة، وهو وطلحة، وهو وعلي من المراجعات في الكلام، وإلى آخر ما جرى في عهد الفتنة الطويل، بل جرى بينهم ما هو أكبر من ذلك وهو قطع الرؤوس وسفك الدماء، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المشهور: ((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث... الحديث)).

هذا، والاعتذار بالخطأ هنا وبالتأويل غير مقنع، فالخطأ عادة إنما يقع ثم يُتلافى، ثم يقع من بعد ذلك الاعتذار والتنصل.

ومن البعيد بل من المحال عادة أن يقع الخطأ في أمر عظيم كخلافة النبوة أو نحوها، ويستمر الخطأ السنة والسنتين والسنين الطوال، من غير أن يتنبه الجمهور وأهل المشورة والرأي لذلك الخطأ.

نقول هذا من غير أن نُكَفِّر أولئك السابقين أو نخرجهم من الإسلام، ولهم بعدُ حرمة مرعية قضت بها لهم السوابق، غير أننا نقف منهم موقف العائب والزاري مع التحفظ ومراعاة الحرمة الأولى، والحكم الله والموعد القيامة.

كل ما ذكرنا هنا نرى أننا ملزمون بالحكم به قضاءً بما دل عليه مثل قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ۝٨﴾ [الزلزلة]، وغير ذلك كثير في القرآن، والمخاطب بهذه الآيات ونحوها هم الصحابة من المهاجرين والأنصار خصوصاً وأولاً، ثم سائر الناس عموماً وثانياً.

وقد قال تعالى في أهل أحد من أصحاب النبي ﷺ: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وقال تعالى في أهل أحد أيضاً زارياً عليهم قلة صبرهم وثباتهم مع نبيهم وقلة وفائهم لعهدهم، وفيهم السابقون وأهل بدر: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ۝١٤٦﴾ [آل عمران].

وقال تعالى مستنكراً لصنيعهم واستكانتهم وضعف نياتهم وثباتهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ۝١٤٤﴾ [آل عمران].

وما ذكرنا هنا يدل على ما قلنا سابقاً إن وعد الله تعالى بالجنان للسابقين الأولين

من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان مرهون بالاستقامة و...إلخ.

فكل هذا يجب الحكم به واعتقاده، ولا يمكن التغاضي عنه بحجة لَمِّ الشمل والوحدة العامة، وذلك أن القرآن نزل من أجل الحكم بما فيه والإيمان به جملة وتفصيلاً، ولا يجوز السكوت عن مثل ذلك عند الحاجة؛ لما أخذ الله تعالى على العلماء من البيان.

نعم، قد يجوز إغفال مثل ذلك أحياناً لمصلحة وقتية، أما إغفاله على الإطلاق ونسيانه تماماً فذلك لا يجوز كما ذكرنا سابقاً.

وأيضاً فإن الحاجة لمعرفة تأريخ الصحابة بالنسبة للعلماء وطلبة العلم حاجة متأكدة؛ إذ هم نقلة الإسلام وشرائع الدين، وهم الإسوة لمن بعدهم، فاقتضى الحال التقصي لمعرفتهم، والتتبع لما جرى من تأريخهم و... و...إلخ.

وأراك في هذا الموضوع قد اخترقت الحواجز التقليدية، وأخرجت الواحد والاثنين... والعشرة، وهذا كثير من مثلك مع ما تعانيه من المضايقة المذهبية.

نعم، أرى أننا لا نختلف معك، وما أعلق به على مناقشتك هذه ليس بملاحظات، وإن كان في صورة الملاحظة والمناقشة، وإنما هو ردة فعل للشعور النفسي.

[من هم ياجوج وماجوج]

سؤال: من هم ياجوج وماجوج الذي جاء بذكرهم القرآن الكريم؟ وأين يقع السد الذي بناه ذو القرنين؟

الجواب: ياجوج وماجوج أمتان من أمم الأرض من بني آدم، طبيعتهم الشر والفساد، كما جاء ذكرهم في القرآن.

ويعيشون كما يشير القرآن في شمال الأرض، والسد يكون في الشمال أيضاً.

ولعل السد قد انهار واندك وياجوج وماجوج قد خرجوا وأفسدوا، ولعلهم التتر الذين عم بلاؤهم جميع المسلمين تقريباً، ولعلهم الإفرنج الذين عم بلاؤهم أيضاً بلاد المسلمين تقريباً.

فإن قلت: قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۝ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ...﴾ إلخ [الأنبياء]، مما يدل على أن خروجهم من علامات الساعة.

قلنا: خروجهم من علامات الساعة، ووقت علامات الساعة هو من مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى قيامها بدليل: ((بعثت أنا والساعة كهاتين)).

[سد يأجوج ومأجوج]

سؤال: ورد في الأخبار والسير أن سد يأجوج ومأجوج موجود في الأرض وأنهم محجوزون خلفه لا ينفتح لهم إلا عند قرب قيام الساعة، ومع تطور المواصلات وتطور العلم الحديث في هذا العصر فإننا لم نسمع خبراً من أي دولة أنه موجود فيها.

فهل هذا يدل على أنه غير موجود وأنه قد انتهى؟ أم أن الله قد أخفى أمره على بني آدم؟

الجواب والله الموفق: أن من القريب أن الوعد بخراب السد قد مضى والدليل على عدم ظهور ما يمنع من المواصلة بين سكان الأرض، وقد سمعنا آخر أخبار موج الناس بعضهم في بعض، وعموم القتال والفتن في نصف الأرض الشمالي حيث سار ذو القرنين بجيوشه، وآخر ما سمعنا الحربين العالميتين الأولى والثانية حيث كانت القتلى من الروس وحدهم في الحرب الثانية عشرين مليوناً حسب ما ذكرته الإذاعة الروسية، وكانت ضحايا الحرب الثانية خمسين مليوناً حسب ما ذكره السيد سابق الهندي العالم المسلم.

والآية لم تحدد موعد خرابه بقيام الساعة أو عند قيامها، وإنما ذكرت الوعد مطلقاً عن التحديد، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف:٩٩] بعد ذكره للسد ليس تقييداً لخراب السد، وإنما هو خبر من الله تعالى عن مصائر الخلق والموعد الحق الذي ينتظر الخلق.

وما يروى من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن يأجوج ومأجوج أخبار آحادية لا ينبغي الالتفات إليها.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ۝٩٦ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ الآية [الأنبياء]، لا ينافي ما قدمنا؛ إذ اقتراب الساعة من حين مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا، وبعد الحرب العالمية الأولى استولى سكان الشمال على أكثر بلاد المسلمين وقهروا أهلها وقتلوهم واستذلوهم.

[من كلام علي عليه السلام في شر حجة]

عن علي عليه السلام: (شر حجة حجها الأولون والآخرون تنتهب فيها أحلاس الناس، إلا أن الفرج عند أعناقها واردة، وعند عراقيبها صادرة) اهـ.

الحلس: كساء على ظهر البعير تحت البرذعة، ويبسط في البيت تحت حُرِّ الثياب. اهـ قاموس.

قلت: ويحتمل أن المراد أن النهب يعم جميع أمتعة الحجاج حتى ينال ما تحت ثيابهم، وهذا الأثر من أخبار الغيب المستقبلية، ولا نعلم هل وقع ذلك أم لا، إلا أن في ذهني أن طالب الحق الخارجي قد أغار على الحجاج، وفعل الأفاعيل، وأخذ الحجر الأسود ولا أدري هل انتهب[1] أمتعة الحاج أم لا.

إلا أنه يظهر لي أن ما أخبر به أمير المؤمنين لم يقع بعد؛ لأن أمير المؤمنين أخبر بأن الفرج يعقب الانتهاب، وانتهاب الخارجي لم يعقبه فرج.

التنبؤات بما يأتي في المستقبل

يأتي ذلك عن طريق القياس فتقاس عواقب الأمور المستقبلة بعواقب الأمور الماضية، فسنة الله في الآخرين كسنته في الأولين: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا۝٢٣﴾ [الفتح]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، وأمر الله تعالى بالنظر في عواقب المكذبين لئلا يقع الناظر فيما وقع فيه المكذبون من العاقبة السيئة.

---

(١)- في تاريخ اليعقوبي أنه لم ينتهب الحاج. المؤلف.

نسب قحطان

ينتهي نسب جميع قبائل اليمن إلى قحطان.

واختلف في نسب قحطان، فقيل: إنه عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل: هو من ولد هود عليه السلام. وقيل: من ولد ابن أخ هود عليه السلام.

ويقال: قحطان أول من تكلم بالعربية، وهو والد العرب المتعربة، وإسماعيل عليه السلام والد العرب المستعربة، أما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك كعاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وغيرهم.

وذهب الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل، ويدل له تبويب البخاري بأن نسبة اليمن إلى إسماعيل، وأورد فيه الحديث المتضمن لمخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني أسلم بأنهم من بني إسماعيل.

كما يدل له ظاهر قول أبي هريرة في الصحيحين في قصة هاجر: (فتلك أمكم يا بني ماء السماء) يخاطب الأنصار.

قال ابن حبان في صحيحه: كل من كان من ولد إسماعيل يقال له: ابن ماء السماء؛ لأن إسماعيل ولد هاجر وقد ربي بماء زمزم وهي من ماء السماء.

ويؤيد ذلك قول المنذر بن عمرو جد حسان بن ثابت الأنصاري:

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر ... وحارثة الغطريف مجداً مؤثلاً

مآثر من آل ابن نبت بن مالك ... ونبت ابن إسماعيل ما إن تحولا

وقال السمهودي بعد أن أورد ما تقدم في كتابه وفاء الوفاء: بل الذي أميل إليه أن العرب كلهم من ولد إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه. انتهى.

❁❁❁❁❁

فوائد متفرقة

فائدة: [في تسمية الإنسان بحسب عمره]

الرجل بعد الثلاثين يسمى كهلاً، وبعد الأربعين يسمى شيخاً، وقيل العكس. انتهى من البيان.

لبعض الأدباء

ابن عشر من السنين غلام ... وقعت عن نظيره الأقلام
وابن عشرين للصبا والتصابي ... ليس يثنيه عن هواه ملام
والثلاثون قوة وشباب ... وهيام ولوعة وغرام
فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... فكمال رشدة وتمام
وابن خمسين مر عنه صباه ... فيراه كأنه أحلام
وابن ستين صيرته الليالي ... هدفاً للمنون وهي سهام
وابن سبعين عاش ما قد كفاه ... واعترته وساوس وسقام
فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... بلغ الغاية التي لا ترام
وابن تسعين لا تسلني عنه ... فابن تسعين ما عليه كلام
فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... فهو حي كميت والسلام

لبعضهم:

فقل للعيون الرمد للشمس أعين ... سواك تراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوساً بالقشور قد ارتضت ... وليس لها لِلُّبِّ من متطلع

ابن المنجم في خضاب الشيب:

وما خضب الناس البياض لقبحه ... وأقبح منه حين يظهر ناصله
ولكنه مات الشباب فسودت ... على الرسم من حزن عليه منازله

[فوائد من أحاديث الرسول ﷺ]

عن النبي ﷺ: ((من سَمَّع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره)) رواه أحمد. ذكره ابن كثير في التفسير لسورة الماعون.

روى النسائي عن عبدالله بن بريدة عن أبيه: أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي، يدعو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، قال: ((والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب))، ذكر هذا ابن كثير في تفسيره، وقال: أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق، وقال الترمذي: حسن غريب.

[وفي الحكمة]

العباس بن الأحنف:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم

فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى ... يفارقك من تهوى وأنفك راغم

آخر:

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن العناء تفردي بالسؤدد

انتهى من وفيات الأعيان.

قال يحيى بن خالد البرمكي: (يدل على حلم الرجل سوء أدب غلمانه) الوفيات.

ابن الطثرية:

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ... ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل ... به رعدة حتى يقال مريب

[من أقوال الشافعي]

من دعاء الشافعي: «اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير». روي عن الشافعي أنه قال: ما رأيت سميناً ذكياً إلا محمد بن الحسن. انتهى من وفيات الأعيان.

في المغازي للواقدي في ذكر غزوة حنين: وكان دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يومئذٍ حين انكشف عنه الناس ولم يبق إلا المائة الصابرة: ((اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان، قال له جبريل: لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعون خلفه)).

[هل يلزم معاونة من تعطلت به سيارته في سفر عند المرور به]

سؤال: إذا مررت في سفري برجل قد تعطلت به سيارته فهل يلزمني إصلاح عطلها إذا كنت عارفاً، أو كان عندي ما يصلحها من بترول أو آلة أو غير ذلك؟

الجواب: لا يلزم عليك ذلك لزوماً، بل هو من الإحسان المندوب إليه في الجملة، ومما جاء الحث على فعله في الإسلام، وفيه أجر عظيم وثواب جسيم، فقد صح أن قضاء حاجة المؤمن تعدل صيام شهر واعتكافه، والآثار في ذلك كثيرة، وفي القرآن الكثير من الحث على الإحسان والبر وفعل الخير.

-وقد تجب معاونة المتعطل وإصلاح عطله في بعض الحالات، وذلك إذا كان المتعطل في مكان يخاف عليه، أو على سيارته، أو على حمولته أو على ركابه، وإذا وجب ذلك فلا يجوز أخذ الأجرة أو أخذ قيمة البترول الذي يتم إبعاد الرجل وسيارته عن الخطر، فأما قيمة ما زاد على ذلك فلا بأس به.

الأحوط

-فعل الأحوط غير واجب؛ لما تقرر من أن الأصل براءة الذمة إلا أن الأمارتين إذا تعارضتا في حكم فإن الدليل إلى ما فيه الاحتياط يكون وجه ترجيح.

-والدليل على أنه وجه ترجيح: ما روي في الحديث المعروف: ((الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعرفها كثير من الناس))، وفيه: ((فمن تركها فقد استبرأ لدينه))، وفيه: ((ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)) أو كما قال.

[تفضيل بعض الأشياء على بعض]

- آخر الليل أفضل من أوله، وأول النهار أفضل من آخره، ونوم أول الليل أفضل من نوم آخره.
- وآخر شهر رمضان أفضل من أوله.
- وأول شهر ذي الحجة أفضل من آخره.
- وأول يوم الجمعة أفضل من آخره.
- وأول كل يوم أفضل من آخره.
- وأول العمر أفضل من آخره.
- وأول القرآن أفضل من آخره، وأوله الفاتحة وآخره الناس.
- وأول الفاتحة أفضل من خاتمتها؛ لأن فيه ذكر الله والثناء عليه وآخرها دعاء.
- وآخر الكتب السماوية نزولاً أفضل من أولها.
- وآخر الأمم أفضل من أولها.
- وآخر الأنبياء أفضل من أولها.
- وآخر الأوصياء أفضل من أولها.
- والآخرة أفضل للمؤمن من الأولىٰ.
- وأول الطعام أفضل من آخره.
- وأول الناس إسلاماً أفضل من آخرهم.
- وأول كل كلام أولىٰ بالفضل من آخره.
- وأول وقت الصلاة أفضل من آخره.
- وآخر شهر في السنة أفضل من أول شهر فيها؛ لأنه وقت الحج ومن الأشهر الحرم.
- ونوافل الليل أفضل من نوافل النهار.

- وفرائض النهار أفضل من فرائض الليل، لأن فرائض النهار ثلاث، وفرائض الليل ثنتان.
- وآية النهار أفضل من آية الليل.
- ونوم الليل أفضل من نوم النهار، وصدقة الليل أفضل من صدقة النهار.
- وطلب المعاش في النهار أفضل منه في الليل.
- وذكر الله في الصلاة أفضل منه في غير الصلاة، والفريضة أفضل من النافلة.

[فائدة من كلام أمير المؤمنين]

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: (لم يذهب من مالك ما وعظك) اهـ.

قلت: من أمثلة ذلك أن تودع شخصاً كمية من المال لثقتك فيه وحسن ظنك به، ثم تأتيه وتطلبه الوداعة فيجحدك وينكرك، وهكذا إذا كنت تداين رجلاً لحسن ظنك به لما ترى عليه من سمات الجلال، فإذا طالبته قضاء دينك جحدك وأنكر دعواك، فإنك تستفيد بضياع مالك هذا كيفية المحافظة على أموالك، وأنه لا ينبغي الاعتماد على ما يظهر من سمات الرجال وحلاوة منطقهم في باب المعاملات والمداينات، ولا في وضع الأسرار عندهم، ولا في استشارتهم، ولا في إيكال الأعمال الهامة إليهم، ولا فيما يشابه ذلك، وأن السمات الظاهرة ليست دليلاً على حسن مخبر الرجل.

- وأن الحزم هو في الاحتراس والتجنب للدخول في معاملة أو مداينة أو مهمة مع رجل ظاهره الصلاح من غير اختبار طويل له وسؤال دقيق عن تأريخ معاملاته و...إلخ.
- وقد يكون في ذهاب مالك موعظة دينية لك تستفيد منها، وذلك مثل غرق مالك أو انتهابه أو ضياعه أو ما أشبه ذلك، فإن العاقل -إذا كان مضيعاً لأداء زكاته- يتنبه ويقول: إن السبب في ضياع مالي هو تضييعي لما افترض الله تعالى علي فيه من الزكاة فيكون ضياع ماله سبباً في رجوعه وتركه لتضييعها وداعياً له إلى الحرص على تأديتها.

[كلام السباع آخر الزمان]

في الترمذي حديث: ((والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، وتخبره فخذه عما أحدث أهله من بعده)) وقال: حسن صحيح. اهـ

قلت: في هذا الحديث بعض علامات الساعة وهي:

١- «تَكَلُّم السباع» وليس المراد -والله أعلم- الكلام اللفظي المركب من الحروف الهجائية، وإنما المراد أنها تشير ببعض الحركات والأفعال إلى معاني، ويكون ذلك منها بمنزلة الخبر اللفظي في إفادته للمعاني، وفي هذا الزمان نسمع عن الكلاب البوليسية أنها تكشف المجرم، وقد رأينا في بعض منافذ الدول أنهم يستعملون الكلاب للتفتيش.

٢- «تكليم عذبة السوط وشراك النعل» وقد وجد اليوم التكليم بواسطة التلفونات مثل ذلك.

٣- «ويخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده» وقد وجد اليوم أجهزة استكشاف تنقل الصورة كما هي إلى الرجل.

الطبائع الأربع

هي: الماء، والتراب، والهواء، والنار.

- خلق الله الإنسان من الماء والتراب.
- وخلق الله الأشجار والفواكه من الماء والتراب أيضاً.
- وخلق الجن من النار من لهبتها الحمراء ﴿مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].
- وخلق تعالى الملائكة من النور الذي تعطيه لهبة نحو النار والشمعة والشمس.
- أما الهواء (الفضاء) فهو داخل في خلق كل صنف من الأصناف المذكورة.

[في الأحلام]

يختلف الناس في كثرة الأحلام وقلتها، بل إن بعضهم لا يكاد يدرك حلماً، ولعل السبب في ذلك -والله أعلم- يعود إلى اختلاف الناس.

تأويل الأحلام

العلم بتأويل الأحلام علم يعتمد على الذكاء والفطنة، وقد قالوا: الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان.

والرؤيا الحقة هي الرؤيا الصالحة التي يراها الرجل الصالح أو تُرى له، وقد صح الخبر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك.

[أنواع الأحلام]

الأحلام أنواع فمنها: ما يكون تفسيره لا يختلف عن ظاهر الحلم، كأن يرى في النوم أنه يصافح أخاه، ثم إنه في اليقظة رأى أخاه وصافحه.

ومنها: ما يكون تأويله قريباً من ظاهره، كأن يرى في النوم أنه يزور زيداً العالم ويصافحه، ثم حدث في اليقظة أنه زار عمراً العالم وصافحه، أو نحو ذلك كأن يرى أن فلاناً مات فمات أخوه.

ومنها: ما يكون تأويله بعيداً عن ظاهره، وهذا النوع مختلف في البعد والقرب بحسب اختلاف اللوازم في ذلك.

[الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح]

سؤال: ما معنى الحديث الذي رواه في الأحكام وهو قوله: قال يحيى بن الحسين صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: بلغنا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))، وكان يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((لم يبق بعدي إلا المبشرات)) قالوا: وما المبشرات؟ قال: ((الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))؟ أفيدونا نفع الله بعلومكم وحفظكم.

الجواب: الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين، وبعد: فإن رسول الله ﷺ في ابتداء فضل الله عليه بالنبوة كان لا يرى رؤيا إلا وتحقق تأويلها، فلبث فترة من الزمن على هذه الحال من الرؤيا مقدرة بجزء من ستة وأربعين جزءاً من فترة نبوته ﷺ، أما بقية فترة نبوته ﷺ فكانت بالوحي، أي أن أخبار السماء كانت تأتيه عن طريقين:

١- عن طريق الرؤيا ولكنها فترة قصيرة تقدر بجزء من ستة وأربعين جزءاً.

٢- عن طريق الوحي.

وبعد موت النبي ﷺ انقطعت أخبار السماء ولم يبق منها إلا ما كان عن طريق الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له.

[**من فوائد الرؤيا الصالحة**]

الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح يراها أو ترى له تكون:

١- إما للتثبيت له فيما هو عليه من الطريقة، والمذهب.

٢- وإما للتحذير له من مزالق ومهالك لا يشعر بها.

٣- أو للتحذير من الدخول في أمر يدعى إليه قد حسنوه له وزينوا له الدخول فيه.

٤- أو للتحذير له من رجل أو رجال يزينون له الخروج مما هو عليه إلى ما هم عليه.

٥- وإما أن تكون الرؤيا في حصول أمر مستقبل؛ فينبغي الاستعداد لحصوله بالدعاء والتوفيق.

٦- ليست الرؤيا طريقاً إلى إثبات الأحكام الشرعية، بل قد تكون مؤيدة لما عليه المؤمن من الطريقة والمذهب، كما تقدم.

٧- ليست الرؤيا طريقاً إلى الحكم على الشخص بالفساد أو الصلاح، بل قد تكون وجهاً لترجيح أحد الشخصين الملتبسين على الرائي.

من رحمة الله تعالى بعبده القاصر عن النظر في الأدلة أن يثبته إذا عرضت له فتنة برؤيا تنبهه إلى الصواب، وتحذره من الوقوع في الضلال.

أخبرني بمثل ذلك الكثير من هذا النوع، أما إذا كان العبد من أهل النظر والقدرة على البحث والتمييز فله في ذلك كفاية ولا يحتاج إلى التأييد برؤيا.

أخبرني بعض المتعبدين القاصر في فكره عن النظر والبحث والتمييز بعدد من الرؤيا كلها تحذره وتنبهه من الدخول في فتنةٍ، وكان يجيء إلي يستشيرني فأشير عليه بالصواب، فلم ينتفع بالرؤيا، ولم يهتد إلى الرأي الصواب، ولم ينتفع بالبيان، فدخل في الفتنة وما خرج منها بل انتهبت فيها روحه.

فالحمد لله الذي هدانا لوجه الحق، وكشف لنا عن محض العدل والصدق، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وجعلنا مع الراشدين، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

حاسة الذوق والشم

جعل الله تعالى برحمته وحكمته الأرجاس والخبائث ذوات روائح كريهة ينفر الطبع عنها، وجعل تعالى للإنسان حاسة شم يدرك بها الروائح الكريهة والروائح الحسنة.

وجعل تعالى الطيبات ذوات روائح حسنة يميل إليها الطبع وينجذب، وبذلك يكون الإنسان بطبيعته مندفعاً إلى ما فيه نفع لبدنه وصحته، ومبتعداً عما فيه ضرر على صحته وعافية بدنه.

[قصر عمر الإنسان وغفلته فيه]

يقطع الإنسان سني عمره وهو لا يكاد يشعر، وتطوى أيامه وهو غافل، وإذا نظر الإنسان إلى ما مضى من أيامه ومن سني عمره فإنه لا يراه إلا كيوم واحد متلاحق الأحداث؛ لذلك فإن عمر الإنسان قصير وإن بلغ من السنين ما بلغ؛ فجدير بالإنسان أن يكون حريصاً في أيام عمره على تقوى الله تعالى، وأن يتحرى من الأعمال في دنياه ما فيه رضوان الله تعالى؛ ليتوصل بذلك إلى الحياة الأبدية التي

لا تنقطع ولا تنتهي في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧]، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧﴾ [الأعلى].

يحب الإنسان الدنيا والعيش فيها حباً شديداً، ويتعلق بها جداً تعلق الصبي بأمه، وهذا في حين أن الإنسان يعيش في حياته الدنيا عيشة نكدة، ولا تزال أنواع المحن والبلاء، والأكدار والضيق، والهم والغم والحزن تأتيه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ولم تَصْفُ الدنيا لأحد، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: (ما احلولت الدنيا من جانب إلا وأمَرَّت من جانب)، وقال: (ما نال امرؤٌ فيها لذة إلا بفراق أخرى)، وله في هذا المعنى كلام كثير في نهج البلاغة.

[تفاضل الأعمال بحسب الزمان والمكان]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، وبعد: فإن العمل الواحد قد يكون في زمن أفضل منه في زمن آخر، وهكذا فقد يكون فعله في مكان أفضل منه في مكان آخر، بل إن العمل الصالح قد يكون في زمن واجباً، وفي زمن آخر محرماً.

- فالجهاد يكون محرماً إذا كان بأهل الحق قلة عدد وعدة، وعدوهم في كثرة كاثرة بحيث يغلب في ظن أهل الحق أن دخولهم في جهاد عدوهم سيكون سبباً في استئصالهم أو ضياع حقهم، أو إضعافهم، من غير أن يحصل في جهادهم أي إضرار يذكر في عدوهم.
- وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أول الإسلام، ونزل القرآن بأمر المسلمين بكف أيديهم عن المشركين.
- وهكذا صنع علي عليه السلام بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحرك ساكناً حوالي ستة وعشرين عاماً.

[إذا ثبت الشجاع والجبان أيهما أفضل؟]

سؤال: إذا ثبت الشجاع والجبان في وجه العدو، وكان عملهما مستوياً، فأيهما أفضل؟

الجواب: الشجاع والجبان في مثل تلك الحال مستويان في الفضل في الظاهر، ويتميز كل منهما بفضيلة؛ فالجبان يتميز بفضيلة زيادة الصبر على الثبات، والأجر على قدر المشقة، ويتميز الشجاع بفضيلة الشجاعة وهي فضيلة طبيعية يتفضل الله بها على من يشاء من عباده.

فإن قيل: فضيلة الشجاعة لا يعتد بها وإنما يعتد بأثرها.

قلنا: الأمر كذلك فإنما يكون الجزاء على الأعمال غير أن من آثار الشجاعة إرهاب العدو، وإدخال الخوف والمهابة في القلوب، وهذا أثر عظيم يتميز به الشجاع، هذا مع أن الشجاع قد شارك الجبان في فضيلة الصبر على الثبات في وجه العدو، فبناءً على ما ذكرنا، يكون الشجاع أفضل؛ لما ذكرنا من تميز الشجاع بحصول آثار عظيمة فيها تقوية قلوب أصحابه، وزيادة ثباتهم لوجوده بينهم، ومنها ما ذكرنا سابقاً.

[من فضائل العرب]

من فضائل العرب: عن الحور العين لنشوان: البيان الذي ليس مثله بيان، ولهم اللغة الواسعة، ولهم علم قيافة الأثر مع علم قيافة البشر، فيعرفون أن هذا ابن هذا، وهذا ابن أخي هذا، وهذا عم هذا، ولهم صدق الحس، وصواب الحدْس، وجودة الظن، وصحة الرأي، ولهم العزم الذي لا يشبهه عزم، والصبر الذي لا يشبهه صبر، والجود والأنفة والحمية التي لا يدانيهم أحد فيها، ولهم حفظ الأنساب ومحاسن الأسلاف ومساوئ الأكفاء، ولهم البديهة في الرأي، والقول خاصة. اهـ بتصرف.

[تفضيل بعض البلدان على بعض]

سؤال: فضل الله تعالى بعض البلدان على بعض، فهل الفضل فيها هو مضاعفة الثواب على الأعمال الصالحة فيها؟

أم هو عائد إلى توفر الأرزاق والأرفاق فيها، وتوفر الأمن والاستقرار؟

أم أنه فضل طبيعي راجع إلى ذات البلد وتربتها؟

أم أنه عائد إلى حسن مناخها وسلامتها من الوباء؟

أم أنه عائد إلى عدم تعرضها للزلازل والفيضانات والكوارث الطبيعية؟

أم أن فضلها هو باعتبار فضل سكانها وعدم فضلهم؟

أم أنه لغير ذلك؟

الجواب: أن فضل بعض البلدان على بعض يعود إلى بعض مما ذكر في السؤال، وبعضها إلى البعض الآخر.

فقد فضل الله الأرض الزراعية على الأرض التي لا تصلح للزراعة في قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨]، والأرض الخصبة التي تتخللها الأنهار الدائمة أفضل من الأرض التي لا أنهار فيها، وجميع ما ذكر في السؤال من الوجوه والاعتبارات هو وجه للتفضيل.

فأرض مكة والحرم المحرم فضلها الله تعالى بما جعل فيها من:

١- البيت العتيق.

٢- مقام إبراهيم.

٣- إسكان إسماعيل فيها.

٤- كونها مبعث خاتم النبيين.

٥- لما فيها من بركة دعوة إبراهيم صلوات الله عليه.

٦- لما جعل الله تعالى فيها من مضاعفة الثواب على الأعمال.

٧- كونها مثابة للناس يحجون إليها وأمناً لهم، يأمن فيها الخائف والطير والوحش.

٨- كونها قبلة للصلاة التي هي أعظم العبادات يعظمونها بالتوجه إليها في صلاتهم ثم في دعائهم.

-والأرض الخصبة أفضل من الأرض السبخة، والأرض المرتفعة أفضل من الأرض المنخفضة: ﴿وَءَاوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ۝٥٠﴾ [المؤمنون]، والسهل أفضل من الجبل، والمعتدلة المناخ أفضل من غيرها، والبلد الذي يستوطنه الصالحون أفضل من الذي يستوطنه غير الصالحين، ودار الإسلام أفضل من دار الكفر.

وعلى الجملة فلفضل البلدان بعضها على بعض وجوه واعتبارات مما ذكر في السؤال، أو لأوجه أخرى غيرها، وكل وجه من وجوه التفضيل يرجع إما لمصلحة دنيوية أو لمصلحة دينية، أو لكليهما، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[تفضيل الله تعالى لبعض الناس على بعض]

فضل الله تعالى بعض الناس على بعض: في الأرزاق فرزق هذا أوسع من ذلك، وفي الأعمار فطول عمر بعض وقصَّر عمر بعض، وفي أشياء كثيرة كالصحة والعافية، وسلامة الحواس والأطراف، وقوة السمع والبصر، وقوة البدن، وجمال الوجه والصورة، وكمال الجسم وقوة التحمل، وقوة الصبر، وحسن الصوت، واعتدال الطبائع، والشجاعة والكرم،... و...إلخ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ۝٢١﴾ [الحديد].

[أفضل الشهور والأيام والليالي والساعات]

-أفضل الشهور شهر رمضان، وأفضل الأيام يوم الجمعة، وأفضل الليالي ليلة القدر، وأفضل ساعات الليل وقت السحر.

[أفضل الأعمال في شهر رمضان]

سؤال: أيها أفضل في رمضان أو في غيره قراءة القرآن أو التسبيح والذكر؟ أو الدعاء والاستغفار؟ أو نوافل الصلوات؟ أو المطالعة في كتب العلم؟

الجواب والله الموفق: أن نافلة الصلاة تجمع قراءة القرآن والذكر والتسبيح والتحميد مع التذلل لله والخضوع؛ لذلك فتكون النوافل أفضل من الذكر والتسبيح والتحميد والدعاء والاستغفار.

وتبقى المفاضلة بين نوافل الصلاة وبين مطالعة كتب العلم؛ فالمعروف في الجملة أن طلب العلم بمطالعة كتب العلم أو بمدارسته أو بتعليمه أفضل من أي نوع من أنواع العبادة.

وقد ورد في ذلك أدلة من الكتاب والسنة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، و﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، والأحاديث في هذا كثيرة.

إلا أن هناك نقطة يجب التنبه لها هي: أن الغاية من العلم هي العمل، فلا ينبغي إهمال النوافل من صلاة وذكر وتسبيح وقراءة قرآن وغير ذلك.

ولعله لا يتحقق فضل العلم على سائر النوافل إلا مع تعاهد النوافل من صلاة وقراءة قرآن وتسبيح وذكر وغير ذلك؛ لأن ذلك ينور القلب ويزكيه ويوجهه إلى الله ويربطه به ويوثق الصلة بالله، وقد قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، وقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

ويمكن أن يقال: إن الفضل يختلف باختلاف أحوال الإنسان فقد يكون الإنسان في بعض الأحوال نشطاً لطلب العلم وعنده استعداد ذهني لتحصيل العلم فيكون طلب العلم في مثل هذه الحال أفضل، وقد يكون الإنسان في حال ضائق الصدر منغلق الفهم مهموماً يشعر بالحاجة إلى الله فيكون الدعاء والتوجه

إلى الله أفضل؛ لأن الإنسان يجد في مثل هذه الحالة نفسه ناظرة إلى الله ومتوجهة إليه لتفريج كربها.

وقد يحس الإنسان بكثرة الذنوب وكثرة الغفلة وكثرة التضييع فيكون الاستغفار في مثل هذه الحالة أفضل؛ لأن الاستغفار مع هذا الإحساس وهذا الشعور له قيمة عند الله. وعلى كل حال فالعبادة تفضل بسبب حصول سببها.

[فضل أنواع العقل على أنواع البر]

في تفسير أهل البيت عليهم السلام: عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا تقرب الناس إلى خالقهم بأنواع البر فتقرب إليه بأنواع العقل، تسبقهم بالدرجات والزلف، عند الناس في الدنيا، وعند الله في الآخرة)).

وقد فسر معنى هذا علي عليه السلام بما رواه عنه عاصم بن ضمرة أيضاً، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: (والله لقد سبق إلى جنات عدن أقوام، فما كانوا بأكثر الناس صلاة ولا صياماً ولاحجاً ولا اعتماراً، ولكنهم عقلوا عن الله مواعظه، فوجلت منهم القلوب، وخشعت منهم الجوارح، واطمأنت منهم النفوس، ففاقوا الخليقة برفيع الدرجات، وعظيم المنزلة عند الله في الآخرة). اهـ من تفسير أهل البيت عليهم السلام للشرفي.

قلت: المراد كما يظهر لي -والله أعلم- العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما ذكر العقل؛ لأنه آلة عن طريقها يحصل العلم، فبالعقل يميز العاقل بعد النظر بين الحق والباطل، والحسن والقبيح، والطيب والخبيث، والمستقيم والأعوج، ويفرق به بين النبي والمتنبي، وبين الحقيقة والخرافة، وبنظر العاقل وتفكيره في كتاب الله إن كان من أهل النظر تمتلئ نفسه هيبة من الله، ويمتلئ قلبه شعوراً بعظمة الله وجلاله وسعة علمه وقدرته، ويحس في نفسه بعظيم فضل الله وإحسانه وسعة رحمته، و...إلخ.

فبالنظر يجمع الناظر بعقله بين حسن المعرفة بربه ودينه، وبين حسن العمل.

[المقصود بما ورد في ذم الدنيا]

سؤال: سمعنا الكثير في ذم الدنيا، والأمر بتجنبها؛ فهل يراد بذلك أن يتجنب المكلف الغنى ويختار الفقر؟ وما هو المذموم منها بالتحديد؟ ثم ما هو الذي لا يذم عليه المكلف بالتحديد؟

الجواب والله الموفق: أنه قد جاء الكثير من الذم للدنيا في الكتاب العزيز وفي سنة الرسول الكريم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي كلام الأئمة وغيرهم، والمقصود بذلك: هو ذم الاغترار بها، لا ذم الدنيا ومتاعها، فليس على المسلم حرج في أن تمتلئ بالدنيا يديه، ولكن لا يمتلئ منها قلبه.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨].. إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

فمن هنا نقول: ليس المقصود بذم الدنيا أن يتجنب المسلم الغنى ويختار الفقر، والمذموم من الدنيا بالتحديد هو أن يشتغل المسلم بالدنيا عما أوجب الله عليه يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة:١١].. إلى غير ذلك.

أو أن يطلب المكلف الدنيا ومتاعها من غير الوجه الذي أذن الله فيه إما عن طرق الربا أو الغش أو الخيانة، أو بالأيمان الفاجرة، أو بالغصب والنهب وقطع الطريق، أو ما شابه ذلك مما حرم الله على عباده أن يدخلوا فيه.

ومن ذلك أن يمنع صاحب المال الحقوق الواجبة عليه كالزكاة والخمس، وما يلحق بذلك من حقوق الأرحام والضيفان والجيران ونحو ذلك.

ومن ذلك: أن ينفق المال في غير محله كأن يعطي الزكاة غير مستحقها، أو ينفق رياءً وسمعة، أو يعاون بها الظالمين، أو يدلي بها رشوة إلى الحكام ليأكل أموال الناس بالباطل، أو يسخرها لظلم الناس والتكبر عليهم، وما أشبه ذلك من التصرفات المحرمة.

أما غير ما ذكرنا فليس به بأس ولا على صاحبه حرج، فلا على المسلم أن يتنعم في الحلال فيأكل ما شاء من أنواع الطيبات، ويشرب ما شاء، ويلبس ما يريد، ويركب ويسكن وينكح، وليس عليه في ذلك ذنب ولا يلحقه عقاب.

ولكن يجب على المسلم أن يشكر الله تعالى على ما أولاه من النعم، وأن يقوم بتأدية الحقوق اللازمة، وأن يتحرز من الاغترار بالمال فإن الإنسان بطبيعته كما وصفه الله في قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى۝٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى۝٧﴾ [العلق].

[الأوراق المتناثرة التي يكون فيها قرآن أو ذكر الله]

سؤال: ما هو اللازم على المسلم فيما يرى من الأوراق المتكاثرة المتناثرة في الشوارع والمزابل وفي البيوت يكون فيها القرآن أو ذكر الله أو أسماؤه..إلخ؟

وهل يجوز أن تجعل المجلة التي فيها ذكر الله سفرة للطعام؟

وهل يجوز أن يجعل الكتاب فوق المصحف؟

الجواب والله الموفق: أن الأطفال الذين يعبثون بالدفاتر التي فيها ذكر الله والقرآن غير مكلفين، وأن الكبار الذين يلقون تلك الأوراق والكراريس في المزابل ونحوها يلقونها من غير التفات إلى ما فيها.

وعلى هذا فاللازم هو تنبيه الناس إلى ما يجب من الإجلال لذكر الله، فالمدرس ينبه على ذلك في مدرسته، وصاحب الأسرة في أسرته، وصاحب المسجد في مسجده، و...إلخ، وهذا من التواصي بالحق.

وقد ذكر بعض علماء المذهب أنه يجوز إحراق الأوراق التي فيها ذكر الله صيانة لها من أن تداس وتعرض للمهانة.

وجواب السؤال الثاني: أن الواجب هو إجلال اسم الله تعالى وإجلال ذكره، وإذا كان وضع الطعام على المجلة واتخاذها سفرة استهانة واحتقاراً لذكر الله فلا يجوز، وإن كان وضعه عليها للتبرك بذكر الله فلا مانع من ذلك، غير أنه لا يجوز أن تلقى المجلة بعد الطعام في المزبلة فإن ذلك ينافي التعظيم والإجلال، ولكن تحرق أو ترفع في مكان شريف.

وجواب السؤال الثالث: أنه لا مانع من وضع الكتب بعضها فوق بعض بما في ذلك المصحف، والمحرم هو الاستهانة بكتاب الله بالقول أو بالفعل، ولا استهانة فيما ذكر السائل إذا كان من غير قصد إلى الاستهانة.

نعم، الجواب على هذه الأسئلة الثلاثة مبني على ما يحصل عادة من غير نية ولا قصد إلى الاستهانة بذكر الله، فأما مع القصد لذلك فالكل محظور.

[كثرة آيات الله لبني إسرائيل]

سؤال: هل يمكن بيان بعض الحكمة في كثرة آيات الله وبيناته لبني إسرائيل على عهد موسى صلوات الله عليه؟

الجواب وبالله التوفيق: أن الحكمة يمكن أن تظهر بتقديم مقدمة صغيرة هي:

أن الله تعالى بعلمه وحكمته اصطفى بني إسرائيل واختارهم على علم على العالمين، وإذا كانوا صفوته من العالمين، ومحل اختياره، مع ما هم عليه من طبيعة التمرد على الله وعلى أنبيائه، وقد حكى الله تعالى الكثير من ذلك في القرآن، فإن من سواهم من البشر في ذلك العهد يكونون بلا شك أسوأ منهم وأحط وأنزل درجة، وأدخل في التمرد، وأشد في الكفر، وأبعد عن الله وعن دينه ودعوة أنبيائه؛ لأن الله لا يختار إلا الخيرة، ولا يصطفي إلا الصفوة.

إذا عرفت هذه المقدمة التي تصور الوضع العام للبشر في ذلك العهد، وما

كانوا عليه من التمرد والانحطاط والكفر؛ فإن صفوة الله منهم وخيرته فيهم - بنو إسرائيل- محتاجون إلى ما يقوم اعوجاجهم، ويزكي أخلاقهم القاسية، ويكف من تمردهم وعنادهم، حتى يصلوا إلى المنزلة التي تؤهلهم إلى أن يكونوا حجة لله، وشهداء على الناس.

فاقتضت حكمة العليم الحكيم أن يظاهر عليهم الآيات، ويتابع البينات؛ ليؤهلهم كما ذكرنا لحمل حجج الله وبيناته، وليكونوا شهداء على الناس.

[من كرم الرجل سوء أدب غلمانه]

- (من كرم الرجل سوء أدب غلمانه).
- وروي عن علي عليه السلام أنه نادى بعض غلمانه فلم يجبه، فوجده عند الباب فقال: (ما لك لم تجبني؟) فقال الغلام: أمنت عقوبتك. هذا معنى الرواية، فاستحسن أمير المؤمنين جواب الغلام وأعتقه.

[الإحسان إلى الحيوانات]

في مطلع البدور، نقلاً عن الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم: ولقد بلغنا عن الإمام زيد بن علي صلوات الله عليه أنه كان يتكرم بإكرام الكلاب وغيرها من الحيوانات والدواب.

قلت: الإحسان إلى الكلاب وغيرها من الحيوانات داخل في عموم الإحسان الذي أمر الله به في كتابه، كقوله تعالى: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**١٩٥﴾ [البقرة]، وقد جاء في الحديث ما يدعو إلى إكرام الكلاب والإحسان إليها، وكذلك في الإحسان إلى كل ذي كبد رطبة.

[فوائد القلم]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علمنا القراءة والكتابة، وجعل لنا فيهما خيراً كثيراً، فبهما نهدي ونهتدي، وصلى الله على رسوله ونبيه محمد، وعلى آله الطاهرين وبعد:

فهذه فوائد يسطرها القلم بلعابه ويخطها في كتابه، وهو يقول بلسان حاله: لقد عظمت النعمة بي على البشر، وعمت المنة بي على أهل العلم والأثر، وعلى أهل البداوة والحضر، إلا أن نعمتي منسية، وذكر فوائدي وعوائدي منفية، لا في مجالس أهل العلم والذكر، ولا في مجالس أهل اللغو والجهل.

ولقد نوه الله بعظيم نعمتي في أول سورة أنزلت من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ۝٥﴾ [العلق]، ولعظيم المنة بي أقسم الله بالقلم وبكتابته فقال سبحانه: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ۝١﴾ [القلم]، وقد روى نقلة الأثر –وإن كانت مُعَارَضة– حديثاً يقول: ((أول ما خلق الله القلم...))، وبي حفظت الشرائع والأحكام، وبي حفظ القرآن وحديث النبي ﷺ وآثار الوصي وخطبه وعلمه وحكمه، وبي حفظت السيرة النبوية، وسير الصحابة وتأريخ الأولين والآخرين، وبي حفظت لغة العرب وشعرها وقصصها وأخبارها وتأريخها وأديانها وأنسابها و..إلخ.

وبي حفظت علوم الإسلام، وعلوم الأولين والآخرين، وبي تنعقد الولايات والإمارات، وتجيش الجيوش و...إلخ، ولو ذهبت تعدد منني لكل لسانك، وأخذتك الملالة والإعياء قبل الوصول إلى غايتها، وأنّى لك ذلك؛ فسبحان الذي جعل فيّ للبشر ما لا يحصى من النعم، وجعل لهم في لعابي ولساني ما لا يستقصى من المنن.

وها أنذا أدعوا وأنادي الناس بأن يشكروا هذه النعمة التي أنعم الله عليهم بها، وما أصدق الله حيث يقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٤]، وصدق الله العظيم وهو أصدق القائلين في كل ما قال ويقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا۝٨٧﴾ [النساء]. اللهم لك الحمد بمحامدك كلها على نعمك كلها بما فيها نعمة القلم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

[علم الطبيب بنوع الجنين لا يعارض آية: إن الله عنده علم الساعة...إلخ]

سؤال: المعروف أن الله تعالى يختص بعلم ما تضمنته هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان:٣٤]، ودليل ذلك هذه الآية. وفي الطب الحديث أن الطبيب يعرف نوع الجنين أذكر هو أم أنثى، فكيف المخرج؟

الجواب: أن الطب الحديث توصل إلى معرفة الجنين أذكر أم أنثى؟ وذلك إذا تم تخلقه في بطن أمه وكملت أعضاؤه، ولا يعرفون نوعه قبل أن يتخلق.

أما الخالق العليم فإنه يعلم نوعية ما في الرحم حين تستقر النطفة في الرحم، فيعلم كونها ذكراً أو أنثى، ويعلم تفاصيل خلقها وصفاتها و...إلخ.

وعلم البشر لما في الأرحام إنما يحصل إذا تكامل خلق الجنين، والله تعالى عالم بذلك في أول مراحل خلق الجنين حين كان نطفة ثم علقة ثم...إلخ. وبما ذكرنا ينحل الإشكال والحمد لله رب العالمين.

[استخدام الشعر كوسيلة من الوسائل للتعليم]

-وسائل التعليم متعددة، ومن وسائله القديمة والحديثة القصائد الشعرية، وقد جاء في الرواية: ((إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً))، وهو من أعظم الوسائل وأنفعها.

وتستعمل هذه الوسيلة النافعة في بعض المدن والنواحي اليمنية للتنويه بفضل علي بن أبي طالب، وفضل أهل البيت عموماً، ونشر فضائلهم، وترسيخها في قلوب الناس، وغرس محبتهم فيها، وفيها عموم النفع للصغار والكبار، والرجال والنساء، ولا سيما في هذا الزمان الذي توفرت فيه آلات التسجيل.

وفيها أنه ينتفع بها من لا يمكنه الانتفاع لبعده عن مجالس العلم، أو إعراضه عنها، أو لعاميته، أو لاشتغاله بأمور دنياه، فإن من كان كذلك يحصل له الانتفاع بالشعر الذي يسمعه في مجالس السمر، ومجالس المناسبات، ومجالس القات وغيرها من المجالس.

وقد رأيت في صنعاء وضواحيها كبني حشيش، وفي بلاد حجة كالأهنوم أن إنشاد الشعر في مجالس القات كالشيء الضروري.

[استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان]

- في الأثر: ((استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان)):

يفيد ذلك أن من أسباب نجاح المطالب وقضاء الحاجات الكتمان لطلب الحاجة.

والسبب في ذلك: أن إظهار طلب الحاجة والسعي في نيلها يلفت أعين الناس إليها، وربما حصل لكثير منهم من الرغبة فيها مثلما حصل لطالبها، فيسعى في طلبها، ويحاول الحصول عليها دون طالبها الأول فيفوز بها دونه، أو على الأقل يعرقل على طالبها الأول، ويحول بعرقلته بينه وبينها بدافع الرغبة فيها، وقد تعرقل الحاجة بدافع الحسد، وفي الكتمان السلامة من ذلك كله.

وقد كان الرسول ﷺ يكتم وجهته التي كان يتوجه إليها في غزواته.

علوم الإسلام

تفسير القرآن بأنواع من التفسير، كل نوع منها يعتبر علماً برأسه:

علوم تتعلق بالقرآن: كأسباب النزول، وعلم التجويد، وما يتعلق بعدد آياته وسوره وترتيبه، ومكيه ومدنيه، وما اشتمل عليه من العلوم وقد عد بعض العلماء علوم القرآن مائة علم كالسيوطي، وعلم القراءات السبع والعشر ورواتها.

علم الحديث: والعلوم المتعلقة به وهي كثيرة.

علوم السير والتواريخ، ومنها: علم معرفة الصحابة وتواريخهم.

علم أصول الدين.

علم أصول الفقه.

علم الفقه.

علوم اللغة العربية النحو، الصرف، المعاني، البيان، البديع، علم مفردات اللغة، علم العروض والقوافي.

وعلم المنطق: علم دخيل.

الحق

الحق على طول التاريخ مهضوم ومظلوم، والباطل على طول التاريخ هو المستعلي في الأرض والمسيطر عليها.

وهكذا العدل فإنه ما زال مهضومًا ومظلومًا على طول التاريخ، والجور هو المسيطر في الأرض والحاكم عليها.

وما زالت رسل الله تعالى وأنبياؤه تترى إلى أهل الباطل والجور، يحذرونهم وينذرونهم، ويحتجون على طول تأريخ البشر إلى أن ختم الله تعالى رسالاته بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد جعل الله تعالى كتابه الكريم الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حجة باقية إلى يوم القيامة.

وإعراض الناس عن الحق ليس لخفائه وعدم وضوحه، بل لكراهتهم له ونفورهم عنه، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون٧٠].

[ابتلاء أهل الحق]

أهل الحق على طول تاريخ الإسلام في مضايقات شديدة وخوف إلى يومنا هذا، فما نحن فيه معاشر الزيدية من المضايقات اليوم هو سنة طبيعية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴿٣١﴾﴾ [الفرقان]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان٢٠].

-ويكون أهل الحق عادة على طول التاريخ أهل قلة وذلة وفقر، والسر في ذلك والحكمة كما يظهر لي: أنه لا يصبر على ذلك إلا المخلصون؛ إذ لو كان أهل الحق في أمن وعزة وغنى وترف لدخل في الحق المخلص وغير المخلص، ولتظاهر غير المخلص بالإخلاص رغبة لما هناك، وحينئذٍ لا يتميز المخلص من غيره.

طبيعة الحق

في الأثر: ((حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)): فالنفس بطبعها تكره الحق، وتنفر عنه؛ لما فيه من المشقة والكلفة، وتميل النفس بطبعها إلى جانب المشتهيات.

وقد اختبر الله تعالىٰ المكلفين بأن يتعبدوه بفعل ما تكره نفوسهم، وبترك ما تشتهيه نفوسهم، فالمطيع لله هو الذي يقدم طاعة الله علىٰ هوىٰ نفسه، والعاصي هو علىٰ العكس من ذلك.

[السبب الداعي للناس إلى المعاداة لأهل الحق]

سؤال: ما السبب الداعي للناس إلىٰ المعاداة لأهل الحق والجد في إنزال أشد المكاره بهم؟

الجواب وبالله التوفيق: أن الحق والباطل صفتان متنافيتان لا يمكن اجتماعهما في شيء واحد، فإذا وجد الحق في الشيء ذهب الباطل، وإذا حصل الباطل ارتفع الحق، وأهل الحق وأهل الباطل متنافران تبعاً لتنافر الحق والباطل.

فأهل الحق يكرهون أهل الباطل، وأهل الباطل يكرهون أهل الحق، فالدافع حينئذٍ هو الكراهة، فهي التي تدعو أهل الباطل إلىٰ معاداة أهل الحق، وإنزال أشد المكاره بهم، ومن هنا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَنْ تَرضا عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة١٢٠].

[كثرة المسلمين اليوم وقلة تمسكهم بالدين]

بلاد الإسلام والمسلمين اليوم كبيرة تحتل مساحة عريضة علىٰ سطح الكرة الأرضية، في قارة آسيا، وإفريقيا، وأوربا، ولا تخلو دولة غير إسلامية من وجود كيان كبير للمسلمين، مثل الصين، فإن فيها أكثر من مائة مليون مسلم، ومثل أمريكا وبريطانيا وألمانيا..و...إلخ.

ـ إلا أن التمسك بشرائع الإسلام والعمل بها اليوم ضعيف ليس كما ينبغي.

[نجاة المؤمنين من العذاب الواقع على الأمم]

إذا عذب الله أمة بعذاب في الدنيا فإنه ينجي المؤمنين من ذلك العذاب، قال الله تعالىٰ بعد ذكره للعذاب الذي أنزله بعاد وثمود: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت:١٨].

وقال تعالىٰ في عذاب أهل السبت: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الاعراف:١٦٥].

ونجاة المؤمنين مشروطة بقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر استطاعتهم، فإن لم يقوموا بواجبهم في هذا الباب مع تمكنهم فلا نجاة لهم.

العدل

- معناه واضح عند عامة الناس وهو التوسط بين جانبي الإفراط والتفريط.
- والله تعالىٰ (عدل) وهي صفة فعل.
- وقد أمر الله تعالىٰ عباده بالعدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ [النحل:٩٠].
- العدل، والحق، والقسط- كلمات متقاربة المعنىٰ: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص:٢٦]، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف:٢٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل:٩٠]، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة:٤٢].

[السبب الذي يمنع من تحقق العدل للعامة]

عدل الولاة والحكام والملوك أمر يرغب فيه عامة الناس، ويتطلعون إليه ويتمنونه، إلا أن ذلك لم يحصل، ويستبعد حصوله، وسبب ذلك أن أعيان الناس وكبراءهم ومشائخهم لا يريدون العدل على الإطلاق، ويحاربونه أشد المحاربة؛ لأنه يساويهم بعامة الناس، وهم لا يقبلون بذلك؛ لذلك فلا تتم الولاية والسلطان إلا لمن ينزل من الولاة والملوك عند رغباتهم؛ لأن عامة الناس في العادة تكون تابعة للكبراء والمشائخ والأعيان، فإذا انتصروا للوالي انتصر، وإذا لم ينتصروا له سقط، بل إنهم الذين يسقطونه ويبعدونه.

وقد اشتهر أن أبا سفيان بن حرب وهو شيخ قريش لما بويع لأبي بكر بالخلافة غضب وقال: والله لأملأنها على أبي فصيل خيلاً ورجالاً، وأنِف من أن يتولى الخلافة ضئيل تيم، فخشي الصحابة من الفتنة وهدم الخلافة، فأشار عمر

علىٰ أبي بكر بأن يجعل له في الخلافة نصيباً، فجعل أبوبكر ولاية الشام وجيوشه إلىٰ يزيد بن أبي سفيان ولم تطل مدة يزيد، فلما مات يزيد جعل مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان، وجعل لأبي سفيان ولاية في المدينة، وولىٰ أبوبكر أيضاً رجالاً من أعيان قريش وكبرائهم أيضاً مثل عكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، فاستقرت الخلافة، وهدأت الأوضاع، ومال الناس إليها بودهم ونصيحتهم بسبب ميل كبرائهم إليها ونصيحتهم لها، ولولا ذلك لما استقامت، ولا استقرت.

ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة وبايعه المسلمون عرض نصحاؤه بأن يولي كبراء القوم مثل معاوية إلىٰ أن يستتب له الأمر ثم يعزلهم، فلم يرض وقال ما معناه: لا أستحل أن أولي ظالماً، أو أقره علىٰ عمل لي طرفة عين.

وحين قسم العطاء في أول أيام ولايته أنف كبراء قريش حين لم يفضلهم علىٰ من سواهم كطلحة والزبير، فلم تتم له الخلافة، ولم تستقر، فنكثت عليه طائفة، وقسطت أخرىٰ، ومرق آخرون، والله المستعان علىٰ ما يصفون.

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بدواء داء الخلافة، إلا أنه عليه السلام أراد أن يقيم العدل، وأن يجدد الأمر الأول الذي بلي ثوبه وكاد أن يُنسىٰ أو قد نسي، وقد كان عليه السلام علىٰ عهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر فيه بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فلم يستحل عليه السلام أن يصلح أمر الخلافة بمعصية الله، وظلم المسلمين.

فجعل همه إقامة العدل، وتجديد الدين، ورفع راية الحق في كل صغير وكبير، وآثر في خلافته إرضاء الله تعالىٰ علىٰ إرضاء الناس، ولم يبال بما سيلقىٰ في خلافته في سبيل إرضاء الله تعالىٰ، فقامت عليه الدنيا ولم تقعد، وتزلزت الأرض تحت قدميه، فمضىٰ في سبيله ولم يبال.

ولإيثاره العدل وإرضاء الله تعالىٰ سلّت قريش سيوفها في وجه خلافته، وتبعها في ذلك أهل البصرة وكانوا جماً غفيراً، يقدر بنصف المسلمين في العراق، ثم انكفأ عليه

عرب الشام عن بكرة أبيهم بقيادة معاوية بن أبي سفيان مع من انضم إليهم من عرب مضر، ثم انقسم عليه أصحابه أهل الكوفة فخرجت عليه بسيوفها الخوارج المارقة، وما زال عليه السلام مدة خلافته يقاتل، ولم يغمد عليه السلام سيفه منذ اليوم الأول من خلافته إلى أن قتل عليه السلام شهيداً في محراب صلاته، صلوات الله عليه وسلامه، ورحمته وبركاته.

ولما ولي عمر بن عبدالعزيز أمر الخلافة تنسك وأراد أن يصلح ما أفسده من تقدمه من خلفاء بني أمية؛ فشرع في رد مظالم بني أمية، وكان من أول ما رد مال فاطمة رضوان الله عليها وصلى الله على أبيها وسلم، الذي كان أخذه عليها أبو بكر وعمر، ولم يزل يرد المظالم ويقيم العدل إلا أن بني أمية لم يتركوه يمضي فيما أراد، فسقوه السم، فمات مسموماً، وكانت مدة خلافته سنتين تقريباً.

وهكذا كانت وتكون الولاية العامة، فأهل الحق ومحبوه وعشاقه قليلون، وغالباً ما يكونون من الفقراء المستضعفين، وأهل الباطل وأتباعه وأنصاره هم الكثرة الغالبة، وكثيراً ما يكونون من أهل الترف والرخاء، وقد قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ۝٧٠﴾ [المؤمنون]؛ لذلك فالحق والعدل الذي يرغب فيه المستضعفون ويتمنونه ويطلبونه يستبعد حصوله وتحققه على أرض الواقع.

وقد حاول أهل البيت رضوان الله عليهم على طول تأريخ الإسلام إقامة الحق والعدل، وتحقيق ذلك على أرض الواقع، فقتل الكثير منهم قبل أن يصلوا إلى ما أرادوا ووصل بعضهم إلى المراد، ولكن على رقعة صغيرة من بلاد الإسلام الكبيرة، غير أنهم وإن وصلوا إلى المراد فإنه لم يستقر لهم الأمر بل كانوا في صراع مستمر وقتل وقتال وغزو وغارات من بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم حتى يقتلوا في سبيل ما أرادوا، وأخيراً تتغلب على بلادهم الأعداء.

هكذا كان تأريخ الحق منذ يومه الأول وإلى اليوم، ومن المتوقع أن يكون تأريخه في المستقبل كتاريخه فيما مضى، إلا أنه قد سبق الوعد من صادق الوعد بدولة للحق والعدل في آخر الزمان يقودها المهدي محمد بن عبدالله عليه السلام، يحيي

الله بدولته دين الإسلام، وتقام فيها الشرائع والأحكام، ويحق الله تعالىٰ بها حقائق الحق والعدل، ويميت بدولته الباطل، ويطمس المذاهب الضالة، ويزيف الدسائس والأوهام التي دخلت في عقائد المسلمين، إلا أن وقت هذه الدولة الإسلامية غير معلوم.

والذي جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من تحديد الوقت هو التحديد بآخر الزمان، وآخر الزمان وقت طويل، فيصدق علىٰ الفترة منذ مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ اليوم بأنه آخر الزمان؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((بعثت أنا والساعة كهاتين)) وأشار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأصبعه المسبحة والوسطىٰ، ولقوله تعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر].

ولا خلاف بين أهل السنة والشيعة في صحة الوعد بالمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه من أهل البيت من ذرية فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وأن اسمه محمد، بل لا خلاف في تواتر ذلك عند الجميع.

- **قد يتساءل** البعض كيف سيكون موقف أهل المذاهب من دعوة المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ مع إيمان الجميع وتصديقهم بقيامه، وتطلعهم إلىٰ دولته؟

فيقال للإجابة علىٰ هذا التساؤل: كل فريق من أهل المذاهب الإسلامية اليوم يعتقد أن المهدي سيكون من أهل مذهبه، فأهل السنة يرون أن المهدي سيكون من أهل السنة، وهكذا سائر أهل المذاهب الإسلامية؛ لأن أهل كل مذهب يعتقدون أنهم أصحاب الحق السائرون علىٰ الطريق المستقيم.

ومن المتوقع أن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا دعا إلىٰ غير ما عليه أهل المذاهب أن لا يقبلوا دعوته، ولا يصدقوا بها، بل إنهم سيقفون في وجهها ويتنكرون لها، ويحاربونها، وسيكون الحال بالنسبة لدعوة المهدي كالحال الذي ووجهت به دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن اليهود والنصارىٰ كانوا مصدقين وموقنين بالنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل مبعثه، فلما بعث تنكروا لدعوته وكذبوه، وأنكروا أن يكون هو النبي الموعود به، ولا أتوقع أنه سيختلف الحال في آخر الزمان عما كان عليه الحال في أول الزمان.

ومن المتوقع أن الدعوة في آخر الزمان ستلقى شدائد ومصاعب أشد مما لقيته الدعوة في الزمن الأول، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((بعثت بين جاهليتين أخراهما شر من أولاهما)). هذا معنى الحديث أو لفظه.

المودة والثقة

الحصول على مودة الناس للإنسان وثقتهم به مطلبان يتمنى الإنسان الحصول على ذلك ويسعى في اكتسابهما ويسوءه فوات شيء من ذلك أو نقصه، وربما حسد الحاصلين على ذلك، وحقد عليهم وعاداهم، وابتغى لهم الغوائل، وكل ذلك من أجل فوزهم بالحصول على مودة الآخرين وثقتهم، وفوات ذلك عليه.

هذا، وقد أرشد الله تعالى عباده إلى الطريق المؤدية للحصول على تلك الغاية المتمناة، وذلك المطلب الكريم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴿٩٦﴾﴾ [مريم]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف]، أي شرف لك ولقومك.

إذاً فالطريق هي في الإيمان والعمل الصالح.

[التواضع]

يظهر لي أن التواضع قرين الإيمان في الفضل، فالتواضع والإيمان أفضل الأعمال على الإطلاق، يدل على ذلك أمور:

١- أن الله سبحانه وتعالى قال في آخر البقرة: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، فقرن سبحانه وتعالى السمع والطاعة بالإيمان، والسمع والطاعة أثران من أثر التواضع ودليلان من دلائله، إذ لا يصدر السمع والطاعة إلا من المتواضعين.

٢- أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر في سورة الفرقان صفات عباد الرحمن الذين هم عباد الرحمن حقاً صدّر تلك الصفات بصفة التواضع فبدأ بذكرها قبل

ذكر الصفات الأخر، فقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

٣- التواضع وإن كان مفهومه غير مفهوم الإيمان جزء ذاتي من ذاتيات الإيمان، أو علىٰ الأقل من اللوازم الذاتية للإيمان، فلا يحصل الإيمان الحق ولا يوجد في الخارج إلا إذا وجد التواضع في ضمنه، أما المتكبر فلا تسمح له نفسه المتكبرة بالعبودية والتذلل لله والسمع والطاعة له تعالىٰ.

والمراد بالتواضع: هو أن يتواضع المكلف أولاً لربه تعالىٰ، ويعترف بما له تعالىٰ من العظمة، والجلال، والعلم، والقدرة والكمال، وبما يستحقه تعالىٰ من الشكر علىٰ نعمه التي أفاضها عليه وعلىٰ الخلق كله، ويعرف قدر نفسه وضعفها، وحاجتها، إلىٰ الله وفقرها إليه و...إلخ. وأن يقبل الحق ولا يرفع نفسه علىٰ الحق.

[في التواضع أيضاً]

التواضع خلق عظيم يحبه الله ويحبه الناس، ويتسبب التواضع في نتائج مرغوبة للمتواضع هي:

١- الشرف عند الناس والاحترام والتقدير، وقد قالوا: «التواضع من مصايد الشرف».

٢- يحظىٰ المتواضع بمحبة الناس له، ولا يخفىٰ ما يترتب علىٰ المحبة من أقوال الناس وأفعالهم.

٣- يسمع الناس لقوله، ويؤثرونه بالطاعة علىٰ من سواه، وإذا كان المتواضع من أهل العلم استجاب الناس لدعوته، واتخذوه قدوة يهتدون بهديه.

الرياء

هو أن تفعل الطاعة أو تترك المعصية مع ملاحظة غير الله تعالىٰ.

فإن كان الدافع إلىٰ فعل الطاعة أمر دنيوي بحيث لولا هذا الدافع الدنيوي لما فعلها فإنه أعلىٰ مراتب الرياء.

وإن كان الدافع الثواب وغرض دنيوي كان ذلك من الرياء، وهو دون الأول.

فإن كان الدافع للمسلم إلى العمل بالطاعة هو طاعة الله تعالى والثواب، ثم عرض له من بعد ذلك محبة أن يطلع عليه، وأن يثنى عليه بذلك العمل لزمه أن يدافع هذا العارض وألا يستجيب له.

فإن استجاب له وعزم في قلبه أن يطلع الناس عليه لينال الثناء وحسن الذكر- حبط عمله وفسد؛ لأن الأعمال بخواتمها.

فإن لم يحصل إلا محبة الثناء من غير عزم ولا نية على إطلاع الناس، فليس عليه بذلك حرج؛ لأن النفس مجبولة على حب الثناء، وليس في وسعه أن يتخلص من الطبيعة.

وإذا اطَّلع الناس على عمله من غير سعي منه وأثنوا عليه، فسُرّ بذلك وفرح؛ فلا يضره فرحه وسروره، غير أن اللازم عليه أن يحذر في المستقبل من أن يطلب بعمله مثل ذلك الثناء.

وليس من الرياء أن يعمل المسلم الطاعة طلباً لما عند الله تعالى، ومن أجل أن يقتدي به غيره.

المراء

حقيقته: طعنك في كلام غيرك لإظهار خلل فيه؛ لغير غرض سوى تحقير قائله، وإظهار مزيتك عليه.

والخصومة: لجاج في الكلام ليستوفي به مالاً أو غيره، ويكون تارة ابتداءً وتارة اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً.

وقد جاء النهي عن المراء في حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تمار أخاك ولا تمازحه، ولا تعده موعده فتخلفه))، ((إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم))، ((ذروا المراء لقلة خيره، ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري...)).

أما مناظرة أهل العلم للفائدة فليست داخلة في النهي.

قوله في الحديث: ((ولا تعده موعداً فتخلفه))، المعنى فيه:

ألا تعده وأنت مضمر لخلافه، وأما إذا وعدته وأنت عازم على الوفاء فعرض مانع عن ذلك فلا يدخل تحت النهي.

[الخوف والجبن]

- الخوف والجبن غريزة بشرية، والحكمة المترتبة على ذلك هي كما يظهر لي:

١ - أنه بسبب تلك الطبيعة تحصل المحافظة على النفس والأعضاء من المهالك والأضرار والآلام ونحوها، ولولا وجود هذه الغريزة لم تحصل المحافظة على النفس وأعضاءها، ولضاع النوع البشري وانقرض.

٢ - ويترتب على تلك الغريزة ووجودها في الإنسان مصالح دينية وتكاليف شرعية وابتلاء واختبار، ودرجات وثواب، وشرف وكرامة و...إلخ.

وهكذا سائر الطبائع البشرية كالبخل والغيرة والكبر ونحو ذلك؛ فإنه يترتب على كل طبيعة مصالح عظيمة للإنسان، فالبخل يمنع الإنسان ويحجزه عن تضييع المال، وبضياع المال يضيع الإنسان ويهلك، وبالغيرة تحصل المحافظة على الإنسان، وبالكبر يحافظ الإنسان على عزته وكرامته، وقد جاء الإسلام بتنظيم هذه الطبائع البشرية، وبيان ما يحل وما يحرم.

[الحزن- الخوف- الضيق- الأسى والأسف- الحسرة- الندم]

الحزن: هو ما يكون على شيء قد مضى.

والخوف: ما يكون من شيء مستقبل.

والضيق: ما يكون من شيء واقع في الحال.

الأسى والأسف: ما يكون على فوات المحبوب.

والحسرة: ما تكون على فوات شيء بسبب التفريط.

الندم: يقع على فعل ما لا ينبغي فعله، أو ترك ما ينبغي فعله.

النسيان

النسيان يكون إما من الله وإما من الشيطان:

١ - فالنسيان الذي يكون من الشيطان هو نسيان ما فيه خير ونفع للناسي أو

لغيره، كنسيان صلاة فريضة أو نافلة، أو نسيان قضاء حاجة مؤمن، وأمثلة ذلك كثيرة.

٢- والنسيان الذي يكون من الله تعالىٰ- فهو نسيان الفعل أو القول الذي يكون فيه ضرر عاجل أو آجل علىٰ الناسي أو علىٰ غيره.

- والنسيان هو من طبيعة الإنسان، وأصل خلقته، ولا يمكنه التخلص منه، وحصوله يكون بغير اختيار من صاحبه؛ لذلك رفع الله تعالىٰ مؤاخذة الناسي.

[أنواع الكذب]

سؤال: قد يضطر المسلم إلىٰ الكذب عند والديه، أو عند زوجته، أو عند أصحابه، أو...؛ فكيف يكون الحكم في حق هذا الذي يكذب عند الإحراج، أو عند الضرورة؟

الجواب: الكذب في الجملة قبيح عقلاً وشرعاً، وقد ورد في ذلك من الكتاب والسنة الكثير، وهكذا عن علي عليه السلام، وعن غيره من الأئمة والعلماء، ولا خلاف بين علماء الأمة في قبحه، إلا أن الكذب ينقسم إلىٰ:

١- الكذب علىٰ الله تعالىٰ، أو علىٰ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وتعمد ذلك يكون كفراً ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الصف:٧].

٢- الكذب الذي يكون فيه ضرر علىٰ مسلم، وهذا النوع من الكذب يكون فسقاً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب]، وأقسام هذا النوع كثيرة منها شهادة الزور، وقذف المحصنات، وجرح المؤمن بما ليس فيه، و...إلخ.

٣- الكذب الذي لا يكون فيه شيء مما تقدم، فلا هو كذب علىٰ الله تعالىٰ ولا علىٰ رسوله ولا علىٰ الأئمة، ولا فيه أي ضرر علىٰ مسلم لا في عرض ولا في مال ولا...، ولا تدعو إليه الضرورة.

٤- الكذب الذي يدفع به المكلف عن نفسه أو ماله، أو يدفع به عن مسلم أو عن مال مسلم.

- فالنوعان الأولان محرمان قطعاً، وفاعل الأول كافر، وفاعل الثاني فاسق.
- والنوع الثالث محرم، ولكن لا يحكم بفسق فاعله.
- والنوع الرابع محرم إلا أنه يرخص فيه بقدر ما يدفع به المكلف عن نفسه أو ماله أو أخيه أو مال أخيه أو نحو ذلك.

[في المعاريض مندوحة عن الكذب]

في الحديث: ((إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)).

وفي لفظ: ((إن في المعاريض لمندوحة للرجل المسلم عن الكذب)).

وفي لفظ: ((إن في المعاريض ما يعف الرجل العاقل عن الكذب)).

وفي لفظ: ((إن في المعاريض ما يقي الرجل العاقل عن الكذب)).

رواه جمع من المحدثين كما في هامش الرسالة الهادية للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام.

وقد ضرب الإمام المنصور بالله عليه السلام عدة أمثلة:

- منها: والله ما رأيت فلاناً، أي: ما ضربت ريته.
- والله ما كلمته، أي: ما جرحته.
- والله ما رأيت علياً، أي: الفرس.
- والله ما رأيت جعفراً، أي: النهر.

وذكر عليه السلام من هذا الباب رواية عن جعفر بن محمد عليهما السلام وهي أن رجلاً طلبه في داره وكان عليه السلام يكره لقاءه فقال لجاريته: انزلي حتى تقفي إزاء الباب ثم خطي خطاً مستديراً ثم ضعي إصبعك فيه ثم قولي: ليس سيدي هاهنا. انتهى.

[التعصب والعصبية]

التعصب والعصبية قسمان، حق وباطل:

١- فالحق أن يتعصب الإنسان للحق كالتعصب للدين الحق، وللمذهب الحق، ولأهل الحق، وكالتعصب لنصرة الضعيف، ونصرة المظلوم، والتعصب في حماية الجار، وكالتعصب لمكارم الأخلاق و...إلخ.

٢- والباطل أن يتعصب الإنسان للديانة الباطلة والمذهب الباطل، والتعصب لنصرة الظالم والمعتدي والجبار، والتعصب للمبطل، والتعصب في عداوة الحق وأهل الحق.

أما التعصب فيما سوى ذلك فلا حرج على صاحبه إذا لم يكن فيه إضرار على الغير، وذلك نحو من يتعصب لرأيه كأن يقول: جو صنعاء أحسن من جو صعدة، وماء البئر الفلانية أحسن من ماء البئر الفلانية، وذلك الرجل أعلم من غيره، وفلان أكرم من فلان، وهذه الصناعة أحسن من تلك الصناعة، وهذا أجمل من ذاك... إلخ. فهذا ونحوه ليس من العصبية المذمومة، ولا يلحق صاحب ذلك تبعة ولا ذنب.

أما إذا حصل من ذلك ضرر أو أذى فتحرم لأجل حصول الأذى لا لأجل العصبية، كأن تتعلق العصبية بأن هذا الرجل أحسن وأشرف من الرجل الآخر، وهذه القبيلة أشرف وأحسن من تلك القبيلة، فإنه إذا ترتب على ذلك حصول أذى للرجل الآخر وللقبيلة الأخرى فلا يجوز إظهار العصبية.

في التوكل

لا يجوز للمسلم أن يعرض نفسه لأسباب الهلاك ومظانه اعتماداً على التوكل على الله، أو اعتماداً منه على أنه لا يصيبه إلا ما كتبه الله له وقدره عليه، وهذا ما تقضي به الشريعة الإسلامية، وما تدل عليه أدلة القرآن والسنة، من ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ [البقرة:١٩٥].

٢- ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ

﴿أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء:١٠٢]، وهكذا سائر قصة صلاة الخوف فإنها تدل على ما ذكرنا.

٣- أمر الله تعالى بالتزود في سفر الحج فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:١٩٧].

٤- خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من مكة مستخفياً واختبأ في غار ثور ثلاثة أيام، وسلك في هجرته إلى المدينة طريقاً غير الطريق المعروفة خوفاً من أن يدركه أهل مكة.

في الغناء

الذي يظهر لي أن بعض علماء العامة سهل في الغناء، وفي شرب المثلث لما رآه من ولع الناس بذلك خلفاً عن سلف الرعاة منهم والرعية، ولا سيما في العراق التي كانت تعد عاصمة الإسلام وحضيرة العلماء، مما دعاهم إلى تكلف الشبه والمعاذير والرخص.

[في الكهانة]

سؤال: رجل له مسبحة يدعي أنه يعلم المغيبات من أحوال الإنسان بالنظر في تلك المسبحة، ومما قاله من ذلك ادعاء سبعين زنية على رجل؛ فما هو حكم هذا الرجل؟ وهل للمتَّهم بالزنا أن ينتصف منه؟ وكيف ذلك؟

الجواب والله الموفق: أن صاحب المسبحة الذي.... إلخ- فاسق كذاب مفترٍ.

أما أنه فاسق وكذاب ومفتر فلقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا...﴾ [النور]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور].

ويدل على أنه مفتر كذاب: ما يدعيه من علم الغيب، ولا شك عند المسلمين

أن من يدعيه أنه مفترٍ كذاب.

أما المتهم بالزنا فلو كان هناك حاكم حق لأقام عليه حد المفترين كما أمر الله تعالىٰ في القرآن.

هذا، وللمتهم أن يزجر المشعوذ وينهره ويتوعده حتىٰ يسكت عن التهمة ويكف لسانه، وليس له بعد ذلك إلا الصبر؛ لأنه ليس للرعايا من أمر الحدود والتأديب شيء؛ إذ ذلك إلىٰ ولاة الأمور وحكام المسلمين.

التطير

كان الرجل إذا أراد حاجة أتىٰ طيراً ساقطاً فيطيره؛ فإن طار يميناً مضىٰ، وإن طار شمالاً ترك.

[في السنة والبدعة وحكم القراءة إلى روح الميت]

سؤال: ماهي السنة وماهي البدعة؟ وهل من البدعة أن يقرأ المعزون إلىٰ روح الميت؟

الجواب والله الموفق: أن السنة: هي أن تكون عبادة المكلف بما أذن الله تعالىٰ به وشرعه، والبدعة: هي في خلاف ذلك، وتماماً كما قال سبحانه وتعالىٰ في قوم مضوا: ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورىٰ:٢١]

نعم، قراءة القرآن إلىٰ روح الميت ليس ببدعة، والدليل علىٰ ذلك: أن الله سبحانه وتعالىٰ قد أمر عباده بأن يتوسلوا إليه بالطاعات المقربة إليه، فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ..﴾ [المائدة:٣٥]، ومن المعلوم أن تلاوة القرآن من أعظم الوسائل إلىٰ رحمة الله، ومن هنا بدأ الله تعالىٰ بتلاوة الكتاب قبل الصلاة والزكاة فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩].

فإذا اجتمع المؤمنون للعزاء وتلوا الكتاب الكريم متوسلين بتلاوته إلىٰ ربهم في أن يرحم ميتهم، ويتجاوز عن سيئاته، وأن يجمعهم وإياه في مستقر رحمته،

فليس في ذلك بدعة؛ إذ لم يتجاوزوا حدود ما أذن الله تعالىٰ به وشرعه، فالتوسل إلىٰ الله تعالىٰ بالطاعات مشروع، وتلاوة القرآن مشروع، وطلب المغفرة والرحمة للميت المؤمن مشروع.

فإن قيل: إنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة التلاوة إلىٰ روح الميت في العزاء، فإذا لم يرد كذلك كان بدعة.

قلنا: قد أمر الله تعالىٰ بالتوسل وبتلاوة القرآن أمراً مطلقاً غير مقيد بوقت ولا بحالة، ولا لغرض أو طلب فدل ذلك بإطلاقه علىٰ مشروعية التوسل بالقرآن وبغيره من الطاعات لطلب المغفرة والرحمة، أو لطلب الشفاء والعافية، أو لطلب الانتقام من العدو، أو لطلب الحفظ والسلامة، أو لغير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية والأخروية.

ويؤيد ما ذكرنا من أن الطاعات وسائل لنيل المنافع الدينية والدنيوية- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...﴾ [الطلاق]، ولقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا۝﴾ [الجن]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...﴾ [نوح]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا۝﴾ [نوح]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ [الأعراف:٩٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ...﴾ [المائدة: ٦٦].

وفي الأثر: ((داووا مرضاكم بالصدقة))، و((استنزلوا الرزق بالصدقة)).. إلىٰ غير ذلك من القرآن والسنة.

هذا، ويدل علىٰ أن قراءة القرآن إلىٰ روح الميت ليس ببدعة، أن الله سبحانه وتعالىٰ قد أمر بالصلاة علىٰ موتىٰ المؤمنين، وصلاة الجنازة هي استشفاع للميت عند

الله سبحانه وتعالى، وفيها قراءة الفاتحة وفيها الدعاء، وكل هذا هو من أجل الميت.

فمن هنا عرفنا أن تلاوة القرآن للميت والدعاء له بالمغفرة والرحمة ليس ببدعة لا في العزاء ولا في غيره.

نعم، يصح ويجوز أن يقرأ المؤمن القرآن ويهدي ثواب قراءته لمن شاء من المؤمنين، والذي يدل على ذلك أمور:

١- أنه لا مانع يقدر في أن تطيب نفس المؤمن في إهداء ثواب قراءته إلى من شاء من إخوانه المؤمنين أحياءً كانوا أم أمواتاً؛ إذ أن ثواب تلاوته حق له من كسبه، فله أن يتصرف فيه كيفما شاء، ولم يرد دليل لا من الكتاب ولا من السنة يمنع من ذلك، فلا بدعة حينئذٍ في ذلك، فتلاوة القرآن مشروعة، وطلب التالي من الله تعالى أن يجعل ثواب تلاوته هدية إلى روح فلان طلب حسن ودعاء بار، وللمؤمن أن يدعو الله تعالى بما شاء، وقد وعد الله تعالى بالإجابة، اللهم إلا في طلب الإثم أو قطيعة رحم كما جاء في الآثار.

٢- جاء في صحيح الأثر: أن الحسنين وعلي بن الحسين كانوا يخرجون صدقة الفطر عن أسلافهم الأموات عليهم السلام جميعاً، وكذلك غيرهم من كبار أهل البيت عليهم السلام.

٣- جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه ضحى بكبش عمن لم يضح من أمته صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- ما ثبت أنه يصح الحج عن الغير.

فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم ٣٩] مما يدل على أنه لا ينتفع إلا بثواب عمله دون ثواب عمل غيره.

قلنا: معنى الآية: أن الإنسان لا ينال من الثواب بالاستحقاق إلا ما كان عن طريق سعيه، فلا يستحق الإنسان إلا ثواب سعيه دون سعي غيره، وإنما ذكرنا الاستحقاق في تفسير الآية لأن اللام تدل عليه، ولم تنف الآية ما يحصل عليه المكلف من الثواب عن طريق التفضل.

وهذا كما تقول: ليس لفلان عندي إلا مائة أجرة عمله، فلا مانع من أن تعطيه مائتين، مائة مقابل ما يستحقه من الأجرة ومائة هدية منك أو بواسطتك.
فليس في إعطائك الأجير المائتين مخالفة ولا منافاة لقولك: ليس لفلان عندي إلا مائة أجرة عمله.

[من هو الحروري؟]

عن ميمون بن مهران: الحروري الأزرقي هو الذي إن خالفت رأيه سماك كافراً، واستحل دمك.

القرامطة، الباطنية، الإسماعيلية

ثلاثة أسماء لمسمى واحد.

أول من أثار هذا المذهب رجل قدم من خوزستان، ونزل سواد الكوفة اسمه قرمط، وكان أول من أظهره أبو سعيد الجنّابي حوالي سنة ٢٧٨هـ.

كان ورعاً متزهداً، وأعلم الناس أنه يدعو إلى إمام من أهل البيت عليهم السلام.

وأسسوا دولة بالبحرين وامتد نفوذها إلى الحجاز واليمن، وانتشر مذهبهم في الشام وسواد الكوفة، وغاية مذهبهم تعطيل الشرائع وإنكار النبوات والبعث والجزاء، ويحرفون نصوص الكتاب والسنة.

الكهرباء

الكهرباء هو العمود الفقري للتقدم الحضاري في جميع مجالاته من غير استثناء؛ فالسيارات لا تتحرك إلا بالكهرباء، والطائرة لا تطير إلا بالكهرباء، والمصانع لا تتحرك إلا بالكهرباء، وجميع الآلات المتحركة لا تتحرك إلا بالكهرباء، وأجهزة الاتصالات والكمبيوتر والإعلام والبث والتسجيل والتصوير والطباعة لا تعمل إلا بالكهرباء، وما لا يكاد يحصى من الآلات الكبيرة والصغيرة التي دخلت في ضروريات الإنسان اليوم كلها لا تعمل إلا بالكهرباء، ولولا الكهرباء لما كان للحضارة والتقدم وجود على الأرض.

وقد عم الانتفاع بالكهرباء جميع البشر على وجه الأرض، وعظمت به النعمة عليهم وكبر موقعها في حياتهم ومعايشهم، إلا أنها نعمة منسية قل شاكروها.

وقد توسع الانتفاع بهذه النعمة، وعظم استعمالها عند الدول والشعوب المتقدمة والصناعية في أوربا وأمريكا وشرق آسيا وغيرها، وما زالوا منذ أكثر من مائة سنة وهم يتقلبون في هذه النعمة تصب عليهم خيرها وتغشاهم بركتها من فوقهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومن تحتهم، وتطير بهم في السماء وتسبح بهم في الفضاء، وتغوص بهم في قيعان البحار والمحيطات، وتأتيهم بأخبار الدنيا وما حولها في لمح البصر، وتصلك بمن تريد مواصلته وجهاً لوجه على الشاشة في أي مكان كان صاحبك، و..إلخ.

وكما ذكرنا فإن هذه النعمة مكفورة، بل إن الدول الصناعية ترى أنها هي التي أوجدت هذه النعمة بما عندها من العلم، وأن لها المنة بذلك في أعناق الناس، وما زال هذا رأيهم واعتقادهم من أول أيامهم الكهربائية وإلى اليوم.

وبعد أن ألقينا نظرة على هذه النعمة فلنلق نظرة إلى القرآن الكريم حول الموضوع الذي ذكرناه: قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم]، وقال سبحانه حاكياً عن قارون الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:٧٨]:

في الآية الأولى أقسم الله تعالى لعباده أنهم إن شكروا نعمته ليزيدنهم نعماً إلى نعمهم، وأقسم أنهم إن كفروا بنعمه ولم يشكروها ليعذبنهم على كفرهم بنعمه عذاباً شديداً.

وفي الآية الثانية حكى تعالى مقولة قارون أنه استفاد الكنوز والأموال العظيمة بعلمه وذكائه وحوله وقوته فكان ما كان مما قصه الله تعالى من خبره في القرآن: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ۝٨١﴾ [القصص].

وقال سبحانه وتعالىٰ عمن كفر به وبنعمه ولم يشكرها بعد أن بين لهم وذكرهم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه في مثل ذلك: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس:٢٤].

وإذا نظرنا إلىٰ العالم المتحضر اليوم ونظرنا إلىٰ تأريخه المعاصر رأينا أن الله تعالىٰ قد بلاهم بالسراء والضراء وأراهم من آياته ما فيه لهم عبرة وموعظة.

فقد دارت رحا الحرب العالمية الأولىٰ والثانية علىٰ رؤوسهم وذاقوا من الويلات في الحربين ما لا يقدر قدره، وما زالت أشباحها المخيفة مرسومة في نفوسهم إلىٰ اليوم بالرغم من مرور أكثر من سبعة عقود من الزمان عليها.

وأراهم الله من آيات عذابه ووبال نكاله ما فيه لهم عبرة وأي عبرة، فلم يلتفتوا إلىٰ ربهم أية التفاتة، ولم يذكروه بأي ذكر، ولم يكن له عندهم أية مكانة.

قال تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب]، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر]، لذلك فإن سنة الله تعالىٰ في عباده الأولين والآخرين مستوية.

فمن هنا فإننا اليوم نرىٰ أن بأس الله وغضبه ونقمته علىٰ وشك الحلول بالعالم، ولا سيما المتحضر، وإذا حلت نقمة الله ونكاله بالعالم ولا سيما المتحضر فإنه عذاب الاستئصال كالذي حل بقوم نوح وبعاد وثمود، لا يبقي ولا يذر: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة].

وقد يأخذ الله تعالىٰ بنكاله المترفين والمفسدين وجيوشهم إلا القليل، ويوهن قوتهم، وذلك مثل ما صنع الله تعالىٰ بقريش فإنه أخذ كبراءهم وساداتهم

ومترفيهم وأركان قوتهم يوم بدر، وكما فعل جل جلاله باليهود فيما حكاه الله تعالى في سورة الإسراء حين أفسدوا أولاً ثم حين أفسدوا ثانياً، وقال سبحانه بعد ذلك: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨]، وقد عادوا للفساد في الأرض فعذبهم الله تعالى في الحرب العالمية الثانية، ولم يستأصلهم تعالى في كل ذلك بل بقيت منهم بقايا.

وكما صنع تعالى بأكثر الدول الكبرى في الحرب العالمية الثانية، وأمثلة ذلك كثيرة منها ما نشاهده اليوم في العراق وأفغانستان، وحينئذ فالمتوقع حلوله بالعالم واحد من الأمرين اللذين ذكرنا أنها جرت سنة الله به.

أرى أن نكال الله بالعالم قد آن أوانه على حسب ما نرى من توفر الأسباب، أما تحديد وقت حلوله فهو غيب استأثر الله تعالى بعلمه، ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا۝٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن].

- كيف يتوقع أن يكون طبيعة دول العالم ووضعها بعد حلول سخط الله ونكاله؟

من المحتمل حصول انفلات وفوضى في الدول العظمى، ثم يعقب ذلك في كل دولة دويلات صغيرة، فأمريكا مثلاً ستصبح دويلات عديدة بعد أن كانت دولة واحدة، تتسم كل دويلة بالضعف، لا يهمها إلا حفظ كيانها.

وعندئذ يكون العالم قد تخلص من هيمنة الدول الكبرى ومن سياساتها وضغوطها، وتحرر من العبودية لها.

[السنة في السلام]

في الترمذي أثر يقول: حذف السلام سنة، قال ابن المبارك: يعني أن لا يمده مداً. انتهى باختصار.

[الطريق الصحيح إلى صلاح الذرية]

ليس أقر لعين الإنسان ولا أثلج لصدره من صلاح ذريته، وقالوا إن الإنسان

لا يحب أن يكون أحد خيراً منه إلا ولده؛ لذا ترى الإنسان حريصاً على هذا الغرض وهذا المطلب.

وقد أرشد الله تعالى عباده إلى الطريق الصحيح التي تؤدي إلى هذا الغرض وهذه الغاية فقال تعالى حاكياً لدعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف]، وقال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:٣٤].

نعم، صلاح الزوجة وعفتها وطهارتها سبب في صلاح أولادها، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ..﴾ [الأنبياء:٩٠]، وبناءً على ما قلنا فإن الطريق إلى صلاح الزوجة وصلاح الذرية هو صلاح الأب وتقواه وإيمانه.

[بحث الإنسان عن العزة والكرامة]

الإنسان يحب العزة والكرامة طبعاً، ويكره ضدهما، وكل يسعى في تحقيق ذلك لنفسه، فالبعض يظن أن ذلك في جمع المال فيسعى بجد في تحصيله وجمعه، وآخرون يتصورون أن ذلك في الأمر والنهي فيُجِدُّون في الوصول إلى تلك المنزلة، ويبذلون كل غال ونفيس، وآخرون... وآخرون... إلخ.

وقد أرشد الله تعالى إلى الطريق الموصلة إلى العزة والكرامة والسعادة التي ضل عنها الطالبون لها، وعموا عنها، فأخبر سبحانه وتعالى أن الكرامة في التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وأن العزة في الإيمان: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

[الرفعة في طاعة الله تعالى]

قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء]، يؤخذ من

هنا كما قدمنا: أن الرفعة والعزة في طاعة الله تعالىٰ.

وقال الله تعالىٰ في أصحاب النبي ﷺ الذين أطاعوا الله ورسوله، ولازموا التقوىٰ: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٠].

وقال فيهم: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾ [الأحزاب:٢٧].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...﴾ الآية [النور:٥٥].

الحصول على الأموال والبنين والخصب وصلاح الثمار وكثرة المياه

الحصول علىٰ ذلك من أكبر المطالب في الحياة الدنيا وأهمها، وقد أرشد الله تعالىٰ إلىٰ الطريق المؤدية للحصول علىٰ ذلك فقال تعالىٰ حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

ففي هذه الآية إرشاد العباد إلىٰ أن التوبة إلىٰ الله والاستغفار هي الطريق الصحيح إلىٰ تلك المطالب الكريمة.

زيادة الأعمار

الزيادة في العمر مطلب مرغوب فيه غاية الرغبة، كما أن الموت مخوف منه غاية الخوف، وقد أرشد الله تعالىٰ إلىٰ الطريق الصحيحة المؤدية إلىٰ السلامة من اخترام الآجال فقال تعالىٰ حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح].

زيادة النعم

الإنسان يحب زيادة النعم واستمرارها فيحب استمرار الصحة والعافية والأمن، ويحب بقاء المودة من الناس والثقة، ويحب زيادة الخصب وزيادة الأرباح، واستمرار ذلك، ويحب... ويحب...إلخ.

وقد أخبر الله تعالى عباده بالطريق إلى ذلك، وأخبرهم أنها في الشكر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

وأخبر سبحانه كذلك أن زوال النعم يكون سببه كفران النعم فقال: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل]، وفي القرآن الكثير من هذين البابين: شكر النعم وكفرها.

[تسمية الماء النازل من السماء رزقاً]

- سمى الله تعالى الماء الذي ينزله من السماء رزقاً، لأن الأرض لا تخرج قوت الإنسان والحيوانات إلا بالماء، ولا رزق للحيوان والإنسان إلا مما أخرجت الأرض، وهذا في الأكثر، وقليلاً ما يرتزق الإنسان والحيوان مما يخرج من البحر، والعمدة في الرزق هو على ما تخرجه نباتات الأرض.

شرف الآباء:

- قد يكون شرف الآباء بالتفضل من الله تعالى، يخص الله تعالى به من يشاء من عباده كالنبوة، وكسجود الملائكة لآدم.

– وقد يكون شرف الآباء اكتسابياً كالسخاء والشجاعة والصدق والوفاء والتواضع والحلم والأناءة، والإيمان، والإنفاق في سبيل الله، وصحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والجهاد في سبيل الله، والشهادة في سبيل الله، وحسن الجوار ونصرة الضعيف، ونصرة الحق، وحسن الخلق، وصلة الأرحام، و... الخ.

[من تفاسير قوله تعالى: ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به]

قيل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة٢٨٦]: الغلمة. اهـ

قلت: والغلمة هي شدة الشهوة إلى النساء، والله أعلم.

قيل: جهد البلاء هو كثرة العيال وقلة المال. اهـ

كرامة المؤمن

في الصحيفة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((مثل المؤمن عند الله كمثل ملك مقرب، وإن المؤمن عند الله أفضل من ملك مقرب...إلخ)).

وفي الصحيفة أيضاً: ((إن المؤمن يعرف في السماء كما يعرف الرجل في أهله وولده، وإنه أكرم عند الله من ملك مقرب)).

قلت: هذان الحديثان وإن كانا صحيحين فقد عارضهما ما هو أرجح منهما، من ذلك:

١- أن المشهور من مذهب أهل البيت والزيدية تفضيل الملائكة على المؤمنين، بل على الأنبياء والمرسلين.

٢- أن الملائكة أكثر عبادة وأشد خوفاً لله كما وصفهم الله تعالى في كتابه: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۝٦﴾ [التحريم]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ۝٢٠﴾ [الأنبياء]، إلى غير ذلك من الآيات وهي كثيرة.

٣- قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢].

٤- قوله تعالى في قصة آدم: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف].

٥- قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ..﴾ [الأنعام:٥٠]

إلى غير ذلك من الآيات التي يؤخذ منها أن الملائكة أفضل من مؤمني البشر.

نعم، يمكن تأويل الخبرين وذلك بأن نقول: الحديثان ذكرا فضل المؤمن على الملك، والمراد الفضل من وجه، وذلك أن المؤمن يعاني من طبيعته الشهوانية، ويلاقي من متاعبها ومصارعتها شيئاً عظيماً مما يستحق عليه من الله تعالى الأجر والثواب الكبير.

وهذه الطبيعة الشهوانية غير موجودة في طبيعة الملك، وعلى هذا فالملك لا يكتسب من هذا الوجه شيئاً من الأجر والثواب، وحينئذ فالمؤمن أفضل من هذا الوجه من الملك، ولا يعني هذا أن ثواب المؤمن أكثر من ثواب الملك، ولا أنه أفضل منه على الإطلاق، فالملك أفضل من أوجه أخر هي:

١- أن معرفتهم بالله أكمل وأتم.

٢- لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٣- لا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

٤- طول أعمارهم في طاعة الله.

نعم، وهذه المسألة من المسائل النظرية التي يسوغ فيها الخلاف.

فإن قيل: قد صح: ((من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)) وبناءً على هذا فقد تتزايد حسنات الأنبياء والأئمة والدعاة والمصلحين وإن كانت أعمارهم قصيرة إلى أن يساووا بعض الملائكة أو يزيدوا عليهم، وفي حديث المجموع ما معناه: ((إنه يكتب للشهيد ثواب عمله إلى يوم القيامة)).

قلنا: ذلك غير بعيد، وقد ذهب قوم إلى مذهب بين المذهبين وهو أن عموم الملك أفضل من عموم البشر، وخصوص البشر أفضل من خواص الملائكة.

[أنت مع من أحببت]

روي أن رجلاً دخل ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فقال: يا رسول الله متى تكون الساعة؟ فأشار إليه الناس: أن اسكت، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ويلك ما أعددت لها؟)) فقال: ما أعددت شيئاً، ولكني أحب الله ورسوله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنت مع من أحببت)).

فائدة: [فيما للسلاطين إذا أطاعوا الأئمة]

قال الحسن بن محمد بن المختار في جوابه على الحسين بن القاسم: إن للأئمة أن يذكروا معهم من أطاعهم من السلاطين كما فعل الهادي عليه السلام فإنه كان يذكر الدعام بن إبراهيم معه على المنبر لما في ذلك من التأليف والدعاء له بالصلاح. انتهى من حواشي شرح الأزهار.

[حديث لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهاراً]

حديث: ((لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً)). مسلم وأحمد وغيرهما.

يؤخذ من ذلك:

١-أن أرض العرب (الجزيرة العربية) كانت مروجاً وأنهاراً، وأنها في آخر الزمان ستعود إلى ما كانت عليه سابقاً، ومعنى ذلك أن جزيرة العرب تمر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: أنها كانت مروجاً وأنهاراً.

المرحلة الثانية: مرحلة جفاف وقلة الأمطار وجفاف الوديان، والعيون و..إلخ.

والمرحلة الثالثة: مرحلة مروج وأنهار.

ونحن اليوم نعيش في المرحلة الثانية، ونسمع اليوم أن جنوب الجزيرة العربية أو كلها على وشك الدخول تحت طقس خط الاستواء، والمعروف أن الأمطار لا تزال تمطر طول السنة على الأرض التي تكون تحت طقس خط الاستواء.

[وساوس الشيطان]

سؤال: قيل إن وساوس الشيطان لا تندفع عن المؤمن بالاستعاذة؛ فما فائدتها؟

الجواب والله الموفق والمعين: أن الأمر هو كما قيل فإنها لا تندفع وساوس الشيطان بالاستعاذة بدليل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج:٥٢]، ولو أن الوساوس تندفع بالاستعاذة لخف التكليف على المؤمنين.

والذي يظهر أن الفائدة من الاستعاذة هي استجلاب الألطاف الزائدة من الله التي بسبب حصولها يقل تأثير الوساوس على المؤمن؛ فإذا حصلت هذه الألطاف للمؤمن عند التجائه إلى ربه فإنها تقف في وجه وساوس الشيطان، ويجد المؤمن بسببها القوة على طرد وساوس الشيطان ودحرها، بل لا يبقى لها تأثير، وإن كانت موجودة وحاصلة غير أنها مقهورة ومغلوبة بسلطان الألطاف الإلهية التي استجلبها العبد حين التجأ إلى ربه واستعاذ به من شرها.

حقوق المسلم على أخيه

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه..)) انتهى من حواشي الأزهار، وقال: رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

[أبيات شعرية]

المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران

الحكم بن مرة (قنبرة) المازني البصري:

ويلي على من أطار النوم فامتنعا وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس في أعطافه لمعت حسناً أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

صالح بن عبدالقدوس:

لا يعجبنك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبذول
فلربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول

طردت عن الفؤاد حديث رامه وذكراها وأظهرت الصرامه

لضاحية الهلالية:

ألا ليتنا والنفس تسكن للمنى يمانون إن أمسى حبيب يمانيا

ولها أيضاً:

وإني لأهوى القصد ثم يردني عن القصد ميلات الهوى فأميل

للسيد صارم الدين ابن الوزير في الإمام أحمد بن الحسين الشهيد صاحب ذيبين عليه السلام:

ضحوا بأشمط يستسقى الغمام به قد بايعوه فكانوا أخسر البشر

آخر [الكميت]:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

سئل حكيم عن العشق، فقال: دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع. اهـ (إحياء علوم الدين).

[لبعضهم]

إن السماء إذا اكتَستْ كَسَت الثَّرى حُلَلاً يُدَبِّجُها الغَمَام الراهِمُ

[لواصل بن عطاء]

تَحَامَقْ مع الحمقى إذا ما لقيتهم ولاقهم بالجهل فعل ذوي الجهل

وخَالِطْ إذا لاقيت يوماً مُخَلِّطاً يخلط في قول صحيح وفي هزل

فإني رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

[لأبي علي البصير]

لعمر أبيك ما نسب المعلى إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرَّت وصُوِّح نبتها رعي الهشِيم

شعر:

كمن يحدو وليس له بعير ومن يرعى وليس له سوامُ

ومن يسقي وقهوته سراب ومن يدعو الضيوف ولا طعامُ

شعر [لأبي الطيب]:

قد سألنا ونحن أدرى بنجدٍ أقصير طريقنا أم طويلُ

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من ردِّه تعليلُ

شعر [لمحمد بن هانئ المغربي]:

في كل يوم أستفيد تجارباً كم عالم بالشيء وهو يسائلُ

شعر [لأبي الطيب المتنبي]:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بُدُّ

من آفات العقل وأخطاره

١- أن يسمع العاقل آية بينة وحجة ظاهرة عند عقله لا يشك فيها، إلا أنه يرفضها لأنه يجوز أو يظن أن إمامه الذي يقتدي به في دينه عنده ما يردها ويكشف عن بطلانها.

٢- أن العاقل لا يتهم عقله بالنقص، ولا يرى أن عقل غيره أكمل من عقله.

[العبودية في الإسلام]

يستنكر أعداء الإسلام اليوم على أهل الإسلام تدينهم باستعباد الإنسان وتملكهم له، ورأيت بعض المسلمين يجيب بأن الإسلام حين جاء كان الناس عامة يدينون بالاستعباد للآدميين، ويستحسنونه فجرى الإسلام معهم في هذا الميدان.

وعندي أن ذلك ليس هو السبب في شرع استعباد الإنسان، والذي أراه في وجه تشريع ذلك في الإسلام:

أن الله تعالى شرعه جزاءً وعقاباً عاجلاً في الدنيا للكافرين بالله والمشركين الذين تمردوا عن توحيد الله وعبادته، وعن الاستجابة لرسله، فلما رفض المشركون والكافرون عبادة الله وطاعته وأَبَوْا من الدخول في عبوديته تمرداً واستكباراً أراد الله تعالى أن يعاملهم في الدنيا بمثل عملهم، وأن يجعل ذلك من جنس عملهم، فشرع تعالى استعبادهم وتملكهم فمن رفض أن يكون عبداً لله جوزي بأن يكون عبداً لعبيد الله.

وفي الأثر: ((كما تدين تدان))، ومن العدل الظاهر أن يكون الجزاء من جنس العمل.

-وقد جعل الله تعالى الاستعباد وشرعه على كل كافر على وجه الأرض ذكراً وأنثى كبيراً وصغيراً.

-وحسن استعباد الصغير من أولاد الكافرين لأنهم كالجزء من آبائهم وأمهاتهم، أو لأنهم جزء منهم فعلاً، ودليل ذلك ما ثبت في شريعة الإسلام أن أحد الأبوين الكافرين إذا أسلم يحكم لطفلهما بأحكام الإسلام.

-ولأن في استعباد أولاد الكافرين إغاظة لآبائهم وزيادة عقاب عليهم.

-مع أن الإسلام وإن شرع استعباد أطفال الكافرين فإنه قد ضمن لهم في شرائعه الحقوق اللازمة فحرم الإسلام التفريق بين الابن وأبويه والأخ وأخيه...إلخ.

-وأمر المالك بالإحسان إلى مملوكه، والتخفيف عنه، وإطعامه مما يطعم ويسقيه مما يستقي، وأن يكسيه مما يكتسي،...إلخ.

-ودعاه إلى أن يكاتبه إذا أحب العبد المكاتبة وكان قادراً على الوفاء.

-ومما يدل على حسن استعباد الكافرين وذراريهم ونسائهم: أن فيه لطفاً للكافرين ومصلحة عظيمة لهم، وذلك من حيث أن الكافر إذا علم أن إصراره على الكفر سيؤدي إلى سبي نسائه وذراريه فإنه يدعوه ذلك إلى تركه خوفاً على استباحة نسائه وتملك ذراريه.

الحكمة في طبيعة الحياة الدنيا

أسبغ الله تعالى نعمه على عباده في هذه الحياة الدنيا، وآتاهم من كل ما سألوه، وإن يعدوا نعمة الله لا يحصوها، فنعم الله على عباده متكاثرة ومتظاهرة ومتظافرة، باطنة وظاهرة.

إلا أن الله تعالى جعل من طبيعة الحياة الدنيا ما ينغص على أهل الدنيا بعض التنغيص، ويكدر عليهم ما هم فيه من النعيم بعض الكدر، فيتعرض أهل الدنيا للأسقام والموت، والخوف والهموم والغموم، والقلق والأكدار، وفيها حشرات مؤذيات كالبعوض، وهوام ذات سموم وسباع، ومسلطون على أذية الناس، وفيها حوادث وكوارث، بل قد يكون في النعمة نفسها ما يكدرها كالزوجة الجميلة العفيفة فإنها لا تخلو من صفة تكدر النعمة بها.

- ومن الحكمة من ذلك كما يظهر هي أن لا يطمئن الناس إلى نعيم الدنيا، فإن مكدرات نعيم الدنيا ومنغصاتها تُبَغِّض الحياة الدنيا إلى أهل الدنيا، وترفع

بأبصارهم إلى الدار الآخرة التي لا كدورة في نعيمها ولا تنغيص، ومن هنا روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول عند المنغصات والمكدرات: ((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة))، فبسبب هذه المنغصات يكون نظر المؤمن مشدوداً إلى الحياة الآخرة ونعيمها.

– المؤمن لا يقلق ولا يحزن لما يلحقه من مكدرات نعيم الدنيا؛ لعلمه بحكمة الله في ذلك، بل يشكر الله تعالى ويحمده على ما جعل من ذلك، ويراه نعمة لما فيه من التنبيه له من الاطمئنان إلى نعيم الدنيا، والشد بنظره إلى النعيم الدائم في الجنة.

[عظة وعبرة: بركان في أوربا سنة ١٤٣١هـ]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً: في هذا الشهر جمادى الأولى سنة ١٤٣١هـ وقع انفجار بركاني بالقرب من قارة أوربا تصاعد منه غبار كثيف غطى أكثر دول أوربا فتوقفت لكثافته الملاحة الجوية في تلك الدول، وما زالت الملاحة الجوية متوقفة إلى وقت كتابة هذه السطور.

ويحتمل والله أعلم أن ذلك واحد من أعلام الساعة التي وردت الآثار بذكرها.

ولا ريب أن ذلك آية من آيات الله العظيمة التي يخوف الله تعالى بها عباده.

ـ جرت سنة الله بأنه إذا أرسل لعباده العصاة آية يذكرهم بها فلم يتذكروا، بل تمردوا واستمروا على ما هم فيه من العصيان أن يعذبهم؛ لذلك فمن المتوقع أن ينْزِل الله تعالى بدول الغرب نقمته وعذابه في القريب العاجل.

[في ذكر الفتن]

روى الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن ص....: «إذا كانت فتنة المغرب فشدوا قُبُل نعالكم إلى اليمن فإنه لا يحرزكم منها أرض غيرها».

وفي غيره: «إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن».

قلت: في هذا دليل على أن اليمن محفوظ من الفتن العامة مثل فتنة العبيديين التي جاءت من المغرب وحملت الناس على الديانة بدينهم، ومثل فتنة السلفيين

التي حملت الناس على التدين بدينهم.

واليمن وإن حاولت الفتن دخوله فسرعان ما تضمحل وتذوب كفتنة علي بن الفضل والمطرفية وأشباهها.

وفي كتاب الفتن بسنده عن كعب: «طُوبَى يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْعُظْمَى لِحِمْيَرَ وَالْحُمَيْرَاءِ، وَاللَّهِ لَيُعْطِيَنَّهُمُ اللَّهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَإِنْ كَرِهَ النَّاسُ».

وفيه بسنده عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «قَيْسٌ فُرْسَانُ النَّاسِ يَوْمَ الْمَلَاحِمِ، وَالْيَمَنُ رَجَاءُ الْإِسْلَامِ».

وفيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَنِي فَارِسَ، ثُمَّ الرُّومَ، ثُمَّ نِسَاءَهُمْ أَبْنَاءَهُمْ وَلَأُمَتَهُمْ وَكُنُوزَهُمْ، وَأَمَدَّنِي بِحِمْيَرَ أَعْوَانًا)).

***

النرد: لعبة تعرف في غير اليمن بلعب الطاولة. انتهى حواشي التاج.

[الفتن]

تتنوع الفتن وتتلون على ألوان مختلفة.

والفتن المرادة هنا هي الأسباب التي تؤدي إلى خروج المكلف من الحق إلى الباطل، فتزيين الشيطان للمكلف فعل الباطل فتنة، وعلماء السوء فتنة، وإغراء المكلف بالمال فتنة، وكثرة أهل الباطل، وقلة أهل الحق فتنة، والسلطان فتنة، وكثرة المال فتنة، وقلته فتنة و...إلخ.

[علامة قوي الإيمان من ضعيفه]

هناك علامة يعرف بها قوي الإيمان من ضعيف الإيمان وهي علامة استقرأتها في كثير من الناس بنفسي وهي: أنك إذا أخبرت الرجل بحدوث ضلالة في الدين بين طلبة العلم مثلاً، وأنها صادفت رواجاً ونَفَاقاً، وشرحت له نوع الضلالة التي يتفق أهل البيت وعلماء الزيدية على أنها ضلالة مهلكة، وتبين له خطورتها من حيث حدوثها بين طلبتنا وفي مدارسنا ورواجها بينهم؛ فإنك تجد

المؤمن القوي الإيمان ينفعل لهذا الخبر، ويتأثر به غاية التأثر، ويقوم له ويقعد، أما ضعيف الإيمان فلا يظهر عليه أثر لخبرك، ولا يهتم له، وكأنه لا يعنيه في دينه.

علوم العرب قبل الإسلام

علم الشعر وصناعة الكلام، والخطب، وعلم أنساب قبائل العرب، وحفظ الشعر ونقده، والعلم بمفاخر قبائل العرب ومآثرها وأيامها وما جرى لها أو عليها، والعلم بتواريخها وأيامها، والعلم بمثالبها، وكان علم الكهانة فيهم قليل، ولهم علم بصفات الخيل وأنواعها وجميع ما يتصل بها، وهكذا الإبل فإن لهم بها معرفة وخبرة.

وكان لهم علم بالنجوم إذ كانوا يهتدون في أسفارهم بها في البر والبحر، وبنجوم الزراعة، وكان علم القراءة والكتابة فيهم قليل.

وكانت جنوب الجزيرة العربية مهداً للعلم باستخراج معادن الذهب والفضة والحديد، والتفنن في صناعة تلك المعادن، وللعلم بهندسة البناء العجيب، وما زالت آثار تلك الهندسة العجيبة إلى اليوم فيما تبقى من بقايا السدود والقصور، ومهداً للعلم بصناعة الثياب ونسجها، وللعلم بالزراعة والتجارة.

[التطور الصناعي]

يتحير العقل من التطورات الصناعية التي وصل إليها البشر في جميع المجالات، وكان من المفروض أن يستخدم البشر ما وصلوا إليه من الإبداع والاختراع في منافعهم ومصالحهم العامة والخاصة، إلا أن الواقع المشهود هو العكس.

فالأسلحة المتطورة تستعمل في البغي والعدوان، فالدول المصنعة لا تبيع السلاح إلا من الظالم دون المظلوم، والإعلام المتطور سخروه لترويج مصالح الظلمة والجبابرة، ولترويج الباطل وتلويث الأفكار وإفساد الأخلاق، وفي الحرب على الحق والمحقين والمستضعفين، وهكذا الاتصالات والمواصلات وغيرها.

[موهبة العقل والمال]

-كل واحد من الناس يحسن الظن بعقله ولا يتهمه بالضعف والنقص، هذه هي طبيعة الآدميين؛ فترى ضعيف العقل وناقصه إذا اختبرته يعتقد في نفسه أنه أعقل من غيره وأذكى، وأبصر بتدبير الأمور وأعرف بطرق الخطأ والصواب، و...إلخ.
-ومن طبائع الحياة الدنيا أن ضعفاء العقول من بني آدم أكثر حظاً في الدنيا، فتراهم ذوي تجارات واسعة وترف ورخاء وتمكن ووجاهة، و...إلخ، ومن هنا قال أبو المعري:

كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

غير أن كثرة المال بأيديهم يغطي عيوبهم الناتجة عن ضعف العقل ونقصه فلا يتنبه الناس للنقص والعيب، وإن تنبهوا لذلك اعتقدوا أنه ناتج عن سياسة وذكاء.
-في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما معناه: (إن رزق الإنسان محسوب عليه من عقله)، فمن كثر عقله وكمل قل حظه من متاع الدنيا، ومن قل عقله ونقص عوضه الله تعالى بكثرة متاع الدنيا على حسب ما نقص من عقله.
-الأحمق: هو الذي يريد أن ينفع نفسه فيضرها، فهو يعتقد في عقله الكمال، ويرى أن آراءه هي الصواب، فيمضي على رأيه، فتحصل له مشاكل وعواقب سيئة فلا يتنبه، بل يصر على المضي.
وقد رأيت من هذا النوع كثيراً، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه.

[نعم الله العظيمة علينا في هذا العصر]

الحمد لله الذي حملنا في البر والبحر، وطار بنا سبحانه في أجواء السماء، وحلق بنا تعالى فوق السحاب، على أرفه المراكب حتى قطعنا مسيرة شهر في ساعة، من غير أن يلحقنا في مسيرنا حر ولا برد، ولا تعب ولا نصب.
في التقدم الصناعي والحضاري أمور يلزم التأمل لها ووقوف الفكر عليها وهي:

١- أن الله تعالى أعطى الإنسان في هذا العصر نعماً متبالغة في العظم، متكاثرة في العد، ما كان يحلم بها البشر عامة في كل شؤون حياتهم، وهذه النعم تستدعي من البشر الشكر المتضاعف المتواصل؛ لأن نعم الله تضاعفت عليهم، وفضله تكاثر لديهم.

٢- تكاثر الكفر والظلم والتمرد على الله ومحاربة دينه وأوليائه، تكاثر ذلك مع تكاثر النعم، وفي ذلك ما ينذر بوقوع عذاب عام للبشر لا ينجو منه إلا المؤمنون المتقون، وقد يكون العذاب من الله تعالى، أو من البشر، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٦].

إن قيل: لماذا لم يذكر الله تعالى في القرآن ما سيصل إليه الإنسان في آخر الزمان من الحضارة والتطور في الصناعات حتى يكون ذلك آيات لأهل هذا العصر وحجة عليهم لا يستطيعون ردها؟

فيقال في الجواب: لا شك أن فيما ذكرتم آيات بينات وحججاً واضحة لأهل هذا العصر إلا أن هناك مانعاً أهم مما ذكرتم من المصلحة، وهو أن وجود ذلك في القرآن سيتسبب في إشكالات وشبه للأجيال التي عاشت في القرون الماضية قبل حدوث التقدم الصناعي، وستكون منشأ للنقد والتكذيب و...إلخ وهذا واضح وبالله التوفيق.

[النعم العظيمة في هذا الزمان]

-أصبح الناس في هذا الزمان في نعم عظيمة لم يشهدها تاريخ البشر من قبل، منها: نعم المواصلات البرية والبحرية والجوية، فيقطع راكب السيارة مسافة ألف ميل في نهار واحد من غير أن يلحقه ما يؤذيه من حر أو برد أو ما يكدر أو يؤذي، بل إنه يكون مرفهاً في ركوبه.

وراكب الطائرة أكثر رفاهة وسرعتها أكثر فتقطع مسافة ألف ميل في ساعة ونصف ساعة تقريباً.

ومنها: توفر الهاتف الثابت والنقال.

ومنها: الكهرباء.

ومنها: توفر آلات الإنتاج والصناعة وآلات العمل.

ومنها: توفر البضائع في الأسواق من كل بلدان العالم.

ومنها: توفر العلاجات الفعالة في كل مكان مع توفر الأطباء المتمكنين في الطب.

ومنها: المطابع والطباعة وكثرة الكتب في كل مجال بأسعار زهيدة.

ومنها: توفر أجهزة الكمبيوتر والإنترنت.

ومنها: توفر الأجهزة الإعلامية. ومنها...، ومنها....إلخ.

وبذلك يكون الله تعالى قد أنعم على أهل هذا الزمان بنعم لم ينعمها على أحد من العالمين قبلهم، وذلك يستدعي شكراً أكثر وأعظم.

غير أن أهل هذا العصر تلقوا هذه النعم العظيمة بالكفران والطغيان والتمرد والعدوان. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم]، فحقيق بأهل الدنيا أن يحل بهم عذاب الله الشديد الذي توعد به كافري نعمه.

[سبب هزيمة المسلمين يوم أحد]

-تسليط الله تعالى المشركين يوم أحد على المسلمين حين عصوا الرسول ﷺ وخالفوا أمره إنما كان:

١-بالتخلية بين الفريقين جيش قريش القوي، وجيش المسلمين الضعيف.

٢-بأن رفع الله تعالى نصره عن المسلمين وإعانته لهم، وتأييده لهم بالملائكة، فلما رفع الله تعالى عنهم كل ذلك مع التخلية بين الفريقين حصلت الهزيمة.

٣-ترك الله تعالى المشركين وشأنهم، فلم يلق في قلوبهم الرعب ولا الخوف ولا الهلع.

فإن قيل: هل أراد الله وشاء ورضي قتل من قتل يوم أحد من المسلمين؟ وهل أراد هزيمتهم وإذلالهم؟ وهل أراد الله تعالى أن ينتصر المشركون على المسلمين؟

قلنا: تعالى الله عن إرادة شيء من ذلك وعن الرضا به وعن مشيئته، والذي حصل هو أن رفع نصره للمسلمين، فلم تتدخل قدرته تعالى في تلك المعركة رأساً، بل خلى الفريقين وشأنهم، ولم يكن المسلمون في تلك المعركة يستحقون النصر من الله والمعونة؛ لعصيانهم، فهذا هو الذي شاءه الله وأراده ورضيه، وهو رفع النصر للمسلمين، والتخلية بين الفريقين.

أما ما ترتب على ذلك ونتج عنه من القتل والجرح والهزيمة فلم يرده الله تعالى ولم يرضه.

والتخلية هذه نظير التخلية بين الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول، ونظير التخلية بين العاصي وبين المعاصي؛ فإنه لا يصح ولا يجوز أن يقال: إن الله تعالى بسبب التخلية يريد الظلم والقتل والمعاصي، فافهم ذلك.

[الحكمة في اختلاف طبائع الناس]

-طبائع الناس مختلفة في الذكاء والفهم والغفلة والبلادة والأناءة والعجلة و... و...إلخ، وبسبب ذلك يحصل الاختلاف في التدبير والسياسة، وتفسير الحوادث السياسية، والنظر في عواقب الأمور وما شابه ذلك.

ويختلف الناس في الطول والقصر، والقوة والضعف، والدقة والغلظ، والجمال والصورة، وصفات الأطراف والجسم، والشعر والبشر والأعين والأنف و...إلخ، **والحكمة في ذلك:**

١ - ما فيه من الدلالة على أنه صادر عن خلاق عليم حكيم، وذلك أن الاختلاف يدل على أن ثَمّ فاعل مختار خالف بينها، وقد استدل الله تعالى على المشركين بذلك في آي منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ....﴾ [الروم:٢٠]، إلى قوله: ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم:٢٢]، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الجاثية:٥]، ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد].

٢- ما فيه من الابتلاء والاختبار، فيظهر بذلك شكر الشاكر على ما أولاه الله من صفات الكمال، وكفر الكافر لنعم الله، وصبر الصابر على ما ابتلاه الله تعالى من النقص وسخط الساخط على ذلك.

٣- بالاختلاف يعرف كل شخص ويتميز عمن سواه، وفي ذلك من المصالح ما لا يكاد يدخل تحت الحصر، ولولا الاختلاف لم يعرف الزوج زوجته والعكس، ولا الوالد ولده والعكس ولا العدو عدوه، ولا الصديق صديقه، ولما أمكنت المعاملة بالدين ولا...إلخ.

٤- بالاختلاف تعرف النعمة فالكامل لا يشعر بنعمة الكمال إلا إذا رأى الناقص، ولا الجميل إلا إذا رأى القبيح و...إلخ، وقال الشاعر في ذلك:

وبضـــدها تتميـــز الأشـــياء

٥- وبه يظهر فضل بعض الناس على بعض فيتسبب ذلك إلى انقياد المفضول للفاضل قال الله تعالى في ذلك: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧]، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٤].

٦- بالاختلاف يقوم أمر الدنيا كما ينبغي فذو النظر والذكاء والسياسة والتدبير يوظف في عمل لا يقوم به غيره، وهكذا جميع أعمال الحياة الدنيا، فإن لكل عمل رجالاً على صفات مخصوصة تليق بذلك العمل.

٧- بسبب اختلاف النظر والفهم والذكاء والغباء يدخل الناس في صفقات بيع وشراء وعقود تجارية وأسفار تجارية وتصنيع و...إلخ، فيترتب على ذلك ما يريده الله تعالى في هذه الحياة الدنيا من رزق بعض الناس من بعض، وتوفير الحاجات للمحتاجين، ولولا الاختلاف لما حصل ذلك كما ينبغي.

٨- بالاختلاف يتسخر بعض الناس لبعض فتعمر الدنيا.

٩- وبالاختلاف يجد الناس في الأعمال، ويتسارعون في اكتساب الكمالات المادية والمعنوية، وذلك أن الناقص بطبيعته يسعى بجد واجتهاد ليلحق بالكامل،

ومن هنا قال تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين]، وفي ذلك من المصالح العظيمة ما لا يخفىٰ.

[من إيجابيات وسلبيات شجرة القات]

- من إيجابيات شجرة القات للمخزن أنها تزيل عنه القعام -(التثاؤب)- والفتور، وتثير نشاط الجسم وتصفي الذهن وتزكي الفكر، فإذا قرأ قرأ بذهنٍ صافٍ، ووجد حلاوة القرآن، وإذا صلىٰ صلىٰ بذهن حاضر وقلب خاشع، فيصلي بحيوية ونشاط، ويقرأ القرآن بحيوية ونشاط، ويدعو بحيوية ونشاط واندفاع.

وهذه الحيوية والنشاط لا تغير من العقل شيئاً، ولا تماثل ولا تشبه ما تحدثه المخدرات والخمر من النشاط والطرب الذي يخرج بصاحبه عن حدود المعقول، فيتصرف تصرف المجانين ويعمل أعمالهم، ويسلب صاحبه ثوب الحياء فيصدر منه الأعمال المستنكرة التي يترفع عنها العقلاء حياءً بوقاحة وكثرة.

أما أكل القات فلا يوجد فيه ذلك إطلاقاً، والموجود فيه هو ذهاب الفتور والقعام، وتصفية الذهن والنشاط في حدود المعقول.

- وأنا واحد من المتعودين لأكل القات منذ أعوام كثيرة وإلىٰ اليوم، إذا مضغت القات ذهب عني الفتور والقعام الذي يثيره أكل الطعام، فأجد في نفسي نشاطاً علىٰ القراءة والكتابة والدرس والتدريس والبحث والتفتيش والسؤال والجواب، ومناقشة المسائل والمراجعة فيها، وإذا كتبت أفدت وقطعت شوطاً كبيراً، وأحسنت الكتابة، وزينتها بحسن العبارة، وهذا إذا كان المقام مقام تحسين وتزيين؛ **لذلك أقول**:
- إن القات نعمة كبيرة نحمد الله عليها، فينبغي مقابلتها بشكر الله وحمده.
- وهكذا أهل الأعمال البدنية في الورش والمزارع والبناء والتعمير، و...إلخ؛ فإن القات يعينهم علىٰ أعمالهم ويخفف عنهم التعب، ويثير لهم نشاطهم، فتتضاعف نتائج أعمالهم.

- وكذلك كل من هو في عمل فإنه يساعده على نجاز عمله ونجاحه بنشاط، من غير إحساس بالملل والتعب؛ فالحمد لله كثيراً بكرة وأصيلاً.
- وهناك أناس آخرون يضرهم القات في عقولهم، فيتسبب أكله عندهم لمرض الوسوسة والوهم والجنون، فمن كان كذلك من الناس فلا يجوز له أكله؛ لما فيه من الضرر، وهؤلاء قلة قليلة، وهذا من سلبيات القات.
- ومن سلبياته السهر؛ فآكل القات لا يرقد إلا آخر الليل حين يذهب مفعول القات من الجسم، فيحتاج المخزن إلى أن ينام في النهار عوضاً عما فاته من نوم الليل فتضيع عليه بسبب ذلك كثير من الأعمال، وإذا ذهب إلى أعماله صباحاً ولم يرقد كان مرهقاً من قلة النوم غير نشيط، فلا يتم له عمل كما ينبغي، وإذا تتابع عليه السهر والإرهاق فقد يلحقه ضعف في عقله.
- ومن سلبياته سلبيات اقتصادية؛ فصاحب القات إذا كان فقيراً يتضرر بميزانية القات التي يحتاجها لشرائه، وقد يكون منه تقصير في نفقة أهله وأولاده، فيتضررون بسبب ذلك، وقد تتراكم عليه الديون بسبب القات فيلحقه بسبب ذلك هموم تكدر عليه معيشته، وقد تلحقه مهانة لعدم قدرته على الوفاء، ويتعرض للكلام المهين لعدم وفائه بدينه، فتضطرب شخصيته ويقل مقداره.
- ولا يجوز للمسلم أن يعرض نفسه لمثل ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى يريد للمسلم أن يعيش عزيزاً كريماً: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].
- والأولى بالفقير إذا خشي ذلك أن يُقْلِع عن القات ويصبر عن أكله، فالصبر هو البديل النافع، وعاقبته حسنة، ومع حسن النية سيثيبه الله تعالى على صبره، ويأجره عليه.

فمن شأن المؤمن أن يكون صبوراً عن كل ما يخدش في دينه وكرامته وعزته ورجولته، ولا يتم الإيمان ولا تقوم قائمته إلا بالصبر، ومن هنا قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ۝٣﴾ [العصر].

[كيف تصنع لجار السوء، ومن يبغضك]

حيلة جار السوء وقرين السوء- أن تكرم أبناءهم فيندفع عنك شرور آبائهم. اهـ من الكشكول للعاملي.

لا تمرر بمن يبغضك، وإن مررت فسلِّم. اهـ منه.

[أربعة لا يطاقون]

قيس بن زهير سيد عبس: أربعة لا يطاقون: عَبْدٌ مَلَكَ، ونذلٌ شَبِعَ، وأَمَةٌ ورِثَت، وقَبِيْحَةٌ تزوجت. اهـ

[ما يرجوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي طالب- من كتاب الأذكياء]

- سأل العباس النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا رسول الله: ما ترجو لأبي طالب؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((كل الخير أرجو من ربي)) اهـ من كتاب الأذكياء.

[كيف تحصل عبادة الله كما ينبغي]

عبادة الله تعالى لا تحصل كما ينبغي إلا بحصول ثلاثة أمور:

١- الأول معرفة المعبود.

٢- العلم بما أمر الله به عباده أن يتعبدوه به من الأقوال والأفعال والضمائر فعلاً أو تركاً.

٣- الامتثال والتطبيق للعبادة.

[حول كتب الترغيب والترهيب، وبعض أمثلة منها]

سؤال: حول كتب الترغيب والترهيب فإنني أحتار فيما أراه من مثل: الترهيب من الموت وما بعده وشدته وأنه حتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شُدّد عليه، وكذلك كلام للإمام علي عليه السلام، وكذلك ترهيب بما بعد الموت من مواقف من القبر والحشر وغيره، ولا يفرقون في الكتب هذه بين مؤمن وفاسق أو كافر؛ مع أني بحسب معرفتي القاصرة لم أر في القرآن آيات تذكر شدةً أو عذاباً أو عسراً

على مؤمن من بعد موته وحتى دخوله الجنة؛ بل كلها تبشره وتفرحه.

وأيضاً من العقل أن دار الجزاء إن كان لا بد فيها من ضيق المؤمن؛ فكيف يستطيع الابتعاد والسلامة مع أن لا مجال له من ذلك بأي عمل ما دام حتى الأنبياء في ضيق وكرب، وغيرها. هذا جانب..

وجانب آخر مثلاً: يهول كل شيء فيقع عندما يهولون موضوعاً تسهيل لغيره فمثلاً يقولون: إن الغيبة أشد من الزنا لأنها...إلخ، والكل يعلم أن الزنا فاحشة عظيمة، وهذا مثال وهناك الكثير.

وأيضاً تكبير بعض العبادات مثلاً: البقاء في المسجد من بعد الفجر إلى طلوع الشمس كحجتين وعمرتين؛ فما فائدة التعب وبذل المال والجهد في تطوع الحج والعمرة، وإلا فما المراد؟

ومن ذلك: ذم المال وكسبه ولو كان من الحلال، إلى حدٍّ لو طُبِّق لعزف الناس عن العمل بينما القرآن وحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت ملأى بالدعوة للعمل وبناء النفس والمجتمع اقتصادياً، وما في ذلك من فائدة في نشر الدين والحق والخير، فنحن نرى سيطرة الاقتصاد الآن على كل شيء حتى على السياسة، و(من لا يملك قوته لا يملك قراره).

وأيضاً نرى في بابٍ مّا فرحة المؤمن بالموت وحبه له للقاء الله، ثم نجد باباً آخر يهول الموت ويجعله شيئاً قاسياً.

فأوضحوا ما طرأ من الإشكالات وزيدونا من الإفادة والتحليل لتنتفي الصراعات الداخلية ببلسم علمكم الفياض، ودمتم لنا وللمسلمين ذخراً ونوراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجواب:

-لا مانع من التشديد في الموت على المؤمن؛ لما له فيه من الأعواض، ولا منافاة بينه وبين البشارة فيمكن أن تبشره الملائكة برضوان الله في حال معاناته لشدائد سكرات الموت.

-أما بعد الموت فلا يلقى المؤمن شدة ولا يلحقه كرب ولا ضيق لا في القبر ولا في البعث والحساب.

-وما يذكر في كتب الترهيب من ذكر شدائد وأهوال الموت والقبر والبعث والحساب فإنه وإن ورد عاماً فالمراد به ما يلحق أعداء الله خاصة.

-وما ورد من الشدائد والأهوال على المؤمنين والصديقين والأنبياء فلا يعتمد عليه، ولا يقبل لمخالفته القرآن، ولأنه ورد بطرق آحادية، وأخبار الآحاد لا تفيد العلم، وما نحن فيه من المسائل العلمية.

-ولكن العلماء يتساهلون في نقل أحاديث الترغيب والترهيب؛ لما فيها من الألطاف للمؤمن، ولأنه لا يترتب عليها عمل.

-وما ذكر من نحو: «الغيبة أشد من الزنا» فليس فيه التسهيل للزنا؛ بل إن المراد من ذلك أن الناس يتساهلون في الغيبة، فألقي إليهم ذلك القول ليعلموا أن الغيبة التي يتساهلون فيها ليست كما يتصورون، بل إنها في الفحش والجريمة عند الله تعالى مثل تلك الجريمة التي يعلمون فحشها ويدركون كبرها؛ فالمثال الذي ذكرتم يراد به تصوير المجهول بواسطة مقارنته بالمعلوم.

-والبقاء في المسجد من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس كحجة أو كحجتين أو كعمرتين؛ قد وردت الرواية به من طرق أئمتنا ومن طرق غيرهم، ولا إشكال في معناه.

والمعنى صحيح، فقد صح واشتهر عند جميع العلماء حديث: ((الحج عرفة)) وحينئذ فحبس المكلف نفسه في مصلاه من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس والاشتغال في ذلك بذكر الله وحمده و...إلخ، يساوي ويماثل وقوف الحاج في

عرفة ولبثه فيها، فالأمران متساويان فعلاً؛ إذ كل منهما لبث في مكان مخصوص.

وحينئذ فأي إشكال في أن يكون ثواب ذلك الوقوف مثل ثواب ذلك الوقوف؟!

وهكذا جاء في الحديث: ((العمرة هي الطواف بالبيت))، والمعلوم أن الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة لا يحتاج من الوقت لأكثر من مقدار طلوع الفجر إلى الشروق؛ فأي مانع من تساوي ثواب العمرة التي ذكرنا وثواب اللبث في المسجد بعد صلاة الفجر؟! وإذا لم يكن زحام فإن ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس يكفي لأداء عمرتين أو أكثر.

واعلم أن الوقوف بعرفة دقيقة أو دقيقتين أو لحظة يكفي في أداء فريضة الوقوف، هكذا نص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على ذلك نصاً، واشتهر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اشتهاراً فليُعلم.

إذا عرفت ذلك فما ورد في الحديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعن علي عَلَيْهِ السَّلَام من المعادلة بين اللبث في المصلى إلى طلوع الشمس وبين الحج والعمرة يراد به ما ذكرنا لا غير؛ فلا ينبغي أن يفهم منه الطالب غير ما ذكرنا.

أما ثواب السفر والنفقة والتعب والخوف، وثواب سائر مناسك الحج وثواب الإحرام والتلبية والتكبير و...إلخ- فإنه شيء آخر لم يدخل في المعادلة، ومن فهم دخول ذلك فقد وهم؛ لأن الأجر على قدر المشقة.

وينبغي أن يفهم أن المراد بالمعادلة بالحج هي المعادلة بالحج النافلة؛ فاللبث في المسجد إلى طلوع الشمس يعادل الوقوف النافلة في عرفة لا الوقوف في حجة الإسلام؛ لأنه لا مقارنة بين ثواب النافلة وثواب الواجب.

-وما ورد من ذم المال وكسبه فالمقصود به المال الحرام والكسب الحرام، أو ما شغل عن ذكر الله، أو دعا إلى الطغيان.

أما كسب الحلال وإن كثر من غير أن يلهي عن ذكر الله أو ينسي صاحبه عن القيام بفرائض الله فلا بأس ولا حرج: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ

﴿الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢]، وذكر الله تعالى في صفة بعض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾ [المزمل:٢٠]، وقد جعل الله تعالى ذلك الضرب سبباً للتخفيف على المسلمين مما كان قد أوجبه في أول الإسلام من قيام الليل كله بالصلاة، أو قيام نصفه أو ثلثه المذكور في سورة المزمل، واقرأ سورة المزمل من أولها إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى...﴾ إلى آخر السورة.

إذاً فالمحرم أن تملكك الدنيا لا أن تملكها، والمذموم حرامها لا حلالها، والغني الشاكر المؤدي حقوق الله تعالى من نفسه ومن ماله خير من الفقير الصابر.

وما ورد من الذم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعن علي عَلَيْهِ السَّلَام وعن غيرهما فالمراد به ما ذكرنا.

ولا بأس بالمواعظ العامة التي تحذر من الدنيا على العموم والإطلاق؛ لأن الناس مطبوعون على حب المال والدنيا وزينتها، وتلك المواعظ تخفف من شدة الطمع.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحذر من الدنيا في مواعظه ثم يقول: ((اتقوا الله وأجملوا في الطلب))، ثم فسر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الإجمال في الطلب فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((خذوا ما حل ودعوا ما حرم)).

-ولا مانع من فرح المؤمن بالموت وحبه للقاء الله تعالى، ولا منافاة بينه وبين التهويل بالموت وبما بعده؛ لأن ذلك متوجه إلى غير المؤمن.

ولا بأس من التهويل بالموت وبما بعده على الإطلاق من غير تخصيصه بأعداء الله، وذلك لما فيه من الألطاف للمؤمن، والله أعلم.

[كروية الأرض]

سؤال: هل الأرض كروية أم مسطحة؟

الجواب: أن الأرض كروية وهو مذهب الكثير من علماء المسلمين وأئمتهم، والدليل على كرويتها أن بقاع الأرض تختلف في الوقت الواحد من ليل إلى نهار ومن صباح إلى مساء، ولو كانت مسطحة لاستوى الوقت على وجه الكرة الأرضية.

سؤال: قد كشف العلم الحديث أن الأرض كروية والشمس كذلك، وأن الشمس تبعد عن الأرض آلاف الكيلومترات وقد قال الله في سورة الكهف حكاية عن ذي القرنين عليه السلام: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف:٨٦]، مع العلم أن ذا القرنين عليه السلام لم يخرج من الأرض. فهل العلم الحديث معارض للقرآن؟ أم أن للآية تفسيراً غير الظاهر؟

وأيضاً العلم الحديث كشف أن الشمس مشرقة على الأرض دائماً، وقد وردت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الشمس عندما تغرب تستقر عند قوائم العرش..إلخ، أو كما قال؛ فهل هذه الأحاديث باطلة؟

الجواب والله الموفق: أن الأرض كروية كما استقر عليه علماء الفلك في هذا العصر، وقد قال بذلك قديماً الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في مقدمة البحر، وصاحب الكشاف، والرازي، هذا ما رأيته في كتب هؤلاء، ولعل غيرهم من الأولين يقول بذلك.

واعلم أنه لا معارضة ولا منافاة؛ فرؤية ذي القرنين للشمس عند غروبها في عين حمئة كرؤية أحدنا لها عند غروبها في البحر الأحمر كما يبدو للعين، فغروبها في عين حمئة إنما هو باعتبار ما يبدو للرائي والناظر، وليس بغروب وغياب عن الأرض تماماً قطعاً، ويمكن معرفة ذلك بالتلفون والمذياع (الراديو).

وأما الأحاديث التي ذكرت فإن أمكن تأويلها فذاك وإلا تركت.

[حكم الانتفاع بالحمير في حراثة الأرض]

سؤال: هل يجوز الانتفاع بالحمير في حراثة الأرض مع العلم أنا نراها تتعب، ويظهر عليها التعب والإجهاد الشديد في الحراثة؟

الجواب: أنه لا يجوز إتعاب الحمير وغيرها من الحيوانات وإجهادها إلا بما أذن الله لعباده فيها، والذي أذن الله تعالى به من الإتعاب في الحمير هو الركوب والحمل على ظهورها قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل٨]؛

فإذا كانت الحراثة تجهد الحمير وتتعبهم تعباً زائداً على ما يتعبهم الركوب والحمل زيادة ظاهرة فلا تجوز الحراثة عليها.

[حكم العمل بخبر الطبيب]

ـ الذي يظهر لي والله أعلم أنه يجوز للمريض العمل بخبر الطبيب، كأن يخبره مثلاً أن غسل العين بالماء بعد العملية سوف يضره، أو نحو ذلك، ولو كان الطبيب غير مسلم، وذلك:

١ـ لقلة الأطباء العدول، بل لعدمهم تقريباً.

٢ـ أن دفع الضرر المظنون عن النفس واجب عقلاً.

وهذا مع ظن صدق الطبيب.

[حب الشيء يعمي ويصم]

ـ في المثل «حبك للشيء يعمي ويصم»، وحقاً فإنا رأينا الكثير من المتمذهبين إذا أوضحنا لهم الحجج والبراهين عند الجدال لا يرفعون رؤوسهم لها، ولا يكادون يلتفتون إليها، وما ذلك إلا لولعهم بمذاهبهم وأنسهم بها ونشئهم عليها، فهم لذلك متعلقون بها تعلق الطفل بأمه، فلذلك لا يلتفتون إلى الأدلة والبراهين المخالفة لمذاهبهم.

حل الأزمات الاقتصادية في الإسلام والخروج منها

حل ذلك والخروج منه في الإسلام يسير، وذلك بالتوبة إلى الله تعالى، والرجوع إليه واستغفاره، قال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا۝١٢﴾ [نوح]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا۝١٦﴾ [الجن]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٩٦﴾ [الأعراف].

[كيف حدثت المذاهب الإسلامية]

سؤال: كيف حدثت المذاهب الإسلامية في العقائد، ثم في الأحكام الفقهية؟

الجواب والله الموفق:

١ـ العقائد: تعدد المذاهب الإسلامية في العقائد ناتج عن تعدد الأهواء، فبسببها تعددت المذاهب العقائدية، وأخذ كل أهل مذهب يتأول من القرآن ما يوافق مذهبه، ويفسره على حسب هواه.

٢ـ الأحكام الفقهية: والاختلاف في الأحكام الفقهية ناتج:

١ـ إما عن اختلاف أفهام العلماء عند النظر في الأدلة والأمارات.

٢ـ وإما عن اختلافهم في الطريق، كاختلافهم في العمل بالقياس، وبالمفهوم ونحوهما.

الأعداد التي تعلقت بها أحكام شرعية

١- شهر رمضان، وجوب صيامه، وهو يجيء ٣٠ يوماً و٢٩ يوماً.

٢- وجوب صيام شهرين متتابعين في كفارة القتل وكفارة الظهار.

٣- ندب صيام يوم ١٣، ١٤، ١٥ من كل شهر.

٤- ندب الذكر والصيام في العشر الأول من ذي الحجة.

٥- وجوب إفطار أيام التشريق وهي اليوم ١٠، ١١، ١٢، ١٣ من ذي الحجة.

٦- إطعام عشرة مساكين في كفارة اليمين، أو صيام ثلاثة أيام.

٧- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦].

٨- المتمتع الذي لا يجد الهدي عليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله تلك عشرة كاملة.

٩- نصاب الذهب عشرون مثقالاً، ونصاب الفضة مائتا درهم، ونصاب الإبل

خمس، ونصاب البقر ثلاثون بقرة، ونصاب الغنم أربعون شاة، ونصاب كل من الحب والتمر والزبيب خمسه أوسق، والوسق ستون صاعاً.

١٠- أقل الحيض ثلاثة أيام، وأكثره عشر، وأكثر النفاس أربعون يوماً ولا حد لأقله.

١١- يقصر المسافر في مسافة بريد، والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال.

١٢- إذا عزم المسافر على إقامة عشرة أيام في موضع وجب عليه الإتمام.

١٣- إذا كان المسافر في مكان وهو يقول: اليوم أسافر، غداً أسافر وهكذا؛ فيقصر إلى إتمام الشهر، فإذا تم الشهر أتم الصلاة.

١٤- الصلوات خمس، بعضها رباعية، وبعضها ثلاثية، وبعضها ثنائية، فتقصر الصلاة الرباعية إلى اثنتين في السفر.

١٥- كان في أول الإسلام على العشرين أن يقفوا لقتال المائتين، والمائة تقاتل الألف، فخفف الله ذلك إلى المائة للمائتين، والألف للألفين.

١٦- أوجب الله تعالى في المغانم الخمس.

١٧- نوافل الليل ٨ ركعات، والوتر ثلاث.

١٨- بعد كل صلاة فريضة سبحان الله ٣٣، الحمد لله ٣٣، الله أكبر ٣٤.

١٩- سبحان الله ١٠٠، الحمد لله ١٠٠، لا إله إلا الله ١٠٠، الله أكبر ١٠٠، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ١٠٠.

٢٠- صيام ٦ أيام من شوال بعد رمضان.

٢١- يسن غسل كل عضو من أعضاء الوضوء ثلاث مرات، ويغسل الميت ثلاث غسلات وخمس غسلات وسبع غسلات، ويكفن في ثلاثة أثواب أو خمسة أو سبعة، ويكبر المصلون في صلاتهم على جنازته خمس تكبيرات، والإحداد عليه ثلاثة أيام، وتحد زوجة الميت أربعة أشهر وعشراً.

٢٢- يملك الزوج على زوجته ثلاث طلقات، وعدة الطلاق ثلاثة قروء، وثلاثة أشهر للتي لم تحض إما لصغر أو كبر.

٢٣- يجلد الزاني البكر ١٠٠ جلدة، وعلى المملوك نصفها، والقاذف ٨٠ جلدة.

٢٤- تغسل النجاسة ثلاث غسلات.

٢٥- مدة الحمل والرضاع ٣٠ شهراً ومدة الفصال عامان.

٢٦- فدية الحج صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة.

٢٧- ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة:١٩٧]، شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة.

٢٨- الأيام المعلومات عشر ذي الحجة، والمعدودات أيام التشريق.

٢٩- يتزوج الحر من النساء أربع لا يزيد عليهن.

٣٠- أقل المهر ١٠ دراهم، ونصاب السرقة عشرة دراهم، فلا يقطع إذا سرق دونها.

٣١- يندب غسل الأيدي ثلاثاً عند الوضوء «الكفين».

٣٢- يستتاب المرتد ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل.

٣٣- الأذان والإقامة مثنى مثنى إلا التهليل فمرة.

٣٤- الدية مائة من الإبل، ومن البقر مائتان، ومن الغنم ألف، ومن الذهب ألف مثقال، ومن الفضة عشرة آلاف درهم.

٣٥- الوضوء بمد، والغسل بصاع، وصاع الماء ثمانية أرطال، وصاع ما سواه خمسة أرطال وثلث رطل.

٣٦- يغسل الإناء من ولوغ الكلب سبعاً والثامنة بالتراب.

٣٧- يؤمر الصبي بالصلاة لسبع سنين، ويضرب عليها لعشر، ويفرق بينهم في المضاجع لتسع؛ فإذا بلغ الصبي اثنتي عشرة سنة جرت عليه الأحكام فيما بينه وبين الله، فإذا بلغ خمسة عشر عاماً جرت عليه الحدود وسائر الأحكام الشرعية.

الإفساد في الأرض

يتمثل الإفساد في الأرض في:

١ـ سفك الدم الحرام.

٢ـ إثارة الفتن بين الناس، وزرع العداوات بينهم أو إثارتها.

٣ـ قطع الطرق، وإخافتها، ونهب الأموال.

٤ـ إفساد الزروع والثمار، وسائر الأموال.

٥ـ تخريب المساكن والبيوت، وإزعاج أهلها منها.

٦ـ التفريق بين الأرحام والجيران والأصحاب و...إلخ.

٧ـ تلويث مياه الآبار والأنهار والعيون بما يفسد مياهها أو طمها أو تحويلها أو...إلخ.

٨ـ الحصار ومنع الحاجات الضرورية عن أهل بلد، ونحو ذلك مما يعم ضرره.

حكمه في الإسلام:

الإفساد في الأرض جريمة كبيرة في الإسلام، ولا يسعنا ذكر الآيات التي جاءت في ذم الفساد والمفسدين، وفي الحديث المشهور: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)) فلا يتحقق اسم الإسلام إلا لمن ترك الإفساد، والمفسد إما أن يباشر الفساد بنفسه، أو بأن يفعل ما ينتج عنه الفساد ويتسبب فيه.

[**فوائد نبوية**]

حديث: ((إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي، وليقل: ذكر الله من ذكرني بخير)). ابن عدي.

((إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)). البخاري.

((اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير)). ابن عساكر.

((إياكم وما يعتذر منه)). الديلمي.

((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)). الترمذي.

[بعض ما أجمعت عليه طوائف المسلمين]

أجمعت طوائف المسلمين على اختلاف مذاهبها على:

- أن الله تعالى أمر المكلفين بما أمر من طاعته، ونهاهم عما نهى من معصيته.
- وأن الله سيثيب المطيع على طاعته، ويجازي المسيء على إساءته إلا أن يشاء الله أن يعفو عنه.
- وأن المحسن يستحق المدح والثناء في كتاب الله، وأن المسيء يستحق الذم في كتاب الله، وقد ضرب الله تعالى في ذلك الأمثال في كتابه الكريم، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٦] ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٦] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ..﴾ [فاطر] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ۝١٨ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [السجدة].
- وأن الله تعالى يحب المحسنين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المتقين، وأنه لا يحب الظالمين ولا يحب الفساد، ولا يحب الكافرين ولا يحب المتكبرين، ولا يحب كل خوان كفور.
- وأنه تعالى يريد بعباده اليسر، ولا يريد بهم العسر.

طريق أسعد الكامل

قد رأيت أنا طريق أسعد الكامل ما بين ظهران وصعدة، وهي طريق تتسع لسيارة كبيرة، مرصوفة بحجار كرصف شوارع صنعاء القديمة وجانبا الطريق مبنيان بحجارة بارتفاع ثلاثين سم تقريباً، والمشهور عند الناس أن هذه الطريق من مأرب إلى مكة، وفي ذلك دلالة على ثلاثة أمور:

١ -أن أسعد تبع (أسعد الكامل) كان ذا قوة اقتصادية كبيرة، وذا نفوذ وقوة سياسية كبيرة فيما بين مأرب ومكة.

٢ -أن هناك تقدم حضاري، وذلك أن ترصيف الطريق بذلك الشكل وعلى

تلك السعة يدل على وجود مراكب كبيرة تسير على عجلات، ومن الممكن أن تكون تلك المراكب مشابهة للمراكب التي نشاهدها تجر بالخيول في هذا الزمان.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ۝١٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ...الآية﴾ [سبأ].

[أصل خلق الحيوانات التي على وجه الأرض]

سؤال: مِمَّ خلق الله الحيوانات التي على وجه الأرض؟

الجواب: الذي يظهر أنها مخلوقة من الطين؛ لأنها في خلقها كالإنسان من لحم ودم وعظم، ثم إذا مات الحيوان فإنه يصير تراباً مع مرور الوقت، وفي ذلك دلالة على أن أصله التراب، وهكذا حوّاء فإنها مخلوقة من الطين كآدم، وذلك هو الراجح في نظري.

وإنما لم يقص الله تعالى لنا قصة ابتداء خلقها كما قص ابتداء خلق آدم اكتفاءً بذكره لقصة ابتداء خلق آدم، ولما اقترن بابتداء خلقه عليه السلام من إرادة الله تعالى لتكريمه ولفتنة إبليس ثم دخوله عليه السلام الجنة، وفتنة إبليس له عليه السلام، وبعد فحواء تابعة لآدم، وليس لها من الكرامة ما لآدم.

[حكم الميل والحب لرجل والنفرة عن آخر دون أي سبب]

سؤال: يجد الرجل في قلبه محبة وميولاً إلى رجل بينما يجد في قلبه نفوراً واشمئزازاً من رجل آخر، لا لسبب ظاهر في الرجلين، مع استواء الرجلين في ظاهر الإيمان من المحافظة على الصلوات، واجتناب المحرمات و..إلخ. فما هو الحكم في ذلك؟

الجواب: لا يؤاخذ المكلف على ما حصل من ذلك في قلبه، والواجب على المكلف في مثل ذلك أن لا يظهر على لسانه أو جوارحه أي أثر لتلك الكراهية، وأن يتعامل مع من يكرهه من المؤمنين معاملة حسنة، وأن لا ينقصه مما يجب على المسلم للمسلم من الحقوق، ولعل السبب في حصول النفور من بعض

المؤمنين يعود إلى نفس طبيعة المؤمن، فقد يكون في المؤمن غفلة لا يتنبه معها إلى ما يضجر إخوانه وأصحابه من المؤمنين، فيسترسل فيما يضجرهم من الأقوال والأفعال من غير شعور منه بأن ذلك يضجرهم ويقلقهم، ويتكرر فيه ذلك ولا ينقطع وإذا نبه لا ينتبه، ولا شك أن مثل ذلك ينفرهم منه، ويتسبب في كراهتهم له.

-أما المؤمن النبيه المتيقظ فإنه بفطنته ونباهته يتجنب ما ينفر أصحابه وما يقلقهم، ولا يأتي من الأقوال والأفعال إلا ما يطيب لهم، فيتسبب ذلك في ميل قلوبهم إليه ومحبتهم له.

ويسمى الرجل الأول باسم «الثقيل» في عرف أهل اللغة، ويسمي الثاني باسم «الخفيف».

والثقيل معذور عند الله لا يلحقه إثم فيما يصدر منه من الإزعاج للناس وإدخال الضيقة عليهم؛ لأنه غير متعمد لذلك، بل لا يدري أنه يتسبب في أذى الناس وإدخال الضيق عليهم على الإطلاق حتى ولو أخبره الناس بذلك فإنه لا يصدق.

-وقد قرأت: أن الثقيل إذا عرف وأدرك أنه يثقل على صاحبه أو أهل مجلسه فليس بثقيل.

[حكم ذي الطبع الحساس كثير الشكوى من أفعال أصحابه وأقاربه]

سؤال: إذا كانت طبيعة المكلف حساسة بحيث أنه يتأول أفعال أصحابه وأقاربه وأقاويلهم أن المراد بها الاستخفاف به والاحتقار له ثم يكثر الشكاية منهم والإعراض عنهم، فهل يؤاخذ على ذلك؟

الجواب: تلك الطبيعة هي ناتجة عن نقص في العقل؛ إذ أن كامل العقل وإن سمع من صاحبه أو جليسه أو صديقه أو قريبه ما يوهم الاحتقار له فإنه لا يعول على ذلك الوهم، ولا يلتفت إليه، وإذا كان الأمر كذلك فالأقرب أن لا يؤاخذ عليه؛ لأن الله تعالى يحاسب الناس على قدر عقولهم، فلا يحاسب ناقص العقل مثل

حساب كامل العقل، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة٢٨٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [البقرة٤٠].

فإن قيل: إذا كان ذلك ناقص العقل فهل يسقط عنه التكليف؟

فيقال: لا يسقط عنه التكليف كله، ولكنه يكون مكلفاً بما أحاط به عقله وأدركه فهمه، دون ما لم يبلغه عقله ولم يحط به فهمه.

-وقد لمست أنا بنفسي من بعض المكلفين عند المناقشة في قضايا أن تفكيرهم لم يصل إليها، وأن عقولهم غير قادرة على استيعابها، ورأيت أن مدارك عقولهم قاصرة، وأن ما عندهم من الفطرة غير قادرة على فهم بعض القضايا، وهذا في حين كمال إدراكهم، واستحكام معارفهم بتوحيد الله وحسن المعرفة به تعالى، وما يلحق بذلك من أصول الدين.

-وما لمسته بنفسي قد لفت انتباهي إلى أن التكليف يختلف بحسب اختلاف العقول كما ذكرنا، والحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الحمية والعصبية

جبل الله تعالى الإنسان في أصل خلقته على الحمية والعصبية، وتجب العصبية والحمية في حال وتحرم في حال، فتجب لإعزاز الدين ونصرة الإسلام والمسلمين ونصرة الحق والمحقين، وتحرم إذا كانت في صالح الباطل والمبطلين.

أعداد شرعية:

عدد «٧»:

﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾.

الطواف بالبيت سبعة، وبين الصفاء والمروة سبعة طوافات.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾.

﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾.

﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾.

﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾.

﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾.

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ﴾.

رمي الجمار كل جمرة بسبع حصيات.

سبعة أيام وسبع ليال هي عدد أيام وليالي الأسبوع.

ـ يغسل ولوغ الكلب سبع مرات.

ـ عدد السور التي بدأت بتسبيح الله سبع سور..

ـ عدد السور التي بدأت بحم سبع.

ـ عدد أبواب جهنم سبعة.

ـ سبعة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

العدد عشرة في الدين:

ـ إطعام عشرة مساكين في كفارة اليمين أو كسوتهم.

ـ صيام عشرة أيام بدل دم التمتع.

ـ ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾.

ـ العشر الأواخر من رمضان.

ـ عشر ذي الحجة.

ـ صيام يوم العاشر من محرم.

ـ زكاة ما أخرجت الأرض العشر إذا كان عنثرياً.

ـ تقطع يد السارق إذا سرق ما قيمته عشره دراهم فما فوق.

ـ أكثر الحيض عشر، وأقل الطهر عشر.

ـ البدنة تجزي عن عشرة متمتعين.

- علوم العقل عشرة.
- الحسنة بعشر أمثالها.
- ﴿وَالْفَجْرِ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ۝٢﴾.
- «أد من كل عشر قرب قربة».
- «عشر من سنن المرسلين».
- ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾.
- ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾.

العدد خمسة في الشرع:

- «خمس صلوات كتبهن الله في اليوم والليلة».
- أركان الإسلام خمسة.
- نصاب الإبل خمس.
- أصحاب الكساء خمسة.

❁❁❁❁❁

فوائد هامة للنساء

مسؤولية المرأة في الإسلام

١- وكل الله تعالىٰ إلىٰ المرأة مسؤولية الحمل والرضاع، وحضانة أولادها وتربيتهم، ونظافة أبدانهم وملابسهم ومراقدهم، وإعداد الطعام لهم وما يلحق بذلك.

٢- إدارة أعمال بيت زوجها.

٣- إعداد الحاجات الخاصة بزوجها داخل البيت.

٤- القيام علىٰ حفظ مال زوجها.

٥- ومن أعمال المرأة التي قد تعرض لها تمريض الزوج أو بعض أولادها، أو تمريض أمها أو تمريض أبيها أو بعض أقاربها.

٦- قد يكون للمرأة بعد قيامها بتلك المسؤوليات وقت فراغ فيمكنها في ذلك الوقت أن تدرس أو تدرس، وذلك في مكان يليق بصيانة المرأة وسترها.

-وهذه الأعمال التي ذكرناها أعمال هامة وجليلة تستغرق وقت المرأة كله، ولا تقل هذه الأعمال التي تعملها المرأة في بيت زوجها عن أهمية الأعمال التي يقوم بها الرجل، فأهمية الأعمال الموكولة إلىٰ المرأة تساوي الأعمال الموكولة إلىٰ الرجل في الأهمية والمكانة والنفع؛ فإن الحياة الاجتماعية السعيدة والوصول بها إلىٰ آمالها لا يتم كما ينبغي إلا تحت رعاية ركنين هما الأب والأم، فإذا غابت رعاية الأم أو رعاية الأب لم يحصل ذلك.

بل إن الأطفال الذين هم الجيل المستقبل يتعرضون لمفاسد وآفات خلقية معقدة ينتج عنها ويلات اجتماعية وآثار هدامة.

-خلق الله تعالىٰ الرجل لغرض، وخلق الأنثىٰ لغرض، وجعل كلاً منهما علىٰ بنية وطبيعة وفطرة تتناسب مع الغرض الذي خلق من أجله، فمن الجهل الفاحش أن نوظف أياً منهما في غير ما خلق له من الوظائف.

[العواقب الوخيمة التي تجنيها المرأة من التحرر من الدين]

في الحقيقة والواقع أن المرأة التي استجابت لدعوة تحرير المرأة، وتخلت عن عفتها وصيانتها، وعرضت مكنون محاسنها ومصون زينتها عرضاً عاماً تحصل معه حتماً الفواحش الجنسية باستمرار وكثرة- أن المرأة التي تكون كذلك ستخسر حياتها نهائياً، وتخيب جميع آمالها السعيدة في مستقبلها القريب، والمتوقع هو:

١- عن قريب سيعرض عنها أصدقاؤها الذين فرشت لهم مكنون عفتها، وتنازلت لهم عن أغلى نفيس تحمله، بل إنهم سيبصقون في وجهها إذا حاولت مواصلتهم؛ احتقاراً منهم لها، واستخفافاً بها، لا يرون لها قدراً ولا قيمة لها عندهم ولا وزن، بل يرونها جرثومة تنفر عنها طباعهم، وستصطدم بهذه المعاملة القبيحة؛ لأنها تتوقع منهم أن يشكروها على ما بذلت لهم من الغالي والنفيس، ولكن الأمر انعكس فإنهم لا يرون أن ما بذلت لهم من محاسنها وعفتها من المعروف الذي يجب مقابلته بالشكر، بل يرون بذلها لهم كل عفتها خسةً ودناءة لا تستحق عليه الشكر، وإنما تستحق الاحتقار والمهانة، هكذا سيكون حالها مع أصدقاء ما تحت ثيابها.

٢- إذا تجاوزت هذه المرأة المتحررة فترة الصداقة والأصحاب، وأرادت أن تتزوج، ويكون لها زوج وأطفال، وتعيش معهم حياة هادئة مطمئنة، فإن كل من عرفها لا يرضاها شريكة لحياته، ولا يقبلها زوجة، لا أصدقاؤها ولا غيرهم، فكل واحد من الرجال يرى أنها قد فقدت الصلاحية تماماً.

٣- وستكون قيمتها تحت الصفر، ولا يمكن أن ترفع من قيمتها المؤهلات العلمية الكبيرة، ولا وظيفتها المُدِّرَة ولا أي شيء آخر؛ بل إن أصدقاءها الذين طالت صداقتهم معها سيرفضون صداقتها، ويطلبون لهم صديقات جدد؛ لأن الباب ما دام مفتوحاً أمام الشهوات فإن النفس تميل بطبعها إلى كل جديد، وحينئذ تصبح المتحررة مفصولة اجتماعياً لا أصدقاء، ولا زوج ولا أطفال.

٤- وعند حالتها هذه قد تكون مصابة بمرض الإيدز الناتج عن حرية ما تحت ثيابها.

-سمعت قبل فترة من أجهزة الإعلام اليمنية أنها تحدثت عن ظاهرة اجتماعية غريبة هي: أن طلبة الجامعة لا يرضون بالزواج من طالبات الجامعة، ولا يقبلون بهن زوجات على الإطلاق، وأنهم سألوا الطلبة عن ذلك فأجابوا بأنهم يرغبون في الزواج من بنات قراهم، وأنه لا رغبة لهم في الزواج من بنات الجامعة. هذا هو ما بثه تلفزيون صنعاء. وهذا دليل واضح على أن أي تحرر للمرأة يفقدها قيمتها تماماً، ولا يبقي لها وزن عند الرجال.

فضل الرجل على المرأة

١- عقل الرجل أوفر من عقل المرأة.

٢- همة الرجل عالية ينال بها أعلى المنازل ويصل بها إلى جلائل الدرجات، وهمة المرأة مقصورة غالباً على الزينة والتزين.

٣- للرجل قدرة على الخصام والجدال ونفسه في هذا الباب طويل، أما المرأة فموصوفة بالعي والعجز عن ذلك، وإذا دخلت في خصومة وجدال فسرعان ما تنهار قدرتها وتتخبط في حجتها.

٤- يتميز الرجال عن النساء بالشجاعة.

٥- ويتميزون عن النساء بقوة الجسم وعضلاته.

٦- وبالصبر الطويل على الأعمال الشاقة والمرهقة.

٧- وبالصبر والإغضاء على ما يلاقون من طبائع الناس وأذاهم و..إلخ.

٨- المرأة كثيرة الكلام بخلاف الرجل في الأغلب.

٩- لا صبر للمرأة على حفظ السر بخلاف الرجل.

١٠- تثق المرأة بالشخص لأدنى سبب، وتبطل ثقتها لأدنى سبب.

١١- ولثقتها بالشخص لأدنى سبب يسهل خدعها والمكر بها.

١٢- الحوار المنطقي والعقلاني لا يفيد مع المرأة ولا ينجح، والذي يفيد مع المرأة إنما هو الحوار العاطفي.

[حال المرأة في المجتمع المسلم]

سؤال: كيف كانت حياة المرأة في مجتمع الرسول ﷺ والصحابة؟ وهل كانت تختلط بالرجال؟ وما حدود هذا الاختلاط؟ ولماذا زار أبو بكر وعمر فاطمة قبل موتها؟ فهل هذا جائز أم مندوب أم خاص؟ وهل الكلام والمشي ومرافقة المرأة للرجال من دون محْرم داخل الميل جائزة؟

كل ذلك لِمَا قرأته من كلام زوجات الرسول ﷺ للمسلمين، ومرافقة النساء في الرحلات وفي المعارك وسقي الجرحى، وفي الهجرة حيث هاجر زيد بن حارثة -فيما أظنه- بابنة رسول الله ﷺ، وكذلك أم سلمة هاجرت مع غير محرم، وغير ذلك من نساء فاضلات درَسْن ودرَّسْن العلم وغير ذلك من قصص التأريخ التي فيها أن المجتمع كان مختلطاً من غير تبرج ولا فحش؛ فما رأيكم حفظكم الله؟

الجواب: كانت المرأة المسلمة بعد نزول الأمر لها بغض البصر وأمر الرجال بغضه، وأمرها بستر زينتها ومحاسنها، وستر صوتها، حتى نهيت عن الضرب برجلها حتى لا تسمع أصوات زينتها الخفية و...إلخ- متقيدة بما أمرها الله تعالى.

ولا مانع مع ذلك من خروجها من بيتها للحاجة مع تقيدها بما أُمِرَتْ به من غض البصر، وستر الزينة، وترك مزاحمة الرجال، وترك الانبساط إلى الرجال في الحديث، وعدم الخلوة بالرجال.

وكانت النسوة يحضرن صلاة العيد مع الرجال ولكن في جانب المصلى.

ولا بأس أن تكلم المرأة الرجل في حاجتها إذا لم يصحب ذلك انبساط في الكلام وخضوع في القول وكشف للزينة، وعدم الخلوة، وعلى هذا كانت المرأة تكلم النبي ﷺ، وتكلم الرجل على عهد النبي ﷺ.

-وكذلك كلمت فاطمة أبا بكر وعمر، وعلى ذلك كلمها أبو بكر وعمر.

-وكانت زيارتهما لها لحاجة وعلي عليه السلام معهما، وكانت حاجتهما هي طلب رضاها عنهما، وترك غضبها عليهما، وإنما ذهبت إليهما لحاجتها إلى تكليمهما،

ولولا ما ذكرنا من الحاجة لما ساغ لأبي بكر وعمر أن يزوراها، ولا ساغ لها أن تذهب إليهما.

-ولا مانع أن ترافق المرأة الرجال داخل الميل مع التزامها بما أمرها الله تعالى به، ومع التزام الرجال بما أمروا به في هذا المجال، ولا يجوز لها أن ترافق الرجل الواحد داخل الميل.

-ولا بأس عند الضرورة أن تسافر المرأة مع الرجال الثقاة بغير محرم، ولكن بشرط أن تأمن على نفسها الفتنة، وذلك مثل سفر الهجرة.

-وهكذا لا بأس على المرأة المتقيدة بما أمر الله تعالى أن تكون في مؤخرة الجيش لسقي العاطش ومداواة جرحه ونحو ذلك.

-وهكذا لا مانع من درس المرأة للعلم وتدريسه مع التزامها بما أمرت به.

[الاختلاط في الجامعات]

سؤال: يصادف المرشدون في بعض البلدان طلاباً جامعيين فيخبرونهم بأنهم في الجامعة مختلطون بالنساء، فهل اختلاط الرجال بالنساء في الجامعات والمدارس حرام؟ مع العلم أنه يحصل بين الطلاب والطالبات تبادل نظرات الشهوة وكذلك الأساتذة، ويوجد أيضاً بينهم بعض المتغزلين، ويتبادلون الكلام بينهم.

وإذا كان هذا حراماً فهل يصح لطالب متدين أن يواصل دراسته ويغض بصره ويخزن لسانه؟ أم لا يصح؟

الجواب والله الموفق: أنه لا يجوز للمؤمن حضور مجالس المنكر وإن كان آمناً على نفسه من الوقوع في المنكر، اللهم إلا أن يحظر تلك المجالس من أجل إنكار المنكر وتغييره، وإذا كان الأمر كما في السؤال فلا يجوز للمؤمن مواصلة الدراسة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

مجالس متفرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، **وبعد**: فهذه مجالس كل مجلس في باب من العلم:

مَجْلِسٌ: مفاخر العرب

العرب هم الذين ينتمون في نسبهم إلى عدنان أو قحطان، وعدنان هو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، واختلف المؤرخون في نسب قحطان إلى قسمين:

قسم قال: إنه من ذرية نبي الله هود عليه السلام، وأهل هذا القول هم المؤرخون من أهل اليمن.

وقسم قال: إنه من ذرية نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وأهل هذا القول هم المؤرخون من غير أهل اليمن.

وأصح القولين في نظري هو القول الثاني؛ لقوله تعالى في سورة الحج وهي نزلت بالمدينة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَاجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا...الآية﴾ [الحج]، خاطب الله تعالى بهذه الآية المسلمين الذين كانوا في المدينة وكان أكثرهم وغالبهم من أهل المدينة، وأهل المدينة قحطانيون.

وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لبني سلمة وهم من أهل المدينة وكانوا يرمون: ((ارموا يا بني سلمة فأن أباكم إسماعيل كان رامياً))، هذا معنى الحديث وهو في البخاري وغيره.

ـ ما قدمنا مفخرة عظيمة، ومن مفاخرهم أن الله تعالى اختار النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وأن القرآن نزل بلغتهم، وأن الله اختار أنصار رسوله صلى الله عليه وآله وسلم منهم.

ـ ثم إن الله تبارك وتعالىٰ قال فيهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقال تعالىٰ فيهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤]، أي: أن القرآن شرف لك ولقومك.

ومعنىٰ هذه الآية والله أعلم: أن الله تعالىٰ جعل المخاطبين بهذه الآية خيراً من غيرهم من الأمم لأجل أن يشهدوا يوم القيامة علىٰ الكافرين والمتمردين، فإذا احتج الكافرون يوم القيامة علىٰ الله وقالوا: كيف تحكم علينا يا ربنا بالعذاب الدائم وأنت لم ترسل إلينا رسولاً ينذرنا ويحذرنا؟ فيقول الله تعالىٰ: قد أرسلت إليكم رسولاً ينذركم ويحذركم، فينكرون ذلك، فيقوم الشهداء الذين ذكرهم الله تعالىٰ في هذه الآية فيشهدون بالحق، وهو أنه رسالة الله إليكم فكفروا به وبما جاء به من عند الله.

ـ ومن مفاخرهم أن الله تعالىٰ جعل بلادهم مكاناً لبيته العتيق الذي جعله قبلة للناس يتوجهون إليها في عبادتهم، ويحجون إليها تعظيماً لما عظم الله منها، وجعل ما حولها حرماً محرماً، وجعل هناك من البركة والأمن ما لا يوجد في غيرها من البلدان قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران]، وفي بلادهم ولد نبي الإسلام ﷺ، وفيها نشأ، وفيها بعث، وفيها مات، وفي بلادهم دار هجرته ﷺ، وفيها قبره ﷺ.

ـ وطائفة الحق التي لا تزال ظاهرة إلىٰ يوم القيامة من العرب، وفي العرب طبائع كريمة كالشجاعة والنجدة والوفاء والصبر والكرم والعفة والحياء و...إلخ.

مَجْلِسٌ: ما نال امرؤ لذة إلا بفراق أخرى

هذا العنوان هو من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تحدث فيه عن طبيعة الحياة الدنيا.

والمعنى: أن الله تعالى بنى الحياة الدنيا وطبعها على الخير والشر، والفرح والترح، والسرور والحزن، وإلى آخر ما يعرف من الطبائع لهذه الحياة الدنيا.

ويقول أمير المؤمنين أيضاً في هذا المعنى: (ما أحلولت الدنيا من جانب إلا وأمرت من جانب آخر)، وله عليه السلام كلام كثير في هذا المعنى.

فإذا عرف المكلف طبيعة الحياة الدنيا هان عليه ما يلاقيه في حياته من المنغصات والمكدرات، وإذا نال فيها نعمة من نعمها لم يكثر الفرح بها، وإذا فاتت عليه نعمة من نعمها لم يكثر التلهف عل فواتها؛ لعلمه بطبيعتها المزدوجة.

ولعلي عليه السلام أيضاً في طبيعة الحياة الدنيا كلام معناه: أن الحياة الدنيا مطبوعة على الهموم والأحزان والكدر والضيق، فما حصل فيها من فرح وسرور فإنما هو ريح، هذا معنى كلامه عليه السلام.

مَجْلِسٌ: قلما أدبر شيء فأقبل

إذا كنت في إقبال من التجارة أو الزراعة أو الوجاهة أو غير ذلك من أمور الدنيا ثم لوى ذلك الإقبال وجهه عنك وولاك ظهره وذهب، فلا تتعب نفسك في ملاحقته ومطاردته، فإن عادته المعروفة وسنته المألوفة أنه لا يعود إلى من كان مقبلاً بوجهه عليه، وشواهد ذلك كثيرة في الماضي والحاضر.

القبول (الحظ)

القبول والحظ قد يكون بلا سبب ولا كثير طلب، بل إن الله سبحانه وتعالى يتفضل على من يشاء من عبيده بما يشاء من العطاء والنعيم فيرفعه بعد الخسة، ويغنيه بعد الفقر و...إلخ.

وقد يكون القبول والحظ بسبب من المكلف كان يكون براً بوالديه، وَصُوْلاً لأرحامه، محسناً إلىٰ الإيتام والمساكين والجيران، وإلىٰ الناس عموماً، فيثيبه الله ويجزيه علىٰ ذلك بكثرة المال والبركة فيه.

الإدبار:

وهكذا الإدبار قد يكون بسبب وبغير سبب، ومن أسباب الإدبار كفر النعمة قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

وقد يكون الإدبار بغير سبب، وذلك أن الله تعالىٰ يبتلي عباده بالخير والشر، ويقلبهم في ذلك قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦...﴾ [الفجر].

ـ والذي يريد الله تعالىٰ من المكلف في كلتا الحالتين هو:

أما في حالة الإقبال فأن يتلقىٰ النعمة المسداة بالشكر لله، وأن يداوم علىٰ حمد الله وشكره والثناء عليه، ولا يغفل عن ذلك، وأن يرىٰ النعمة في نفسه عظيمة.

والشكر يكون بالقيام بكل ما أمر الله تعالىٰ به والانتهاء عما نهىٰ عنه.

ـ وأما في حالة الإدبار فأن يصبر ويسترجع ويرضىٰ عن الله فيما ابتلاه به، ولا يكثر التلهف والتأسف علىٰ ما أدبر عنه.

مَجْلِسٌ: فيما جاء في القرآن الحكيم من أحكام البيع

من المعلوم أن البيع لا يحصل إلا بحصول:

١ـ بائع عاقل.

٢ـ مشتر عاقل.

٣ـ سلعة معلومة.

٤ـ ثمن محدود.

٥ـ ثم الاتفاق بين البائع والمشتري والتراضي بينهما عل بيع تلك السلعة المعلومة بثمن محدد.

ويشترط أن يكون البائع عاقلاً؛ لما علم من بطلان تصرفات الصبيان والمجانين.

وأن يكون مختاراً غير مكره؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، والمكره غير راض، وأن يكون مالكاً للسلعة التي يبيعها أو وكيلاً لمالكها، فإن حصل البيع من غير مالك السلعة أو وكيله، كان ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، ولم تحصل تجارة عن تراض.

ـ وأن تكون السلعة المباعة مما أذن الله فيها لعباده وأحلها لهم، فإن كانت السلعة مما حرمه الله تعالى على عباده كالميتة والخمر لم يصح البيع وكان باطلاً.

ودليل تحريم بيع الميتة والخمر ونحوهما مما حرمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...﴾ [المائدة:٣]، ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ...﴾ [المائدة:٩٠]، وحين حرم الله تعالى الميتة فقد حرم علينا كل انتفاع بها، فلا يصح بيعها، وأكل ثمنها، ولا يجوز للمسلم في الميتة أي فعل أو انتفاع.

وفي الحديث: ((لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها)).

وهكذا الخمر لا يجوز للمسلم أن يتصرف فيها بأي تصرف.

ـ يثبت للمشتري الخيارات المذكورة في الأزهار وشرحه إذا وجد سبب أي واحد منها أو أكثر، فإن رضي المشتري السلعة مع وجود سبب الخيار نجز البيع وتم، وإن لم يرض السلعة كان له أن يردها للمشتري وينفسخ البيع بينهما.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ...﴾ [النساء:٢٩]، فإن علم المشتري بسبب الخيار قبل عقد البيع فلا خيار له؛ لأنه اشتراها وهو راضٍ بما فيها من النقص والعيب.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥].

مَجْلِسٌ: الجهل

الجهل من أقبح الصفات التي يتصف بها الإنسان، وينحط الجاهل بالجهل إلى منزلة يتساوى فيها هو وسائر الحيوانات، ولا يرفع الإنسان من هذه المنزلة الدنية إلا العلم، ويكون ارتفاعه من هذه المنزلة بقدر ما معه من العلم.

والعلم نوعان:

١ـ فنوع يرفع صاحبه في الدنيا لا في الآخرة، وذلك مثل علم الطب، وعلم الاقتصاد والزراعة والتجارة، وعلوم الصناعة على اختلافها، وعلم طبائع الأرض، وعلم طبائع البحار، وعلم طبائع الفضاء، وعلوم طبائع الحيوانات والطيور والحشرات، وعلم الهندسة والبناء، و.. و.. إلخ، وقد قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم].

٢ـ والنوع الثاني من نوعي العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وذلك علم الكتاب الكريم والسنة النبوية، وعلم مقدمات ذلك.

واعلم أنه يجب على أمة المسلمين أن يكون فيهم علماء في كل ما يحتاجون إليه في حياتهم الدنيا وفيما يحتاجون إليه في دينهم.

فيجب أن يكون فيهم علماء طب، وعلماء بناء وهندسة، وعلماء سياسة، وعلماء اقتصاد، وعلماء صناعة سلمية وعسكرية، و... إلخ.

ويجب أن يكون فيهم علماء يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ من الشرائع والأحكام والعقائد والعبادات والمعاملات والقوانين، متحققين بمعرفة الحق وأهله، يميزون بين الحق والباطل، ويعرفون الشبه والتلبيسات والأوهام والخرافات والدسائس... إلخ.

ـ تتفاخر الأمم والشعوب كل بما لديه من المخطوطات الأثرية المتروكة عبر القرون الماضية، وما ذلك إلا لما تحمل تلك المتروكات الأثرية من الدلائل التي لا شك فيها على عراقة الشعب وأصالته في العلم والمعرفة.

أما الشعب الذي لا يملك أي متروك فكري في مكاتبه من بعد آبائه عبر التاريخ فإنه دليل على أن ذلك الشعب عريق في الجهل والغباوة.

وقد كان الشعب اليمني أغنى الشعوب تقريباً في هذا المجال، فقد كثر متروكه التراثي الفكري حتى أخذ الطامعون من ذلك التراث ما ملأ مكاتب تركيا وبريطانيا وبعض دول أوربا ومصر وبعض الدول العربية، وما زال ذوو الأطماع المادية يبيعون عشرات المخطوطات خفية ويصدرونها إلى بعض الدول ومع ذلك النهب المتواصل والأخذ الكبير فإن المكاتب اليمنية العامة والخاصة ما تزال طافحة بالمخطوطات الأثرية في جميع أنواع العلوم.

مَجْلِسٌ: علم الفلك في القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء:١٢]، وقال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ۝٥﴾ [الرحمن]، وقال سبحانه: ﴿وَالنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ۝٣٨ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ۝٣٩ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ۝٤٠﴾ [يس]، وهناك آيات كثيرة في هذا المجال.

ومن المعلوم ضرورة أن قراءة هذه الآيات لا تكفي لمن أراد معرفة منازل الشمس والقمر ومعرفة النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر، بل يحتاج من أراد معرفة ما أراده الله تعالى إلى أن يتعلم ذلك عند أهل العلم به.

فمعرفة نجوم الزراعة هي من هذا العلم، ونجوم الزراعة المعروفة اليوم هي مترتبة وناتجة عن حساب منازل الشمس في السنة كلها، فكل يوم لها منزلة.

ـ وما زال الاهتداء بالنجوم إلى اليوم في البر والبحر، ولا يتأتى معرفة الاهتداء بالنجوم إلا بالتعلم عند ذوي العلم بها.

فنجوم السماء دائمة السير لا تستقر، وما تراه من النجوم في وقت لا تراه في وقت آخر، بل ترى غيرها، وهكذا على طول السنة، ومعرفة كل ذلك لا يتأتى إلا بالتعلم عند خبير بها.

مَجْلِسٌ: علم الصناعة في القرآن

قال الله تعالى: في داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾ [الأنفال:٦٠]، وقال: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴿٨٠﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ...﴾ [النحل:٨٠].

وتمنن الله تعالى على عباده بما جعل لهم من الفلك (السفن) التي تمخر البحار، وبما جعل لهم في البحار من اللحم الطري، ومن اللؤلؤ والمرجان.

وذكر تعالى في القرآن الحرير والإستبرق، وثياب الزينة، والذهب والفضة والحديد والنحاس، وتمنن على عباده بما يخرج لهم من أنواع الحبوب والفواكه والثمار، وذكر تعالى الأقلام والكتابة والقراطيس، والموازين والمكاييل و...إلخ، فكل ذلك قد تمنن الله تعالى به على عباده.

والمعلوم أن السفن الجواري على ظهر الماء كالأعلام (الجبال) التي امتن الله على عباده بأنه جعلها لهم لا يمكن حصولها وانتفاع عباد الله بها إلا بتعلم صناعة السفن، ولا يمكن العباد أن ينتفعوا بما أراد الله تعالى أن ينتفعوا به من الحديد والنحاس والذهب والفضة إلا بتعلم استخراج ذلك من الأرض وتعلم صناعته عند أهل الخبرة، ولا يمكنهم إقامة العدل في الكيل والوزن إلا إذا وجدت صناعة المكاييل والموازين، ولا يمكنهم إعداد آلات الحرب وعدده التي أمر الله تعالى بإعدادها إلا بأن يتعلموا صناعة الحديد واستخراجه و...إلخ.

كل ذلك الذي تمنن الله تعالىٰ به علىٰ عباده يتوقف حصوله علىٰ العلم الخاص به، وهذا العلم الخاص لا يوجد في القرآن وإنما يحصل بالتعلم له عند ذوي الخبرة المختصين.

فلم يعلمنا الله تعالىٰ في القرآن كيف ننسج الملابس من خيوط دودة القز، ولا كيف نصنعها من شعر الغنم والإبل والماعز، ولا كيف نتوصل إلىٰ بناء البيوت من الجلود، ولم يعلمنا كيف نصنع القراطيس والحبر والأقلام.

ومن هنا تعرف أن القرآن وحده لا يكفي للوصول إلىٰ ما يريده الله تعالىٰ لعباده من الانتفاع بما مَنَّ به عليهم مما ذكرنا.

مَجْلِسٌ: علم القضاء في القرآن

قال تعالىٰ: ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [ص:٢٦].

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ [المائدة:٤٩].

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام:١٥٢].

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥].

يؤخذ مما ذكرنا:

١ـ أنه لابد لمن يتصدر للقضاء أن يكون عالماً بما أنزل الله تعالىٰ في القرآن من الشرائع والأحكام: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؛ لأنه لا يمكن للقاضي أن يحكم بما أنزل الله تعالىٰ إلا إذا كان عالماً به.

٢ـ أن يكون القاضي عدلاً ملتزماً بالتقوىٰ والورع؛ لأن الله تعالىٰ جعل العدالة شرطاً في الشاهد وإلا لم تقبل شهادته، فالقاضي أولىٰ باشتراط العدالة، وإذا كان القاضي في نفسه غير عدل فكيف يتأتىٰ منه أن يحكم بالعدل والحق؟!

ـ وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة]؛ لذلك فإن القاضي لا يعمل بدعوى المدعي إذا لم يستطع أن يقيم عليها بينة عادلة.

ـ والبينة العادلة شهادة عدلين مرضيين أو رجل وامرأتين في الأموال والحقوق، لا في الحدود والقصاص فلا تقبل شهادة النساء، وكل هذا جاء به القرآن الكريم.

ـ والمعروف أن الذي جاء في القرآن في هذا الباب هو أصول القضاء وقواعده.

ـ والذي جاء في القرآن أيضا من الأحكام الشرعية أصول الأحكام الفقهية، وفيه الكثير من تفاصيلها.

وبإمكان ذي القدم الراسخة في العلم ذي الفطنة الوقادة، المحظوظ من الله بالتوفيق والتسديد والإعانة أن يَرُدَّ ما لم يَرِدْ حكمه في القرآن إلى ما ورد حكمه فيه، وأن يقيس الأمور بعضها إلى بعض.

وفي القضاء ذيول وفروع ودقائق وشرائط يعرفها العلماء المجتهدون والقضاة المتخصصون لا بد للقاضي من معرفتها، ولا يتم القضاء بالعدل كما ينبغي إلا بمعرفتها، ومعرفتها لا تكون إلا بالتعلم عند أهل العلم بها.

ـ مع كمال العلم والاجتهاد لا بد لمن يريد القضاء وشغل منصته أن يجالس القضاة ويصحبهم؛ ليعرف كيف يتعامل القاضي مع الخصمين، ومع الشهود، ومع الدعاوى، ومع الإجابات، وكيف يناقش الدعاوى والإجابات والشهود و...إلخ.

مَجْلِسٌ: [الصناعات المتطورة في هذا العصر]

وصل الإنسان في هذا العصر بعقله وتفكيره إلى الصناعات المتطورة في جميع المجالات، وكل ذلك يدل على عظمة خالق العقل الإنساني جل وعلا.

قد يقال: لماذا لم يصل عقل الإنسان وتفكيره إلى التقدم في الصناعة إلا في هذا الزمن الأخير دون الأزمنة القديمة والقرون المتقدمة مع أن العقل والتفكير مصاحب للإنسان منذ وجوده على ظهر الأرض؟

قد يقال في الجواب: لعل السر في ذلك عائد إلى ما قضت به الحكمة الإلهية من وصول الإنسان إلى ما وصل إليه في هذا الزمن دون ما سبقه من الأسباب، وذلك أن البشر في هذين القرنين تكاثروا حتى كادوا أن يملأوا وجه البسيطة، ولم تكن الطرق البدائية حينئذ في مجال الزراعة والصناعة قادرة على توفير محتاجات البشر الضرورية من الطعام والملابس والفراش والأواني والمركوبات- فألهم الله تعالى وهو العليم الحكيم العقل البشري إلى صناعة ما يغطي حاجة البشر في جميع المجالات التي يحتاجون إليها.

ـ فألهمهم الله اكتشاف الكهرباء وألهمهم استغلاله في الصناعة عموماً، ثم فتح لهم تعالى أبواب الإلهام حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الصناعات المتطورة في مجال الزراعة والري، وفي مجال النقل والتواصل براً وبحراً وجواً، وفي جميع المجالات التي يتطلبها الإنسان؛ فتبارك الله الخالق الحكيم العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

إلا أني أرى أن هذه النعمة العظيمة التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان في هذه الأعصار نعمة معرضة للزوال، وذلك بسبب نسيان البشر لمسديها إليهم، وإعراضهم تماماً عن شكره وذكره.

وقد حكى الله تعالى في القرآن عظيم نعمته على قارون: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ٧٦﴾ [القصص]، فنسي قارون نعمة الله عليه، وأجاب على قومه حين قالوا له ما قالوا: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص:٧٨].

فأعجب بنفسه حتى رأى واعتقد أنه إنما حصل له ما حصل من الثراء الفاحش، والغنى العظيم بفطنته وذكائه، وعلمه بطرق المكاسب، وبصيرته بأسباب التجارة والربح، وحين نسي نعمة الله عليه وأعجب بنفسه سلبه الله تعالى ما أعطاه، وخسف به وبداره الأرض.

ـ والعالم اليوم معجب بما وصل إليه من التطور المذهل في جميع المجالات، وهم في تطورهم هذا غافلون عن ذكر الذي أولاهم ذلك، وناسون له تماماً، واعتقدوا كما اعتقد قارون أنهم إنما أوتوا ما أوتوا بعلمهم وفطانتهم؛ لذلك **قلنا:** إن ما نراه من التقدم العظيم معرض للزوال، ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً...﴾ [الأنعام:٤٤].

[يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا]

قال الله سبحانه وتعالى:﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ۝٧﴾ [الروم] وصل البشر بعقولهم إلى الأسرار التي أودعها الله تعالى في الأرض والهواء والماء والحيوان ولمستها أفكارهم وعقولهم.

وسميت هذه المعارف« ظاهراً من الحياة الدنيا» لاطلاع العقل عليها مباشرة.

وكان على العقل أن لا يتوقف عند هذه المرحلة من العلم، بل عليه أن يجعل تلك المعارف التي اطلع عليها سُلّماً إلى معارف أخرى، وسبباً لاكتشافات علمية جديدة، فإن العقل البشري لو أعطي الفرصة للتأمل في تلك الأسرار المكتَشَفَةِ لوصل إلى معارف جديدة هي أهم وأعظم مما اكتشفه في المرحلة الأولى.

وهذه المعارف الجديدة الهامة هي المعارف التي يريد الله تعالى من عباده أن يعرفوها ويطلعوا عليها، والتي ستكون سبباً لسعادتهم في الدنيا والآخرة.



الفهرس